بسّام العسلي

فنّ الحرب الإسلامي

عمليّات الجبهة الغربيّة: فتوح مصر والمغرب والأندلس



المجلّد الثاني

دار الفكر

بسام العسلي

فن الحرب الإسلامي

في

عهود الخلفاء الراشدين والامويين

عمليات الجبهة الغربية فتوح مصر والمغرب والاندلس

المجلد الثاني

دار الفكر

فن الحروب
في
عهود الخلفاء الراشدين والأمويين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسّام العسلي

فنّ الحرب الإسلامي

في

عهودِ الخلفاء الراشِدين والامويّين

المجلد الثاني

عمليات الجبهة الغربية

فتوح مصر والمغرب والاندلس

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

دار الفكر
بيروت
لبنان

المكاتب: البناية المركزية - هاتف: ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب: ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل: حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف: ٣٩٠٦٦٣ | ٨٣٨٢٠٢ ٨٣٧٨٩٨
برقيا: فكير - تلكس: ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

الإهداء

الى المؤمنين بقوله تعالى والعاملين بما انزله :
من المومنين رجال صدقوا ما عاهدو الله عليه فمنهم
من قضى ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا .

والى العاملين بما انزله :
ولا تكُونُوا كالذّين تَفرّقوا واخْتلفوا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءهَمُ البَيّنَاتُ وأُولَئِكَ لَهمُ عذابٌ عَظِيمٌ

صدق الله العظيم

المقدمة

من أول أهداف التصدي لمعالجـــة « فن الحرب في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين » هو ابراز معالم الفتوحات العربية الاسلامية ووضعها في اطار يتوافق مع روح العصر وذلك من خلال عرض « الأحداث التاريخية » وتحليلها بصورة منهاجية « مبرمجة » تتوافق مع الواقع ـ قدر المستطاع ـ دونما مبالغة تنتهي إلى شطحات طوباوية تضر بهذا الواقع وتفسده ومن غير تحريف يفسد هذا الواقــع أيضاً وينتهي به إلى تشويه مدمر .

ـ لقد برزت من خلال هـــذا العمل حقائق موضوعية تنقض المسلمات التي تتداولها كتب التاريخ الحديثة والتي تغرسها في العقول عن عمد أو غير عمد . ـ وأول هذه المسلمات [أن الفتوحات العربية ـ الاسلامية قد حدثت في غفلة من الدهر كانت فيـــه الامبراطوريات العظمى التي تصدت للفتوحات ـ كفارس وبيزنطة ـ في وضع الانهيار بحيث لم يلق العرب المسلمون في فتوحاتهم مقاومة كبيرة فأطاحوا بتلك الامبراطوريات وانتشروا في كل بقعة من العالم القديم] .

ـ ومن تلك المسلمات أيضاً [أن الفتوحات العربية الاسلامية قد حدثت بتأثير الحاجـــة .. والفقر ، والصراع على موارد العيش] واسقاط العامل الروحي والمعنوي الذي كان له الدور الأول والحاسم في انجـــاز الفتوحات والانطـلاق إلى كل صقع من العالم ـ تلك هي بعض المسلمات لا كلها ـ وهي مسلمات خاطئة ،.

خاطئة لأن فارس لم تكن على مثل هـــذه الدرجة من الضعف وهي التي

استطاعت قبل الفتوحات الاسلامية بسنوات قليلة أن تصل بجيوشها إلى قرب العاصمة البيزنطية وتحتل بلاد الشام ومصر ، حيث نزلت الآية الكريمة :

[آلم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون ، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ..] الآية ١ - ٤ - الروم .

ولم تكن بيزنطة على مثل هذه الدرجة من الضعف وهي التي استطاعت بعد تسع سنون أن ترد الضربة وتقوم بهجوم حاسم يصل بقواتها حتى عاصمة « فارس » ..

- لم تكن فارس على مثل هـــذه الدرجة من الضعف وهي التي زجت في القادسية ١٣٠,٠٠٠ مقاتل ، وزجت في المعارك المتتالية قوات لو حشدت كلها في معركة حاسمة لكانت قوة جيشها يزيد على المليون ، مقابل بضعة آلاف فقط من العرب المسلمين ..

- ولم تكن بيزنطة ضعيفة وقد زجت في معركة اليرموك ٢٤٠,٠٠٠ مقاتل وفي اجنادين ٨٠,٠٠٠ وفي بقية المعارك قوى متفرقة لو حشدت كلها لشكلت جيشاً يزيد على المليون ، مقابل ٣٠,٠٠٠ فقط من قوة العرب المسلمين ..

ولم تكن الحامية المدافعة عن مصر ضعيفة يوم هاجمها عمرو بن العاص ، فقد كانت حامية الاسكندرية وحدها ١٠٠,٠٠٠ مقاتل ، وزجت القيادة في معركة أم دنين ٨٠,٠٠٠ مقاتل . وكان في بابليون والفرماء والمواقع الأخرى قوات تزيد في مجموعها على نصف مليون مقابل ثمانية آلاف فقط ..

- وجابه العرب المسلمون عنـــد فتح ليبيا وفي معركة القعوبة ١٢٠,٠٠٠ مقاتل وكانت قوتهم ٢٠,٠٠٠ فقط ..

- وجابه العرب المسلمون عند فتح تونس وفي معركة « الأجم » ٣٠,٠٠٠ مقاتل مقابل عشرة آلاف ..

– ولم تكن قوات فتح اسبانيا تزيد على بضعة آلاف ، مقابل عشرات الآلاف ..

وإذا ما أخذ بعين الاعتبار ميزان القوى فإن هـذا الميزان لم يكن أبداً في صالح العرب المسلمين وكان التفوق دائماً في صالح خصومهم بمعدل أقله ثلاثة مقابل واحد وأكثره عشرة إلى واحد أو يزيد . ورغم ذلك انتصر العرب المسلمون ..

– وكان العرب المسلمون في موقف الهجوم ، وكان خصومهم باستمرار في موقف الدفاع ، فاذا ما أخذ بالموازين التقليدية وجب أن يكون ميزان القوى لصالح العرب المسلمين ..

– لقد انتصر العرب لأنهم مهاجمون ، ولأنهم حاربوا لا بأعدادهم – كما قال الخليفة أبو بكر الصديق ومن بعده الخليفة عمر – وإنما انتصروا بقوة الدين والإيمان ..

وقد يكون من السهل تعليل انتصار العرب بالتمزق الديني الذي كان واقعاً في أقاليم فارس وبيزنطة ومصر وشمال افريقية والأندلس ..

– وقد يكون من السهل أيضاً تعليـل انتصار العرب بالتمزق العسكري وضعف الانضباط وأخطاء القيادة . وقد يكون من السهل بعـد ذلك تعليل هزيمة فارس وبيزنطة وانتصار العرب بألف مسوغ ومسوغ ، لكن هناك حقائق وفن الحرب يستند إلى الحقائق الموضوعية قبل كل شيء . ومن هنا وعلى ضوء الواقع يمكن القول أن الولايات المتحدة الأمريكية تعاني من تفسخ النظـام الاقتصادي وتمزق النظام الاجتماعي ووجود التفرقة العنصرية مما وضع الولايات المتحدة الامريكية على حافة الإنهيار ..

. – ومن الممكن القول أيضاً ان الاتحاد السوفييتي يعاني من كبت الحريات مما تسبب في ظهور حركة « الكتاب » والنشرات السرية وربيع براغ . وان الاتحاد السوفييتي أيضاً يعاني من التناقضات بين الحزب وجماهير الشعب وبين

الحزب والقيادة وأجهزتها المختلفة مما وضع الاتحاد السوفييتي على حافة الإنهيار..

فكيف إذاً حقق الاتحاد السوفييتي النصر في حربه الوطنية العظمى ؟.

– وكيف استطاعت الولايات المتحدة أن تزج جيوشها في الحرب العالمية الثانية فوق كل بقعة من العالم ؟

– ان هذه الأمراض الاجتماعية – رغم وجودها – تضعف من القدرة القتالية وتحبط ارادة القتال عند الأمة وهي توضع في كفة الميزان عند تقدير الموقف ولكنها ليست كل العوامل – انها بعضها وبعضها فقط – .

– ثم كيف استطاعت فيتنام الصغيرة إلحاق هزائم عسكرية بالقوات الامريكية ؟.

السبب ، ليس في ضعف امريكا بل في قوة فيتنام، وارادتها على انتزاع النصر..

لقد انتصرت ثورة الجزائر « لا بسبب ضعف فرنسا » وإنما بسبب قوة الجزائر واصرارها على انتزاع النصر مهما بلغت التضحيات..

هذا هو العامل الثاني – ارادة النصر – ، وهي التي عبر عنها مونتغومري بقوله:

[لا توجد معركة فاشلة إلا إذا أراد لها قائدها ذلك] .

وعودة إلى المسوغات .

– لم تكن بيزنطة ضعيفة ..

فقد استطاعت زج قوات كبرى في المعركة أو في مجموعة المعارك التي خاضتها ضد العرب المسلمين ثم تابعت حرب الاستنزاف ضدهم ، وكان الرد الأموي هو تنظيم الصوائف والشواتي وتصعيد العمليات فيها إلى حرب حقيقية فوصل العرب في عهد معاوية مرتين حتى أبواب القسطنطينية ، ووصل مسلم بن عبد الملك بجيوشه حتى القسطنطينية وبقيت قوات العرب المسلمين في حصارها سنة كاملة وذلك عام ٩٨ هـ ..

كما استطاعت متابعة حروبها بعد قيام الدولة العباسية ووقعة عمورية حلقة

في سلسلة حرب الاستنزاف التي خاضتها بيزنطة ضد العرب المسلمين ..

ومقابل ذلك ، وصلت بيزنطة إلى أبواب دمشق مرات عديدة ، وهاجمت الاسكندرية بعد الفتح وبقي أسطولها البحري مصدر خطر وازعاج طوال العهد الاموي وصدر العهـــد العباسي ، وكان لبيزنطة دور كبير في تحريك عملائها والتحريض على الثورة المضادة طوال قرون عديدة بعد الفتح الاسلامي .. وقد نجحت هـــذه الثورات المضادة في افريقية الشمالية بصورة خاصة ـ ولو لفترة محدودة ـ وكانت بيزنطة تخطط للثورات المضادةوتدعمها بعمليات إنزال بحري، وان مثل هذه العمليات لا تقوم بها دولة ضعيفة .

وعلاوة على ذلك فقد استطاعت بيزنطة الصمود على الجبهة الأوربية .

ففي عام ٩٧٠ م حاول الامبراطور والقائد البيزنطي الكبير ايوان سيميسكي ابعاد الروس عن بلغاريا ، كما كان أمير « كييف » يعـد بدوره حملة للهجوم على القسطنطينية ووصلت قواته إلى البلقان ولكنها عادت بسرعة وتم عقد الصلح بناء على اقتراح الامبراطور ايوان .. .

وفي ربيع عام ٩٧١ م ، ودون النظر إلى معاهدة الصلح أرسل الامبراطور البيزنطي ٣٠٠ مركب عبر نهر الدانوب وانطلق هو أيضاً بجيش كبير نحو البلقان حيث وجه ضربة حاسمة إلى الوحدات الروسية الأمامية ووصل إلى مدينـــة دوروستلاو وحاصرها فترة أشهر ثلاثة ، وانتهت الحرب بعقد صلح بين الطرفين كان الجانب البيزنطي فيه هو الطرف الأقوى ..

لقد حدثت هذهالمعركة بعد الفتح العربي الاسلامي بما يزيد على ثلاثة قرون ، ولم تسقط بيزنطة إلا بعد الفتح العربي ـ الاسلامي بثمانية قرون ونيف ، بحيث يمكن القول : [ان ضعف بيزنطة قد جاء نتيجة لانتزاع مجالها الحيوي وإلحاق الهزائم المتتالية بقواتها العسكرية] .

. أصيبت بيزنطة بالضعف نتيجة لقوة العرب،ولم يكن انتصار العرب المسلمين بسبب ضعف بيزنطة والفرق كبير بين الواقعتين التاريخيتين أو بين الموقفين ..

وما يقال عن بيزنطة يقال عن فارس .

وما يقـــال عن الدولتين العظيمين يقال أيضاً عن مصر وشمال افريقيا والأندلس والهضبة الايرانية ..

كانت قوة العرب وإيمانهم بحتمية النصر من أول عوامل نجاحهم في عملياتهم القتالية . ولقـــد أساءت بيزنطة وفارس تقدير قوة العرب المسلمين القتالية ولم تتمكنا من فهـم التبدلات الجذرية التي أحدثها الدين الاسلامي في بعث القوة العربية وتوحيدها وكان لهذا العامل دوره الحاسم فيما حققه العرب المسلمون من انتصارات .

– كان من نتيجـــة سوء تقدير الموقف ان دفعت بيزنطة وفارس بمجموعات متتالية متتابعة لتدمير قوات العرب المسلمين،وطبق العرب المسلمون استراتيجية « بقعة الزيت » أو « الخرشوفة » فأخذوا يدمرون بمجموعات العدو على التتابـع ويحققون النصر بعد النصر ويوسعون قاعدة عملياتهم خطوة بعد خطوة حتى إذا جاءت المعركة الحاسمة « في اليرموك والقادسية ونهاوند والاسكندرية والأجم وغيرها ... » كانت قوات العرب المسلمين على استعداد نفسي كامـــل لخوض المعركة بينما كانت إرادة القتال عنـــد خصومهم في حال « احباط كامل » .. وكان في ذلك سبب من أسباب النصر .

– وطبق العرب المسلمون في حروبهم عزل مسرح العمليات وحرمان العدو من امداداته واضعاف شؤونه الادارية فكان في ذلك واحد من عوامل النصر .:

– وبحث قادة العرب المسلمين عن « المباغتة » في كل معركة من معاركهم وكان في ذلك أحد عوامل نصرهم ..

– وطبق قادة العرب المسلمين مبادىء الاستطلاع ، والمحافظة على الأمن ، والحشد والمرونة وحافظوا على المبادأة وكان في ذلك نصرهم :.

واستخـدم العرب المسلمون أسس الحرب النفسية واستراتيجية الهجوم غير المباشر .

– ولم تكن هذه المبادىء جميعاً قد وضعت في قوالب نظرية محددة ومفاهيم ثابتة لكن استعراض مسيرة العمليات تظهر بوضوح تام أن معارك العرب المسلمين قد نفذت في اطار من التنظيم الدقيق والمتوافق مع مبادىء [فن الحرب] في مفاهيمها الحديثة ..

– لقد أظهرت الفتوحات العربية الاسلامية طبقة قيادية على درجة عالية من الكفاءة والذكاء، وكانت هذه الطبقة القيادية تبحث بوحي من إيمانها عن الوسائل والأساليب التي تضمن لها النصر ، وكانت تطور هذه الوسائل والأساليب تبعاً للمواقف التي تجابهها ، وكان من حصالة التجارب تكون فن الحرب وتطوره في عهد العرب المسلمين .

– وأظهرت مسيرة العمليات القتالية جيوشاً من المقاتلين لم يشهد العالم مثلها في صلابتها وقسوتها وقدرتها على تحمل المشاق بروح من الاخلاص وانكار الذات لا مثيل لها في التاريخ .. وكان الإيمـــان الحافز الأول والأخير للمقاتلين في حروبهم والعامل الاول والاخير في تحمل كل الصعاب ، مما جعل النصر في قبضة العرب المسلمين .

– ان الفتوحات الاسلامية بمجموعها معارك « عقائدية » هدفها نشر الدين الاسلامي ، وكان الإيمان بواجب نشر الدين وفرض الاسهام به على كل مؤمن ، قد نظم العرب كلهم في جيش شعبي واحد ، وكان في ذلك النصر ..

لقد حقق العرب المسلمون انتصاراتهم :

١ – لإيمانهم العميق بحتمية انتصارهم وواجبهم في نشر الدين .

٢ – لتوفر قيادات على درجة عالية من الكفاءة .

٣ – لتطبيق مبادىء « فن الحرب » بمهارة تبعاً للمواقف التي يجابهونها ..

وكان في ذلك مصدر قوتهم ..

• وقد أخذت بيزنطة – رغم تطورها في فن الحرب – الكثير من المبادىء ونقلتها إلى اوربا ..

وأخذت أوربا نتيجة معاركها المستمرة مع العرب في اسبانيا ، ما أحدثه العرب من تطورات في فن الحرب ..

وكانت تجارب « الحروب الصليبية » مجالاً لاقتباس « فن الحرب » عند العرب وتطويره .

لقد جابهت القوات العربية الاسلامية تحديات كبيرة وكانت ـ لولا إيمانها ـ دون مستوى التحديات سواء في عددها أو في تسليحها أو في اعدادها ، لكن الإيمان بحتمية النصر هو الذي جعل هذا النصر حليفاً للمؤمنين ..

لقد أعطى العرب المسلمون للعالم علماً وفناً وأدباً ، ولعل « فن الحرب هو من أبرز الفنون التي طورها العرب » وأعطوها للعالم .

وإذا كان بناء الحاضر والمستقبل مرتبط بقاعدة الماضي ، مشدود بثبات إليها ، فما أحوجنا لمعرفة « ما ضمه تراثنا » .

وأرجو مخلصاً أن تكون هذه الدراسة لبنة في معرفة هذا « التراث الخالد » .

القسم الأول

الفصل الأول

وادي النيل عبر التاريخ

١ – الموقع والطبيعة الجغرافية .

٢ – الحكم في مصر عبر التاريخ .

٣ – مصر في عهد البطالسة .

٤ – من البطالسة الى الرومان .

٥ – مصر عشية الفتح الاسلامي .

آ – الوضـــع الاجتماعي .

ب – العلاقة بين بيزنطة والفرس .

ج – المذاهب الدينية .

د – التنظيم العسكري البيزنطي في مصر .

وادي النيل عبر التاريخ

شهدت رمال وادي النيل أقدم حضارة عرفها التاريخ ، وقـــد بقي تاريخ مصر القديم محوطاً بهالة من الغموض ، لا يبدد من ظلمته سوى بعض الشواهـد العمرانية الفخمة التي صمدت على مدى الدهر ـ كالاهرامات والمعابد والتماثيل ـ وسوى بعض كتابات المؤرخـين اليونانيين أمثال « هيرودوت وتوسيديد » . ثم جاءت حملة نابليون بونابرت إلى مصر ومعها بعض العلماء . واستطاع شامبليون حل رموز الكتابة الهيروغليفية وأصبح بالامكان قراءة أوراق البردى ونقوش الجدران ففتحت نافذة واسعة أمكن من خلالهـــا تبديد كل غموض وإزالة كل ضباب وظهرت حضارة أصيلة ، عريقة الجذور ، واسعة الأفق ، شاملة لكل جميل ورائع من أدب وفن وعلم في جميع المجالات .

١ – الموقع والطبيعة الجغرافية :

– يحتل وادي النيل الزاوية الشمالية الشرقية من القارة الافريقية ، ويصب النيل في البحر الأبيض المتوسط ، كما يحتل البحر الأحمر قسماً من الجبهة الشرقية لمصر ، وكان لهذا الموقع أثره الهام في حضارة مصر كنقطة التقاء بـين قارات ثلاث اوربا وآسيا وافريقيا فتفاعلت فوق تربتها أعرق الحضارة وأكثرها أصالة في التاريخ ، وامتزج فيها الفكر اليوناني بالفكر الفارسي ، وساعدت الطبيعـة الدافئة على انضاج هذا التفاعل وحفظه على مدى الأيام .

– لقد كان موقع مصر الهام سبباً في دفع كل طامح إلى احتلال وادي النيل وحكمه لكن اصالة الشعب العربي بقيت سداً شامخاً في وجه كل غزو فتحطمت

كل الفتوحات ولم يثبت منهـــا فوق رمال مصر سوى شواهد وآثار تدل على لصالة عروبة مصر وعمق جذورها في اغوار التاريخ .

– كانت المياه قديماً تغمر وادي النيل وتملؤه بالمستنقعات وهــذا ما دفع قدامى المصريين إلى استيطان المرتفعات والهضاب المجاورة للوادي ، وعندما أخذ الجفاف يسيطر على الوادي وانتظم مجرى نهر النيل ظهرت التربـة الخصبة فتوجه السكان إلى الزراعة وتبع ذلك تطور المجتمع من النظام القبلي إلى النظام القروي وأقيمت السدود لحماية القرى من الفيضان ولاستثمار المياه لأعمال السقاية ، ثم اجتمعت القرى واتحدت فكونت الدولة وكان لا بد من حدوث صدام بـين الدول المختلفة في وادي النيل وانتهى الصدام بتوحيد الكيانات المختلفـــة في مملكتين احداهما في الجنوب والثانية في الشمال ولم يمض وقت طويل حتى قامت الدولة الواحدة .

– وكان لنهر النيل دور حاسم في فرض نظام الحكم الواحد ، كما كان له دور حاسم في دفع السكان نحو الخضوع للنظام الموحد وفي تقارب نظام العبادة للنهر العظيم الذي حمل الحياة إلى سكان الوادي .

ان أرض مصر هي امتداد طبيعي للصحراء العربية من الشرق وللصحراء الليبية من الغرب وهذا ما دفـع بعض المؤرخين مثل « هيرودوت » إلى القول « ان مصر هبة النيل » إذ لولا النيل لما كانت مصر . ومعدل عرض النيـل هو كيلو متر في حين يمتد من منطقة البحيرات في افريقيـا الوسطى حتى يصب في البحر الابيض المتوسط ويتفرع شمال القاهرة إلى دلتا ، وان هذا التفرع قـــد ساعد على تقسيم مصر من الناحية الجغرافية الى قسمين واضحين هما :

١ – مصر العليا – أو الوجه القبلي – وتسمى أيضاً الصعيد ، ويشمل هذا القسم المنطقة ما بـــين اسوان والقاهرة ، وكانت عاصمة هذا القسم قديماً مدينة « طيبة » .

٢ – مصر السفلى – أو الوجه البحري – وتسمى أيضاً الدلتا ، ويشمل هذا القسم المنطقة ما بين القاهرة جنوباً والبحر الأبيض المتوسط شمالاً ، وأهم مدن هذا القسم قديماً « منف وتنيس » .

٢ – الحكم في مصر عبر التاريخ :

– ان تيار التاريخ هو سيل مستمر لا انقطاع فيه ، لكن ضرورات الدراسة فرضت تقسيم التفاعلات والأحداث التاريخية إلى مراحل ، فكان تاريخ مصر على النحو التالي :

١ – عهد ما قبل التاريخ : – وهو العهد الذي يبدأ بظهور الحياة في وادي النيل وينتهي في عام ٣٢٠٠ ق.م حيث تمكن أحد ملوك الجنوب المعروف باسم يغرمر « مينا » من توحيد وادي النيل وفرض حكمه على الشمال . وأخذ الملوك يحملون لقب « فرعون » ويضعون على رؤوسهم تاجاً مزدوجاً يجمع بين التاج الأبيض رمز ملوك الجنوب والتاج الأحمر رمز ملوك الشمال .

٢ – عهد مصر الموحدة : – وحكمت في هذا العهد ثلاثون أسرة حاكمة ، وقسم علماء التاريخ هذا العهد إلى أقسام أربعة :

١ – قسم الدولة المصرية القديمة : من الاسرة ١ – ١٠

٢ – قسم الدولة المصرية المتوسطة : من الاسرة ١١ – ١٧

٣ – قسم الدولة المصرية الحديثة : من الاسرة ١٨ – ٢٠

٤ – قسم الدولة المصرية الضعيفة أو عهد الانحطاط : من الاسرة ٢١ – ٣٠

—★—

– يمتد عهد الدولة المصرية القديمة من سنة ٣٢٠٠ – ٢١٦٠ ق.م وكانت منف عاصمة هذه الدولة . وتعتبر الاسرة الرابعة هي أكثر الأسر العشرة شهرة نظراً لما تركه فراعنتها خوفو وخفرع ومنقرع من آثار تمثلت ببناء الاهرامات

الكبرى وتمثال أبي الهول القريب من القاهرة .. وتميز هــذا العهد بتمركز السلطة القوي في يــد الفراعنة ، لكن انحراف هؤلاء الفراعنة في استخدام السلطة ، وتعميم نظام السخرة لاقامة المشاريع الكبرى وتزايد الظلم دفع بحكام المقاطعات ورجال الدين إلى التكتل وقامت ثورة دامية أطاحت بحـكم ملكية منف ، واستقل حكام المقاطعات بأقاليمهم مما أدى إلى ظهور عهـد الاقطاع ، وتجزأت مصر وانتشرت الفوضى وكان هــذا الوضع المتدهور هو الحافز لقيام عهد الدولة المتوسطة .

—★—

– يمتد عهد الدولة المتوسطة من سنة ٢١٦٠ – ١٥٨٠ ق.م ، حكمت خلاله سبعة أسر ، وكانت العاصمة « طيبة » .

– نجح ملوك الأسرة الثانية عشرة في اعادة توحيد وادي النيل بعد سلسلة من المعارك والمفاوضات مع حكام الأقاليم والمقاطعات . وتميز نظام هــذا العهد بإعطاء حكام المقاطعات والأقاليم حرية الادارة الذاتية مقابــل دعم الحكام لفرعون في حال الحرب إلى جانب تقديم دعم مادي للحكومة المركزية من أجل اقامة المشاريع العمرانية كالري والبناء واقامة السدود . وقد ساعد ذلك كله على ظهور نهضة عمرانية واجتماعية متطورة .

– وفي هذا العهد اجتاح الهيكسوس مصر ، وهم من القبائل العربية السامية التي قدمت من شبه الجزيرة العربية وسوريا عن طريق شبه جزيرة سيناء ، وقد استمر حكم الهيكسوس ما بين ١٧٣٠ – ١٥٨٠ ق.م ، وساعد التمزق الداخلي في مصر هؤلاء الملوك الدعاة على تمزيق الجيوش المصرية ، كما ساعــدهم أيضاً استخدامهم للأسلحة الجديدة ، كالعربات التي تجرها الخيل ، والخناجر البرونزية مما لم يكن يعرفه المقاتلون المصريون .

حاول الملوك الدعاة تقليد المصريين في مأكلهم وملبسهم وحياتهم على أمـل الاندماج بالشعب المصري ، لكن بقاء الأسرة الحاكمة في طيبة وفشل الهيكسوس في

السيطرة على مصر العليا والتفاف المصريين حول ملوكهم لمقاومة « الغرباء » قد ساعد على تصعيد المقاومة التي وصلت ذروتها في عهد أحمس الأول ، من الأسرة السابعة عشرة وانتهت باخراج الهيكسوس من مصر وانطلق احمس الاول في مطاردة فلولهم حتى وصل جنوب سوريا . وانتهى بذلك عهد الدولة المتوسطة ليبدأ عهد الدولة المصرية الحديثة .

—★—

حكمت مصر ما بين عام ١٥٨٠ – ١٠٨٥ ق. م ثلاثة سلالات من ١٨–٢٠ وبقيت مدينة طيبة عاصمة « للامبراطورية » ، وقد بدأت هذه السلالات عهدها بنهضة عسكرية وعمرانية ، وأراد فراعنتها تحصين شرق الدلتا ، واحتاجوا إلى المواد الأولية فقـام تحوتمس الثالث « ١٥٠٤ – ١٤٥٠ ق.م » بغزو سوريا مستهدفاً الحصول على الخشب من لبنان والنحاس من سيناء . ووقعت بين تحوتمس الثالث والامراء السوريين معركة في سفوح جبال الكرمـل قرب حيفا عام ١٤٦٨ ق.م عرفت بمعركة مجدو ، وانتصر تحوتمس ثم تابع تقدمه ، وقاد بمجموعة من المعارك انتهت بقيام امبراطورية قوية امتدت من السودان جنوباً إلى سوريا شمالاً ، وشهدت مصر في عهد تحوتمس الثالث من الرخاء والازدهار ما لم تعرفه من قبل .

– لم يتمكن خلفاء تحوتمس الثالث من المحافظة على امبراطوريتهم ،وصرفتهم الخلافات المذهبية والمنازعات الداخلية ، ولا سيما في عهـد امنحوتب الرابع « اخناتون » ١٣٧٢ – ١٣٥٤ ق. م. الذي فرض عبادة إله الشمس « اتون » وطارد كهنة الديانة القديمة واضطهد اتباعهم واغلق معابدهم ونقل العاصمة من طيبة « الى اخيت ـ اتون » . وشعر الامراء السوريين بضعف الدولة فاستقلوا بحكم اقاليمهم وبدأ الحثيون باجتياح سوريا من الشمال مما دفع الامراء السوريين الموالين لمصر لطلب دعم حكام مصر ، فقـاد رعمسيس الثاني جيشاً الى سوريا والتقى بالحثيين في معركة « قادش » قرب حمص عام ١٢٩٦ ق.م. ولم ينته القتال

الى نتيجة حاسمة مما اضطر رعمسيس إلى عقد معاهدة استقل بموجبها الحثيون في حكم شمال حمص وللمصريين جنوبها .

وكان من أهم ما خلفته هذه السلالات معبد الكرنك والمسلات الحجرية الكثيرة التي خلدوا عليها أخبار انتصاراتهم .

لم ينجح خلفاء رعمسيس الثاني في الحفاظ على وحدة الامبراطورية ، ولا استطاعوا حماية مصر كدولة موحدة وبدأ بذلك عهد جديد تعاقبت عليه عشرة سلالات من ٢١ - ٣٠ ، وامتد من ١٠٨٥ - ٣٣٢ ق. م.

- استقلت في عهد هذه السلالات الدولة وأصبحت مجموعة دويلات ، وانتشرت الفوضى وتعاظم دور رجال الدين والكهنة حتى استطاع بعضهم الاستيلاء على الحكم . كما جابهت مصر في عهدهم الغزو الخارجي المتمثل بهجوم شعوب البحر ، واحتل الليبيون الدلتا لفترة قرنين من الزمن كما احتل الاثيوبيون « الاحباش » مصر العليا في عام ٧٤٦ ق.م. تقريباً ، واحتل الآشوريون مصر في عهد أسرحدون عام ٦٧٠ ق.م وأصبحت مصر تابعة للآشوريين .. ثم شهدت مصر بعد ذلك عهداً قصيراً من الازدهار في حكم الاسرة ٢٦ عرف بالعصر الصاوي ، ولم يلبث الضعف بعد ذلك أن عاود سيطرته على الدولة وذلك مع ظهور قوة الفرس الذين أخذوا يتقدمون من فارس في اتجاه الغرب ، فاحتلوا سوريا وتابعوا زحفهم حتى أبواب مصر ثم نجح قمبيز الثاني ملك فارس في احتلال مصر وأعلن نفسه ملكاً عليها وبقي الاحتلال الفارسي لمصر مستمراً حتى جاءت جيوش الاسكندر المقدوني ففتحت مصر عام ٣٣٢ ق. م.

٣ - مصر في عهد البطالسة :

- كانت مقدونيا مملكة تحتل سهلاً واسعاً تحيط به الجبال في شمال اليونان، وعندما ضعفت ممالك اليونان « اثينة واسبارطة وثيبة » تقدم المكدونيونبقيادة

فيليب الثاني واحتلوا اليونان ، وحكم فيليب الثاني من ٣٦٠ - ٣٣٦ ق. م. ونجح في احتلال سواحل بحر ايجة وانهى احتلال اليونان عام ٣٣٨ ق.م. وعندما وضع مخططاته لمتابعة التوسع واخضاع فارس ، اغتيل عام ٣٣٦ ق.م. تاركاً تنفيذ اعمال التوسع لابنه الاسكندر المقدوني .

- قضى الاسكندر على الثورات التي تصدت لحكمه بعد مقتل ابيه ثم قاد جيوشه لانتزاع آسيا الصغرى من الفرس ونجح في احتلالها بعد مجموعة من المعارك التي كان أشهرها معركة ايسوس «قرب خليج الاسكندرون» ثم تابع الاسكندر تقدمه مع محاذاة الساحل السوري فاحتل المدن الفينيقية بسرعة ولم تصمد في وجهه سوى صور التي قاومت الحصار الطويل قبل ان تسقط ثم دخلت جيوش الاسكندر مصر ٣٣٢ واستقبل فيها كمحرر للشعب وأطلق عليه لقب فرعون .

تابع الاسكندر المقدوني فتوحاته حتى وصل بحر قزوين واحتل تركستان وافغانستان الحالية ووادي السند « باكستان » ، ووصل حدود الهند وعادت قواته على محورين احدهما طريق المحيط الهندي فالخليج العربي ، والثاني على الطرق الداخلية في اتجاه بلاد الرافدين ..

أقام الاسكندر الاكبر في بابل بعد عودته من فتوحاته وأراد ان يتخذ من بابل عاصمة لامبراطوريته الواسعة لكنه اصيب بالحمى وتوفي في عام ٣٢٣ ق. م.

- اختلف قادة الاسكندر بعد وفاته ، واستقل القائد انتيغون في حكم اليونان ومقدونيا واسس الدولة الانتيغونية ..

- كما استقل القائد « سلوقس » في حكم سوريا وبلاد الرافدين وايران ، وأسس الدولة السلوقية وجعل انطاكية عاصمة لها ، ثم تقلصت رقعة هذه الدولة عند ظهور الأسرة البارثية في ايران ..

- واستقـــل القائد بطليموس في مصر وأسس دولة البطالمة أو البطالسة وجعل الاسكندرية عاصمة لها ..

كان الاسكندر قد حمل معه في فتوحاته عدداً كبيراً من العلماء ، وامتزج

بالسكان عن طريق تشجيع الزواج والاندماج في المجتمع . ونتيجة لذلك نشأت حضارة رائعة عرفت بالحضارة الهيلينستية ، وأصبحت الاسكندرية وانطاكية منارات للاشعاع الفكري والحضاري في مختلف العلوم والفنون .

٤ – من البطالسة الى الرومان « بيزنطة » :

– في عام ٧٥٣ ق.م قام رومولوس ببناء « روما » على ماتذكره الاساطير. والشعب الايطالي مثله كمثل الشعب اليوناني والايراني من العرق الآري « الهندي – اورني » .

– ومن ٧٥٣ – ٥٠٩ ق.م حكم روما ملوك يساعدهم مجلس شيوخ من الأسر النبيلة وجمعية عمومية تضم أحرار روما ، ولم تكن حدود هذه المملكة تتجاوز مدينة روما .

– أعقب ذلك الحكم الجمهوري من ٥٠٩ – ٣٢ ق.م. بعد ثورة ضد الملوك الذين استأثروا بالسلطة،وكان من أعظم انجازات هذا العهد خروج روما موحدة قوية تضم أقاليم واسعة .

– العهد الامبراطوري من ٣٢ ق.م. حتى ٤٧٦م حيث انفرد اوكتافيوس بالحكم بعد مجموعة المعارك التي خاضها ضد الجمهوريين الذين قتلوا يوليوس قيصر بتهمة تحويل الجمهورية الى امبراطورية .

لقد حدثت أكثر الفتوحات في العهد الجمهوري وكانت وفق التسلسل التالي:

١ ـ احتلال قرطاجة بعد الحروب البونية (٢٦٤ – ١٤٦ ق.م) .

٢ ـ احتلال مقدونيا واليونان سنة ١٤٨ ق.م. ومتابعة التوسع حتى جبال طوروس .

٣ ـ احتلال سوريا من قبل القائد الروماني بومبيوس عام ٦٤ ق.م والقضاء على الدولة السلوقية .

٤ ـ احتلال فرنسا « بلاد الغال » وجنوب بريطانيا بقيادة يوليوس قيصر عام ٥٥ ق.م .

٥ ـ احتلال مصر من قبل القائد الروملني اوكتافيوس وازالة حكم البطالمة الذي انتهى بالقضاء على كليوباترة ..

في عام ٣٨١ م أعلن الامبراطور تيودوسيوس جعل الديانة المسيحية ديناً للدولة وأخذ في مطاردة الوثنيين واضطهاد أتباع هذه الديانة .

حكم الامبراطور قسطنطين خلال الفترة ما بين ٣٠٦ ـ ٣٣٧ م ، وحاول دعم الدولة وتقويتها فبنى القسطنطينية في موقع بيزنطة وجعلها عاصمة له عام ٣٣٠ م .

ثم جاء تيودوسيوس فقسم الدولة عام ٣٩٥ م الى قسمين :

١ ـ قسم شرقي يحكمه ابنه الأكبر « اركاديوس » وعاصمته القسطنطينية .

٢ ـ قسم غربي يحكمه ابنه الثاني « هونوديوس » وعاصمته روما .

في عام ٤٧٦ م سقطت روما بيد القبائل الجرمانية البربرية وقامت على انقاضها دويلات عديدة . ويعتبر المؤرخون هذا العام « ٤٧٦ م » هو بداية « العصور الوسطى » .

ـ استمرت الدولة الرومانية الشرقية « بيزنطة » في حكم الأقاليم التابعة لها وهي :

ـ بلاد البلقان وجزر بحر ايجة في اوربا .

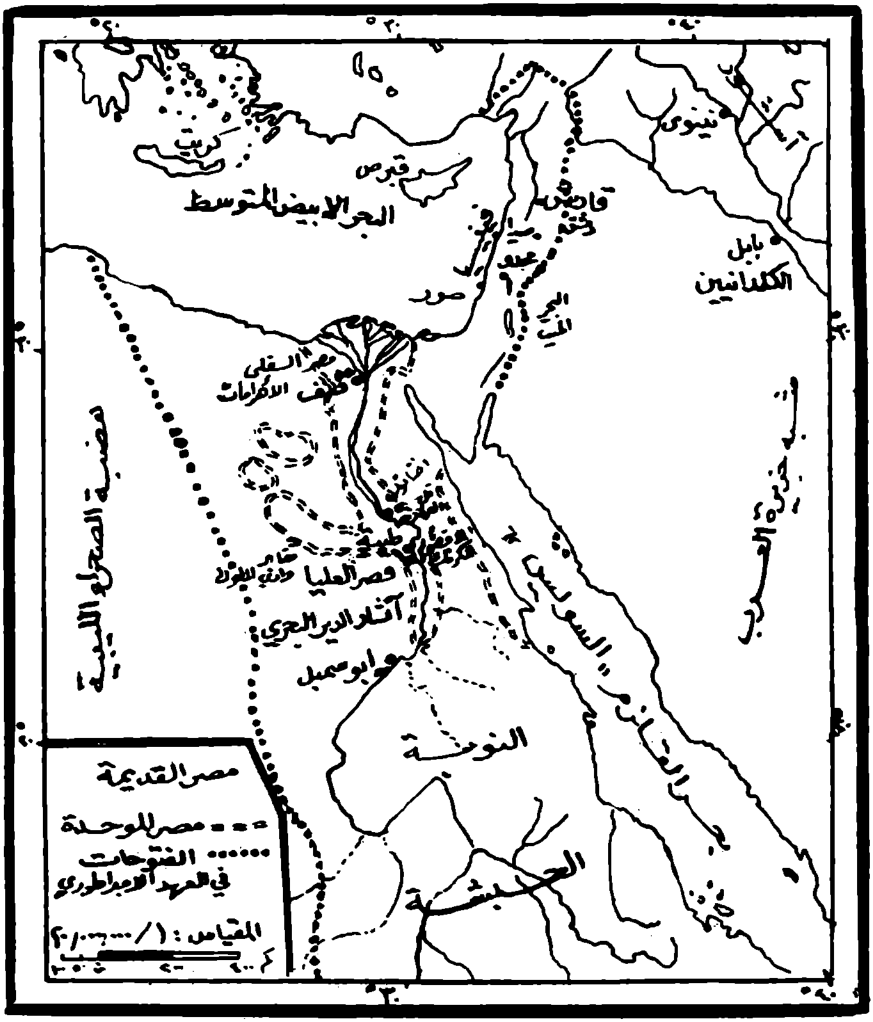
ـ آسيا الصغرى وارمينيا وسوريا الطبيعية حتى ضفاف نهر الفرات في آسيا .

ـ مصر وبلاد برقة « ليبيا » في افريقيا .

ـ أطلق العرب على هذه الدولة اسم « دولة الروم » .. وكانت لهم مع الروم معارك مستمرة ابتدأت بتحرير الشام ومصر من قبضتهم وانتزاع السيطرة البحرية طوال العهد الأموي . ثم انتهت بيزنطة عندما استولى السلطان العثماني محمد الفاتح على القسطنطينة عام ١٤٥٣ م ..

توقيت الاحداث	وجيز عنهـــا
ما قبـل التاريخ	حيث كانت هناك مملكة في الشمال عاصمتها « طيبة » ومملكة في الجنوب عاصمتها « منف وتنيس » .
٣٢٠٠ ق.م.	سيطرت مملكة الجنوب على مملكة الشمال وتوحدت مصر بقيادة الملك مينا .
٣٢٠٠ – ٢١٦٠ ق. م.	حكمت مصر سلالات من الاسرة ١ – ١٠ ، وكانت « منف » هي العاصمة . أشهر هذه السلالات الاسرة الرابعة ومنهم خوفو وخفرع ومنقرع بناة الاهرامات الكبرى وأبو الهول . واخـــذ الضعف يتسرب الى الحكم وبرزت التناقضات الداخلية وحدث تمزق بين الحكام انتهى بضياع وحدة وادي النيل .
٢١٦٠ – ١٥٨٠ ق. م.	حكمت مصر سلالات من الاسرة ١١ – ١٧ ،وكانت طيبة عاصمتهم ، وأعادوا الوحدة لمصر .
١٧٣٠ – ١٥٨٠ ق. م.	قام الهيكسوس وهم عرب من الجزيرة العربيـــة والشام بغزو مصر وحكمها .
١٦٠٠ ق. م.	نجح احمس الاول من الاسرة السابعة عشرة باخراج الهيكسوس من مصر .
١٥٨٠ – ١٠٨٥ ق. م.	من الاسرة ١٨ – ٢٠ وكانت طيبة عاصمتهم .
١٥٠٤ – ١٤٥٠ ق. م.	اقدم تحوتمس الثالث على غزو سوريا وانتصر على السوريين في معركة مجدو في عام ١٤٦٨ ق. م.

وجيز عنها	توقيت الاحداث
تولى الحكم امنحوتب الرابع « اخناتون » ونقل العاصمة من طيبة الى « اخيت ـ آتون » تل العمارنة حالياً ، وفرض عبادة الشمس على الشعب .	١٣٧٢ – ١٣٥٤ ق. م.
قاد رعمسيس الثاني جيشه وحارب الحثيين وانتصر عليهم في معركة قادش قرب حمص . وانتهى الامر بمعاهدة لاقتسام الحكم فكان للحثيين شمال حمص وللمصريين جنوبها .	١٢٩٦ ق. م.
قام من الاسرة ٢١ ـ ٣٠ ، وتميز حكم هذه الأسر بالضعف الذي انتهى بتمزق الدولة وانهيارها .	١٠٨٥ – ٣٣٢ ق. م.
ـ فقد احتل الليبيون الدلتا وحكموها طوال قرنين من الزمن .	
ـ وقام شعوب البحر « اليونانيون على الاغلب » بغزو مصر ، ونجح المصريون بطردهم .	
احتل الاثيوبيون « الاحباش » مصر العليا .	٧٤٦ ق.م.
احتل الآشوريون مصر في عهد « اسرحدون » .	٦٧٠ ق.م.
احتل الفرس مصر بقيادة « قمبيز الثاني » .	٥٢٥ ق.م.
احتل البطالسة مصر بقيادة « الاسكندر المقدوني » .	٣٣٢ – ٣٠ ق. م.
انتزع الرومان مصر من البطالسة وحكموها .	٣٠ ق. م. – ٦٤٠ م.
دخل العرب المسلمون مصر بقيادة عمرو بن العاص.	٦٤٠ م.



مصر - في حكم الفراعنة

٥ – مصر عشية الفتح الاسلامي

ا – الوضع الاجتماعي :

– جابهت مصر قبل الاسلام عـــدداً من الغزوات والهجمات كالهيكسوس وشعوب البحر والبطالسة والاثيوبيين والليبيين ، وكان هدف اكثر هذه الهجمات استيطانياً ، فلما انتهت الى الفشل خلفت في مصر أقليات فضلت الاستيطـان والبقـــاء في مصر واندمجت في مجتمعها وأصبحت قسماً متلاحماً مع أرض مصر وشعبها ..

– جـــاء الرومان ليحتلوا مكانة البطالسة في حكم مصر . وجعلوا من الاسكندرية عاصمة لهم ، واعتمدوا على اشراف روما ـ البطارقة ـ في الحكم في الادارة ، كما اعتمدوا على قواتهم لفرض سيطرتهم لكن كثرة الحروب التي خاضتها روما ، ثم بيزنطة ، وبصورة خاصة ضـــد الفرس ، حملت الحكومة البيزنطية على الاعتماد والى حد بعيد على ابناء البلاد الاصليين . فكان هناك نظام للادارة المحلية في كل اقليم وفي كل مجتمع داخل الاقليم .. وكان المقوقس هو الحاكم في مصر عند الفتح الاسلامي ..

– أراد الرومان من احتلال مصر جعلها مزرعـــة ترفد روما وجيوشها بالمتطلبـات التموينية والمواد الغذائية ، وورثت بيزنطة بعـد انقسام الدولة الرومانية ، هذا الدور واستمرت في تنفيذ السياسة ذاتها [**فأثقل كاهـــل المصريين بالاعباء والمتطلبات وفرضت الضرائب على الاشخاص والاشياء فكانت تجبى على الرؤوس والصناعات والماشية والاراضي ، ولم تقتصر هذه الضرائب على انواع خاصة من البضائع بل كانت تجبى على المـارة رجالاً ونساء وتجاراً وغير تجار ومن صناع السفن ومن زوجات الجنود وعلى اثاث**

المنازل . ولم تتوقف الضرائب عند حدود الاحياء بل تجاوزتها الى الموتى حتى انه لم يكن يسمح بدفن الميت الا بعـد دفع ضريبة معينة ، وقد الزم المصريون بايواء من يمر بهم من الموظفين الملكيين والعسكريين وتقديم ما يلزمهم من الحاجات وتوفير اسباب الراحة لهم في حلهم وترحالهم والزموا في السنين الاخيرة بتقديم الغذاء الى الجنود ...] (١) .

– علاوة على ذلك فقد كانت هناك اقليات من اليهود والوثنيين الذين كانوا عرضة للاضطهاد المستمر بسبب الاتهامات الموجهة اليهم بالاتصال مـع القوى الاجنبية والتواطؤ مع الشعوب الاجنبية .

– لقد خلقت هذه السياسة هوة بين الشعب وجماهيره الواسعة وبين الحكم واجهزته الغريبة واخذت هذه الهوة في الاتساع مع زيادة الضرائب وتصاعـد درجة الاضطهاد . كما ادت الاعباء الثقيلة الى ضعف المصريين وزيادة نقمتهم على الحكم البيزنطي ..

ب – العلاقة بين بيزنطة – والفرس ..

شهدت بلاد الشام ومصر فترة من التوتر والاضطراب والحروب بين اكبر قوتين في العالم القديم : الفرس – وبيزنطة ، ويمكن تلخيص احداث هـذه الفترة بما يلي : – (٢)

في عام ٦٠٧ م – تقدمت الجيوش الفارسية على محورين : اولهما باتجـاه آسيا الصغرى وهدفها القسطنطينية ، وثانيهما في اتجـاه الشام . وطرقت القوات الفارسية ابواب القسطنطينية بينما احتلت القوات الاخرى الشام ممـا وضع بيزنطة امام موقف خطير يتهددها بالزوال .

---

(١) Histo.y - of - Egypte. Under - Roman. Rule. Milne. P.P. 115 - 125 .

(٢) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم – الطبعة الثانية – ص ٣١ – ٤٢ ، ابراهيم العدوي

في عام ٦١٠ م – تولى « هرقل » حكم بيزنطة ، وكرس جهوده لبناء القوات المسلحة واعادة تنظيم الجيوش، استعداداً للقيام بهجوم مضاد .

في عام ٦١١ م – اراد الفرس اجهاض استعدادات بيزنطة فدفعوا قواتهم في هجوم جديد واحتلت القوات الفارسية ارمينيا كما وصلت مدينة حمص واحتلتها . فقام هرقل بتوجيه جيش لتحرير ارمينيا وقاد جيشاً آخر لتحرير سوريا ..

في عام ٦١٤ م – زحف « كسرى – برويز » ملك فارس الى سوريا فاستولى على انطاكية ودمشق وايلياء « بيت المقدس » واستباح اورشليم ، فنهبها جند الفرس واحرقوا كنيسة القيامة وسلبوا خزائنها كما احرقوا القبر المقدس وحملوا معهم الى بلادهم بطريرك القدس وصليبها الحقيقي ..

في عام ٦١٧ م – احتل الفرس « مصر » واكملوا سيادتهم على الشام ومصر ، ثم وجهوا جيشاً للهجوم على القسطنطينية، لكن عاصمة بيزنطة صمدت في وجه الهجوم الفارسي .

في عام ٦٢١ م – انهى « هرقل » مرحلة الاستعداد ، وانطلق بهجوم قوي وحاسم، فأوغل في بلاد الفرس مما اضطر « برويز » على سحب قواته من الشام للدفاع عن قلب مملكته، واستمر هذا الهجوم فترة اعوام ثلاثة ..

في عام ٦٢٧ م – قاد هرقل هجوماً جديداً وصل به الى نينوى عاصمة الاشوريين للمرة الاولى ، ودمر جيش الفرس ، فتنازل كسرى « برويز » عن الحكم لابنه مردانشاه ، وهذا ما اثار حمد شيرويه الاخ الثاني لمردانشاه ، فنظم مؤامرة واعتقل اخوته الثمانية عشرة وقتلهم كما اعتقل والده « كسرى برويز » والقى به في السجن حتى مات .. وانفرد بالحكم ، لكنه لم يعمر طويلاً ، ولم

يلبث ان توفي بعـــد ستة اشهر من بداية حكمه وانتهى بذلـك حكم الاسرة الساسانية وبدأ عهـد من الفوضى والاضطراب ..

في عام ٦٢٨ م — استعاد هرقل حكم الشام .

وفي ١٤ ايلول - سبتمبر - ٦٢٩ م — اعـاد امبراطور بيزنطـة الى القدس صليبها الاعظم .

— ويجمع عدد كبير من المؤرخين على ان هذه الحروب قد استنزفت قوة الطرفين : الفرس ، والروم ، ولكن هذه الحروب المستمرة هي برهان في الوقت ذاته على القوة الكبرى والتنظيم الرائع والاستعداد القتالي الكبير لأكبر قوتين محاربتين عرفهما تاريخ ما قبل الفتح الاسلامي ..

ج — المذاهب الدينية :

— كان الرومان يدينون بالوثنية عندما احتلوا بلاد الشام ومصر ، فاضطهدوا المسيحية عند ظهورها ، ونكلوا بأتباعها وطاردوهم واستمروا في ذلك حتى عهد الامبراطور قسطنطين « ٣٠٦ — ٣٣٧ م » .. حيث اعترف الامبراطور بالدين المسيحي وساوى في عام ٣٢٣ بين الاديان المختلفة . وفي عهد الامبراطور « تيودوسيس — ٣٧٨ — ٣٩٥ م » اصبحت المسيحيـــة الدين الرسمي للدولة بداية من عام ٣٨١ م .

— كان الانقسام المذهبي قد عرف طريقه الى المسيحية فكان هناك :

١ - اتباع آريوس وهم القائلون **[ان المسيح اشرق ، لكنه دون الله]** .

٢ - اتباع اثناسيوس وهم القائلون **[ان المسيح من روح الله ، وانه يساويه في اللاهوت وان العلاقة بينهما ابدية] . وهو ما يعبر عنه بمبدأ التثليث**[١] ..

(١) تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ، ص ٢٣٢ .

- وفي عام ٣٢٥ م عقد مؤتمر الجمع في « نيقية » للتوفيق بين الرأيين ونتج عن ذلك انقسام المسيحيين الى :

١ ـ **الارثوذكس** : أو المستقيمون ، وهم الذين التزموا بالدين القديم .

٢ ـ **الكاثوليك** : وهم اتباع الكنيسة الجامعة ، اي كنيسة روما وهم انصار اثناسيوس .

ثم ظهر خلاف جديد بين المصريين والروم نتيجة لظهور ملهبين جديدين :

٣ ـ **اليعاقبة** : ويقولون بامتزاج الطبيعتين الإلهية والبشرية في المسيح وذلك بعد التجسد .

٤ ـ **الملكيين** : ويعتقدون ان الابن مولود من الاب قبل كل الدهور وانه غير مخلوق اتحد بالانسان المأخوذ من مريم فصار واحداً وهو المسيح .

وفي عام ٤٥١ وفي عهد الامبراطور مرقيانوس (٣٥٠ ـ ٤٥٧) عقد مجمع قونيه مرة اخرى لكنه لم يتمكن من التوفيق بين المذهبين .

عندما خرج هرقل من معاركه مع الفرس منتصراً ، اراد دعم انتصاراته بتوحيد الجبهة الداخلية ، وكان بطريرك اليعاقبة في منبج اول من استجاب لهذه الرغبة فاتفق سراً مع بطريرك القسطنطينية « بيروس » على مشروع وسط .

وتقدم من هرقل بمشروعه الذي يتلخص [ان للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ..] واستشار هرقل بطريرك القسطنطينية السوري الأصل فوافق على المشروع علنا بعد ان كان قد اقره « سراً » واصدر هرقل مشروعه الجديد فوافق عليه كثير من الاساقفة الشرقيين وامتنع بطريرك القدس « صفرونيوس » كما امتنع اسقف عمان وعدد من البطاركة ، ولم يفلح هرقل في توحيد العالم المسيحي بل أوجد مذهباً ثالثاً دفع إلى مزيد من التمزق المذهبي .

- وبقي الملكيون أو الكاثوليكيون ، وهم يمثلون المذهب الرسمي للدولة ويقولون ان للمسيح طبيعتين ومشيئتين ..

– وبقي اهل الشام ومصر يقولون بطبيعة واحدة ومشيئة واحـدة وهم اليعاقبة نسبة الى رائدهم « يعقوب البراذعي – براديوس » ..

واعتبر الطرفان اصحاب المذهب الجديد بمثابة الخارجين على الدين ورموهم بالزندقة والهرطقة ..

واشتدت المعارضة للمذهب الجديد بصورة خاصة وقاد البطريرك القبطي بنيامين حملة المعارضة ، فاضطر « قيرس Cyrus » وهو المقوقس لاستخـدام وسائل العنف والتنكيل لملاحقة اصحاب المذهب اليعقوبي ، مما حمل بنيامين على الفرار وقيادة الحركة السرية التي ضمت القبط جميعاً .

– وهكذا كان سكان مصر عرضة للاضطهاد في جميع مراحل عهد الحكم الروماني – البيزنطي :

في البداية ، عندما اضطهدت الوثنية ، اتباع المسيحية .

وفي النهاية ، عندما اضطهدت المسيحية الملكية اتبـاع المذاهب المخالفة ، الارثوذكس واليعاقبة .

– ترى هل كان تمزق وحدة المسيحية هو العامل في انتصار المسلمين ونجاح عمليات فتح مصر ؟.

– يقيناً لا – اذا ما اخذ هذا العامل وحده – .

ويقيناً لا – اذا ما اخذ مع غيره من العوامل – .

ان العوامل الحاسمة للنصر تكمن في قوة العرب المسلمين : ايماناً بعقيدتهم ، ومهارة في قيادتهم ، واقداماً في جنودهم ومقاتليهم .

د – التنظيم العسكري – البيزنطي – في مصر :

كان للمصريين قصب السبق في مجـال تنظيم الجيوش وتسليحها وقيادتها . وظهر خلال الحكم الفرعوني قادة طوروا فن الحرب ووضعوا أسساً في قيادة الجيوش وخوض المعـارك ، ثم جاء البطالسة فأخذوا عن المصريين كثيراً من قواعد القتال وطوروها . وانتهى الأمر الى الرومان ، فكان لهم معارك في كل

مكان من اوربا ، وكان لهم معارك مستمرة مع الفرس وظهر بنتيجة ذلك تطور كبير في فن حرب العهود القديمة .

– وكان من الدروس التي خرجت بها بيزنطة في حروبها هي الاعتماد على المدن المحصنة والمواقع الدفاعية المنظمة بهدف اعاقة تقدم اعداءها واتاحة الفرصة امام جيوشها لخوض المعركة مع انشاء نقاط المراقبة المتقدمة التي تضم حاميات صغرى هدفها الانذار ومجابهة كل هجوم مباغت ..

وقد استنزفت عمليات تحصين المدن وتنظيم المواقع المتصلة جهد الدولة البيزنطية وامكاناتها المادية مما اعاق تطوير القوات الهجومية ..

– وشهد الجيش البيزنطي تطوراً كبيراً في التنظيم وعلى الرغم من ابقاء نظام الليجيونات . إلا ان هذه الليجيونات قسمت الى كوجورتات ومانيبولات مما اصبح يسمح بحرية المناورة والحركة ، وكان يتم وضع القوات في نسقين يشكل الليجيون نسقاً منها وينقسم الليجيون الى عشرة كوجورتات ..[1]

كما طبق نظام التسلسل العشري في قيادة القوات مما وفر للجيوش البيزنطية امكانات القيادة الجيدة ..

– ورافق التطور في التنظيم تطور مماثل في التسليح مما يتوافق مع البنية الاجتماعية للجيش، فكان تنظيم الفرسان الخفيفة الى جانب الابقاء على تنظيم الفرسان الثقيلة ، وكان تنظيم المشاة الخفيفة الى جانب تنظيم المشاة الثقيلة ..

– وكان الجيش البيزنطي يستخدم الى جانب الاسلحة الفردية « السيوف والرماح » اسلحة اجماعية منها المنجنيقات والابراج المتحركة وقاذفات الرماح الخفيفة الخ ..

---

(١) الليجيون : ٥ – ٦ آلاف مقاتل يقسم الى عشر كوجورتات تعداد كل واحد منها ٥٠٠ – ٦٠٠ مقاتل ويقسم الكوجورت الى ثلاث مانيبولات .

« تاريخ فن الحرب ١ / ٧٤ – ٧٨ » ..

– وخلاصة القول ، ان الجيش البيزنطي كان جيد التنظيم والتسليح ، قوي العدد والعدة ، يتفوق في امكاناته البشرية ، ويعتمـــد على التحصينات الثابتة لإعاقة تقدم العدو ..

– وكان للجيش البيزنطي نقاط ضعفه ..

فقد كان يضم مجموعات بشرية لا تجانس بينها مما جعل هذا الجيش مفتقر للروابط الوطنيـــة والقومية ، ويقول المؤرخون في وصف الجيش البيزنطي خلال هذه المرحلة [1] :

[لم يكن القادة يتمتعون بالكفاءة ، وكانت القطعات متنافرة الاجناس مجردة من كل شعور وطني ، تنهب وتعيش على موارد البلاد ، وتعصي القادة في ساحة المعركة ، وكانوا على الفور ، متهيئين للثورة والتمرد والعصيان او الفرار من الجيش ، اما الضباط وهم الذين همهم الترقية والغنيمة فلم يكونوا احسن حالا من جنودهم ...] .

– وكان من نقـاط الضعف ايضاً اعتماد الحكم البيزنطي على الجيوش المحلية ، فكان لكل اقليم قيادته ، وكان عدم وحدة القيادة من العوامـــل الاساسية في التنظيم القتالي والاسلوب الحربي للجيش البيزنطي ..

– وهكذا كان يدافـع عن مصر جيشان ، جيش يقوده المقوقس ويضم القوات المصرية ، وجيش الروم « البيزنطيين » وعاصمتـــه الاسكندرية .. ولم يكن التوافق كاملاً بين القيادتين ..

لكن نقاط الضعف لا يمكنها ان تنقص من اهمية جيش بيزنطـــة وقوته . ويكفي القول انـه كان جيشاً له تجاربه الكبرى ولديـه خبرات قتالية جيدة ، وهو يتفوق عـددياً على كل قوة عسكرية معاصرة له ، وهو الى ذلك ، يعرف الارض التي يقاتل فوقها وله تحصينات قويـة وتنظيمات دفاعيـة جيدة .

---

(١) يوسف يازجي – تاريخ جيوش العالم – المجلة العسكرية – ٤ و ٥ – ١٩٧٣

القسم الأول

الفصل الثاني

فتح مصر

١٢ ـ في الطريق الى الاسكندرية .

١٣ ـ الكريون آخر معركة قبل الاسكندرية .

١٤ ـ فتح الاسكندرية .

١٥ ـ خراب خربة ودان .

١٦ ـ رابطة الاسكندرية .

١٧ ـ فتح برقة وزويلة .

١٨ ـ فتح أطرابلس .

١٩ ـ فتح الاسكندرية الثاني .

٢٠ ـ تأمين الحدود الجنوبية لمصر

★★★

فتــح مصر

جدول توقيت الاحداث

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحـــداث
١١ هـ	٦٣٢ م	وفاة الرسول الاعظم ﷺ وخلافة ابي بكر .
١١ هـ	٦٣٢ م	حروب الردة واعادة توحيد الجزيرة العربية .
١٢ هـ	٦٣٣ م	مسير خالد بن الوليد الى العراق ، وفتحها .
١٣ هـ	٦٣٤ م	توجيه الجيوش لفتح الشام .
١٣ هـ	٦٣٤ م	وفاة الصديق وتولي الفاروق عمر الخلافة .
١٣ هـ	٦٣٤ م	ـ معركة اليرموك .
١٤ هـ	٦٣٥ م	ـ معركة القادسية .
١٥ هـ	٦٣٦ م	ـ معركة اجنادين .
١٥ هـ	٦٣٦ م	ـ فتح بيت المقدس .
١٦ هـ	٦٣٧ م	ـ فتح المدائن .
١٧ هـ	٦٣٨ م	ـ فتح الجزيرة ـ الرها ـ ارمينيا .
١٨ هـ	١٢ ديسمبر ٦٣٩ م	وصول عمرو بن العاص الى مصر .

الاحـــداث	السنـة الميلاديـة	السنـة الهجرية
فتح الفرما .	٢٠ يناير - ك ٢ - ٦٤٠ م	٢٠ هـ
غزو اقليم الفيوم .	١ مايو ٦٤٠ م	٢٠ هـ
وصول قوات الدعم بقيادة الزبير بن العوام .	٦ يونيو- حزيران ٦٤٠م	٢٠ هـ
موقعة عين شمس .	يوليو - تموز ٦٤٠ م	٢٠ هـ
بداية ضرب الحصار على بابليون .	سبتمبر - ايلول ٦٤٠ م	٢٠ هـ
توقيع المعاهدة بين المقوقس « قيرس » وعمرو بن العاص .	اكتوبر ٦٤٠ م	٢٠ هـ
استسلام حامية بابليون ، وهو اليوم الذي يؤرخ بهالفتح العربيلمصر .	٦ ابريل - نيسان ٦٤١ م	٢١ هـ
فتح نقيوس .	١٣ مايس ٦٤١ م	٢١ هـ
بداية الهجوم على الاسكندرية .	١٠ يونيو-حزيران ٦٤١م	٢١ هـ
استسلام الحامية المدافعة عن الاسكندرية .	٨ نوفمبر - ت٢ - ٦٤١م	٢١ هـ
جلاء الروم عن الاسكندرية .	١٧ ايلول - سبتمبر ٦٤٢م	٢٢ هـ
ثورة الاسكندرية بقيادة مانويل .	اواخر عام ٦٤٥ م	٢٥ هـ
الفتح العربي الثاني للاسكندرية .	صيف ٦٤٦ م	٢٦ هـ

فتح مصر

١ – النبوءة :

عاد الرسول الاعظم من صلح الحديبية وهو على يقين بأن مرحلة هامة من مراحل الدعوة قد انتهت ، وان الجزيرة العربية على وشك انهاء وحدتها ، واخذ يتطلع ببصره الى ما وراء الأفق ، وفكر في الكتابة الى حاكم مصر ، يدعوه الى الاسلام واعلن عن رغبته وطلب متطوعاً يحمل الرسالة ، واسرع حاطب بن ابي بلتعة لتلبية امر الرسول ، وحمل معه الرسالة التي تضمنت :

[« بسم الله الرحمن الرحيم »

من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط (١)

سلام على من اتبع الهدى . اما بعد . فاني ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم ، واسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، يا أهل الكتاب ، تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ..]

– وصل حاطب الى الاسكندرية واستقبله المقوقس فأحسن استقباله ، ودار بينه وبين حاطب حديث طويل ، عرف المقوقس من خلاله ما ستتمخض عنه الجزيرة العربية فأعد هدية للرسول الاعظم ضمت جاريتين « مارية ، وأختها سيرين » كما ضمت ثوباً للرسول وهدايا اخرى ، وحمل حاطب رد الرسالة

....

(١) فتح مصر والمغرب ـ ابن الحكم ص ٨٠ ـ ٨١ . وصبح الاعشى للقلقشندي ٦ ـ ٣٧٨

•– يطلق المؤرخون اسم المقوقس على حاكم مصر في ذلك العصر اطلاقاً خاطئاً ، والمقصود بالمقوقس هو قيرس Cyrus ـ بطريق الاسكندرية الملكاني الذي جمع له هرقل ولاية الدين وجباية خراج ارض مصر ..

وودعه بمثل ما استقبله من حفاوة ، وعاد حاطب الى الرسول ، وعندما وصل المدينة ألقى قصيدة جاء فيها :

اني مضيت الى الذي ارسلتني	اطوي المهامة كالمجد المعنف
حتى رأيت بمصر صاحب ملكهم	فبدا إلي بمثل قول المنصف
هذا الكتاب كتابه لك جامعاً	يا خير مأمول بحبك نكتفي.

وفتح الرسول الاكرم رسالة المقوقس فقرأ فيها :

[... لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام

اما بعـــد

فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت وما تدعو اليه ، وقد علمت ان نبياً قد بقي وكنت اظن انه يخرج بالشام ، وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة واهديت اليك بغلة لتركبها والسلام ..]

— رد غامض ، فيه من القبول بقدر ما فيه من الامتناع، وفيه من الصراحة بقدر ما فيه من الابهام ، ولم يكن الرسول الاعظم يتوقع رداً افضل ، لكن امانة الرسالة وواجب الدعوة. وتزوج الرسول بمارية وولدت له ابراهيم فاعتقها واهدى سيرين الى حسان بن ثابت .

— ورنا الرسول الاعظم ببصره ذات يوم الى الافق، وخاطب الصحابة بقوله:

[.. اذا افتتحتم مصر، فاستوصوا بالقبط خيراً، فان لهم ذمة ورحماً] (١)

وحفظ الصحابة عن الرسول القائد وصيته ، وبقيت نبوءته ملء اسماعهم وابصارهم .

....

(١) الحديث ٢٥٤٣ في صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، باب وصية النبي بأهـــل مصر ، والمقصود بالذمة والرحم ، قرابة العرب بهاجر أم اسماعيل عليه السلام .

٢ - القائـــد :

- في السنة الثامنة للهجرة ، وصل المدينة خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص ، واسرع من يعلم الرسول الاعظم بوصول هؤلاء وعزمهم على اشهار اسلامهم فقال الرسول :

[.. ألقت اليكم مكة افلاذ اكبادها ..] (١)

ووصل ابن الوليد وصحبه حيث كان الرسول،وبايعوه لكن عمرو بن العاص اشترط على الرسول قبل مبايعته فقال له : [يا رسول الله ، هل يغفر لنا الله ما تقدم من ذنوبنا ..] واجابه الرسول : [.. الا تعلم ان الاسلام يجب ما قبله ..] واستبشر عمرو، وانبسطت اساريره وقال للرسول : [هات يدك ابايعك] .. وتمت البيعة ، وانصرف الناس وقال الرسول الاعظم لصحبه :

[.. اسلم الناس ، وآمن عمرو بن العاص ..] (٢)

- وصدق عمرو بن العاص في اسلامه ، وثبت على ايمانه عندما اهتز ايمان المرتدين بعد وفاة الرسول . فوجهه ابو بكر الصديق الى حرب قضاعة ، فأبلى بلاء حسناً وبدأت مواهبه القيادية تتفتح .. وكان الخليفـــة ابو بكر يعرف في الرجال امكاناتهم وقدراتهم ، فأصدر اوامره بتعيين عمرو بن العاص لقيادةواحد من الجيوش الموجهة الى الشمال لفتح للشام وخصص له فلسطين كمسرح لعملياته وخرج لوداعه ماشياً وأوصاه .

- عندما اصدر ابو بكر اوامره بتعيين عمرو بن العاص ، كان مما اوصاه بـه قوله :

[لقد وليتك هذا الجيش ، فانصرف الى فلسطين ، وكاتب ابو عبيدة

....

(١) اسد الغابة ٣ - ٣٧٢ ، والاستيعاب ٣ - ١٠٣٤ ، وكان الرسول الاعظم يقصـد بذلك ان وجوه اهل مكة وقادتها قد انضموا اليكم ..

(٢) الامام احمد ٤ - ١٥٥ والترمذي ٢ - ٣١٦ ..

وانجده اذا ارادك ، ولا تقطع امرأ الا بمشورته] – وتألم عمرو بن العاص لهذا التعيين ، فقد كانت نفسه تطمح لقيادة عامة ، فذهب الى عمر بن الخطاب يلتمس منه التوسط لدى الخليفة أبي بكر ، لكن عمر بن الخطاب اجابه :

[.. ليس على ابي عبيدة امير ، ولأبي عبيدة عندنا افضل منزلة منك واقدم سابقة منك وهو الذي قال فيه النبي : ابو عبيدة امين الامة ..] فقال عمرو بن العاص : ما ينقص من منزلته اذا كنت والياً عليه .. واجابه عمر: ويلك يا عمرو ، انك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف ، فاتق الله ولا تطلب الا شرف الآخرة ، ووجه الله تعالى ..]

فقال عمرو بن العاص : ان الامر كما ذكرت ، ثم امر الناس بالمسير تحت رايته فساروا وتقدم اهل مكة وتبعهم بنو كلاب وطيء وهوازن وثقيف[١] .

– كان لعمرو بن العاص دور قيادي في فتوح الشام . فهو الذي اشار على قادة المسلمين بالتجمع لمجابهة الروم. وهو الذي قاد عمليات فتح فلسطين . واظهر من المكر والدهاء في حروبه ما تغلب على « ارطبون الروم » الذي اشتهر بالدهاء حتى قال فيه الخليفة عمر بن الخطاب :

[لقد رمينا ارطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عم تنفرج ..][٢]

ولقي ارطبون الهزيمة على يد عمرو بن العاص ففر من المعركة الى بيت المقدس ومنها الى مصر وكان له موعد آخر مع ابن العاص ..

– كانت قيادة معركة اجنادين وقيادة اعمال فتح فلسطين دون مستوى طموح عمرو بن العاص ، وبقي يتحين الفرصة السانحة لتحقيق مزيد من الاعمال الخالدة ، ووافته الفرصة عندما جاء الخليفة عمر بن الخطاب الى الجابية فالتقى به على انفراد وطرح عليه مشروع فتح مصر ..

....

(١) الواقدي ـ فتوح الشام ١٤ و ١٥ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ ـ ١٩٥ ، والكامل لابن الاثير ٢ ـ ٢١٨ .

– كان الخليفة عمر بن الخطاب يقـدر في عمرو بن العاص صفاته القيادية وقدراته القتالية وكفاءته .

– الا ان الخليفة عمر لم يكن ليوافق بسهولة مع ما عرف عنه من الخوف على المسلمين قبل الوثوق بقدرة عمرو بن العاص على فتح مصر ، مع امكان تحقيق الفتح وانجازه بحد ادنى من التضحيات ..(١)

٣ – الخليفة عمر يوافق على فتح مصر :

– كان ذلك في نهاية السنة الثامنة عشرة للهجرة ١٨ هـ – ٦٣٠ م ..

– وكانت عمليات الشام قد انتهت ولم تبق الا قيصرية « قيسارية » ممتنعة على قوات المسلمين المحدقة بها بقيادة معاوية بن ابي سفيان ..

– وكانت عمليات فتوح العراق قد انتهت واستقر الوضع للمسلمين فيها .

– عرف عمرو بن العاص ان الخليفة عمر متردد في اتخاذ قراره ، فأخـذ يزين له فتح مصر ، وكان مما قاله له :

(.. يا امير المؤمنين ، ائذن لي ان اسير الى مصر فانك ان منحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم ، وهي اكثر الارض اموالا واعجزها عن القتال والحروب ..) (٢)

---

(١) الاصابة ٥ – ٢ ، واليعقوبي ٢ – ١٩٧ ، وابن الحكم – ١ ٢٤١ – وهنـاك بعض الروايات في ابن الحكم ٨٠ – ٨٣ تزعم ان عمرو بن العاص قد توجه الى مصر دون رأي الخليفة عمر ، وهذه الروايات ضعيفة نظراً لما عرف عن الخليفة عمر من الشدة وعدم التهاون في مخالفة تعليماته ، ونظراً لما عرف عن القائد عمرو بن العاص من الانصياع الشديد لتعليمات الخليفـة عمر وحادثة حضوره من مصر مع ابنه لتنفيذ حكم عمر فيه انتصاراً للقبطي الذي صفعه ابن عمر في السباق وقال له (خذها وانا ابن الاكرمين ..) هـذه الحادثة هي خير شاهد على الانضباط الذي كان يفرضه الخليفة عمر والذي يستحيل معه خروج ابن العاص وفق مشيئته الى مصر دون موافقة الخليفة ..

(٢) ابن الحكم ٨١ – ٨٣ ، الطـبري ٣ – ١٩٥ .. ويذكر الواقـدي في تاريخه ومعه بعض الرواة الذين يذكرون ان الخليفة عمر قد ارسل الى ابي عبيدة يأمره بتوجيـه ابن

– كان عمرو بن العاص يعرف مصر قبل الاسلام ، فقد زارها للتجارة ، وعرف طرقها ومسالكها كما عرف امكاناتها الاقتصادية وأوضاعها الاجتماعية ، وكان حديثه عنها حديث العارف بأمورها الخبير بأوضاعها ونتيجة لذلك فقد كان باستطاعته اقناع الخليفة بصحة رأيه .

– وكان الخليفة عمر يعرف ان الوضع العام في الشام قد اصبح اميناً واصبح بالامكان الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة لمتابعة اعمال الفتوح ، واخيراً اتخذ الخليفة عمر قراراً اولياً وابلغه الى قائده عمرو بن العاص :

(.. سر وانا مستخير الله في سيرك ، وسيأتيك كتابي سريعاً ان شاء الله فان ادركك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها او شيئاً من ارضها فانصرف ، وان انت دخلتها قبل ان يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره ..) (١)

وحانت الفرصة التي طالما انتظرها القائد عمرو بن العاص وعمل لها ..

٤ – في الطريق الى مصر :

– عندما وصل عمرو بن العاص امر التحرك الى مصر وضع مخططه منطلقاً في ذلك من معطيات ثابتة :

١ – اجراء التحرك ضمن نطاق محكم من السرية بهدف تحقيق المباغتة .

٢ – تجنب المقاومات الثانوية والمواقع الجنبية والتحصينات القوية قبل الوصول الى مصر .

– ولهذا عمل على انهاء استعداداته للتحرك ، وأمر قواته [بالمسير

العاص الى مصر . ومن المحتمل ان يكون ابن العاص قد استأذن الخليفة عمر كما ذكرنا ، وانتظر الخليفة عمر حتى عودته من الشام الى المدينة وعندما كتب اليه ابو عبيدة يعلمه بانتهاء الفتوح ارسل اليه رسالة يطلب فيها توجيه ابن العاص الى مصر ووجه في الوقت ذاته الرسالة الوارد نصها هنا الى عمرو بن العاص يأمره بالتحرك الى مصر ويعطيه موافقته الخطية بالتحرك ..

(١) المصدر السابق نفسه .

من جوف الليل ، دون ان يشعر به احد من الناس ..) [١] – وعلم قادة عمرو ابن العاص فيما بعد عن هدف التحرك فكتبوا الى الخليفة عمر ، واعلم الخليفة عمرو بن العاص بذلك ووعده بتقديم الدعم اذا تطلب الامر .

– عندما علم عثمان بن عفان بأمر التحرك الى مصر ، خاف على المسلمين من طموح عمرو بن العاص ، وحذر الخليفة عمر ، فتخوف الخليفة و كتب الى عمرو ابن العاص رسالة يمنعه فيها من متابعة التقدم ...

ووصل حامل رسالة الخليفة وقوات عمرو بن العاص على ابواب رفح ، وتخوف عمرو ان هو اخذ الكتاب وفتحه ان يجد فيه الانصراف كما عهد اليه الخليفة عمر . فلم يأخذ الكتاب ودافع الرسول ، وسار حتى وصل قرية بين رفح والعريش . وسأل عنها فقيل له انها من مصر ، فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين وقال عمرو لمن معه :

(ألستم تعلمون ان هذه القرية من مصر ؟ قالوا : بلى . قال : (.. فان امير المؤمنين عهد الي وامرني ان لحقني كتابه ولم ادخل ارض مصر ان ارجع ولم يلحقني كتابه حتى دخلنا ارض مصر ، فسيروا على بركة الله ..)

– ووصل ابن العاص الى العريش ، وفتحها ، ثم انطلق في سيناء متبعاً المحور الذي اتبعه الفرس في هجومهم على مصر واتبعه الاسكندر المقدوني في هجومه على فارس . وتجنب في مسيرته كل الحصون والقلاع التي اقامتها بيزنطة على المحور الساحلي الواصل ما بين الفرما [٢] والعريش ..

---

(١) ابن الحكم - فتوح مصر - ٨٦ .

(٢) الفرما : اسم عربي لمدينة « بلوز » وكان القبط يسمونها « برمون » بنيت المدينة فوق مرتفع من الارض على بعد ميل ونصف من البحر ، وكان لها مرفأ يصلها بالبحر وكان فرع النيل يسمي « البلوزي » ويصب قريباً منها . تضم المدينة عدداً كبيراً من آثار المصريين القدماء وبها كنائس وأديرة ، كانت مفتاح مصر من الشرق عني المصريون بتحصينها وهدم الفرس اسوارها وحصونها ثم اعاد الروم تحصينها قبل الفتح الاسلامي - ابن الحكم ٨٨ .

٥ – خطط الطرف المقابل :

– وضع المقوقس حاكم مصر خطط الدفاع عن مصر وفق المعطيات التالية :

١ – عزل مصر عن بلاد الشام ومنع تسرب اخبار الفتح بهدف الحفاظ على الروح المعنوية للقوات المقاتلة في مصر .

(بعث المقوقس رسله إلى جميع اطراف بلاده مما يلي الشام بأن لا يتركوا احداً من الروم ولا غيرهم يدخل ارض مصر ، كل ذلك لئلا يتحدثوا بما صنع المسلمون بجنود هرقل فيدخل الرعب في قلوب قومه ..) [١]

٢ – تعزيز المقاومة في الحصون والمواقع المتقدمة في سيناء وبصورة خاصة مدينة الفرما ..

٣ – الاعتماد على تأييد قوات الاقاليم المجاورة : ليبيا – الحبشة – الصعيد ، مع الاعتماد على قوات دعم بيزنطة عن طريق البحر الى الاسكندرية .

٦ – الفرما – بداية فتح مصر :

– نجح عمرو بن العاص في مرحلة التقرب من العريش الى مصر عبر سيناء ، في تجنب جميع المخافر المتقدمة والمواقع المحصنة – المسالح – وذلك حتى لا يستنزف من قوته شيئاً قبل الوصول الى هدفه .. وعندما وصل الى الفرماء حدثت معركة بينه وبين الحامية المدافعة عن المدينة ،واستطاع عمرو بن العاص أن يلحق الهزيمة بها ، فلجأت إلى الحصون ، وأحكم عمرو بن العاص الحصار على الفرما [٢] ، واستمر الحصار فترة شهر تقريبا ، ثم اخترقت قوات العرب المسلمين الحصار ، وسقطت الفرما ، واصبح الطريق الى مصر مفتوحاً ..

(١) فتوح مصر والشام – الواقدي 2– 45

(٢) ابن الحكم – فتوح مصر والمغرب 86– ذكر ابن الحكم أنه كان في الاسكندرية أسقف للقبط يقال له بنيامين ، كتب إلى القبط عندما بلغه قدوم عمرو بن العاص إلى مصر ، وقال لقومه إنه لا تكون لدولة الروم دولة ، وإن ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو بن العاص.

٧ – من الفرما الى القواصر[١]:

– انطلق عمرو بن العاص من الفرما في اتجاه القواصر ، وجابهته بعض القوات المتفرقة التي لم تتمكن من اعاقة التقدم .. وعندما وصلت قوات العرب المسلمين الى القواصر حاصرتها وبعد معارك متفرقة امكن احتلال البلدة ، وفرت القوات بعد ان مزقتها قوات المسلمين ..[٢]

٨ – من القواصر الى بلبيس :

كانت بلبيس هي قاعدة الدفاع عن بابليون وام دنين ، وكانت الحامية المدافعة عنها مكونة من عشرة آلاف مقاتل ١٠,٠٠٠ بينما لم يكن جيش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص اكثر من ٣٥٠٠ مقاتل .. وكانت ارمانوسة المصرية بنت المقوقس في طريقها الى قيصرية في الشام ـ قيسارية ـ لتزف الى قسطنطين بن هرقل ، فلما وصلتها المعلومات عن حصار قيسارية من قبل العرب عادت الى مصر ، ومع وصولها الى بلبيس وصلت قوات العرب المسلمين فانضمت القوات المدافعة عن ارمانوسة الى حامية المدينة ، وكان بها الارطبون الذي هزم في اجنادين ففر الى بيت المقدس وانضم بقوته الى مصر ..

---

(١) القواصر ، بلدة قديمة من اعمال مركز التل الكبير ، ومكانها الآن القصاصين وجاء في معجم البلدان انها موضع بين الفرما والفسطاط ، ويذكر المؤرخون ان مياه بحيرة المنزلة كانت قد طغت على ما حولها بعد استيلاء عمرو بن العاص على الفرما واصبح الطريق الساحلي الذي اعتادت الجيوش الغازية عبوره غير مأمون ومسالكه صعبة فلزم عمرو طريق الصحراء نحو الجنوب ففتح مجدل « Migdol » ، القنطرة شرق حالياً .. ثم تابع زحفه الى الصالحية ومنها الى وادي الطليبات « الطميلات » قرب التل الكبير ..

(٢) في ابن الحكم ص 86– قال كريب بن أبرهة ، كنت أرعى غنما لأهلي بالقواصر فنزل عمرو ومن معه ، فدنوت إلى أقرب منازلهم فإذا نفر من القبط يقول بعضهم لبعض (ألا تعجبون من هؤلاء القوم ، يقدمون علي جموع الروم وإنما هم في قلة من الناس) فأجاب رجل منهم (إن هؤلاء القوم لا يتوجهون إلى أحد إلا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم ...) . وترددت مثل هذه الجملة على ألسنة بعضهم، ثم جاء مقتل عثمان بعد ذلك من وحي هذا القول ..

– هزمت قوات الارطبون في مصر وقتل الارطبون ، ولجأت بقايا قوته الى ام دنين كما اسرت الاميرة ارمانوسة فوجهها عمرو بن العاص الى ابيها معززة مكرمة مما كان له اثر كبير في نفس المقوقس الذي اخذ على عاتقه تمهيد السبيل لعقد صلح مع العرب [1] .

٩ – ام دنين – بعد بلبيس [2] :

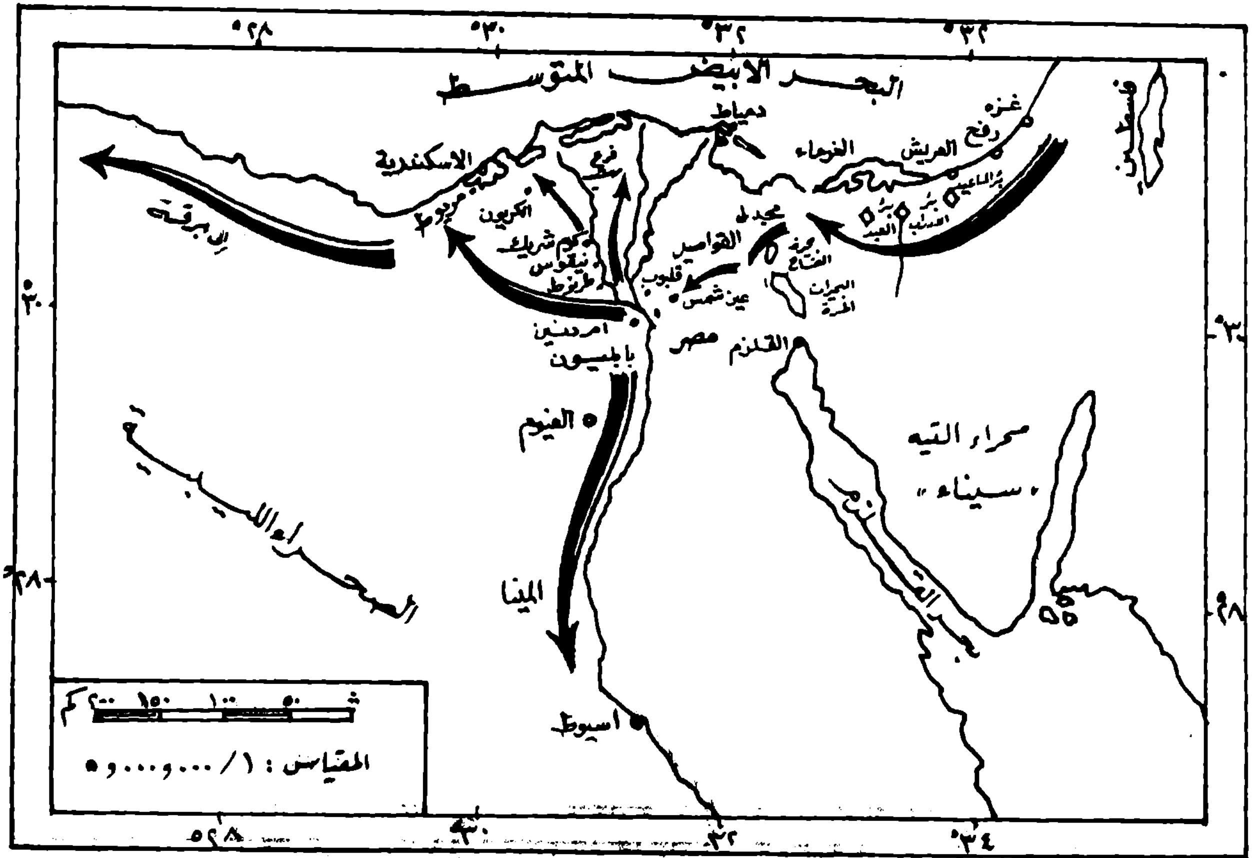
– توجهت قوات العرب المسلمين الى ام دنين بعد ان نجحت في تصفية المقاومة المتمركزة في بلبيس .

– كان الروم قد خندقوا خندقاً وجعلوا له ابواباً ، وبنوا في افنيتها حسك الحديد – كالسياج الشائك – وكانوا قد نظموا المقاومة امام ام دنين ، وتصدت قوات العرب المسلمين لقوات الروم ودارت معارك طاحنة وكان التفوق العددي عامل هام الى جانب الروم فلجأ عمرو بن العاص الى الحيلة ودفع مع احد قادته – اللخمي – لنصب كمين قوته خمسمائة من الفرسان ، وغدا عمرو بن العاص على القتال فقاتل الروم في معركة جبهية شرسة ، ثم ظهرت قوة الكمين الى الخلف من قوات الروم ، فتحطم تنظيم قتال العدو واضطر مرغماً الى الفرار ، فلاحقت فرسان المسلمين القوات الهاربة ومزقتها .. واضطر من بقي حياً اللجوء الى قلعة ام دنين ..

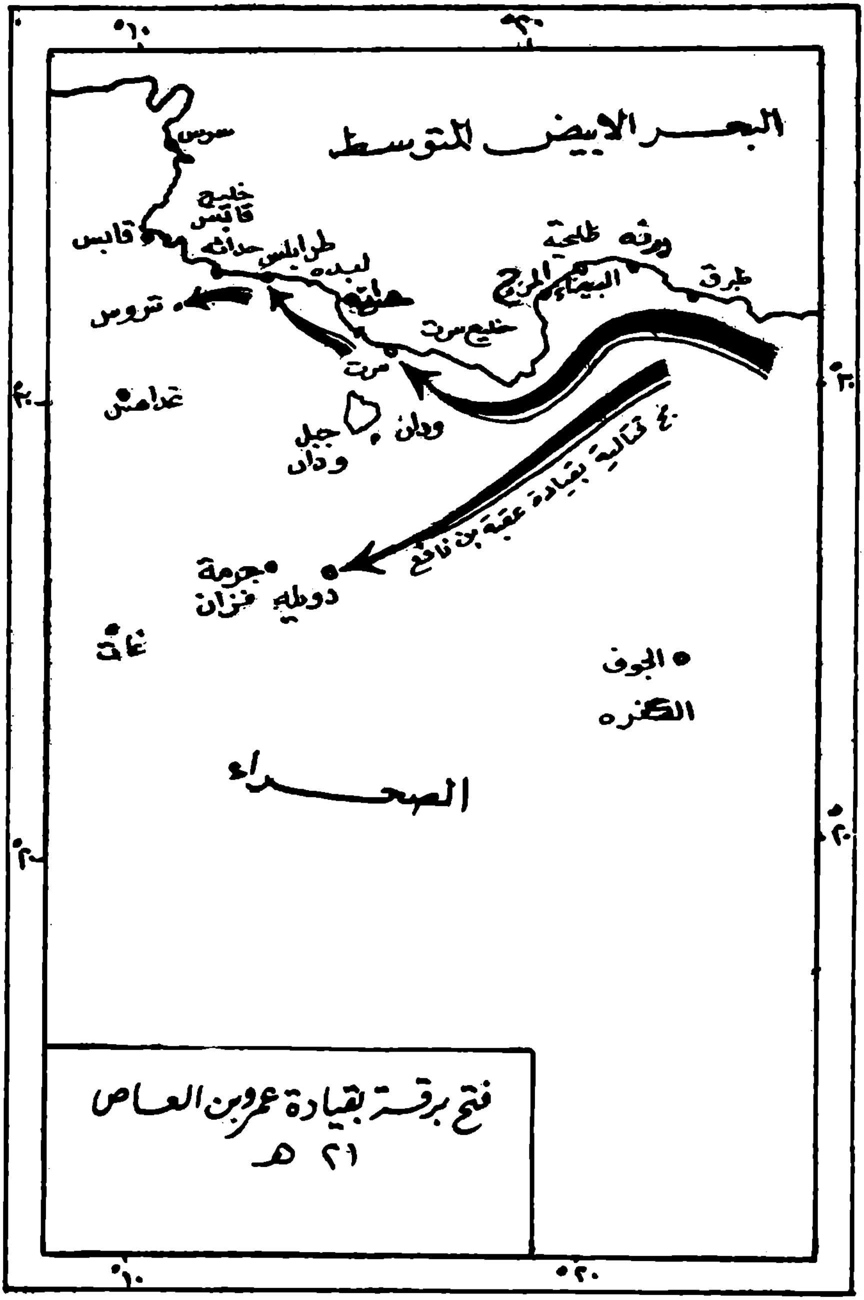
---

(١) جاء في تاريخ الطبري ٣ - ٦١٢ ، ان الارطبون قد قتل اثناء اغارته في احدى صوائف الروم - قراءات - في نهاية هذا الفصل ..

(٢) ابن الحكم - ٨٧ - الاسم القديم لام دنين هو تندونياس . ثم اطلق على ام دنين اسم « المقس » . استولى عمرو بن العاص على بلدة ام دنين ، وكانت الى الشمال من حصن بابليون ، ويذكر المقريزي ان ام دنين كانت ميناء مصر وقت الفتح العربي ويذكر بعض المؤرخين من الغرب انه لما تأخر فتحها على عمرو بن العاص وعجز عن فتح حصن بابليون ، اخذ من مسلحة - ام دنين - سفناً وعبر النيل بجنده في وجه آخر هو غزو اقليم الفيوم وهو العدوة القصوى ، وتعتمد هذه الرواية على ما جاء في ديوان حنا النقيوسي ، لكن مؤرخي العرب يخالفون هذا الرأي ويذكرون ان فتح الفيوم كان بعد سقوط حصن بابليون ..



فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص ١٩ - ٢١ هـ



فتح برقة بقيادة عمرو بن العاص
٢١ هـ

- استمرت المعارك في ام دنين بضراوة وعناد طوال شهر لم يتوقف خلاله القتال .. وفي النهاية خاض العرب المسلمون معركة حاسمة ونجحوا في اختراق التحصينات . وسقطت قلاع ام دنين وتحصيناتها وبدأت بعد ذلك مرحلة طويلة وحاسمة من القتال لتصفية آخر المقاومات في مصر ..

١٠ - الحصار الطويل ، وسقوط بابليون :

- كان حصن بابليون مماثلاً في قوته وتنظيمه الدفاعي لما كان عليه حصن ام دنين ، ولكنه كان يتميز عنه باتساعه وزيادة حجم الحامية المدافعة عنه ، وكان في بابليون عندما هاجمها المسلمون المقوقس - جريج بن مينا بن قرقب - حاكم مصر ومعه جماعة من الروم ورؤساء القبط وأكابرهم ، وكان على قيادة الحامية المدافعة عن المدينة قائد لقبه « الاعيرج » ..[١]

- عندما وصل العرب المسلمون الى « بابليون » ضربوا حصاراً حولها ، وشعر عمرو بن العاص ان قوة جيشه دون مستوى المعركة الطويلة وان كفة توازن القوى في غير صالحه فلجأ الى الحيلة ، وقام بتظاهرة استعراضية ، فباعد المسافات بين جنده بهدف خداع العدو عن معرفة القوة الحقيقية لجيشه ، وضيق حلقة الحصار ودارت بين جنده وبين جند الروم معارك ضارية لم يحقق خلالها أي طرف نتيجة حاسمة .

- شعر الخليفة عمر بانقطاع اخبار جند المسلمين في مصر ، وقدر خطورة السرعة البطيئة في تطوير العمليات فكتب الى عمرو بن العاص يستوضح الامر ، فأجابه عمرو بن العاص ، وشرح له الموقف وطلب دعمه .. وعند ذلك وجه الخليفة عمر الخطاب قوة مكونة من اربعة آلاف مقاتل وكتب رسالة الى عمرو ابن العاص ، جاء فيها :

---

(١) ابن الحكم - فتوح مصر والمغرب .
كان « الاعيرج » وهو المندفور القبطي يدير مصر من قبل المقوقس ، وكان يتولى قيادة الحامية المدافعة عن بابليون ، وكان اسمه « جورج » حرف الى جريج .

(.. اني قد امددتك بأربعة آلاف رجل على كل الف منهم رجـــل مقام الالف ، الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ... وان معك اثني عشر الفاً ولا يغلب اثنا عشر الفاً من قلة ..) (١)

ـ طال أمد الحصار ، وأظهر المسلمون من الصبر والشدة والتصميم على متابعة القتال ما اضعف عزيمة الحامية المدافعة عن بابليون واحبط من ارادتها القتالية ، فجمع المقوقس من وثق بهم من الحرس ودعا معـه الاسقف الملكاني واستشارهم سواً في الامر ، وطرح عليهم الموقف وذلـــك في أوائل شهر تشرين الاول ـ اكتوبر ـ ٦٤٠ م واقترح بذل المـال للعرب وابعادهم عن بلاده، واستقر رأي المجتمعين على ان يذهب المقوقس واصحابه تحت ستار الليل الى جزيرة الروضة ، خوف استيلاء العرب على الحصن واتخذت احتياطات أمن مشددة ، ففتح الباب الحديدي المطل على النيل ، واستقـل الملك ومرافقوه السفن ونزلوا في الموضع الذي أنشئت فيه دار الصناعة فيما بعد بجزيرة الروضـة ، وترك امر الدفاع الى قائد الحامية ، ولـــا اشتدت وطأة الحصار ، وخاف الاعيرج اقتحام العرب للحصن ، ركب وعدد من القادة والاشراف السفن الملصقة بالحصن ، وانضموا الى المقوقس في جزيرة الروضة ..

ـ بعد ان استقر المقوقس في جزيرة الروضة ارســـل مراسلا الى عمرو بن العاص يحمل الرسالة التالية :

(... لقد ولجتم في بلادنا وألححتم على قتالنا وطال مقامكم في ارضنا وانمـا انتم عصبة يسيرة ، وقد اظلتكم الروم ، وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح ، وقد احاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى في ايدينا فابعثوا الينا رجلا منكم

....

(١) ابن الحكم ـ فتوح مصر والمغرب ٨٨ ـ وفي تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ج ٢ ـ ص ٢٩ يذكر ان قادة الدعم هم الزبير بن العوام وبسر بن ارطاة وعمـير بن وهب الجمحي وخارجة بن حذافة. والرأي الاكثر صحة في رأي المؤرخين هو ما ورد اعلاه .. ويذكر البلاذري ـ ٢١٤ نصاً مماثلا ولكنه يذكر خارجة بن حذافة دون مسلمة ..

نسمع من كلامكم فلعله ان يأتي الامر فيا بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنكم وعنا هذا القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ولعلكم ان تندموا ان كان الامر مخالفــاً لطلبتكم ورجاءكم فابعث الينا رجلا من اصحابكم نعاملهم على ما نرضى به نحن وهم من شيء ..)

– وصل رسل المقوقس الى مقر قيادة عمرو بن العاص ، فاحتفظ بهـم في ضيافته مدة يومين بهدف اخضاعهم لحرب نفسية ، واطلاعهـم على ما يرغب من احوال المسلمين . وشعر المقوقس بالقلق نتيجة لتأخر مراسليه في العودة حتى سأل مستشاريه :

(.: اترون انهم يقتلون الرسل ويحبسونهم ويستحلون ذلك في دينهم ..

– عاد رسل المقوقس ، يحملون رد عمرو بن العاص وفيه :

(.. ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال :

١ ـ اما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم ما لنا .

٢ ـ وان ابيتم فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون .

٣ ـ واما ان جاهدناكم بالصبر والقتــال حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ..) .

– وجلس المقوقس الى رسله،يستوضح منهم احوال العرب المسلمين فأجابوه:

(.. رأينا قوماً الموت احب الى احدهم من الحياة والتواضع احب اليه من الرفعة ، ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، انما جلوسهم على التراب واكلهم على ركبهم ، واميرهم كواحد منهم ، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ، ولا السيد منهم من العبد ، واذا حضرت الصلاة ، لم يتخلف عنها منهم احد،يغسلون اطرافهم بالماء ويتخشعون في صلاتهم ..) .

وقال المقوقس عندها لجلسائه :

(.. لو ان هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها ، وما يقوى على قتالهم احد ،

ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهـــذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم اذا امكنتهم الارض ، وقووا على الخروج من موضعهم ..

– في تلـــك الفترة من المفاوضات والحصار المضروب على بابليون وصلت المعلومات الى عمرو بن العاص عن اقتراب قوة الدعم بقيادة الزبير بن العوام ، فقرر عمرو الخروج بقوته لاستقبال الزبير ووضع خطة القتال .

– شعر تيودور قائد قوات الروم ان لديه من القوة ما يستطيـع معها القضاء على قوة العرب قبل وصول قوات الدعم اليها ، فتحرك بجيوشه نحو هليو بوليس ـ عين شمس ـ الواقعة على مسافة ستة اميال من معسكر العرب ..

– توفرت المعلومات لدى عمرو بن العاص عن تصميم قائد الروم ، وعرف ان قوته تضم عشرين الف مقاتل ، بينما لم تكن قوة عمرو بن العاص تزيد على ثلاثة آلاف مقاتل ، فوضع مخططه لاحباط تصميم العدو وذلك باتباع ما يلي :

١ – وضع كتيبة من قواته عنـد أم دنين بمهـمة القيام بهجوم جنبي على قوات الروم .

٢ – وضع كتيبة من قواته عند ثنية الجبل قرب القلعة الحالية بمهـمة القيام بهجوم جنبي على قوات الروم من الطرف المقابل .

٣ – القيام بهجوم جنبي على القوات المهاجمة .

اتخذ عمرو بن العاص الاحتياطات الضرورية لاخفاء قوة الكمين وتمويهها حتى لا يشعر بها العدو ، كما نسق التعاون بين القوات بحيث يتم انقضاض قوات الكمين على مؤخرة العدو ومجنباته في الوقت المناسب ..

– انطلق الروم بهجومهم من البساتين والأديرة الواقعة الى الشمال الشرقي من حصن بابليون ، وبدأت المعركة ضارية وشرسة ، وتم اللقاء بين الجيشين في مكان وسط بين معسكرين ـ قـــد يكون في موضع العباسية الآن ـ وعندما وصل زخم القتال ذروته ، ظهرت الكتيبة العربية من جهة الجبل فاجتاحت مؤخرة

الروم ، وألحقت بهم الهزيمة فتوجهوا نحو أم دنين وعند ذلك ظهرت قوة الكمين الثاني ، ففر الروم يحاولون النجاة ولكن فرسان المسلمين قاموا بالمطاردة بحيث لم يتمكن من النجاة اكثر من ثلاثمائة مقاتل ، نزلوا السفن وعادوا الى الحصن ..

– استقبل عمرو بن العاص الزبير بن العوام وتوجه مع قوات الدعم وشدد قبضة الحصار ، وبدأ الزبير بن العوام على الفور باستطلاع الحصون المحيطة ببابليون ، بينما انصرف عمرو بن العاص لتركيز المنجنيق بهدف ضرب المدينة ، وفي هذه الفترة وصل رسول من قبل المقوقس يحمل رسالة جاء فيها :

(.. ابعثوا الينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ما عساه ان يكون فيه صلاح لنا ولكم ..)

– شكل عمرو بن العاص وفداً من عشرة أفراد فيهم عبادة بن الصامت ..

– كان عبادة بن الصامت شديد السواد ، وتظاهر المقوقس انه لا يرغب في الحديث مع « الاسود » لكن الوفد أصر على ان يكون عبادة هو الناطق باسمه، ويحتمل ان يكون المقوقس قد أراد اختبار تماسك الوفد ومعرفة مقدار التلاحم بين افراده واثارة ناحية التفرقة باللون او الجنس ، لكن تصميم الوفد أحبط مخطط المقوقس ، وارغمه على قبول التفاوض معه ..

– دارت المحادثات في اطار من الترغيب والترهيب والشد والجذب واظهر عبادة تمسكه بمبادىء المفاوضات الثلاثة ، الدخول في الاسلام أو دفع الجزية أو الحرب .

– كانت المعارك مستمرة خلال فترة المفاوضات ، وأبصر الزبير بن العوام ثغرة في احد التحصينات فقال للمسلمين :

(.. اني اهب نفسي لله ، ارجو ان يفتح الله بذلك على المسلمين [١])

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١٠٤ ، والبلاذري ٢١٥ .

ووضع سلماً في ناحية «سوق الحمام» وصعد بعد ان امر المقاتلين بالاجابة على تكبيرته جميعاً عندما يكبر فوق السور ..

– وصعد الزبير بن العوام، وارتفع صوته مكبراً فوق الأسوار، وتدافع المسلمون على السلم حتى نهاهم عمرو خوفاً من ان ينكسر، ونظم عملية الصعود ..

– عندما اقتحم الزبير ومن تبعه الاسوار، ارتفع صوت المسلمين بالتكبير خارج الحصن، وانتشر الرعب في صفوف الحامية المدافعة عن المدينة وظنوا ان المسلمين جميعاً قد اقتحموا الحصن فأسرع الزبير واصحابه الى باب الحصن وفتحوه واندفعت جموع المقاتلين للقضاء على المقاومات .

وسقط حصن بابليون بعد حصار استمر سبعة اشهر .[1]

١١ – اتفاقية الصلح :

– استمرت المباحثات بين الوفد العربي ـ الاسلامي بقيادة عبادة بن الصامت وبين المقوقس حاكم مصر، وانتهى الامر بتوقيع اتفاقية للصلح .

– بسم الله الرحمن الرحيم –

هذا ما اعطى عمرو بن العاص اهل مصر من الأمان على انفسهم وملتهم واموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ولا يساكنهم النوب، وعلى اهل مصر، ان يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح وانتهت زيادة نهرهم خمسين الف الف، وعليهم ما جنى لصوتهم فان ابى احد منهم ان يجيب رفع عنهم من الجزاء بقدرهم وذمتنا ممن أبى بريئة . وان نقص نهرهم من غايته اذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك . ومن دخل

---

(١) يرى بعض المؤرخين ان بابليون هي قصر الشمع، ومكانه الآن الدير المحرق في مصر القديمة، وقد بني هذا القصر بعد تدمير مصر من قبل نبوخذ نصر ـ بخت نصر ـ وهناك اختلاف بين المؤرخين حول التاريخ الذي شيد فيه القصر وفيمن انشأه من الملوك، وكان الشمع يوقد على هذا القصر في رأس كل شهر حتى يعلم الناس بانتقال الشمس من برج الى برج ..

في صلحهم من الروم والنوب فله مثل ما لهم وعليـــه مثل ما عليهم ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه او يخرج من سلطاننا وعليهم ما عليهم أثلاثاً في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم على ما في هذا الكتاب ، عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة الخليفة امـــير المؤمنين وذمم المؤمنين ، وعلى النوبة الذين استجابوا ان يعينوا بكذا وكذا رأساً وكذا .. وكذا فرساً على ان لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة .

شهد الزبير بن العوام وعبد الله ومحمد ابناه وكتب وردان [1]

– اشترط المقوقس لتطبيق الاتفاقيـــة الحصول على موافقة هرقل ، ملك الروم ، وارسل المقوقس يعلم هرقل باتفاقه مع العرب المسلمين ، فجاءه جواب هرقــل :

(.. انما اتاك من العرب اثنا عشر الفاً ، وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتـــال واحبوا اداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم بالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة الف ، معهم العدة والقوة ، والعرب وحالهم وضعفهم على ما قـــد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت ان تكون انت ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم ؟ انهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة ، فناهضهم القتال ولا يكون لك رأي غير ذلك ..

– وكتب هرقل ملك الروم كتاباً مماثلاً الى قادته من الروم ..

– اقبل المقوقس الى عمرو بن العاص وقال له :

(.. ان الملك قد كره ما فعلت وعجزني ، وكتب الي والى جماعة الروم ألا نرضى بمصالحتك وامرهم بقتالك حتى يظفروا بك او تظفر بهم ، ولم اكن

---

(١) الكامل ، لابن الاثير ٢ - ٣٩٦ ، وفي ابن خلدون بدل قوله هنا (وعليهم ما جنى لصوتهم) وعليه ممن جنى نصرتهم وهو غلط والصواب ما هنا واللصوت جمع لصيت وهو اللص .

لأخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه ، وانما سلطاني على نفسي ومن اطاعني ، وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ، ولم يأت منهم نقض وانا متم لك على نفسي والقبط متمون لك الصلح الذي صالحتهم وعاهدتهم ، وأما الروم فانا منهم بريء وانا اطلب اليك ان تعطيني ثلاث خصال :

١ ـ الا تنقض بالقبط ، وادخلني معهم والزمني ما لزمهم ، وقـــد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك عليه فهم متمون لك على ما تحب .

٢ ـ ان سألك الروم بعد اليوم ان تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئاً وعبيداً فانهم اهل ذلك لاني نصحتهم فاستغشوني ونظرت لهم فاتهموني .

٣ ـ اطلب اليك ان انا مت ان يدفنوني في ابي بحينس بالاسكندرية[1] .

ـ وهكذا تم تتويج النضال المسلح باتفاقية للصلح تنظم علاقات المجتمـــع الجديد وترسخ اسسه على قواعد واضحة .

ـ وكان من اول نتائج هذه الاتفاقية خلق انقسام بـين جماهير شعب مصر وبين سلطة الاحتلال البيزنطية ..

—★—

ـ مرت فترة ايام اربعة بين سقوط بابليون وبين توقيـع اتفاقيـــة الصلح ، وحدث خلالها قتال ، واعتبر العرب ان ما حصلوا عليه من سبي هو حق لهم . وبلغ عمر بن الخطاب ذلك ، فرد السبي الخاص بمن لم يقاتل المسلمين خلال الايام الاربعة واعاده الى اهله .

ـ بلغ عمرو بن العاص ان القبط يقولون : (**.. ما أرث العرب ، وأهون عليهم انفسهم ما رأينا مثلنا دان لهم ؟ نخاف ان يطمعهم ذلك ، فأمر بجزور[2] فذبحت وطبخت بالماء والملح ، ودعا امراء الاجناد فاعلموا اصحابهم فحضروا**

---

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١٠٤ ـ ١٠٥ .

(٢) جزر ، جمع جزور يقع على الذكر والانثى من الابل وفي الاصل جزور .

عنده وأكلوا أكلاً عربياً ابتشكوا [١] وحشوا وهم في العباء بغير سلاح فازداد طمعهم ، وأمر المسلمين ان يحضروا الغد في ثياب اهل مصر واحذيتهم ففعلوا وأذن لأهل مصر فرأوا غير ما رأوا بالامس ، وقام عليهم القوام بألوان مصر فأكلوا اكل اهل مصر (ونحوا نحوهم) فارتاب القبط ، وبعث ايضاً الى المسلمين تسلحوا للعرض غداً ، وأذن لهم فعرضهم عليهم وقال لهم : علمت حالكم حين رأيتم اقتصاد العرب فخشيت ان تهلكوا فاحببت ان اريكم حالهم في ارضهم كيف كانت ، ثم حالهم في ارضكم ثم حالهم في الحرب فقد رأيتم ظفرهم بكم وذلك عيشهم وقد كلبوا على بلادكم بما نالوا في اليوم الثاني [٢] ، فاردت ان تعلموا ان ما رأيتم في اليوم الثالث غير تارك عيش اليوم الثاني وراجع الى عيش اليوم الاول ..) .

وتفرق القوم وهم يقولون : (لقد رمتكم العرب برجلهم ..)

وعلم الخليفة عمر بما فعله عمرو بن العاص فقال :

(.. والله ان حربه لمنية ما لها سطوة ولا سورة كسورات الحروب من غيره ..) .

– انصرف عمرو بن العاص الى اعادة تنظيم قواته ، وارساء دعائم المجتمع الجديد، واجرى مقام الصلح ما أخذه عن طريق الحرب بهدف اكتساب عواطف جماهير الشعب المصري .

وخلال مرحلة اعادة التنظيم هذه وجه عمرو بن العاص قوة قتالية بقيادة عبد الله بن حذافة السهمي بمهمة فتح عين شمس ، فغلب عبد الله على ارضها وصالح اهل قراها على مثل صلح الفسطاط ..

---

(١) ابتشكوا : اسرعوا .

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢ – ٣٩٦ ، وفي الطبري يذكر هنا العبارة التالية : (وقد كلبوا على بلادكم قبل ان ينالوا منها ما رأيتم في اليوم الثاني ..) وهي اكثر وضوحاً .

– ووجه ايضاً خارجة بن حذافة العدوي فصالح اهـــل قرى الفيوم والاشمونين واخميم والبشر ودات وقرى الصعيد على مثل صلح الفسطاط ..

– كما وجه في الوقت ذاته بمجموعـة قتالية ثالثة بقيادة عمير بن وهب الجمحي الى تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلة ونبا وبوصير فصالح اهلهـا على مثل صلح الفسطاط (١) ..

– ووجه عقبة بن عامر الجهني ، ويقال وردان مولاه الى سائر قرى اسفل الارض ففعل مثل ذلـك ، وبذلك استجمع عمرو فتح مصر فصارت ارضها ارض خراج (٢) .

– عندما انتهى عمرو بن العاص من اعادة تنظيم قوته ، وعرف انه قادر على الانطلاق لمتابعة عملياته من قاعدة قوية ومأمونة ، استأذن الخليفة عمر في فتح الاسكندرية فأذن له بذلك ، فاستخلف على مصر خارجة بن حذافـة العدوي وانطلق بقواته في اتجاه الشمال ..

١٢ – في الطريق الى الاسكندرية :

طرنوط ، في بداية فتح الدلتا (٣)

– خرج عمرو بن العاص بالمسلمين من بابليون ، وخرج معه جماعة من رؤساء القبط ، وكان القبط يدعمون قوات المسلمين ، فيصلحون لهم الطرق ، ويقيمون الجسور والاسواق ، ويقدمون العون والامداد وكل ما هو ضروري للقتال ومن مواد التموين .

---

(١) فتوح البلدان ، البلاذري ٣٠٤ .

(٢) فتوح البلدان ، البلاذري ٢١٨ .. والمقصود بأسفل الارض منطقة الدلتا .

(٣) طرنوط او ترنوط او الطرانة كما يسميها العرب ، مدينة قديمة كان عندها معبر فوق النيل للذهاب الى الاسكندرية ، ومنها يبدأ الطريق المؤدية الى اديرة القبط في صحراء ليبيا ، اما ترنوط الحالية فهي قرية على النيـــل بمركز النجيلة المسمى الآن مركز كوم حماده من اعمال محافظة البحيرة ، وكان بها معاصر قصب السكر وبساتين كثيرة تتزود منها الاسكندرية بالفاكهة .

– توفرت المعلومات عند قيادة الروم حول تحرك عمرو بن العاص واستعداده القتالي وقوة جيشه فأخذوا في الاستعداد لمجابهته .

– كان على قيادة المقدمة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وكان حامل لواء المقدمة وردان مولى عمرو بن العاص ، ومن المحتمل ان يكون عمرو بن العاص قد اختار السير على الضفة الغربية للنيل في جهة الصحراء بسبب اتساع المجال لعمل الخيل وبحيث لا يعيق تحركها الترع والقنوات في دلتا النيل .

– عندما وصلت قوات المقدمة الى « طرنوط » اصطدمت بقوة متقدمة للروم وحدثت بين المقدمتين معركة قصيرة وحاسمة انتهت بهزيمة قوة الروم وفرارها من أرض المعركة ..

– وتابع الجيش تقدمه حتى نقيوس فتصدى القائد دومينتانوس لجيش المسلمين ووقعت معركة طاحنة انتهت بهزيمة قوات الروم ، وانطلقت فلول القوات المنهزمة في اتجاه الشمال ..

– اصدر عمرو بن العاص اوامره بتشكيل قوة من الفرسان تحت قيادة شريك بن سمي لمطاردة فلول قوات العدو .

– نجحت قوات الروم في تنظيم مقاومتها على بعد ستة عشر ميلاً الى الشمال من طرنوط ، ودارت معركة شرسة كان التفوق فيها لصالح قوات الروم ، ووقعت قوات شريك في موقف حرج ، فأرسل شريك مراسلاً يعلم عمرو بن العاص بخطورة الموقف ويطلب دعمه بالقوات وعندما وصلت المعلومات عن اقتراب قوات دعم المسلمين ، اخذت قوات الروم في الفرار بعد ايام ثلاثة من القتال ، وقد اطلق على هذا الموضع الذي حدث فيه القتال باسم القائد العربي وهو معروف الى اليوم باسم كوم شريك ، وهي قرية من قرى كوم حمادة ..

– تابعت قوات العرب المسلمين تقدمها حتى وصلت سلطيس[1] ووقعت

(١) سلطيس ، كذا في الاصل ، وصواب الاسم سنطيس ، وهي قرية كبيرة في منتصف المسافة تقريباً بين كوم شريك والكديون على ستة اميال في جنوب دمنهور .

معركة ضارية قاتلت فيها قوات الطرفين بشجاعة وعناد ، ولكن المعركة انتهت بانتصار قوات المسلمين ، وأخذت قوات الروم في الفرار من القتال في اتجاه الاسكندرية .

١٣ ـ الكريون ، آخر معركة قبل الاسكندرية (١) :

ـ كانت مدينة الكريون آخر حصن من سلسلة الحصون الممتدة للروم بين حصن بابليون والاسكندرية ، وكان للمدينة حاكم تحت قيادته قوة من الفرسان والمشاة ـ مسلحة ـ وكان لها خطر كبير في الحرب نظراً لاشرافها على الترعة التي تعتمد عليها الاسكندرية في طعامها وشرابها ، لكن حصونها لم تكن في القوة والمنعة على مثل ما كان عليه حصن بابليون او حصن نقيوس او حصون الاسكندرية ..

ـ وصلت القوات المتقدمة للعرب المسلمين بقيادة عبد الله بن عمرو وحامل اللواء وردان مولى عمرو ، واشتبكت هذه القوات مع الحامية المدافعة عن المدينة ، ودارت رحى معركة ضارية قاتل فيها الروم بعناد كبير واصيب عبد الله بجراح كثيرة ، فقال لوردان: (... **لو تقهقرت قليلاً نصيب الروح ..**) فأجابه وردان : (... **الروح تريد ؟. الروح امامك وليس هو خلفك ..**) (٢)

وصمد عبد الله ، وثبت المسلمون ، ونجح عبد الله في احراز بعض التقدم ، وعلم عمرو بن العاص باصابة ابنه بجراح فأرسل من يستطلع له خبره ، ووصل المراسل فسأل عبد الله عن جراحه فأجابه :

اقول اذا ما جاشت النفس اصبري — فعما قليل تحمدي او تلامي

---

(١) الكريون : مدينة قديمة ، زارها ابن حوقل ، وذكر عنها في كتابه أنها كانت في أيامه مدينة عظيمة جميلة على دفتي ترعة الإسكندرية ، وكان التجار يركبون منها القوارب إلى الفسطاط أيام الصيف عندما يرتفع مستوى مياه النيل ، وكان يتم إمداد الإسكندرية بالحبوب والقمح عن طريق الكريون

(٢) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١١٠

ويروى البيت ايضاً :

اقول لها اذا جشأت وجاشت رويدك تحمدي او تستريحي

ورجع المراسل الى عمرو ليقول له ما ذكره ابنه ، وعندها قال عمرو :

هو ابني حقاً ..

– استمرت معركة الكديون بضعة عشر يوماً ، صبر فيها العرب المسلمون صبراً كبيراً وقاتل الروم ببسالة ، لكن تصميم العرب وصبرهم كان أقوى من شجاعة الروم وتفوقهم العددي فنجحوا في النهاية بانتزاع النصر ، وسقطت حصون الكريون في قبضة المسلمين ، وتمزقت الحامية المدافعة عن المدينة فأخذ افرادها يبحثون عن طريق النجاة الى الاسكندرية ..

١٤ – فتح الاسكندرية الاول سنة ٢١ هـ – ٦٤١ م :

– كان للاسكندرية حصون منيعة وقوية لا سبيل للوصول اليها . وكانت هذه الحصون مضاعفة بحيث تستطيع الحصون الخلفية دعم الحصون الامامية .

– وكان هرقل ملك الروم قد دعم الاسكندرية بقوات كبيرة حتى وصل عدد افراد الحامية المدافعة عنها الى مائة الف مقاتل ١٠٠,٠٠٠ ، وكان هدف هرقل من ذلك هو :

١ – الاحتفاظ بالاسكندرية كقاعدة متقدمة للهجوم المضاد من اجل انتزاع مصر من قبضة العرب المسلمين .

٢ – الاحتفاظ بالاسكندرية كقاعدة بحرية توفر الأساطيل البيزنطية ما تحتاجه من امداد وتموين ..

ولا أدل على اهتمام بيزنطة بالاسكندرية مما قاله هرقل عندما بلغه تقدم العرب المسلمون في اتجاه مصر ووصولهم الى بابليون ..

[.. لئن ظهرت العرب على الاسكندرية فان ذلك انقطاع ملك الروم

وهلاكهم لانه ليس للروم كنائس اعظم من كنائس الاسكندرية ..](١)

ونتيجة لذلك اصدر هرقل اوامره الى أجهزة دولته بالاستعداد للانتقال الى الاسكندرية حتى يستطيع مباشرة قيادة الأعمال القتالية فيها بنفسه ، وأمر بألا يتخلف عنه أحد من الروم ..

– أنهى هرقل استعداداته ، وكان العرب لا زالوا على حصار بابليون، وكان المقوقس قد عقد معهم اتفاقية للصلح ، وعندما وضع هرقل مخططه للانتقال الى الاسكندرية وافتـه المنية ، فمات في يوم الاحد ١١ فبراير ـ شباط ـ ٦٤١ ، وكان لموته في تلك الفترة الحرجة أثر كبير وحاسم في احباط الارادة القتالية لبيزنطة وأخـذ جمع كبير في الرجوع الى بيزنطة بعد ان كان متوجهاً الى الاسكندرية ..

– انطلقت قوات العرب المسلمين بعد معركة الكريون واخذت في ضرب حصار حول الاسكندرية ، فنزل عمرو بن العـاص في حلوة وانتشرت قوات العرب المسلمين من حلوة حتى قصر فارس والى ما وراءه كما نزل رؤساء القبط مع المسلمين وأخذوا على عاتقهم امداد جيش المسلمين بما يحتاجه من أطعمة وأغذية ومتطلبات للمقاتلين وخيولهم .. .

– طال حصار الاسكندرية ،وحدثت خلال فترة الحصار مجموعة من المعارك الضارية (٢) ، وشعر عمرو بن العاص ان أمـد الحصار سيطول نظراً لوصول امدادات مستمرة الى الحامية المدافعة عن المدينة بطريق البحر ، وخشي ان تحدث ردة في مصر ، فقرر العودة الى ام دنين ـ المعتس ـ للبقـاء في مركز متوسط من الدلتا للاشراف على إعادة تنظيم المجتمع واقامـة العلاقات الجديدة فيه ، واستخلف على رابطة الاسكندرية عبادة بن الصامت وعاد الى ام دنـين بعد شهرين من حصار الاسكندرية ..

---

(١) و (٢) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٩٨ – ١٠٣ – ١١٦

(٢) صلى عمرو بن العاص صلاة الخائف بسبب شدة هذه المعارك وقسوتها .

ـ استبطأ الخليفة عمر فتح مصر ، فكتب الى عمرو بن العاص رسالة جاء فيها :(١)

[.. اما بعد ، فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر ، انكم تقاتلون منذ سنتين وما ذلك الا لِمَ احدثتم واحببتم من الدنيا ما احب عدوكم وان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً الا بصدق نياتهم ، وقد كنت وجهت اليك اربعة نفر واعلنتك ان الرجل منهم مقام الف رجل على ما كنت اعرف الا ان يكونوا قد غيرهم ما غير غيرهم ، فاذا اتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية ، وقدم اولئك الاربعة في صدر الناس ومُر الناس جميعاً ان يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسألونه النصر على عدوهم ..] .

ـ جمع عمرو بن العاص المسلمين ، وقرأ عليهم رسالة الخليفة ، وعقد لواء القوات لعبادة بن الصامت فنظم عملية الهجوم بعد استطلاع دقيق ، وقام بهجوم حاسم اظهر فيه المقاتلون من الشجاعة والتصميم ما ساعدهم على اقتحام أسوار المدينة .

وسقطت الاسكندرية في يد عبادة بن الصامت بعد اربعة اشهر من الحصار ، على أثر سقوط الاسكندرية تم توقيع معاهدة للصلح مع العرب المسلمين كانت اكثر نقاطها أهمية ما يلي :

١ ـ فرض الجزية على كل فرد لا يرغب في الاسلام بمقدار دينارين على الفرد الواحد .

٢ ـ اقامة هدنة لفترة احد عشر شهراً يتم خلالها جلاء الروم عن الاسكندرية .

٣ ـ بقاء العرب المسلمون في مواقعهم خلال فترة الهدنة وايقاف الأعمال القتالية بين الطرفين .

---

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٩٨ ـ ١٠٣ ـ ١١٦

٤ ـ عدم تعرض المسلمون للكنائس وعدم التدخل في امور المسيحيين.

٥ ـ يسمح للحامية البيزنطية ان يحملوا معهم عند جلائهم ما يملكون من اموال وأمتعة مع دفع جزية شهر عند رحيلهم ..

٦ ـ السماح لليهود بالبقاء في الاسكندرية .

٧ ـ تسليم ١٥٠ مقاتلاً من جند الروم و ٥٠ من الحكام حتى يكونوا رهائن عند المسلمين خلال مرحلة تنفيذ الاتفاقية .

ـ وجمع بعد ذلك جمع السبي والنصارى بحضور حاكم الاسكندرية ، وخيروهم فرداً فرداً فمن اختار المسلمين كبروا ، ومن اختار النصارى جزعوا عليه وفرضوا عليه الجزية . واستثني من الجزية النساء والشيوخ والاطفال والعاجزين عن دفعها من الفقراء ..

ـ التزاماً من عمرو بن العاص باتفاقيته مع المقوقس بمنح الحرية الدينية ، ارسل عمرو بن العاص كتاباً الى البطريق « بنيامين » أعاد له « الحرية والامن » بعد ان مضى عليه طريداً شريداً مدة ثلاث عشرة سنة ، فقدم البطريق بنيامين الى الاسكندرية واستقبل فيها استقبالاً جيداً،وألقى على مسامع عمرو بن العاص خطاباً بليغاً ضمنه ما يراه ضرورياً من مقترحات للحفاظ على كيان الكنيسة ، فقبلها عمرو ومنحه الصلاحية التامة لادارة شؤون الكنيسة . ووقف اسقف نقيوس بدير مقاريوس يرحب بالبطريق بنيامين يشرح ما قام به من تضحيات في سبيل الكنيسة القبطية ، فوقف بنيامين يرد على باسيلي اسقف نقيوس وكان مما قاله :

[.. لقد وجدت في مدينة الاسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت انشدهما بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون..] (٢)

....

(١) فتوح البلدان للبلاذري ٢٨٨ ، والولاة للكندي ص٩ ، وفتوح مصر لابن الحكم ١١٧، والكامل في التاريخ لابن الاثير ٣٩٧ .

(٢) تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم ١ ـ ٢٤٠ .

- وكان لهذه السياسة التي اتبعها عمرو بن العاص دور حاسم في تحقيق الأمن والاستقرار خلال مرحلة بناء المجتمع الجديد ، مجتمع العرب المسلمين ..

- لم يخسر العرب المسلمون في معركة فتح الاسكندرية اكثر من ٢٢ رجلاً (١) وعندما تمت عملية الفتح ، قسم عمرو بن العاص الفيء على المقاتلين وبعث الخمس الى الخليفة عمر ومعه سبي بلهيت والخنيس وسلطيس ، على اعتبار ان هـــذه البلدان فتحت حرباً ، كما ارسل مع الوفد الرسالة التالية :

[.. اما بعد ، فاني فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير أني أصبت منها اربعة آلاف منية بأربعة آلاف حمـــام واربعين الف يهودي عليهم الجزية واربعمائة ملهى للملوك ..] (٢)

- كان عدد الروم في الاسكندرية من الرجال مائتي الف ، وكان بهـا مائة مركب حملت ثلاثون ألفاً من كبارهم وقادتهم ومعهم ما قدروا عليه من المـال والمتاع والاهل وبقي من بقي أسارى في يـد المسلمين ، وتم احصـاء من فرض عليهم الخراج فكانوا ستمائة الف رجل سوى النساء والأولاد .

- وكان في الاسكندرية عـــدد كبير من اليهود رحل في الليلة التي دخلها عمرو بن العاص او في الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعين الف يهودي وبقي اربعون الفاً ..

- عندما وصل السبي الى المدينة ، اعاده الخليفة عمر الى مصر بهدف اعادة بناء مجتمع مصر على أسس وطيدة وثابتة ، بعيدة عن الظلم والاضطهاد وكان لذلك دور كبير في اكتساب عواطف جماهير الشعب والتفافها حول العرب المسلمين ..

١٥ - خراب خربة وردان :

- الخربة قرية صغيرة كانت في طريق الاسكندرية ، وكان اهلهـا رهباناً

....

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١٢١ .
(٢) فتوح البلدان ، البلاذري ٣٠٣ .

كلهم،فغدروا بقوم من ساقة عمرو بن العاص فقتلوهم بعد ان بلغ عمرو الكريون وعندما وصلت اخبار ما فعلته هذه القرية الى عمرو بن العاص اوقف تقدمه وأرسل مجموعة قتالية بقيادة مولاه وردان ، فقتل اهلها ودمر القريـة ولم يبق حتى الآن منها سوى اطلال تشهد على الغدر وعاقبته على اهله ..

١٦ – رابطة الاسكندرية :

– لما استقامت البلاد وفتح الله على المسلمين الاسكندرية ، قطع عمرو بن العاص من اصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس خاصة ، الربع يقيمون ستة أشهر ثم يعقبهم شاتية ستة اشهر، ربع في السواحل،والنصف الثاني مقيمون معه.

– وكان الخليفة عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة غازية من اهل المدينة ترابط بالاسكندرية، وكانت الولاة لا تغفلها وتكثف رابطتها وتأمين الروم عليها (١) .

١٧ – فتح برقة (٢) وزويلة (٣)

– اراد عمرو بن العاص تصفية قواعد بيزنطة في شمال افريقيا وتأمين الجبهة الغربية لمصر ، فاستخلف على الاسكندرية عبد الله بن حذافة السهمي ، وقاد جيشه متوجهاً نحو الغرب ، متبعاً في تقدمه المحور الساحلي ..

– وصلت قوات العرب المسلمين الى برقة ، وعقد عمرو بن العاص صلحاً مع اهلها على اساس دفع الجزية ، وتوقف عمرو بن العاص في برقة ووجه مجموعة قتالية بقيادة عقبة بن نافع الى « الزويلة » في قلب الصحراء ، فصالح اهلها على مثل صلح برقة ..(٤)

....

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٥٨ .

(٢) برقة ، اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن ، وبين الاسكندرية وبرقة مسيرة شهر ـ معجم البلدان ٢ ـ ١٣٣ .

(٣) زويلة : بلدان احدهما زويلة السودان مقابل اجدابية في البر بين بلاد السودان وافريقية أو زويلة في وسط الصحراء هي أول حدود بلاد السودان ـ معجم البلدان ٤ ـ ٤١٨ .

(٤) فتوح البلدان ، البلاذري ٣١٤ ، الكامل في التاريخ ٣ ـ ١٠ .

١٨ ـ فتح أطرابلس[١] سنة ٢٢ هـ ـ ٦٤٢ م :

سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس ، وتحصن اهلها فحاصرها عمرو ، ومضى شهر والمدينة ممتنعة على المسلمين ، ثم خرج رجل من بني مدلج للصيد ومعه سبعة من رفاقه المقاتلين وتوجهوا غرب المدينة حتى انفصلوا عن المعسكر ، ثم رجعوا ، فأصابهم الحر فأخذوا على ضفة البحر ، وكان البحر لاصقاً بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور ، وكانت سفن الروم شارعة في مرساها الى بيوتها ..

ـ نظر المدلجي واصحابه فاذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ، ووجدوا مسلكاً اليها من الموضع الذي غاض فيه البحر فدخلوا فيه حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا ، فلم يكن للروم مفزع إلا سفنهم ، وأبصر عمرو وأصحابه المتسللين الى قلب المدينة ، فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم ، فلم تفلت الروم إلا بما خف لهم في مراكبهم ، وغنم عمرو ما كان في المدينة .[٢]

ـ كان اهل بسبرت[٣] متحصنين ، وقد اطمأنوا بعد ان بلغهم امتناع أطرابلس على جيش العرب المسلمين وصمودها في وجههم ، ولهذا اسرع عمرو بن العاص الى توجيه مجموعة قتالية من الفرسان في ذات الليلة التي تم فيها فتح أطرابلس وأمر قائد المجموعة بالاسراع في سيره حتى يستطيع مباغتة سبرت ..

ـ وصلت المجموعة القتالية مع اول ضوء من النهار ، وفتح اهل مدينة سبرت ابواب مدينتهم وأطلقوا ماشيتهم للرعي ، فباغتهم العرب المسلمون

---

(١) أطرابلس : مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض افريقية ، معجم البلدان ١ ـ ٢٨٥ و ٦ ـ ٣٤ ، واسمها الآن : طرابلس وهي مدينة كبيرة على البحر الابيض المتوسط وهي العاصمة الثانية لليبيا والعاصمة الاولى هي بنغازي .

(٢) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٣١ . وفتوح البلدان ٣١٦ .

(٣) سبيرت ، اسمها نبارة ، وسبرت السوق القديم وربما نقله الى نبارة عبد الرحمن بن حبيب سنة ٣١ هـ .

بالهجوم ودخلوا المدينة، وبعد ان فتحوها ، عادوا الى مقر قيادة عمرو بن العاص في أطرابلس ..

– توقف عمرو بن العاص في أطرابلس ، وارسل الى الخليفة عمر بن الخطاب رسالته التالية :

[.. ان الله قد فتح علينا اطرابلس ، وليس بينها وبين افريقية الا تسعة ايام فان رأى امير المؤمنين ان يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل ..] .

وجاء رد الخليفة :

[.. لا ، انها ليست بافريقية ولكنها المفرقة ، غادرة مغدور بها ، لا يغزوها احد ما بقيت ..] (١)

– وتوقفت عملية الفتح غرب مصر عند أطرابلس ، واستخلف عمرو بن العاص على ليبيا عقبة بن نافع الفهري ، ثم عاد الى الفسطاط بعد أن أكمل فتح « ليبيا » ..

١٩ – فتح الاسكندرية الثاني ٢٥ هـ – ٦٤٥ م :

– كان أمراً محتماً أن تصاب مصالح بعض اهالي مصر بالضرر ولا سيا الطبقة الغنية منهم ، وكان لا بد من بقاء بعض الروابط بين حكام بيزنطة وبين بعض انصارهم من سكان البلاد بسبب طول عهد حكم بيزنطة لمصر ، ونتيجة لذلك ، فقد عمد بعض اهل الاسكندرية الى كتابة الرسائل وارسالها الى بيزنطة يطلبون دعمها للقيام بثورة مضادة .

– وجه قسطنطين بن هرقل ملك بيزنطة الى مصر قوة مكونة من حمولة ثلاثمائة مركب يقودها « منويل » الخصي ، فنزلت هذه القوة بالاسكندرية وانضمت اليها بقية قوة الروم .

– حافظ المقوقس على اتفاقية الصلح مع المسلمين ، فلم يدعم قوة الروم

---

(١) فتوح البلدان ، البلاذري ٣١٦ ، فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٣٢ .

وانضم اليه من اطاعه من القبط وأما الروم فلم يطعه منهم أحد ..

– كان الخليفــة عثمان بن عفان قد اصدر امره بعزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد ، فلما نزلت الروم بالاسكندرية سأل اهــل مصر عثمان ان يقر عمرواً حتى يفرغ من قتال الروم،فان له معرفة بالحرب وهيبة في العدو ففعل[1].

– تقدم عمرو بن العاص بجيشه واقترح عليه خارجة بن حذافة الاسراع للقاء الروم قبل انطلاقهم من الاسكندرية وكان مما قاله له :

[.. ناهضهم قبل ان يكْثر مددهم ، ولا آمن ان تنتقض مصر كلها ..] .

فأجابه عمرو : - [لا .. ولكن أدعهم حتى يسيروا الي فانهم يصيبون من مروا به ، فيخزي الله بعضهم ببعض ..]

وهكذا تعمد عمرو بن العاص التأخر في مجابهة الروم بهدف اقناع اهالي البلاد وجماهيرها ، عن طريق التجربة المباشرة،بالفارق بين اسلوب التعامل مع العرب المسلمين واسلوب معاملة الروم لأهالي البلاد ..

– خرج الروم من الاسكندرية ، فجعلوا ينزلون القريــة فيشربون خمورها ويأكلون اطعمتها وينتهبون ما مروا به ،فلم يعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس.

– وصل عمرو بن العاص وجيشه المكون من خمسة عشر الف مقاتـــل الى نقيوس[2] ودارت معركة عنيفة بين الروم والمسلمـين ، كان مسرحها في البر والبحر ، ثم انضمت قوات الروم كلها في صفوف متعاقبة ، وصمـــد المسلمون صموداً رائعاً وقاتلوا بعناد وبرز في المعركة اسم حومل ابا مذحج من زبيد حيث تمكن من القضاء على بطريق الروم .. وبذل البطارقة الذين احضرهم الروم معهم جهداً في اثارة حماسة مقاتلي الروم ، لكن عمرو بن العاص نجح في انتزاع النصر

---

(١) فتوح مصر والمغرب ٢٣٥ . البلاذري ٣٠٩ .

(٢) نقيوس : من المدن المصرية القديمة ، زالت ولم يبق منهـــا سوى كوم أثري موجود في الجهة البحرية من سكن زاوية رزين بمركز منوف المعروف عند الاهالي هناك باسم كوم مانوس ، او : وقيانوس ، وهما محرفان من نقيوس.

واخذت قوات الفرسان تطارد فلول الروم حتى وصلوا الاسكندرية وتحصنوا بها.

– امتنع الروم بالإسكندرية ، مما أثار عمرو بن العاص [فأقسم لئن اظهره الله عليهم ليهدمن سورها ...]

– جهز عمرو بن العاص قواته ، ونظم هجومه بحيث يتم الانقضاض على الاسكندرية براً وبحراً ، كما وضع المنجنيق لتهديم أسوار المدينة ودعم الهجوم .

– قامت قوات العرب المسلمين بهجوم حاسم ، ونجحت في اختراق المدينة وقتل قائد قوات الروم « منويل » وامعن عمرو بن العاص في قتال الروم داخل الاسكندرية ثم كلم في ذلك ، فأمر برفع السيف عنهم وبنى في ذلك الموضع المسجد المعروف باسم « مسجد الرحمة » ثم اصدر عمرو بن العاص اوامره بهدم اسوار الاسكندرية . وكان اول ما فعله عمرو بن العاص بعد ذلك هو رد الأموال والمتاع مما نهبه الروم وارجاعه الى أصحابه الذين يظهرون بينة على ملكية المتاع الخاص بهم ..

٢٠ – تأمين الحدود الجنوبية لمصر – ٢١ هـ :

– اراد عمرو بن العاص تأمين الحدود الجنوبية لمصر وذلك قبل التوجه لفتح الاسكندرية فشكل مجموعة قتالية بقيادة عقبة بن نافع الفهري ووجهها الى النوبة ، واصطدمت هذه المجموعة القتالية بمقاتلي النوبة ، وقد أفاد هؤلاء من طبيعة الارض ، واتقانهم الاختفاء والتمويه واستخدام السهام والنبال على نطاق واسع فأوقعوا في صفوف المسلمين اصابات كبيرة ، وكانت اكثر الاصابات في عيون المقاتلين . واستمر عمرو بن العاص بعد ذلك في توجيه المقاتلين الى ان جاء عبد الله بن سرح فعقد صلحاً مع اهل النوبة ..

القسم الأول

الفصل الثالث

الدروس المستقاة من عمليات فتح مصر

١ ـ اعطاء الأفضلية لمسارح العمليات ومحاور الهجوم .

٢ ـ الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة .

٣ ـ المباغتـــة .

٤ ـ الحفاظ على الهدف .

٥ ـ وحدة القيادة .

٦ ـ كفاءة افراد القيادة العامة .

٧ ـ الهجوم .

٨ ـ اجبار الخصم على بعثرة قواته .

٩ ـ الحشد ومرونة الحركة :

١٠ ـ المطــاردة .

١١ ـ التموين من مؤونة العدو نفسه .

١٢ ـ الحرب النفسية .

١٣ ـ التسلـــح .

١٤ ـ الروح المعنوية للمقاتلين .

١٥ ـ انشاء علاقات اجتماعية جديدة .

قراءات

١ ـ عمرو بن العاص .

٢ ـ الزبير بن عوام .

٣ ـ عبد الله بن حذافة السهمي .

٤ ـ خارجة بن حذافة العدوي .

٥ ـ عمير بن وهب الجمحي .

٦ ـ عقبة بن عامر الجهني .

٧ ـ عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي .

٨ ـ مقتل الارطبون ..

★★★

الدروس المستقاة من عمليات فتح مصر

وقعت خلال فتح مصر مجموعة من المعارك كان فيها ميزان القوى كالتالي :

المعركة	قوة المسلمين	قوة الروم	ميزان القوى	ملاحظات
بلبيس	٣٥٠٠	١٠٫٠٠٠	واحد لثلاثة في صالح الروم	لم يذكر المؤرخون الأرقام الدقيقة بعد كل معركة . ولهذا فان هذه الأرقام تقريبية[1]
ام دنين	٣٥٠٠	٨٠٫٠٠٠	واحد الى عشرين في صالح الروم	
بابليون	٨٠٠٠	١٠٫٠٠٠	واحد الى واحد تقريباً	
الاسكندرية	٨٠٠٠	١٠٠٫٠٠٠	واحد مقابل اثني عشر في صالح الروم	

ـ ترى ما هو شكل الحوار الذي سيتم لو طرح ميزان القوى المذكور أعلاه للمناقشة ؟ وكيف سيكون الرد لو تقدم أحدهم في مؤتمر للحرب واعلن ان باستطاعته تنظيم هجوم بقوة أربعة آلاف أو ثمانية آلاف مقاتل ضد بلد يستطيع زج مائتي الف مقاتل ، بحيث يكون ميزان القوى واحد ضد عشرين ؟..

ـ ان الرد على هذا المشروع لو طرح ـ بأي شكل وعلى أية صورة ـ سيكون نظرة اشفاق أو ابتسامة سخرية على أقل تقدير ، وسيوصف المشروع بصورة عادية اما بالمقامرة المجنونة ، أو التهور الأحمق ، والمصير الحتمي الذي يتوقعه الجميع هو الفشل ..

....

(١) المرجع ، فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٨٦ ـ ١٠٤ ـ ٢٣٠ .

ـ لكن هـــذا لم يحدث عندما اقترح عمرو بن العاص فتح مصر وأمكن له تحقيق مشروعه .

ـ لقد جابه كثير من القادة مواقف مماثلة ، فقد جابه ـ غودريان ـ القائد الألماني موقفاً مماثلاً عندما اقترح القيام بهجومه عبر الحدود البلجيكية غـــداة الحرب العالمية الثانية، وأمكن له أيضاً تنفيذ اقتراحه بنجاح على الرغم مما جوبه به من احباط وسخرية ..

ـ وعودة الى عمليات فتح مصر .. وطرح سؤال :

ـ كيف استطاع عمرو بن العاص تحقيق انتصاراته المتتابعة حتى انتهى من فتح مصر ؟

ـ قد يكون من السهل ، الجلوس وراء مكتب دراسي مريح في غرفة وثيرة والقول بحسن نية أو سوء نية :

١ ـ لقد كانت هناك هوة فاصلة بين جهاز الحكم وبين جماهير الشعب في مصر .

٢ ـ لقد كانت هناك انقسامات دينية مزقت الشعب وأضعفت قدرته القتالية .

٣ ـ وكانت هناك نقاط ضعف في التنظيم القتالي للقوات البيزنطية .

ثم متابعة العملية بهدف انقاص أهمية القدرة القتالية للقوات العربية الاسلامية سواء على مستوى القيادات أو على مستوى القوات المقاتلة وبالتالي انقاص العامل الايديولوجي الذي خاضت القوات معاركها من أجله .

ـ ان للحرب قوانينها المعروفة وقواعدها الراسخة ومبادئها الثابتة وقـد خاضت قوات العرب المسلمين ـ قيادة ومقاتلين ـ حروبها وفق قواعـــد ثابتة وواضحة ،وان من أبسط المعطيات التي يمكن قولها في موضوع عمليات فتح مصر ..

١ ـ كان فوق أرض مصر قوة مقاتلة يمكن حشدها في جبهة واحدة تضم مائتي الف مقاتل .

٢ ـ كان عمرو بن العاص يقود هجومه ضد اقليم غريب عنـــه بينما كانت

القوات المدافعة عن مصر تخوض معركتها فوق أرضها التي تعرفها معرفة جيدة وتحسن استخدامها .

٣ ـ وكانت القوات العربيـــة الاسلامية تقوم بالهجوم بينما كانت القوات الموجودة في مصر تخوض معركة دفاعية وكان من المفروض أن يحقق العرب تفوقاً بمعدل واحد الى ثلاثة على أقل تقدير ، بينما كان ميزان القوى بمعدل عشرة ضد واحد في صالح الروم .. هذه بعض المعطيات وليست كلها ..

ـ كانت أعمال الفتح معارك قتالية قبل كل شيء ، وللمعارك القتالية قواعدها ومبادئها ، وان ادراك أسباب النجاح يفرض تحليل هذه الأحداث التاريخيـة ووضعها في مكانها الصحيح ..

١ ـ اعطاء الافضلية لمسارح العمليات ، ومحاور الهجوم :

ـ لقد جاء تسلسل عمليات الفتح وفق الترتيب التالي :

١ ـ فتح العراق ١٢هـ . ٢ ـ فتح الشام ١٣هـ . ٣ ـ اكمال فتح العراق ١٤هـ

٤ ـ فتح مصر ٢٠ هـ . فتح ايران حتى ٢٢ هـ .

وبرهن هذا الترتيب على دوره الفعال في انجاح مسيرة العمليات ، فالقضاء على نفوذ بيزنطة في الشام ونفوذ فارس في العراق قد مهد السبيل لفتح مصر التي أصبحت معزولة عن قاعدتها الرئيسية ـ إلا عن طريق البحر ـ .

ـ لقد أصبحت مصر بعد فتح الشام بمثابة موقع جانبي معزول ، وكان لهذا العامل دوره الحاسم في إيقاف الامداد بالقوات والأعتدة عبر محاور الطرق الأرضية ..

ـ ترى ماذا كان سيحدث لو توجهت القوات العربية لفتح مصر قبل إكمال فتح الشام ؟ يقيناً ، الفشل هو الاحتمال الأكبر لمصير هذا الهجوم ..

ـ كان الخليفة عمر بن الخطاب هو الذي يقرر أهمية مسارح العمليات وهو الذي ينسق موضوع التعاون فيما بينها ، وما من ريب في أن تحقيق التوازن بين

هذه المسارح مع تنسيق التعاون بالنسبة لحجم القوى المتوفرة هو العامل الأول في نجاح العمليات على مسارح القتال المختلفة .

– وان ما أنجزه الخليفة عمر بن الخطاب في هذا المجال يحتل المرتبة الأولى في سلم « الافضليات الاستراتيجية » .

– أما انتقاء محور العمليات في مصر ، وتركيز الجهد على المحور الأكثر أهمية فقد ترك لعمرو بن العاص على أساس معرفته بالأرض ، وعلى أساس ما سيقوم به من استطلاع شخصي وجمع للمعلومات . واتبع عمرو بن العاص محور مجدل – القواصر – بلبيس – عين شمس – أم دنين – بابليون ثم الانطلاق جنوباً الى النوبة وشمالاً الى الدلتا ثم متابعة التقدم على المحور الصحراوي الغربي حتى الاسكندرية .. وكان تحديد عمرو بن العاص لهذا المحور ،هو من العوامل الحاسمة لنجاح الاعمال القتالية في فتح مصر ..

– ترى ماذا كان سيحدث لو اتبع عمرو بن العاص المحور الساحلي حتى الوصول الى الاسكندرية ؟

١ – كان سيتعرض الى سلسلة غير محدودة من المقاومات التي تستنزف قوته .

٢ – وكان سيجابه قوة المقاومة الرئيسية في الاسكندرية مما سيضع قواته في مأزق خطير .

بينما استطاع في مسيرته على المحور الذي اختاره تحقيق ما يلي :

١ – فصل القبط عن البيزنطيين ، بمهاجمة نقاط الضعف قبل الاصطدام بالقوة الرئيسية .

٢ – تكوين قاعدة بشرية وادارية متينة تستطيع أن تقدم له دعماً كبيراً في متابعة العمليات .

٣ – عزل المقاومة الرئيسية في الاسكندرية عن كل دعم أرضي وتجريدها من كل امكانات في الامداد والتموين .

٤ – الاحتفاظ بقوته ،وحشدها في المناطق التي يريدها وفرض المعركة على العدو .

ان اتباع هذا المحور من قبل قوات عمرو بن العاص يذكرنا بالمحور الذي اتبعته القوات الانكليزية ـ الفرنسية أثناء عدوان عام ١٩٥٦ ، حيث تجنبت هذه القوات الاصطدام بالمدن الرئيسية واختارت محور قناة السويس – الطريق الزراعي ، بهدف الابتعاد عن كل مقاومة كبيرة ..

٢ – الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة :

– وضع « استالين » مبدأ استقرار المؤخرات في طليعة المبادىء الواجب اتباعها لاحراز النصر في الحرب، وقد حرص على تطبيق هذا المبدأ في كل معركة من معارك حرب التحرير الوطنية العظمى ، ١٩٤٢ – ١٩٤٥ ..

– وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد عرف هذا المبدأ وحرص على تطبيقه في جميع أعماله ، فأصدر أوامره بالتوقف عند حدود النهر – نهر دجلة – وعدم التوغل في بلاد فارس حتى يتم الانتهاء من تكوين المجتمع العربي ـ الاسلامي الجديد والانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة ..

– وأصدر أوامره أيضاً بالتوقف عند « أطرابلس » وعدم تجاوزها للتوغل في « افريقية » حتى تتم عملية بناء المجتمع بحيث يمكن الانطلاق بعدها ومتابعة الفتوحات ..

– هذا على المستوى الاستراتيجي ..

– أما على المستوى التكتيكي، فمن الواضح جداً أن عمرو بن العاص قد طبق هذا المبدأ بدقة تامة حتى انه لم يتقدم من موقع إلى موقع آخر إلا بعد أن يصبح على ثقة تامة بقدرته على الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة .. وان هذا يوضح مبرر الابطاء في مسيرة العمليات حتى ان عملية الفتح استغرقت فترة عامين مما اضجر الخليفة عمر بن الخطاب ودفعه إلى استعجال عمرو بن العاص لانجاز فتح مصر ..

– حاصرت قوات العرب المسلمين فرما لمدة شهر وحاصرت بلبيس شهر وحاصرت بابليون أربعة أشهر ، كما حاصرت الاسكندرية أربعة أشهر فاذا

ما أضيف إلى مجموع هذه الفترات المستقطعة المدة الضرورية للسير ، وللمعارك التي تم تنفيذها في بعض المواقع فان هذه الفترة تصل إلى السنة .. ومعنى ذلك ان عمرو بن العاص لم يكن ينتقل من موقع إلى موقع آخر قبل اكمال اعادة تنظيم قاعدة انطلاقه ، وارساء دعائم المجتمع الجديد بحيث يتابع تقدمه من قاعدة مأمونة لا تتهددها أعمال القتال ..

- لقد كان أخذ عمرو بن العاص بمبدأ الحرص على استقرار المؤخرات من العوامل الأساسية والحاسمة في نجاح الأعمال القتالية التي خاضتها قوات العرب المسلمين خلال فتح مصر ..

٣ - المباغتة :

- التطور الدائم من طبيعة الحرب والمباغتة دستورها وقانونها، ولعل اجماع القادة العسكريين والاستراتيجيين في العالم كله على وضع « المباغتة » في المرتبة الأولى من مبادىء الحرب هو أفضل شاهد على أهميته وعلى دوره الحاسم في احراز النصر .

- اعتمد عمرو بن العاص مبدأ المباغتة وسيلة في عملياته كلها ، فابتعد عن المناطق المأهولة في سيناء خلال تقدمه من العريش الى الفرما بهدف تحقيق المباغتة . ويظهر ذلك من خلال حديث يوقنا الذي أسلم خلال فتوح الشام حيث قال لعمرو :

[.. انك تريد ان تدهم مصر على حين غفلة من اهلها وانا ممن يمكنني ذلك .. ثم سار ليلاً من رفح يطلب الفرما ، ولم يقرب العريش ولا الفاربا وكلها حصون عامرة ..] (١)

- واعتمد عمرو بن العاص أسلوب المباغتة لتحطيم تفوق العدو العددي ، فقد حرص ابن العاص على جمع كل المعلومات الممكنة عن العدو وعن طبيعة

---

(١) فتوح الشام ، الواقدي ٢ - ٤٤ .

الأرض وعندما توفرت لههذه المعلومات قام بنصب كمينه في عين شمس واستطاع تحقيق المباغتة التي مكنته من تدمير قوات هجوم العدو بصورة تامة تقريباً ، وان تدمير هذا الهجوم هو الذي قضى على كل محاولة لهجوم الروم ضد قوات المسلمين بسبب ما تكبده الروم من الخسائر الفادحة في هجومهم الفاشل ..

ـ وكان عمرو بن العاص يهتم اهتماماً كبيراً بالاستطلاع حتى إذا عجزت وسائله عن تحقيق ما يريده ذهب بنفسه لإجراء الاستطلاع الشخصي وقد تعرض أحياناً لخطر كبير تهدد حياته بسبب هذه المجازفة ، وان نجاته في أحدى محاولات الاستطلاع هي السبب الذي جعله يقسم في كثير من الأحيان فيقول : [لا ، والذي نجاني من القبط ..] [1] وكان استطلاعه لنقاط ضعف العدو ، واستثمار نتائج هذا الاستطلاع لمباغتة العدو من العوامل الأساسية فيما أمكن له تحقيقه من نجاح ..

ـ لقد تم اقتحام أسوار « بابليون » وتحقيق المباغتة بفضل استطلاع الزبير ابن العوام ومعرفة نقاط الضعف واستثمارها .

ـ وأمكن اقتحام أسوار « الاسكندرية » بفضل الحرص على تحقيق المباغتة.

ـ وأمكن اقتحام « اطرابلس » بفضل استخدام المباغتة . وكذلك بالنسبة للهجوم المباغت على سبرت ..

ـ ان المهارة في استخدام مبدأ « المباغتة » من العوامل الحاسمة فيما حققه العرب من انتصارات ، وكان عمرو بن العاص من القادة الذين عرفوا أهمية المباغتة وأتقنوا استخدامها .

٤ ـ الحفاظ على الهدف :

يضع الأمريكيون في استراتيجيتهم مبدأ الحفاظ على الهدف في طليعة مبادىء الحرب ، ويشمل الحفاظ على الهدف مفهومين أولها الحفاظ على الهدف الذي عن

---

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٥٩ ـ ٦٣ ـ ١١٣ .

أجله نشبت الحرب وذلك على أساس نظرية كلوزوتيز في أن الحرب استمرار للسياسة والديبلوماسية لكن بوسائل أخرى ، وثانيها الحفاظ على الهدف في مسرح العمليات ..

– كان هدف العرب المسلمين من حروبهم نشر الدعوة الاسلامية . وقد وضع الرسول الأعظم المبادىء التي نزل الاسلام بها في موضوع الحرب موضع التنفيذ فكانت :

١ – الإسلام . ٢ – الجزية . ٣ – الحرب .

والتزم المسلمون بهذه المبادىء ..

– عندما وصلت قوات العرب المسلمين إلى مصر ، جرت اتصالات بين عمرو بن العاص وبين المقوقس حاكم مصر ، وأرسلت الوفود من الطرفين لاجراء حوار هدفه التوصل الى حل وسط يرضي العرب المسلمين ويقبل به الروم، لكن الوفود العربية أصرت على مواقفها والتزمت بمبادئها ، وكان جواب عبادة بن الصامت للمقوقس عندما بذل محاولته الاخيرة لحمل المفاوضين على التساهل قوله :

[.. لا ورب السماء ، ورب هذه الأرض ، ورب كل شيء ما لكم عندنا خصلة غيرها .. فاختاروا لأنفسكم ..]

فما كان من المقوقس إلا أن تراجع أمام هذا التصميم فقال لمستشاريه ناصحاً :

[.. اطيعوني واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم من طاقة ، وان لم تجيبوا اليهم طائعين لتجيبنهم الى ما هو اعظم من هذه كرهاً ...] (١)

ويظهر تصميم عمرو بن العاص في الحفاظ على الهدف – أثناء العمليات القتالية – من خلال اصراره على تحقيق الأهداف وإزالة المواقع واحتلال المدن الواقعة على محور عملياته ، وعدم الانحراف الى أهداف تبادلية أو تحويل محور الجهد

....

(١) فتوح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٥٩ – ٦٣ – ١١٣ .

الرئيسي بناء على المقاومات التي جابهه بها العدو .. ويظهر هذا التصميم بشكله الواضح من خلال أعمال الحصار الطويلة في بابليون والاسكندرية بصورة خاصة وعدم الانتقال الى مراحل أخرى قبل إكمال المراحل السابقة وانجازها بصورة تامة.

– ان تصميم عمرو بن العاص في الحفاظ على الهدف، والتزام القادة بأهداف حرب المسلمين وعناد المسلمين في قتالهم لتحقيق هدفهم من الحرب، كانت من العوامل التي مهدت للنصر ..

٥ – وحـــدة القيادة :

– يضع جون فوللر ضرورة وحدة القيادة في القتال واحداً من مبادىء الحرب، كما تضع العقيدة السوفيتية هذا المبدأ من المبادىء الأساسية للحرب. (١)

– كانت القوات العربية – في مسرح العمليات – تخضع لقيادة واحـــدة، وكانت القوات الاحتياطية أو قوات الدعم تبقى تحت أمرة قيادتها خلال الانتقال من مسرح عمليات الى مسرح آخر أو من جبهة الى أخرى ثم تضع نفسها تحت تصرف قائد مسرح العمليات أو الجبهة التي تلتحق بها. وهكذا فعندما تقـدم الزبير بن العوام على رأس قوات الدعم ووصل الى مصر، وضع نفسه وقوته تحت تصرف عمرو بن العاص، وكانت وحدة القيادة في عمليات قتال العرب المسلمين من العوامل الحاسمة في نجاح عملياتهم.. وإذا أجريت مقارنة من حيث أسلوب العمل القيادي بين قيادة القوات العربية في مصر وبين قيادة القوات المدافعة عن مصر نجد أن القيادة الأولى موحدة بينما نرى أن الثانية موزعة بين المقوقس حاكم

....

(١) جون فوللر، ولد عام ١٨٧٨، جنرال ومفكر عسكري، بريطاني الجنسية، اشترك في حرب البوير ١٨٩٩، اختص في الحرب العالمية الاولى باستخدام الدبابات، ثم اصبح رئيساً لشعبة عمليات الدبابات. في عام ١٩٢٦ عين معاوناً لرئيس هيئة الأركان البريطانية. ترك الجيش عام ١٩٣٣، تفرغ للانتاج الفكري العسكري وكان معلقاً مرموقاً خـــلال الحرب العالمية الثانية. من أهم كتبه: الدبابات في الحرب العالمية و«التسليح والتاريخ» المذهب العسكري الاسرائيلي – هيثم الكيلاني ٤١٧.

مصر وبين قيادة القوات البيزنطية في الاسكندرية ، وهي المرتبطـة مباشرة بالقيادة العامة في القسطنطينية ، هذا علاوة على القيادات المحليـة والقيادات المستقلة ، كقيادة بابليون ،وقيادة بلبيس وقيادة الفرما بالاضافة لقيادة الارطبون الذي التحق بمصر معقوته بعد فتح الشام،وهزمه عمرو بن العاص في بلبيس وقتله.

– كانت جميع هذه القيادات تتمتع باستقلال في العمل وبحرية في التصرف بعيداً عن اشراف القيادة العامة ، ومما لا ريب فيه هو أن توزع السلطات القيادية قد ارتبط بتوزيع القوات المقاتلة أيضاً مما أصبح متناقضاً مع ضرورة العمـل وفق مخطط عمليات موحد .. وكان لهذا التوزيع في القوى والامكانات دور هام في مساعدة العرب على خوض معـارك منفصلة ، وتحطيم قوات خصومهم على مراحل ، مما أسهم إلى حد بعيد في تحقيق النصر النهائي ..

– لقد كانت وحدة قيادة العرب المسلمين مقابل تعدد قيادات القوات المدافعة عن مصر من العوامل الأساسية والحاسمة في فتح مصر ..

٦ – كفاءة افراد القيادة العامة :

– اعتمد ستالين جوزيف ، رئيس مجلس السوفييت الأعلى في الحرب العالمية الثانية مبدأ كفاءة افراد القيادة العامة ، كعامل اساسي من عوامل النصر في الحروب وكواحد من مبادئها ..

وتأخذ كثير من الدول بهذا المبدأ بحيث لا تسلم قياداتها الا على اساس الكفاءة والامكانات .

– وفي تاريخ جيوش العالم ، تقرير لواقع دور القيادات العربية الاسلامية في الفتوح حيث نطالع :

[.. كان قادة هـذه الجيوش الصغيرة ، على مستوى عال من الكفاءة ، وباندفاع من الايمان الجديد عرفوا كيف يقودونها الى النصر ، وكانت نواة المؤمنين التي شكلها محمد ﷺ ،احتياطاً ممتازاً لـ « كوادر » القيادة » ، ويعود

الفضل في اختيارها الى هذا القائد العظيم اذ انه هيأ كل فرد منها للمكان وللمجال الذي سوف يشغله ...] (١)

—*—

– وضع الرسول القائد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم أسس « مدرسة الحرب » وعلم أتباعه فن الحرب وأسلوب قيادة الرجال فتخرج من هذه المدرسة خلال فترة قصيرة من عمر الزمن نخبة قيادية دانت الدنيا لها .. وكان الرسول القائد يضع في اختياره لقادته عامل الكفاءة والقدرة في المرتبة الأولى وأثبت هؤلاء أنهم كانوا عند حسن ظن نبيهم بهم ..

وجاء الخلفاء من بعده فاتبعوا الأسلوب ذاته وقلدوه تقليداً ذكياً يتوافق مع الواقع ومع متطلبات الفترة التي يعيشونها ومع التطورات المحتملة لمسيرة الأحداث.

– قال الخليفة عمر بن الخطاب عندما رأى عمرو بن العاص يدخل المسجد وقد حضر من مصر الى المدينة فوصلها والخليفة عمر يخطب في الناس :

[هذا عمرو بن العاص قد اتاكم ، ما ينبغي لأبي عبد الله ان يمشي على الارض الا اميراً ..] (٢)

– وأرسل الخليفة عمر قوات لدعم عمرو بن العاص بقيادة الزبير بن العوام ومعه رسالة جاء فيها :

[.. اني قد امددتك بأربعة آلاف رجل على كل الف منهم رجل مقام الألف .. الزبير بن العوام ، والمقداد بن عمرو ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة ابن مخلد ...] .

– **لقد أبرزت معارك فتح مصر مجموعة من القادة ، كما أظهرت امكانات هؤلاء القادة للعمل وفق مبادأتهم ، وكان نجاح عمرو بن العاص في تركيز الجهد**

(١) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية ، عدد ٦ و ٧ .
(٢) الاصابة ٥ ـ ٢ ، ابن الحكم ٢٤١ ، اليعقوبي ٢ ـ ١٩٧ .
(٣) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ٢ ـ ٢٩ .

على محور العمليات الرئيسي وفي حشد القوات ، وفي تقسيم القطاعات بين القادة بشكل واضح بعد فتح بابليون ـ من أجل اكمال عملية الفتح ـ مع تحديد الواجبات لكل منهم ضمن قطاعاتهم هي من بعض ما جعل عمرو بن العاص يحتل مكانته القيادية بجدارة .

ـ وكان إقدام الزبير بن العوام على إجراء استطلاع دقيق وشخصي ثم القيام باقتحام أسوار بابليون وقيادته القوات بحزم وكفاءة حتى منطقة القتال هي مما أعطى الزبير دوراً هاماً في عمليات فتح مصر .

وكان نجاح عبادة بن الصامت في المفاوضات مع المقوقس ثم في فتح الاسكندرية مما جعله يحتل مكانة مرموقة في صفوف القادة الذين يعرفون ما يريدون ويصممون على تنفيذ ما يقررونه .

لقد اضطلع خارجة بن حذافة بواجب تحرير قرى الصعيد ، وعمل عبد الله ابن حذافة السهمي في تحرير عين شمس ، وعمير بن وهب الجمحي في تحرير القسم الشرقي من الدلتا ، وعقبة بن نافع الفهري في فتح زويلة ، وعتبة بن عامر في فتح بقية قرى الدلتا ، وعبد الله بن عمرو بن العاص في فتح الكريون ، ووردان في تدمير « خربة وردان » ، وكان لنجاح هؤلاء جميعاً وغيرهم برهان واضح وأكيد على ما ينفردون به من مزايا قيادية ، وما يتمتعون به من امكانات قتالية .

٧ ـ الهجوم :

ـ يحتل الهجوم المرتبة الثانية في سلم مبادىء الحرب التي يعتمدها الأمريكيون ، وتعتمد جميع القوات المسلحة في العالم كله مبدأ الهجوم ، كأول مبدأ من أجل تحقيق النصر في الحرب ، ولقد جاءت التطورات التقنية المتتابعة في فن الحرب لخدمة هذا المبدأ .

ـ ان الهجوم هو الوسيلة الوحيدة لحسم الصراع المسلح في صالح الطرف الذي يقوم بالهجوم ، وليس الدفاع سوى وسيلة مرحلية للانتقال بعدها إلى الهجوم . وكان القادة العرب يعتمدون أسلوب التعرض والقيام بالهجوم في جميع

أعمالهم القتالية ، ولعل العرب هم أول من مزج الدفاع بالهجوم في أعمال تنظيم الروابط والمسالح والثغور ، وان أعمال الصوائف والشواتي والهجمات المتكررة والدورية للدفاع عن الحدود هي أفضل شاهد على ذلك .

– وان استخـــدام العرب المسلمون للهجوم وسيلة في حروبهم ساعدهم على الاحتفاظ بالمبادأة بحيث لم يتخلوا عنها ولم يتركوها لخصومهم فكانوا يضيعون خصومهم أمام مواقف جديدة باستمرار ويرغمونهم على توزيع قواتهم فيخوضون المعركة في المكان والطريقة التي يريدون ..

– وطبق عمرو بن العاص مبـــدأ الهجوم في عملياته جميعاً ، واستخدمه بصورة خاصة في فتح الاسكندرية الثاني حيث ترك العـدو يغادر الاسكندرية ويتقـــدم في اتجاه الجنوب ثم فرض عليه المعركة فدمر قواته خارج أسوار الاسكندرية وتحصيناتها ثم حاصر المدينـة ونظم هجوم بحري – بري واقتحم الأسوار والتحصينات وتم له تدمير مقاومات العدو وارغامه على الاستسلام ..

– ان اعتماد العرب للهجوم أسلوباً في حروبهم هو الذي مكنهم من انجـاز ما أنجزوه وتحقيق ما أرادوه منفتوحاتخلال فترة قصيرة جداً منعمر الزمن..

٨ – اجبار الخصم على بعثرة قواته :

وضع ليدل هارت[١] مبدأ [اجبار الخصم على بعثرة قواته بواسطـــة التقرب غير المباشر] في طليعة مبادىء الحرب .

ـ كان المقوقس حاكم مصر ، وجهاز القيادة البيزنطية يتوقع دونما ريب قيام العرب بالهجوم على مصر بعد أن استقرت قواتهم في الشام . ولكن هذه القيادة لم تكن تتوقع اتجاه محور هجوم العرب المسلمين ، كما كانت تجهل حجم القوات

---

(١) ليدل ـ هارت ـ باسيل هنري،ولد عام ١٨٩٥ ، بريطاني الجنسية ،مؤلفواستراتيجي معروف ، تدرج في الرتب العسكرية حتى وصل الى ممارسة عمل مستشار وزير الحربية ، ثم أصبح مراسل عسكري لصحيفتي الديلي تلغراف والتيمس اللندنية ، له مؤلفات كثيرة ..

التي سيتم زجها على هذه الجبهة . ثم حملت فلول القوات التي هزمت أمام زحف العرب المسلمين والتجأت إلى مصر ، حملت معهـا كثيراً من المعلومات عن قوة العرب وإيمانهم وقدرتهم القتالية مما أحبط ارادة القتال في مصر سواء على مستوى القيادة أو على مستوى القوات ..

ـ لجأت القيادة في مصر إلى توزيـع قواتها وإلى دعم الحاميات المدافعة عن المدن والمواقع المحصنة واحتفظت بالقوة الرئيسية في الاسكندرية ، واتبـع عمرو ابن العاص أسلوب تحطيم المقاومات الثانوية قبـــل الاصطدام بالقوة الرئيسية ويعتبر عمله هــذا تطبيقاً لمبدأ اجبار الخصم على بعثرة قواته بواسطة التقرب غير المباشر ..

كما أن سلوك عمرو بن العاص محور غرب الدلتا للهجوم على الاسكندرية تطبيق ثان لهذه الاستراتيجية التي أثبتت أهميتها فيما تم تحقيقـه من انتصارات.

٩ ـ الحشد ، ومرونة الحركة :

كانت المدينة المنورة في الجزيرة العربية هي المنطقة الأولى لحشـــد القوات المتوجهة نحو الشمال . وأصبحت الكوفة والبصرة قاعدتي الحشد لغزو فارس كما أصبحت دمشق قاعدة الحشد لتوجيه القوات نحو الشمال والغرب .

ـ وكانت قواعد الحشد هذه تبعد مسافة غير قصيرة عن مسارح العمليات المختلفة ، ونتيجة لذلك كانت حركة القوات من قواعـــد الحشد إلى مناطق العمليات تشكل عبئاً ثقيلاً يرهق القيادات والقوات على حد سواء . لكن ميزات القوات العربية ـ الاسلامية ومن أولها الصبر وقوة الارادة وخفة الحركة والمرونة في الانتقال قد ساعدت الجيوش العربية على حرق المراحل الزمنية والمكانيـة وتجاوز الصحارى والمفاوز للوصول الى أهدافها وهي على استعداد كامل لخوض المعركة .. وكانت خفة الذيل الاداري وقلة متطلبات المقاتلين من العوامـل المساعدة على مرونة الحركة ..

ـ كان عمرو بن العاص من القادة الذين ينجزون حشد قواتهم بسرعة فوق مسرح العمليات . كما كان يعيد تنظيم قواته بسرعة بعد كل معركة من أجل زجها في الواجبات التالية . وكانت خفة الحركة والكفاءة العالية في حشد القوات، سواء في التحرك ما بين مسارح العمليات المتباعدة أو حتى بين الجبهات المختلفة من الميزات التي انفردت بها القوات العربية ومن العوامل الحاسمة التي ساعدت على النصر ..

١٠ – المطـــاردة :

ـ رابع المبادىء الخمسة التي وضعها كلوزويتز في سلسلة مبادىء الحرب بينما وضع ماوتسي‌تونغ هذا المبدأ في المرتبة الثانية من مبادىء الحرب ..

كان عمرو بن العاص لا يترك معركة تنتهي دون أن يرسل مفارز الفرسان الخفيفة لمطاردة مفارز وأفراد العدو أثناء انسحابهم قبل أن يتمكنوا من تشكيل مقاومات جديدة أو الانضمام إلى حاميات ومواقع أخرى .

ـ طاردت مفارز العرب المسلمين فلول القوات المنسحبة مع انتهاء معركة بلبيس وتكررت مرة أخرى في معركة عين شمس ، وتمت مطـاردة العدو بصورة قوية في فتح الاسكندرية الثاني ، وكانت المطاردة الحاسمة من العوامل الأساسية التي أحبطت إرادة القتال في صفوف القوة المدافعة عن مصر ..

ـ وكانت مطاردة فرسان العرب المسلمين لخصومهم ذات دلالات خاصة ، اضافة لدورها في عدم تمكين العدو من تشكيل مقاومات جديدة ، ذلك انها برهنت للعدو وأقنعته بجدية هؤلاء المقاتلين وتصميمهم على تنفيذ عملياتهم القتالية حتى تحقيق النصر النهائي .

١١ – التموين من مؤونة العدو نفسه :

يضع ماوتسي تونغ مبدأ التموين من مؤونة العدو نفســـه ضمن المبادىء الأساسية لإحراز النصر في الحرب ..

ـ وكان لا بد لعمرو بن العاص من الاعتماد في تموينه وامداده على ما تحصل عليه قوات العرب المسلمين خلال معاركها لا سيما وان قواعد التموين والامداد قد أصبحت بعيدة كل البعد عن مسرح العمليات في مصر .

ـ لكن عمرو بن العاص لم يتوقف عند حدود الاكتفاء بالتموين من مؤونة العدو نفسه بل اتفق مع المقوقس على قطع هذه الامدادات عن القوات البيزنطية، كما أنه طبق عملياً أسلوب الحصار وقطع الامدادات عن الحامية المدافعة عن الاسكندرية ، وبذلك نجح في احباط ارادة القتال عند العدو ، وارغامه في النهاية على قبول نتائج المعركة الحاسمة ..

كان نجاح عمرو بن العاص رائعاً في اجتذاب جماهير شعب مصر اليه وحملهم الوقوف الى جانبه في معركة الامداد والتموين وحجبها عن قوات بيزنطة ..

١٢ ـ الحرب النفسية :

أمر المقوقس النساء أن يقمن على سور « بابليون » مقبلات بوجوههن الى داخله، وأقام الرجال بالسلاح مقبلين بوجوههم الى المسلمين ليرهبهم بذلك ، فأرسل اليه عمرو :

[... انا قد رأينا ما صنعت وما بالكثرة غلبنا من غلبنا ، فقد لقينا هرقل ملككم فكان من امره ما كان ..] فقال المقوقس لأصحابه :

[.. صدق هؤلاء القوم ، اخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى ادخلوه القسطنطينية فنحن اولى بالاذعان ..] [(١)]

تلك هي واحدة من صور الحرب النفسية ، حاول المقوقس إرهاب المسلمين، فجابهه عمرو بن العاص بحرب أقسى ، حرب فيها الاقناع كل الاقناع ، مما أحبط خطة المقوقس وانقلب السلاح النفسي ضد مستخدمه ..

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ١٠٨ .

- كان عمرو بن العاص من القادة الذين يستخدمون الحرب النفسية لإرهاب عدوه واحباط روح القتال لديه .. وكان يعتمد في حربه على العقل والسيف صنوان لتحقيق هدف واحد هو تحقيق النصر الحاسم في نهاية المعركة .. وكان احتفاظه بوفد المقوقس خلال يومين لاطلاعه على أحوال المسلمين ضمن اطار خطة الحرب النفسية التي استخدمها عمرو بن العاص في فتح مصر ..

١٣ - التسليح :

[... كان المقاتلون المسلمون الاوائل في بداية الامر يفتقرون الى السلاح فكان عليهم ان يناضلوا نضالا لينتزعوا السلاح من ايدي اعدائهم ، ولما لم يكن في شبه الجزيرة العربية الا صناعة بدائية تنتج غالباً اسنة الرماح والسهام فان اجود الاسلحة كان مصدرها الخارج] (١) .

- لقد انتزع العرب المسلمون أسلحتهم من خصومهم ، وكانت كل معركة تزيد إلى رصيدهم مزيداً من الأسلحة في نوعها و كميتها حتى أصبح لدى المسلمين تسليحهم الجيد .

- وكان الفرسان من الأسلحة الأساسية في جيوش العرب المسلمين وكانوا يجيدون استخدامها **[كانت العرب امهر مربي الخيول اطلاقاً وفرساناً مهرة خفافا ..]** (٢)

- وكان السيف هو السلاح الأول في أيدي المقاتلين ، وقد أجاد العرب استخدامه على أفضل وجه **[.. كانت العرب تطعن بالسيف كالرمح وتضرب به كالعمود ، وتطعن به كالسكين وتجعله سوطاً ومقرعة ، وتتخذه جمالا في الملأ وسراجاً في الوحدة، وجليساً في الخلاء وضجيعاً للنائم ورفيقاً للسائر]** (٣).

- وعلاوة على الأسلحة الفردية فقد تطور تسليح جيوش العرب المسلمين ،

....

(١) و (٢) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية العددين ٦ و ٧ .
(٣) حلية الفرسان وشعار الشجعان ، ابن هذيل ص ١٨٧ .

بحيث استخدموا المنجنيق في حصار الاسكندرية ، كما استخدموا بقية الأعتدة الضرورية للهجوم على التحصينات واختراق المواقع المنيعة وعبور الأنهار ..

١٤ - الروح المعنوية للمقاتلين :

- انطلق العرب المسلمون من جزيرتهم وفتحوا الشـــام والعراق ثم تابعوا عملياتهم شرقاً في اتجاه فارس وغرباً في اتجاه مصر ، وكان تعداد جيش عمرو بن العاص أربعة آلاف مقاتل ثم دعم بأربعـــة آلاف مقاتل ، وبقي تفوق العدو ساحقاً في العـــدد وفي التسليح ، فكيف استطاع عمرو بن العاص فتـــح مصر بهذه القوات ؟..

[كانت غلبة المسلمين تعود لايمانهم في قائدهم ونبيهم وتعاليمه[1] هـذه التعاليم قلبت رأسا على عقب تقاليد هؤلاء الرجال الفرديين ..]

وكتب أميان مارسيلان يصف الاعراب :

[.. انهم حليف خطر وعدو رهيب ، كالصقور البزاة التي تنقض على فريستها مثل البرق وسرعان ما تحملها وتغيب بها ..] ..

- ان العامل الأول في انتصار المسلمين يتمثل في إيمانهم العميق بتعاليم دينهم وبواجبهم في حمل رسالة الاسلام الى أرجاء الدنيا .. وكان هذا الإيمان يعوض كل قصور في العدد والتسليح [**... ومهما كان من شأن عدم الكفايات هذه فان الايمان بالعقيدة الجديدة دفعت جنود الاسلام كحد لا يقاوم لغزو المناطق التي كان يسيطر عليها الفرس والبيزنطيون ...**][2]

- لقد تجاوز المقاتلون المسلمون وهم قلة - حدود الصحراء - وتحملوا قيظ الحر وقر البرد وعانوا التعب والجهد ، وجابهوا الأخطار ، وتعرضوا للقتـل ، وقاتلوا ، وقتل منهم من قتل ، وانتقلوا من معركة الى معركة ومن اقتحـام خطر الى اقتحام ما هو أخطر ، وليس لهم من الزاد والتسليح سوى الإيمـــان

....

(١) و (٢) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية العددين ٦ و ٧ .

بقضيتهم واعتقادهم الثابت بتعـاليم دينهم ورسالة نبيهم محمد بن عبد الله ﷺ .

ـ كان على قيادة قوات العرب المسلمـين رجال مؤمنون ، أثبتوا كفاءتهم القيادية . وطبقوا في حروبهم مبادىء الحرب الصحيحة منطلقين في ذلـك من عقيدتهم الدينية وتحليلهم الصحيح للمواقف التي يجابهونهـا ولكن المبادىء كل المبادىء ، والمخططات كل المخططات تصبح مجرد كلمات جوفاء إذا لم يكن إيمان المقاتلين من أجلها عميقاً لا يتزعزع .

ـ ان القوة المعنوية هي السلاح الذي انتصر به المسلمون ، وان مصادر هذه القوة تكمن في تعاليم الدين الاسلامي :

١ ـ فالانضباط الطوعي للتسلسل القيادي هو من تعاليم الاسلام [أطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم ..] .

٢ ـ ووحـدة السلاح وأخوته هي من تعاليم الاسلام [ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص] (١)

٣ ـ والاستعداد للقتـال هو أمر من الله تعالى [وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ..] ..

ـ كان إيمان المسلمين بهذه المبادىء ، هو مصدر قوتهم ، كانوا يعتزون بالله ويثقون بنصره ، وكانوا يؤمنون بأن السلام تحت ظلال الرماح ، وان الجنـة تحت ظلال السيوف ..] ومن هـذا الإيمان انطلقت ارادتهم للفتح ، فكان لهم ما يريدون . ـ وأيدهم الله بنصره ـ .

١٥ ـ انشاء علاقات اجتماعية جديدة :

ـ لم تكن حروب العرب المسلمين هدفاً في حد ذاتها ، وإنمـا كانت وسيلة لتحقيق غاية ، كانت حروباً هادفة ، عادلة ، نبيلة ..

....

(١) سورة الصف الآية ٤ .

– كانت هادفة ، لأنها تريد نشر القيم والتعاليم الاسلامية واقامة عالم جديد يسوده المحبة ، والاخاء والحرية والسلام والخير .

– وكانت عادلة لأنها تريد تطوير العالم من خلال تحرير الانسان حتى يعيش حياته بعيداً عن الخوف والظلم ..

– وكانت نبيلة لأنها لم تستخدم وسائل غير مشروعة ثم لأنها كانت تلتزم الصدق في القول والعمل ..

[كانت الشعوب تستقبل بفرح جند الخلفاء بعد ان حملت جسيم الاعباء واضحت غير مكترثة ان لم تكن معادية للدولة التي تضطهدها ، وكانت الشعوب في عدد من المناطق قد وصلت الى مرحلة لم تتحمل معها حالة القهر ..] (١)

ولهذا استقبلت هذه الشعوب الهجوم العربي بالفرح ونظرت للجنود العرب على أنهم محررين .

[لقد فوجئت بيزنطة ، ولكن ذلك لا يفسر كل شيء ، لقد كانت تلك الجيوش القليلة العدد كافية لتلك الفتوحات ، فقد تقبلتها الشعوب المغلوبة لأن ثورة اجتماعية واقتصادية رافقت الفتح ورأت فيها الشعوب خيراً لها..] (٢)

عندما احتل العرب المسلمون مصر ، كان أول ما فعله عمرو بن العاص اطلاق الحرية الدينية للاقباط ، واستقبل البطريرق بنيامين بعد أن بقي هذا متغيباً زهاء ثلاث عشرة سنة وأعاده إلى كرسيه وأمر باستقباله عندما قدم الاسكندرية أحسن استقبال ..

وكان أيضاً أن خير عمرو بن العاص السكان فمن أسلم منهم صار له ما للمسلمين من الحقوق وعليه ما عليهم من الواجبات ، ومن بقي على دينه فرضت عليه جزية صغيرة مقدارها ديناران على من بلغ الحلم منهم ، واستثنوا النساء والشيوخ والأطفال .

....

(١) و (٢) تاريخ جيوش العالم ، يوسف يازجي ، المجلة العسكرية العددين ٦ و ٧ .

– ووضع عمرو بن العاص مصلحة المصريين نصب عينيه ولم يأل جهداً في اكتساب محبتهم فدانوا له بالطاعة وأحبوا ولايته ..

– وترك العرب الأرض للمصريين وأخذوا على عاتقهم حمايتهم ، فشعروا باستقرار وأمن كانوا قد افتقدوه منذ عهد بعيد ..(١)

– وعمل العرب على فرض الأمن والنظام وأقاموا جهاز الادارة ووضعوا القضاة واهتموا بالأعمال الهندسية لتنظيم أعمال الري وإنشاء الجسور والسدود .

– لقد سمع عمرو بن العاص وصية الرسول الأعظم : استوصوا بالقبط خيراً، فان لهم ذمة ورحماً ، فطبقها نصاً وروحاً ، وبذل ما بوسعه لتحقيق الرفاه عن لشعب مصر ..

– كان مقدار الخراج في عهد عمرو ألفي ألف ، وعندما تولى عبد الله بن سعد ابن أبي سرح ولاية مصر بعد عمرو بن العاص جمع الخراج فكان أربعة آلاف ألف .. وعندما عاتب الخليفة عثمان عمرو بن العاص لتقصيره في هذا الأمر بقوله:

[.. ان اللقاح بمصر بعدك درت البانها ..] .. اجابه عمرو بن العاص: [ذاك لأنكم اعجفتم اولادها ..] (٢) بمعنى أنكم أرهقتم الشعب في مصر بمضاعفة الخراج وعدم التساهل بشأنه ..

– وهكذا لم يكن الفتح العربي الاسلامي لمصر أكثر من وسيلة لبناء المجتمع العربي الاسلامي ، وإنشاء علاقات جديدة بين الشعوب ..

---

(١) تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ١ - ٢٣٨ .
(٢) فتوح البلدان ، البلاذري ٢١٧ .

قراءات

عمرو بن العـــاص

٤٧ ق.هـ – ٤٣ هـ = ٥٧٧ – ٦٦٤ م

[دهاة العرب اربعة : معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد . فأمـا معاويـة فللحلم والاناة ، وأمـا عمرو فللمعضلات ، وأما المغيرة فللمبادهة ، وأما زياد فللكبير والصغير] (١)

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، ويكنى بأبي عبد الله ، وأمـــه سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة ، اصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ واشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها عبد الله بن جدعان ثم صارت الى العاص ابن وائل فأنجبت عمرواً .

– شهد غزوة أحد مع المشركين ثم أسلم مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وذلك في السنة الثامنة للهجرة ، ووثق بـه الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم واسند اليه قيادة سرية لحرب قضاعة ، وكان في هذه السرية رجال من اشراف المهاجرين والانصار ، ثم دعمه بسرية قوتها مائتين وفيها ابو بكر وعمر ، وقال عمرو بن العاص في ذلك :

[.. ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد احداً من اصحابه في حربه منذ اسلمت ..]

....

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٦ .

ـ كان الخليفة ابو بكر يقدر الرجال ، فأسند الى عمرو بن العاص قيادة واحد من الجيوش الاربعة التي وجهها لفتح الشام ، وظهرت كفاءته القيادية في مسيرة العمليات ، وفي فتح فلسطين بصورة خاصة .

ـ ثم تولى الخلافة عمر بن الخطاب ، وكان يقدر عمرو بن العاص فكان يقول اذا استضعف انسان في عقله : [**اشهد ان خالقك وخالق عمرو واحد ..**] ويقصد بذلك ان الله خالق الاضداد .

ـ ولاه الخليفة قيادة العمليات لفتح مصر، وبقي حتى عام ٢٧ هـ ، ثم عزله الخليفة عثمان وكان هذا سبب لانضمامه الى معاوية . ومن اقواله لمعاوية :

[.. ان الكريم يصول اذا جاع واللئيم يصول اذا شبع . فسد خصاصة الكريم واقمع اللئيم ..]

ومن اقواله المأثورة :

[.. ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ، ولكنه يعرف خير الشرين ..]

[موت الف من العلية أقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة ..]

ـ كان له دور كبير في التحكيم ، وفي اقرار معاوية بن ابي سفيان وخلع الخليفة علي بن ابي طالب وما اعقب ذلك من انشقاق في جبهة الخليفة علي وظهور الخوارج ..

تولى بعد ذلك ولاية مصر عام ٤١ هـ ولم يلبث ان توفي بعد عامين ونيف ..

ـ كان عمرو بن العاص ، يقرض الشعر ومنه :

اذا المرء لم يترك طعاماً يحبه ... ولم ينه قلباً غادياً حيث يمما
قضى وطراً منه وغادر سبّة ... اذا ذكرت امثالها تملأ الفما

ومن اقواله لمعاوية :

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل ... به منك دنيا فانظرن كيف تصنع
فان تعطني مصراً فأربح بصفقة ... اخذت بها شيخاً يضر وينفعا

وقال احدهم عنه :

[... صحبت عمرو بن العاص ، فما رأيت رجلا ابين قرآناً ولا اكرم خلقاً ولا اشبه سره بعلانية منه] (١)

—*—

الزبير بن العوام

٣٩ ق. هـ = ٥٨٣ – ٦٥٦ م

[اشجع الناس – ابن الزبير – يغضب كالنمر ويثب وثوب الأسد] (٢)

عمرو بن العاص في حديثه مع الخليفة ابو بكر

– الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الاسدي ويكنى ابا عبد الله وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

– نشأ الزبير نشأة قاسية ، فقد ارادت له امه ان ينشأ صلباً فكانت تضربه ضرباً مبرحاً حتى عاتبها نوفل بقوله : ما هكذا يضرب الولد ، انك لتضربينه ضرب مبغضة ، فارتجزت تقول :

من قال اني ابغضه فقد كذب ‏ ‏ ‏ ‏ وانما اضربه لكي يلب
ويهزم بالجيش ويأتي بالسلب ‏ ‏ ‏ ‏ ولا يكن لما له خبأ مخب
يأكل ما في البيت من تمر وحب

وكان الزبير عند حسن ظن أمه به ..

أسلم وله من العمر ست عشرة سنة فكان من اوائل المسلمين ، وقد اسلم على

---

(١) طبقات ابن سعد ٧ – ٤٩٣ والاصابة ٥ – ٢ وأسد الغابة ٤ / ١١٥ – ١١٦ ، والاستيعاب ٣/١١١٤ ، ولمطالعة المزيد في قادة فتح الشام ومصر اللواء الركن محمود شيت خطاب .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٥ – ٣٦٢ .

ايدي ابو بكر ، ويعد رابع المسلمين او خامسهم من الرجال الاحرار .

– هاجر الى الحبشة وعاد منها الى مكة ، وآخى الرسول الاعظم بينه وبين عبد الله بن مسعود وعاد فهاجر الى المدينة عندما هاجر المسلمون اليها وآخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سلمة بن سلامة بن وقش عندما آخى بين المهاجرين والأنصـار ..

– شهد مع الرسول القائد حروبه جميعاً ، واظهر شجاعة نادرة في الدفاع عن الرسول الاعظم وكان على ميسرته عند فتح مكة .

– وقف بصلابة الى جانب الخليفة ابا بكر الصديق عندما ارتد المرتدون ، وكان من هيئة الشورى وبقي في هيئة شورى الخلفاء من بعده عمر وعثمان .

– شهد معركة اليرموك ، وقـــاد قوات الدعم لفتح مصر ، وفتح حصن بابليون ورفض الولاية عندما عرضت عليه ..

اشترك في فتنة الجمل ، وشعر بخطورة عقابيل هذه الفتنة في تمزق المسلمـين فأراد الانسحاب ، فتعقبـــه عمرو بن جرموز التميمي فطعنه من ظهره فقتله ، ووقفت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوجة الزبير ترثيه فقالت :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة[1] يوم اللقاء وكان غير معرد[2]
يا عمرو لو نبهتـــه لوجدته لا طائشاً رعش الجنان ولا اليد
شلت يمينك ان قتلت لمسلماً حلت عليك عقوبة المتعمد ..
ان الزبير لذو بلاء صادق سمح سجيته كريم المشهد
كم غمرة قد خاضها لم يثنه عنها طرادك ياابن فقع[3] الفرقد
فاذهب فما ظفرت يداك بمثله فيما مضى ممن يروح ويغتدي

كما رثاه حسان بن ثابت بقصيدة جاء فيها :

هو الفارس المشهور والبطل الذي يصول اذا ما كان يوم محجل

---

(١) شديد البأس . (٢) معرد: يفر من الحرب . (٣) الفقع : الفطر ، كناية عن الضعف.

عبد الله بن حذافة السهمي[1]

[... لا ترى اني بكيت جزعاً مما تريد ان تصنع بي ، ولكني بكيت حيث ليس لي الا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله ... كنت احب ان يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة في ، ثم تسلط علي فتفعل بي هذا ...]

قالها عبد الله بن حذافة عندما ألقى ملك الروم امامه احد الاسرى في قدر ماء يغلي بهدف ارهابه . وشهد عبد الله الاسير وعظامه تلوح بالماء المغلي فبكى وقال ما قاله للملك الروم .

عبد الله بن حذافة بن قيس بن سعد السهمي القرشي وأمه تميمة بنت حرثان من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة .. وهو من اوائل المسلمين ، هاجر الى الحبشة ، وكلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل رسالته الى ملك كسرى يدعوه فيها بدعاية الاسلام . كما كلفه الرسول بقيادة سرية في احدى الغزوات ..

– كان مع القوات التي توجهت لفتح الشام ، وأسره الروم في غزوة من غزواتهم القيسارية وتعرض للتعذيب والاضطهاد فما وهن ولا تخاذل ولا ضعف حتى طلب اليه ملك الروم تقبيل رأسه مقابل اطلاق سراحه وثمانين من أسرى المسلمين ففعل . وكان المسلمون يداعبونه بعد ذلك فيقولون له :

[... قبلت رأس علج . فيجيبهم: اطلق الله بتلك القبلة ثمانين مسلماً ..]

– اشتهر عبد الله بالدعابة حتى ان الرسول الاعظم ذاته لم يسلم من دعابته حيث قطع له في احدى الغزوات رباط راحلته حتى يضحك الرسول ويدخل البهجة الى قلبه .. كما اشتهر عبد الله بالكرم والذكاء والغيرة والشهامة ..

---

(١) الاصابة ٤ ـ ٥٥ . اسد الغابة ٣ ـ ١٤٢ . طبقات ابن سعد ٤ ـ ١٨٩ . سيرة ابن هشام ١ ـ ٢٥١ . الاستيعاب ٣ ـ ٨٨٨ . لمطالعة المزيد في « قادة فتح الشام ومصر » اللواء الركن محمود شيت خطاب .

– اسند اليه عمرو بن العاص قيادة بمجموعة قتالية لفتح عـين شمس ففتحها وصالح اهلها واقام بها فأحسن ادارتها وتنظيمها حتى احبه الناس ..

توفي في مصر ، ودفن بمقبرتها في خلافة عثمان بن عفان ..

—★—

خارجة بن حذافة العدوي[1]

؟ – ٤٠ هـ = ؟ – ٦٦٠ م

[.. أردت عمروا وأراد الله خارجة ..]

– عمرو بن بكر –

هو خارجة بن حذافة بن غانم العدوي – القرشي ، وأمه فاطمه بنت عمرو ابن بجرة العدوية – صحابي – ظهر دوره القيادي عندما وجهه الخليفة عمر بن الخطاب مع الزبير بن العوام لدعم عمرو بن العاص في فتح مصر ، وكان واحد من الاربعة الذين عدل الخليفة كل واحد منهم بألف مقاتل ..

قاد خارجة بمجموعة قتالية قوتها خمسمائة مقاتل بمهمة نصب الكمين في ام دنين – الازبكية حالياً – وكان لنجاح هذه القوة في تنفيذ واجبهـــا دور حاسم في احباط ارادة القتال لدى الروم وسقوط بابليون ..

– تولى خارجة قيادة الحامية المدافعة عن بابليون ومصر عندما توجه عمرو ابن العاص شمالاً لفتح الاسكندرية .

– وتولى قيادة بمجموعة قتالية بمهمة فتح الفيوم والاشمونين واخميم والبشر ودات وقرى الصعيد ، ووصلت هـــذه المجموعة حتى اقصى الصعيد « في حدود طيبة » ..

– عندما استقر الامر للمسلمين في مصر ، استوطن خارجة فيهـا ، وتولى القضاء والشرطة وبقي فيها حتى نفذت مؤامرة ١٧ رمضان حيث تعهد ثلاثة

---

(١) اسد الغابة ٢-٧١ . الاصابة ٢-٨٤ . طبقات ابن سعد ٤-١٨٨ . الاستيعاب ٢-٤١٨ .

من الخوارج بقتل الخليفة علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص . وتصادف ان شعر عمرو بن العاص بوعكة اعاقته عن الخروج الى صلاة الفجر ، فكلف خارجـــة بالصلاة في المسلمين ، وعندما وقف خارجة للصلاة باغتــه الخارجي بطعنة من الخلف كان فيها مقتله ، وعندما ألقي القبض على القاتل واقتيد الى عمرو بن العاص وعرف انه اخطأ في اصابة هدفـــه قال : [.. اردت عمرواً واراد الله خارجة ..] واما معاوية فكانت طعنته غـير قاتلة فشفي منها .

وذهب الخليفة علي بن ابي طالب ضحية مؤامرة ١٧ رمضان للسنة ٤٠ هـ .

—★—

عمير بن وهب الجمحي

··· — ٢٤ هـ — ··· — ٦٤٤ م

[رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم ، والله ما أرى ان يقتـل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم ،فاذا اصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فروْا رأيكم ..] (١)

(حديث عمير الى المشركين قبل وقعة بدر ، وقـــد قام
بحده باستطلاع امور المسلمين وعاد فوصفهم لهم)

عمير بن وهب بن حذافة بن جمح الجمحي ـ القرشي ، يكنى ابا امية ، وأمه سخيلة بنت هاشم بن سعيد بن سهم ..

---

(١) الاصابة ٥ ـ ٣٦ . الاستيعاب ٣ ـ ١٢٢١ . سيرة ابن‌هشام ٢ ـ ٢٦١ . اسد الغابة ٤ ـ ١٤٨ . طبقات ابن سعد ٤ ـ ١٩٩ . لمطالعة المزيد في قادة فتح الشام ومصر – اللواء الركن محمود شيت خطاب .

– البلايا جمع بلية : الناقة . – النواضح : الابل ، لسقاية الماء .

– الناقع : الثابت ، الأكيد .

ـ كان سيد قومه في الجاهلية ، وكان من ابطـــال قريش وشيطاناً من شياطينها ، ناصب المسلمين العداء وقام بقيادة حملة الاضطهاد ضـــدهم ، وكلف باستطلاع امور المسلمين قبل وقعة بدر فقام بتنفيذ المهمة وحده وعاد الى قومه فوصف المسلمين ونصحهم بتجنب قتال المسلمين وقدر قوتهـم بدقة ، وعندما وقعت المعركة قاتل بضراوة واصيب بجراح خطرة ، ثم عاد الى مكة وتآمر مع صفوان بن امية على قتل الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، وعندما ذهب لتنفيذ مؤامرته استقبله الرسول واعلمه بما اعتزم تنفيذه واظهر له عجزه عن ذلك فأسلم وصدق اسلامه واستأذن الرسول بالعودة الى قومـــه داعياً للاسلام فأذن له ، وعاد فكان شديد الوطأة على المشركين واسلم على يديه ناس كثير .. وهاجر بعد ذلك الى المدينة وقاتل مع المسلمين في أحد وما بعدها من المعارك والغزوات ، كما اشترك في حروب الردة ، وكان واحداً من القادة الاربعـــة الذين اعتمدهم الخليفة عمر بقيادة الزبير بن العوام لدعم المسلمين في مصر .. وكان لشجاعته دور كبير في انتصار المسلمين سواء في معركتي بابليون والاسكندرية في قيادة عمرو بن العاص او عندما قاد مجموعة قتالية ففتح تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلة ونبام وبوصير ..

مات عمير بعد فتح مصر ، وفي صدر خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

—★—

عقبة بن عامر الجهني [1]

٠٠٠ – ٥٨ هـ – ٠٠٠ – ٦٧٧ م

[.. وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... ألا ان القوة الرمي ... ألا ان القوة الرمي ... ألا ان القوة الرمي ...] .

حديث – مما رواه عقبة بن عامر ..

صحابي مشهور ، واسمه عقبة بن عامر بن عبس الجهني من قضاعة بن مالك ابن حمير ...

شهد عقبة مع الرسول اكثر غزواته .. وقاتل مع المسلمين في فتح الشام وكان رسولهم الى الخليفة عمر يبشره بالفتح . ثم اشترك مع القوة المقاتلة لفتح مصر .

قاد مجموعة قتالية بمهمة فتح منطقة الدلتا . ونجح في تنفيذ واجبه .

– عينه معاوية لقيادة القوة البحرية المصرية المكلفة بغزو البحر سنة ٤٨ هـ .

كان فقيهاً – فصيح اللسان – روى مجموعة من الأحاديث – وعرف بشدة البأس والعناد في القتال – .

—★—

عِبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي [2]

٣٨ ق. هـ – ٣٤ هـ – ٥٨٦ – ٦٥٤ م

[... أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ...]

– عبادة بن الصامت –

– من اوائل الأنصار – ومن النقباء الاثني عشر – شهد مع الرسول الأعظم غزواته ومواقعه كلها – كان صلباً في إيمانه – فتخلى عن حلفائــــه بنو قميقاع

....

(١) الاستيعاب ٣/١٧٣ . الاصابة ٤/٢٥٠ – ٥١ . اسد الغابة ٣/٤١٧ . طبقات ابن سعد ٤/٣٤٣ – ٤٤ و ٧/٤٩٨ .

(٢) الاستيعاب ١/٨٢٥ . الاصابة ١/٩٢ . واسد الغابة ١/١٥٨ . وطبقات ابن سعد ١/٢٩٧ – ٢٢٠ .

عندما حاربوا الرسول وتولى بنفسه إخراجهم من المدينة .

وجهه الخليفة عمر إلى الشام بهدف نشر الدعوة الاسلاميــــة وتعليم القرآن والفقه وحدث خلاف بينه وبين معاوية فارسل الخليفة عمر امراً الى معاويةبعدم التعرض لعبادة او مجابهته . ثم خرج الى مصر مع قوة عمرو بن العاص – وتولى المفاوضات مع المقوقس وكان لعناده وصلابته وقوة حجته دور كبير في احباط ارادة القتال عند المقوقس . وتولى عبادة مهمة فتح الاسكندرية بعـد ان امتنعت على المسلمين فنجح في تنفيذ مهمتـــه . كما اشترك بعد ذلك مع معاوية بن ابي سفيان بفتح جزيرة قبرص .

– توفي في الرملة وقيل ببيت المقدس – .

—★—

من أدب الحروب

مقتل الارطبون (١)

بعد انتصار عمرو بن العاص على الارطبون في موقعة اجنادين. انضم الارطبون الى ايلياء ثم لحق بمصر عند مقدم الخليفة عمر الى الجابية ولحق به من احب ممن ابى الصلح ثم لحق عند صلح اهل مصر وغلبهم بالروم في البحر وبقي بعد ذلك فكان يكون على صوائف الروم والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له ضُريس . فقطع يد القيسي وقتله القيسي فقال . –

فان يكن أرطبون الروم أفسدها ... فان فيها بحمد الله منتفعا
بنانتان وجرموز أقيم به ... صدر القناة اذا ما آنسوا فزعا
وان يكن أرطبون الروم قطعها ... فقد تركت بها أوصاله قطعا

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٦١٢ .

وقال زياد بن حنظلة في فتح القدس : ـ

تذكرت حرب الروم لما تطاولت   وإذ نحن في عام كثير نزائله
وإذ نحن في أرض الحجاز وبيننا   مسـيرة شهر بينهن بلابله
وإذ أرطبون الروم يحمي بلاده   يحاوله قوم هنـاك يساجله
فلما رأى الفاروق أزمان فتحها   سما بجنود الله كيما يصاوله
فلما أحسوه وخافوا صواله   أتوه وقالوا انت ممن نواصله
وألقت اليه الشام أفلاذ بطنها   وعيشاً خصيباً ما تعد مآكله
أباح لنا ما بين شرق ومغرب   مواريث اعقاب بنتها قرامله
وكم مثقل لم يضطلع باحتماله   تحمل عبئاً حين شالت شوائله

—★—

القسم الثاني

الفصل الأول

افريقية الشمالية عبر التاريخ

١ ـ فينيقيا تشيد قرطاجة في افريقية الشمالية .
٢ ـ قرطاجة دولة عربية في افريقية .
٣ ـ افريقية الشمالية تحت حكم الرومان .
٤ ـ الفاندال وحكم افريقية .
٥ ـ حكم بيزنطة في افريقية .
٦ ـ المعطيات البشرية .
٧ ـ المعطيات الجغرافية .
٨ ـ افريقية عشية الفتح الاسلامي .
آ ـ الوضع السياسي .
ب ـ الوضع الديني .
ج ـ الوضع العسكري .

افريقية الشمالية عبر التاريخ

التاريخ القديم لافريقيا الشمالية مجهول في معظمه سوى بعض الشواهد على وجود اتصال وثيق بين شعوب القارة الافريقية وشعوب شمال البحر الابيض المتوسط وان اقتراب ساحل افريقيا الشمالية من شاطىء جنوب أوروبا ، وبصورة خاصة بين الاندلس والمغرب وبين تونس وايطاليا ، هذا الاقتراب قد ساعد على اقامة جسور بحرية بين القارتين ، فكان البحر الابيض المتوسط بين القارتين جسر اتصال اكثر مما هو حاجز انفصال ..

– ان التنافس ومناخ السباق للسيطرة على القارة الافريقية يمتد في جذوره على ما يظهر حتى اعماق التاريخ ، وان ما يشهده عالمنا المعاصر من صراعات بين الدول العظمى قريب الشبه في معالمه بما شهده التاريخ القديم بين فينيقيا وقرطاجة وبين مقدونيا ثم بين مقدونيا وروما ثم بين روما وفارس، حيث كان الصراع بين هذه الاقطاب الثنائية يلقي ظلاله على شعوب منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط كلها .

– وكان للصراع بين دول العالم القديم دور كبير في اغناء التراث الحضاري وانضاج التفاعلات الاجتماعية والعلمية . كما كان لهذا الصراع دور هام ايضاً في نقل منجزات العالم القديم الى الاجيال اللاحقة ،وان اكثر ما وصلنا من المعلومات وضوحاً عن شمال افريقية واكثرها وثوقاً هي تلك التي حملها الينا تاريخ حروب الشعوب القديمة وامبراطورياتها المتنازعة فوق رمال افريقية الشمالية .

١ – فينيقيا .. تشيد قرطاجة في افريقية الشمالية :

– انطلقت من قلب الجزيرة العربية موجة من موجات الهجرات المتتالية

وذلك في سنة ٢٥٠٠ ق.م ، وانقسمت هذه الموجة الى فرعين استوطن اولهما في حوض الفرات وسهول سوريا الداخلية واقاموا مملكة عرفت باسم «العموريين» كما استوطن الفرع الآخر على امتداد سواحل سوريا الطبيعية وعرفوا باسم « الكنعانيين » الذين اطلق عليهم اليونانيون اسم « فينيقيا - و - الفينيقيون » نسبة الى اللون الأحمر الارجواني الذي كان الفينيقيون يستخرجون لونه من المحارات البحرية ويصبغون به ثيابهم .

اقام الفينيقيون مدنهم على امتداد الساحل ما بين كيليكيا شمالاً وعكا جنوباً ونظموا ممالكهم ، فكانت كل مدينة وما يحيط بها مملكة مستقلة ثم تطورت هذه الممالك فضمت القصور والمعابد والقلاع ، وحفلت اسواق المدن بمختلف البضائع ، كما تطورت الزراعة وتنوعت محاصيلها ووجد الفينيقيون انفسهم في مواجهة التحديات الآشورية والبابلية والمصرية فعملوا على تطوير اسلحتهم واستخدموا الاسلحة البرونزية والمركبات القتالية ، والعربات التي تجرها الخيول .. لكن اهتمام الفينيقيين بالتجارة والزراعة جعلهم دون جوارهم في قدرتهم القتالية فخضعوا للمصريين والآشوريين والبابليين ولكن الخطر الاكبر الذي جابههم تمثل بالعبرانيين الذين باغتوا الفينيقيين واحتلوا المناطق الجبلية واحرقوا بوحشية المدن وعملوا على ابادة السكان الأصليين وذلك في القرن الثاني عشر ١٢ ق.م. ثم وفدت من منطقة بحر ايجة موجة من الشعوب البحرية المحاربة ، عرفوا باسم شعوب البحر ، أو الفيليستي ، واستوطن هؤلاء بين يافا وغزة وشيدوا عسقلان واشدود واصطدموا بالعبرانيين ودارت بين الطرفين سلسلة من المعارك انتهت بهزيمتهم ، ونظراً لقلة اعداد الفيليستيين فقد اندمجوا بالفينيقيين ، وبقي السهل الساحلي يحمل اسمهم « فلسطين » وكان من الممالك التي اقامها الفينيقيون في الداخل « فلسطين » مملكة يبوس « القدس » ومملكة بيت شان « بيسان » وعكو « عكا » ومجدو « تل المتسلم » وحبرون « الخليل » ومؤاب وعمون في شرقي الأردن ..

اما الممالك الساحلية فكانت تزيد على ٢٥ مملكة فينيقية اشهرها :

اوغاريت « وتعني حقل في موقع رأس شمرا حالياً » .

جبيل « جبيلو » شمال بيروت ٤٥ كم . صيـــدا « صيدون » . و « صور » وتعني « الصخر » . وقرطاجة « قريباً من مدينة تونس » ..

٢ – قرطاجة دولة عربية في افريقيا :

– يقسم المؤرخون العصر الفينيقي الى عهدين :

– عهد صيدا ٢٥٠٠ – ١٢٠٩ ق.م. وانتهى نتيجـة لانتصار العبرانيين على صيدا .

– عهد صور ١٢٠٩ – ٣٣١ق.م. وانتهى بتدمير قرطاجة وانتصار الرومان.

ومن منجزات العهد الاول بنـــاء مدن بزسيوم ، وزوجتيان في طرابلس الغرب وتونس .

ومن منجزات العهد الثاني بناء مدينة قرطاجة عام ٨٤٠ ق.م .

افادت قرطاجة من موقعها الجغرافي الهام فطورت تجارتها ودعمت اسطولها وزادت امكاناتها حتى اصبح سكان مدينة قرطاجة مليون نسمـــة ، واقامت قرطاجة قواعد بحرية لتبادل التجارة سواء في اسبانيا او في المغرب . وقد جاء في كتاب قصة الكفاح بين روما وقرطاجة للدكتور توفيق الطويل ص ٢٤ – ٢٥ وصفاً لحياة قرطاجة في عهدها الزاهر حيث نقرأ :

[لو قدر لك التجول في طرقات قرطاجة لرأيت أخلاطـــاً عجيبة من مصريين وسودانيين ويونانيين وقرطاجيين وبرابرة واسبان، على أن في وسعك تمييز القرطاجي من بين هؤلاء جميعاً دونما جهد او مشقة فهو يطالعك بشعره القصير ولحيته الطويلة ووجهه الناطق بالطيبة وهو مقبل عليك تحيط بـه روائحه العطرية ، وتدهشك الجواهر الثمينة التي يتحلى بها ، وتعرفه بغطاء رأسه اللذي يشبه الطربوش عندنا وحذائه الذي يشبه الصندل ، فاذا تركت

المارة وتجولت بنظرك يمنة ويسرة اذهلتك كثرة المتاجر والحوانيت الشبيهة بالصوامع وهي طافحة بالبضائع المختلفة وقد جلس اصحابها متربعين يساومون عملاءهم في تباطؤ لكن دون ملل أو يأس ..] .

وتحدث الفيلسوف ارسطاطاليس عن نظام الحكم في قرطاجة ، فقال :

[.. ان لقرطاجنة دستوراً انفردت بكماله عن سائر الدول ولها شرائع غاية في الحسن ، ومن الدليل على ما وعته من الحكمة انها مع ما للأمة عندها من السلطان لم نجدها قط بدلت شكل الحكم ولا نشبت فيها فتنة ... وان القضاء عند القرطاجيين أفضل منه عند اليونانيين لأنهم لا يرضون له أغفال الناس بل يولّونه أحسنهم طريقة وأحمدهم سيرة ...] [1] .

في ذلك العهد ، وفي الوقت الذي كانت قرطاجة تبني لنفسها ولمن حولها حضارة وتطوراً كانت هناك دولة تستجمع اسباب قوتها للظهور واحتلال مكانتها كدولة قوية ، وكانت هذه الدولة هي روما ، وأصبح وقوع الصدام بين روما ـ قرطاجة امراً حتمياً حافزه الهيمنة على اسباب القوة والسيطرة على المجال الحيوي ..

ـ وقعت بين روما ـ قرطاجة مجموعة من الحروب تقسم الى ثلاثة مراحل.. وقد عرفت هذه الحروب باسم الحروب البونيكية [2] ..

ـ الحروب البونيكية الأولى ومدتها ٢٣ سنة (٢٦٤ -٢٤١ ق.م.) انتهت بانتصار روما وحصلت فيها على جزيرة صقلية ..

ـ الحروب البونيكية الثانية (٢١٨ - ٢٠١ ق.م) وانتهت بانتصار قرطاجة بقيادة هانيبال الذي نجح في تدمير جيش روما في معركة « كاني » ٢١٦ ق. م.

---

(١) تاريخ المغرب ١ / ٤٣ - ٤٤ .

(٢) الحروب البونيكية نسبة الى بونيك ، وهي التسمية التي كان يطلقها اهالي روما على المواطن القرطاجي .

– الحرب البونيكية الثالثة والأخيرة (١٤٩ – ١٤٦ ق. م) وانتهت بانتصار روما واحتلال قرطاجة [١] .

– وهكذا سقطت قرطاجة ، ولكنها أعطت طوال وجودها علماً وحضارة حفظها لها التاريخ ، وكانت حلقة اتصال بين شعوب العالم القديم فقاربت بينهم، وكان هذا الاتصال خير وسائل تفاعل الحضارة عبر التاريخ ..

– افادت الشعوب الافريقية بقبائلها المختلفة من وجود قرطاجة فاقتبست عنها اساليب التجارة وتعرفت من خلال اسفار القرطاجيين على شعوب العالم الاخرى ، كما افادت من تنظيمها العسكري واساليبها القتالية خبرات جيدة .

– واخيراً افاد السكان الافريقيون من المراكز التجارية والمدن التي اقامها القرطاجيون مثل تينجيس « طنجة » ولكسوس « قرب العرائش » وروسادير « مليلة » فكانت هذه المراكز والمدن الخطوة الاولى في انتقال السكان من حياة البداوة الى حياة الحضارة والاستيطان في المدن ..

– لقد كان في قضاء روما على قرطاجة تحويل لمركز السيطرة على العالم القديم وانتقال بهذا المركز من شمال افريقيا الى جنوب اوربا . وكان لهذا التحول آثاره السيئة على السكان الذين لم يتقبلوا بسهولة احتلال الرومان لهم .. لا سيما وان علاقاتهم مع قرطاجة كانت قائمة على اسس من الاحترام المتبادل والثقة التامة والتفاهم المطلق .

٣ – افريقية الشمالية تحت حكم الرومان :

– أسقط الرومان قرطاجة وبدأت قواتهم تتابع توسعها التدريجي في افريقية الشمالية ، ولم تكن هذه العملية سهلة فقد نظم الافريقيون مقاومات مستمرة وفي النهاية نجح الروم بالسيطرة على شمال افريقية، لكن حركات التمرد

....

(١) تاريخ فن الحرب ، الجنرال ستروكوف ١ / ٦٨ – ٧٠ .

والثورات لم تتوقف وكان من اكبر هذه الثورات ثورة تاكفواس عام ١٧ م ، وحركة التمرد الكبرى التي اخضعها « بومبي » عام ٨٠ م . وكان من نتيجة هذه الثورات والاضطرابات اقدام الرومان على تطبيق الاسلوب الدفاعي الذي طبقوه على امتداد حدودهم في اوربا وآسيـــا ، فأقاموا « الليات _ Limes » لحماية حدودهم . ولم يكن « الليم » أو الحد مجرد سور بسيط مزدوج مـع طريق للتفتيش بل كان منطقة دفاع منظمة في العمق ومجهزة بقواعد تخزين تخدمهـــا شبكة طرقات استراتيجية ومواصلات نهرية مهيأة للمواصلات السريعة ، كانت الدفاعات في افريقيـــة اكثر تجزئة وتقطعاً وكانت تراقب منابع الميـــاه وطرق القوافل وكذلك حفرت الآبار لأن الري يتيح استقرار الحضر المقيمـــين ويسهل تعاونهم مع الحاميات ضد تسلل البدو ، وتتالت المنشآت من جنوب طرابلس الغرب حتى « تنغيتان او تنغيتز _ Tingitane » في مراكش متخللة الهضاب المرتفعة ، وكان الموقع العسكري للقطاع المركزي في مدينة لامبيز[1] العسكرية مقر الليجيون الثالثة _ اوغستار ، وقـــد خططت تخطيط مخيم طوله اربعمائة وخمسون متراً وبنيت بقوة وأبهة وهي تنظم حول مقر القيادة وحرم العقبان المقدس حيث يحتفظ بالرايات ومالية افراد الليجيونات وأبنية الادارة والمنازل والمساكن المخصصة لمختلف الرتب والمصالح ودار الصناعة مجموعة واسعة غنية جديرة برحابة الامبراطورية . ان ليجيون موقع لامبيز هي فرقة خط الدفاع ولكنها خارج هذين الاحتمالين ، كان قيامهـــا بالمسير التدريبي والتمارين اليوميـــة وبالمناورات والاعمال تشغل وقتها كله ، وقـــد أنشأ افراد الليجيونات طرقات شاهد الفرنسيون آثارها في القرن التاسع في اماكن لم يكونوا ليتوقعونها أبـــداً وكذلك أنشأوا مدناً كمدينة « تيمغاد » Timgad عام ١٠٠ م شمال اوراس والتي لا زالت آثارهـــا محفوظة بشكل مدهش ، وكانت أروقة لامبيز تصلح كملجأ تجري فيه التمارين اذا ما أصبح الطقس سيئاً ، اما في بلاد الشمال الباردة

---

(١) لامبيز Lampese ، مدينة صغيرة شمال الاوراس الجزائرية ، فيها آثار رومانية .

فقد كان في فصل الشتاء وفي بعض المناطق يلاحظ وجود معسكرات صيفية اكثر بساطة ، وفيا بين هذه تعرض الاشارات النارية المتقدة على أعمدة خشبية متحركة حسب رموز معينة تنقل سريعاً الأوامر وإشارات الإنذار والخدمة بين هذه المنشآت ، وقد وجد بين خرائب لامبيز ستة آلاف كتلة من الرصاص وثلاثة آلاف كرة حجرية تركت دون استعمال ، مما يؤكد كارثة الامبراطورية التي وقعت ضحية الانحلال تحت هجمات البرابرة (١) ..

احتل الرومان في البداية قرطاجة ثم انتقلوا الى سواحل الجزائر ، المغرب الاوسط ، واخيراً وفي عام ٤٢ م فقط استطاعوا فرض سيطرتهم على المغرب الاقصى « مراكش » ، وكانوا يطلقون على هذه السواحل اسم موريتانيا ، لكن هذه السيطرة لم تتجاوز حدود مدينة « سلا » التي كانوا يطلقون عليها اسم « سلاكولونيا » ، وبقيت مناطق المغرب الاقصى الباقية خارج سيطرة الرومان الا في فترات قصيرة ..

– تميزت معاملة الرومان للشعوب المغلوبة بقسوتها ، نظراً لان الرومان كانوا يحتقرون الشعوب التي يحكمونها ، لكن الحروب الكثيرة التي خاضتها روما للدفاع عن حدودها الواسعة ، بالاضافة الى حروبها المستمرة مع شعوب الغزاة كالقوط الشرقيين والغربيين والبورغونيين والفانداليين والافرنج والآلامان والسارمانيون والهان ، كل ذلك مما ارغم روما على تعديل تنظيم جيوشها والاستعانة بالمرتزقة والمتطوعين ، والاعتماد على السكان الافريقيين . وفي نهاية القرن الاول الميلادي وبداية القرن الثاني ، اعتمد الامبراطور الروماني دوميتان (٢) على « لوسيوس كويتوس Lucus - Quietus » البربري الأصل للافادة من قبيلته

....

(١) تاريخ جيوش العالم ١٩٢ – ١٩٤ ، المجلة العسكرية ١ و ٢ سنة ٧٣ م .

(٢) دوميتان ، Domitien - ٨١ - ٩٦ م آخر القياصرة الاثني عشر ، حاول تقليص نفوذ الارستقراطية الرومانية وقام بمجموعة حملات ناجحة ضدها ، غير انهم اغتالوه بمساعدة زوجته دومبيا .

الموريتانية في دعم القوات الرومانية ، وقام لوسيوس بالدور الذي قام به والده من قبله ، واصبح لرجاله الفرسان بشعورهم الطويلة الجعدة والمسلحين بالمزاريق شهرة واسعة حتى أن الامبراطور دوميتان منحه رتبة (قائد الحلفاء) ، لكن الامبراطور دوميتان عاد فانتزع الرتبة منه لسوء انضباطه ، وعاد الموريتاني الى صحرائه .. ثم أتى الامبراطور « تراجان » [1] ليعيد رتبتـــه بسبب حاجته لرجاله في حربه مع « الداسيين » رومانيا ، لقد كان البرابرة من نخبة الفرسان ، وكان ابعاد دوميتان لهم من اسباب هزيمته ، ونظراً للحاجة الملحة لم يكن امام تراجان الا معاودة الاعتماد عليهم لدعم حروبه ..

– وجه تراجان القائد البربري « كويتوس » لحرب الداسيين وقـــد نجح كويتوس بتطويق الداسيين في ترانسلفانيا وابادتهم فكللت هامته بالامجاد ، وفي عام ١١٣ خاض لوسيوس كويتوس حرباً ضارية ضد البارثيين في ارمينيا وبلاد ما بين النهرين وحقق انتصارات رائعة دعت الى قبوله في مرتبة مجلس الشيوخ « بريتور » Preteur ، وان ذلك من بعض الأمثلة للعلاقات بين روما والشعوب في افريقية الشمالية وما حققه الطرفان من منجزات وفوائد متبادلة [2] كان من أولها قيام الثورات المستمرة التي تطورت عام ٣٩٧ م الى حرب حقيقية فرضت على روما سحب افضل كتائبها الكوهورت من بلاد الغال لقمـــع ثورة جيلدون Gildon في افريقية ..

– كان من نتيجة الحروب الدائمـــة التي خاضتها روما على مختلف مسارح العمليات في اوربا والشرق احداث تطور كبير سواء في بناء القوات المسلحـة وتنظيمها او في التنظيم للمعركة او حتى في التسليح ..

واذا كانت « الليمات » والحصون الدفاعية المتصلة حيناً والمنفصلة احياناً قد

....

(١) تراجان ، ٩٨ – ١١٧ م ، امبراطور روماني ، استولى على داسيـا ١٠١ – ١٠٦ وارمينيا وهزم البارثيين ١١٥ ، اشتهر بالتنظيم والابنية واضطهاد المسيحيين .

(٢) المصدر : تاريخ جيوش العالم ١ و ٢ – ١٩٧٣ من المجلة العسكرية .

افادت في تطوير الحرب الدفاعية فان تطور الفالانج اليوناني الى ليجيونات تنقسم بدورها الى مانيبولات امكن من اعطاء عمق للهجوم ووفر الفرصة امام معطيات جديدة اولها واكثرها اهمية مبدأ التوزيع غير المتساوي للقوات على طول الجبهة واحداث اساليب جديدة في التنظيم للمعركة ..

اما في مجال التسلح فقد ظهرت الابراج الخشبية المجهزة بعبارات متحركة ومراديب زحافة بالاضافة الى تطوير الصنبر والتروس الخشبية المكسوة بالجلود..

كما تطورت الأسلحة ذات الرمي المستقيم من صنف الزيار « الكاتابولت » والقادرة على قذف ١٠٠ كغ حتى مسافة ٥٠٠ م ، وهذه تستخدم ايضاً لقذف الرماح المجهزة اسنتها وتجلل بالمواد المشتعلة ، بالاضافة الى الاسلحة ذات الرمي المنحني التي تقذف ما يعادل وزن ٣٠٠ كغ حتى ٦٠٠ م ..[1]

– لقد اسهمت قوات افريقية الشمالية بحروب – روما – وكان لهذا الاسهام دوره في تكوين خبرات قتالية عند شعوب افريقية الشمالية ..

٤ ـ الفاندال وحكم افريقية :

الفاندال Vandales من الشعوب الجرمانية قدموا من الشمال الشرقي لأوربا، وقسم منهم سلافيون كانوا يقطنون بين الأودر والفيستول ولهم ذات العقيدة العسكرية للآلامان والسارمانيين .

في عام ٤٠٦ م عاثوا في بلاد الثاليين وأقاموا في اسبانيا ، حيث حملت الاندلس بعد ذلك اسمهم « فاندالوسيا » .

في عام ٤٢٨ م ـ طردهم القوط الغربيون « الفيزيقوطيون » من الانـدلس فعبروا الى افريقية واستقروا في قرطاجنة .

في عام ٤٢٩ ـ نهبوا روما ، واستباحوها ..

....

(١) المجلة العسكرية ٤ و ٥ – ١٩٧٣ ، تاريخ جيوش العالم ، وتاريخ فن الحرب الجنرال ـ ستروكوف .

في عام ٤٥٥ ـ اكتسح الفاندال مصر وايلليريا واليونان وأعملوا في هـــذه الأقاليم تدميراً وتخريباً ..

في عام ٥٣٤ ـ جهز الامبراطور جوستنيان الأول Justinien امبراطور بيزنطــة ٥٢٥ ـ ٥٦٥ م جيوشه ووجـه قادته بليزير وناريس لحرب الفاندال والفرس وفتح افريقية وايطالية.. وكان تحت تصرف بليزير Belizaire ...,١٥ مقاتل لهـذه الغاية ، ونجح بليزير في الانتصار على الفرس والفاندال والقوط الشرقيون « اوستروقوط » ..

في عام ٥٥٤ ـ استعادت بيزنطة الاندلس « الوادي الكبير » من قبضــة الفيريقوطيين ..

ـ تلـك هي فكرة عن ظهور الفاندال وتطور حكمهم ، في اوربا حتى وصولهم افريقية ثم نهايتهم على يد البيزنطيين ..

في عام ٤٢٩ ، وبينما كان الفاندال يعيشون فساداً في عاصمــة الامبراطورية الرومانية كان بونيفاس أحد حكام روما في افريقية يتصل بالفاندال ويغريهم على احتلال افريقية وانتزاعها من قبضة الرومان ، ولبى «جنسريك» ملك الفاندال طلب بونيفاس ، لا سيا وأن أسطوله الضخم كان قــد فرض سيطرته على البحر الابيض المتوسط فنقل جنسريك قواته وقام بانزال بحري على شواطىء افريقية واخذ ينطلق من المغرب فيحتل مدينة بعد مدينة حتى وصل قرطاجنة فاحتلها سنة ٤٣٥م ، وجعل منها عاصمــة له بعد ان اصبحت افريقية تحت سيطرته .

ـ في عام ٤٧٧ م ، توفي جنسريك ، وتولى الملك بعده ابنه « هنريك » ولم تكن له قوة ابيه وقدرته ، كما تميز حكمه بالقسوة التي تركزت على الكاثوليك حيث ألقى القبض عام ٤٨٣ على خمســة آلاف من رهبانهم وصــادر اموالهم وممتلكاتهم وشردهم في الصحراء . وفي عام ٥٢٣ م اصبح « هلدريك» ملكاً على الفاندال ، وكان ضعيف الارادة ، ضعيف الشخصية فخلعه الفاندال وولوا مكانه « جيلمير » فاستنجـــد « هلدريك » بجوستينيان امبراطور بيزنطة وكان

« جوستينيان » قد وضع مخططه لاستعادة السيطرة على روما الغربية وشمال افريقية ، ووجه جيوشه ، فوصل عام ٥٣٤ م الى افريقية ونجح في تصفية حكم الفاندال ، وازالة وجودهم بعد أن استمر حكمهم فترة (٩٩) عاماً في ارض افريقية الشمالية ..

٥ - حكم بيزنطة في افريقية :

بعد أن استعاد « بليزير » افريقية الشمالية وأتبعها لامبراطورية بيزنطة ، اخذ الامبراطور جوستينيان يحكم قبضته ويصدر القوانين الصارمة لإخضاع حركات التمرد ، وأعاد ترميم « الليمات » ، والحصون الدفاعية ، وكان الحكم البيزنطي يشمل مصر حتى برقة وطرابلس وتونس وجبال الاوراس، ويسير بعد ذلك في شريط ضيق يسير مع الساحل حتى يصل الى طنجة وسبتة ، وقسمت هذه البلاد الى اقسام ادارية ثلاثة منها يحكمها قناصل واربعة منها يحكمها مديرين ، وكانت هذه الاقسام اشبه ما تكون بالمناطق العسكرية ، يحكمها الدوقات Dux .

- كانت بيزنطة لا سيما بعد انهيار « روما » تحمل اعباء جسيمة في الدفاع عن حدودها سواء من الغرب حيث القوط الشرقيون والغربيون ، او من الشرق حيث الفرس ، ونظراً لحاجة بيزنطة الى الدعم فقد اعتمدت على البربر وأفسحت لهم المجال واضطرت الى ضم قبائل كاملة، وكان لذلك دوره في نمو الروح القتالية عند البربر واكسابهم خبرات قتالية، ولم يعد باستطاعة بيزنطة حكم شمال افريقية بالقوة ، فضعفت سيطرتها عليها تدريجياً ، حتى انتهى الأمر الى شبه استقلال افريقية عن الدولة البيزنطية ..

٦ - المعطيات البشرية [١] :

كانت افريقية في مفهومها القديم تمتد من حدود مصر وحتى الاطلسي ، ومن

---

(١) تاريخ المغرب ٥٢ - ٥٦ . تاريخ المغرب العربي ٣٠ - ٣٢ .

البحر الابيض المتوسط شمالاً حتى سلسلة الجبال وحدود الصحراء الكبرى جنوباً .. وهي تمثل حالياً ليبيا وتونس والجزائر ومراكش « المغرب » ..

– وكان سكان افريقية في تماس مباشر واتصال دائم مع حضارات العالم القديم ، بداية من فينيقية مؤسسة « قرطاجنة » ونهاية بحكم بيزنطة ، وكان لا بد لهذا الاتصال من ان يترك طابعه على الجغرافيا البشرية للسكان ، فكان هناك الافارقة وكان هناك البربر – وجميعهم من سكان البلاد الاصليين – اولهم اختلط بالروم وتزاوج معهم واختلط بهم وثانيهم وهم البربر ، حافظ على بداوته فابتعد عن الروم واعتزلهم ورفض الاختلاط بهم او الدخول في مجتمعهم، وبالاضافة الى ذلك كانت هناك مجموعات من العرب والرومان والفاندال الذين ارتضوا البقاء تحت حكم من وليهم بعد زوال دولتهم وفضلوا البقاء في مواطنهم التي عاشوا فيها بعد زوال حكمهم فكونوا أقليات ضمن المجتمع الافريقي ، ويضاف الى هؤلاء اليهود ممن مزقهم الحكم الروماني والفارسي والبابلي ، فتفرقوا في كل اتجاه وكان منهم اناس في مصر وآخرون في افريقية ..

– وكانت حدود الصحراء وواحاتها هي مناطق الاتصال والاختلاط بين الوافدين الى افريقية وبين سكانها الأصليين وهو الاختلاط الذي كان من نتيجته ظهور لون من المولدين فيهم صفات الوافدين وملامحهم وفيه صفات الأفارقة الأصليين وملامحهم ونموذج هؤلاء الشعر الأشقر والعيون الزرقاء في صفوف البربر .

– ومثلما حمل الوافدون معهم أصالتهم التي تركت في افريقية طابعها كذلك حملوا معهم معتقداتهم ، فكان هناك الوثنيون الذين لم تتمكن الديانات الوافدة من اجتذابهم او التأثير عليهم ، وكان هناك المسيحيون ممن استطاعت الكنيسة اكتسابهم الى جانبها وكان ايضاً يهود نجح المبشرون في التأثير عليهم لكن السواد الأعظم من البربر بقي على دين الوثنية ..

– كان مجتمع البربر بدائياً ، مثله كمثل المجتمع العربي في حينه ، فكان النظام القبلي سائداً وكان يتم تصنيف هذه القبائل ضمن مجموعتين البرانس، والبتر.

البرانس : ومن اشهر قبائلهم : أزداجة ، مصمودة ، أورية ، عجيسة ، كتامة ، صنهاجة ، اوريغة ، ويضاف اليهم حسب رأي بعض علماء الانساب لمطة وهكسورة وجزولة « كزولة » ويتفرع عن هذه القبائل بطون وأفخاذ مثل هوارة من اوريغة وغمارة من مصمودة ومليلة من هوارة ..

البتر : ومن اشهر قبائلهم : أداسة ونفوسة وضريسة وبنو لوا الأكبر ويتفرع عن هذه القبائل بدورها بطون وافخاذ من نفزاوة ولوامة من لوا و « ولهاصة » من نفزاوة ، وتيرغاش من ولهاصة ورفجومة من تيرغاش ..

ومثلما كان الاتصال بين القبائل العربية كان الاتصال بين القبائل الافريقية حتى أن الأمر قد اختلط بين العاملين على دراسة الانساب في العرب ، ويعود السبب في ذلك الى التزاوج والتصاهر بين القبائل البربرية .

– ان هذا التشابه بين تكوين مجتمع « افريقية » وتكوين المجتمع العربي قد حمل بعض المؤرخين العرب على الاعتقاد بأن سكان افريقية الأوائل هم من العرب الذين نزحت قبائلهم عن ارض الجزيرة وأقامت هناك (١) وحافظت على نظامها القبلي ، وهذا مخالف بدهياً للواقع ولما تثبته الاكتشافات العلمية عن التكون الأصلي للسكان في افريقية لكن هذا لا ينفي وجود اتصال وثيق بين عرب الجزيرة وبين سكان افريقية مع وجود هجرات من اليمن الى افريقية عبر الحبشة فالصحراء الكبرى وواحاتها فسهول افريقية ومستوطناتها ..

---

(١) في الكامل ، لابن الاثير ١ / ١١٥ - ما يلي : (.. أما من بقي من الجبارين فان « أفريقش » بن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان مر بهم متوجهاً الى افريقية فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم افريقية، فافتتحها، وقتل ملكها جرجير ، واسكنهم اياها فهم البرابرة .. وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامه فهم فيهم الى اليوم ..) وسواء كانت هذه الحادثة التاريخية صحيحة او غير صحيحة ، بالنسبة لاطارها الزمني فانه لا يمكن اسقاطها ، ومثلها مثل تغريبة بني هلال ، والزناتي خليفة وغير ذلك من القصص الشعبي الذي يمتد الى جذور حقيقية فقدت اطارها الزمني الصحيح ..

٧ - المعطيات الجغرافية :

- حكام قرطاجنة وأهلها هم أول من اطلق كلمة « أفري - Aphri » على السكان الأصليين أهل البلاد ممن كانوا يقيمون على قرب من عاصمة مملكتهم ، وجاء اليونان فأخذوا عنهم هذا الاسم وتوسعوا في استخدامه حتى شمل المنطقة ما بين المحيط وحدود مصر وهي التي حملت اسم Aphrica ، وقد اخذ العرب عن البيزنطيين الاسم ذاته وضمن الحدود الجغرافية ذاتها .. ثم اخذ هذا المفهوم شكلاً اكثر تحديداً بحيث اقتصر على « حدود ليبيا الحالية » واصبح اسم المغرب اكثر شمولاً ، وتم تقسيم المغرب الى ثلاثة اقسام : المغرب الأدنى وهو في حدود تونس الحالية وحمل اسم القيروان ، والمغرب الأوسط وهو في حدود الجزائر الحالية ، والمغرب الأقصى ويقصد به بلاد مراكش او المغرب في حدودها الحالية .

- لقد اخذ المؤلف ابن خلدون عن كلوديوس بطليموس العالم اليوناني ، تقسيم الارض الى سبعة اقاليم « خطوط عرض » اولها خط الاستواء وآخرها القطب ، ووفقاً لهذا التقسيم تقع افريقية واقاليم المغرب في الأقاليم الثالث والرابع ، في حين يقع الاقليم الثاني على حدودها الجنوبية والاقليم الخامس في حدود اوربا والشمال. ونطالع فيما كتبه ابن خلدون عن وصف جغرافية المغرب:

الحدود الجنوبية : **« الاقليم الثاني » وقبالة المغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات ثم يلي ذلك ارض تنورية وبعدها في جهة الشرق ارض غانه ثم مجالات زغاوة من السودان وفي الجانب الأسفل صحراء نيسر متصلة من الغرب الى الشرق ، ذات مفاوز - هي الصحراء الكبرى - تسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان وفيها مجالات الملثمين من صنهاجة وهم شعوب كثيرة ما بين كزوله ولمتونه ومسراته ولمطه ووريكه ، وعلى سمت هذه المفاوز شرقاً أرض فزان ثم مجالات أركار من قبائل البربر ذاهبة الى أعالي الجزء الثالث وعلى سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء بلاد كوار من امم السودان ثم قطعة من ارض الباجويين وفي اسافل هذا الجزء**

الثالث وهي جهة الشمال منه بقية ارض ودان وعلى سمتها شرقاً ارض سنتريه وتسمى الواحات الداخلة ..

افريقية والمغرب « الاقليم الثالث » هو متصل بالثاني من جهة الشمال ، ففي الجزء الأول منه وعلى نحو الثلث من أعلاه جبل درن ، معترض فيه من غربيه عند البحر المحيط الى الشرق عند آخره ، ويسكن هذا الجبل من البربر أمم لا يحصيهم الا خالقهم، وفي القطعة التي تلي هذا الجبل وعلى البحر المحيط منها رباطة ماسه ويتصل به شرقاً بلاد سوس ونول وعلى سمتها شرقاً بلاد درعة ثم بلاد سجلماسة ثم قطعة منصحراء نيسر المفازه وهذا الجبل مطل على هذه البلاد كلها . وهو قليل الثنايا والمسالك في هذه الناحية الغربية الى ان يسامت وادي ملوية فتكثر ثناياه ومسالكه الى ان ينتهي ، وفي هذه الناحية منه أمم المصامدة ثم هنتانة ثم تينملك ثم كدميوه ثم مشكورةوهم آخر المصامدة فيه ثم قبائل صنهاجه ، وفي آخر هذا الجزء منه بعض قبائل زناته ويتصل به هنالك من جوفيه جبل اوراس وهو جبل كتامه وبعد ذلك أمم أخرى من البرابرة ، ثم ان جبل درن هذا من جهة غربيه مطل على بلاد المغرب الأقصى وهي في جوفيه، ففي الناحية الجنوبية منها بلاد مراكش واغمات وتادلا وعلى البحر المحيط منها رباط آسفي ومدينة سلا ، وفي الجوف عن بلاد مراكش بلاد فاس ومكناسة وتازا وقصر كتامه وهذه هي التي تسمى المغرب الأقصى في عرف أهلها ، وعلى ساحل البحر المحيط منها بلاد أصيلا والعرايش وفي سمت هذه البلاد شرقاً بلاد المغرب الاوسط وقاعدتها تلمسان وفي سواحلها على البحر الرومي بلد هنين ووهران والجزائر لأن هذا البحر الرومي يخرج من البحر المحيط من خليج طنجة ويذهب مشرقاً فينتهي الى بلاد الشام ، ثم يتصل ببلاد الجزائر من شرقيها بلاد بجاية في ساحل البحر ثم قسنطينة في الشرق منها ، وفي آخر هذا الجزء وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوب هذه البلاد ومرتفعاً الى جنوب المغرب الأوسط بلد أشير ثم بلد المسيلة ثم الزاب

وقاعدته بسكرة تحت جبل اوراس المتصل بدرن الذاهب من الغرب الى الشرق ويغمر البحر مسافة من شماله ، اما جنوب الجبل وغربيه فكله مغاور ، وفي الشرق منه بلد « غدامس » وفي سمت غدامس والى الشرق تقع ارض ودان ، والقطعة الجوفية ما بينه وبين البحر الرومي في الغرب منها جبل اوراس وتبسه والاوبس ، وعلى ساحل البحر بلد بونه ثم في سمت هذه المدينة شرقاً بلاد افريقية ، فعلى ساحل البحر مدينة تونس ثم سوسة ثم المهدية، وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن ، بلاد الجريد توزر وقفصه ونفزاوه وفيما بينها وبين السواحل مدينة « القيروان » وجبل سلات وسبيطله وعلى سمت هذه البلاد كلها شرقاً طرابلس على البحر الرومي وبازائها في الجنوب جبل دمر ونقره من قبائل هواره متصلة بجبل درن وفي مقابلة غدامس سويقة ابن مشكوره على البحر ، وفي جنوبها مجالات العرب في أرض ودان ويمر جبل درن ايضاً من هذا الاقليم الا انه ينعطف عند آخره الى الشمال وينهب على سمته الى ان يدخل في البحر الرومي ويسمى هنالك طرف أوثان والبحر الرومي من شماله غمر طائفة منه الى ان يضايق ما بينه وبين جبل درن فالذي وراء الجبل في الجنوب وفي الغرب منه بقية أرض ودان ومجالات العرب فيها ثم زويلة ابن خطاب ثم رمال وقفار ، اما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر ثم خلاء وقفار تجول فيها العرب ثم اجدابية ثم برقة عند منعطف الجبل ثم طلمسة على البحر] (١) .

ـ ويظهر من كتابة ابن خلدون ان جبال الأطلس « درن » هي الحد الفاصل بين المغرب وبين الأقاليم الواقعة الى الجنوب ، كما ان جبل كتامة « الاوراس » هو الحد الفاصل بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط من جهة ، وبين المغرب الأوسط وبين المغرب الأدني من جهة اخرى ، أما افريقية فحدودها الصحراء

(١) مقدمة ابن خلدون ٢٩ ـ ٣٠ جبل اطلس : جبل درن .

مع مصر ، في حين تشكل جبال الأطلس « جبل درن » الحد الفاصل بينها وبين المغرب الأوسط « تونس » .

– والمغرب العربي « تونس – الجزائر – مراكش – موريتانيـــا » يكون اقليماً طبيعياً واحداً له معالمه الواضحة ، ويحتل هذا الاقليم من الوطن العربي القسم الشمالي والغربي من قارة افريقية على امتداد ألفي كلم (٢٠٠٠) بداية من قابس وحتى المحيط الأطلسي ، وتحد الصحراء الكبرى القسم الجنوبي منه وهو الذي يصلها بأفريقية المدارية .

– يقع المغرب العربي بين درجتي العرض (١٦ – ٣٧°) شمالاً ، وبـــين درجتي الطول شرق غرينيتش حتى (١٣°) درجـة غرب غرينيتش وتبلـغ مساحته ٤ ملايين كيلو متر مربـع ..

– ويمكن تقسيم المغرب من الناحية الجغرافية الى قسمين :

١ – المنطقة الشمالية البحرية .

٢ – المنطقة الجنوبية الصحراوية .

وتتكون المنطقة الشمالية من : ١ً– السهول الساحلية. ٢ً– الأطلس التلي. ٣ً– الأطلس الصحراوي . ٤ً– الهضاب العليا .

١ – المنطقة الشمالية :

وهي منطقة جبلية بصورة عامة ارتفاعها المتوسط ٧٠٠ م وتتفاوت ارتفاعات جبالها وتختلف تضاريسها ما بين مكان ومكان آخر وتعتبر بمجموعها التقـــاء لسلاسل الجبال الالتوائية الحديثة مع الكتل الجبلية القديمة .

والقشرة الأرضية لجبال المغرب العربي غير مستقرة ، وهي تتعرض ما بين فترة وفترة اخرى لهزات ارضية لعل احدثها زلزال اغادير في مراكش وزلزال مدينة الأصنام في الجزائر ، ويمكن التمييز بين الأقسام التالية – من الشمال الى الجنوب – مع العلم ان هذه الأقسام تندمج في الضهرة التونسية فتكون كتلة واحدة .

١ - **السهول الساحلية** : تبدأ هذه السهول واسعة عريضة في تونس حيث تكون السهل الساحلي ، ثم تضيق في الجزائر حيث سهل المتيجة وتعود لتتسع مرة أخرى في مراكش حيث سهول السوس والشاوية .

والساحل المطل على البحر الأبيض المتوسط صخري يضم مجموعة من الخلجان امثال خليج تونس وبنزرت . بينما يكون ساحل مراكش على الاطلسي منخفضاً قليل التعاريج ، وكذلك الأمر بالنسبة للساحل الشرقي في تونس ..

٢ - **الأطلس التلي** : وهو كلسي في قسمه الأكبر اثرت فيه عوامل التعرية والحت ، ويتكون من عدة سلاسل ساحلية وداخلية ، ومن هذه السلاسل الساحلية جبال الريف في المغرب ومن السلاسل الداخلية جبال وارسونيس وبيبان في الجزائر والأطلس الأوسط في مراكش حيث ترتفع هذه الجبال في المغرب الى اكثر من ٣٠٠٠ م ..

٣ - **الأطلس الصحراوي** : مجموعة من الطيات الملتوية يفصلها عن بعضها البعض عدد من الممرات ومن اشهر هذه الجبال الضهرة التونسية الممتدة نحو الرأس الطيب في تونس ، وجبال القصور التي تنتهي في الاوراس وأعلى قمة فيها ٢٣٠٠ م ، ثم جبال الأطلس الأعلى في مراكش حيث ترتفع فيها قمة جبل طوبقال حتى ٤١٦٥ وهي أعلى قمة جبل في الوطن العربي ..

٤ - **الهضاب العليا** : وهي قليلة في تونس وتقع بين سلسلتي الجبال الساحلية والداخلية .. وتبدأ هذه الهضاب منخفضة في تونس ثم تتزايد ارتفاعاً في اتجاه المغرب وفي الوقت ذاته تكون قليلة العرض والاتساع في تونس ثم تتزايد اتساعاً كلما تقدمت نحو المغرب وتكون في الجزائر السهوب العليا وفي المغرب « المائدة المراكشية » وفي هذه الهضاب منخفضات مغلقة بها مياه مالحة تسمى « الشطوط » وهي مماثلة للسبخات في الشام . وتضم هذه الهضاب ، احواضاً زراعية مثل سهل طلالا في مراكش كما تضم الجبال ايضاً مثل هذه الأحواض التي تستثمر في اعمال الزراعة ..

– وتضاريس المغرب مرتفعة بصورة عامة ومتقطعة ، ولهذا فانها تشكل عائقاً امام سبل المواصلات البرية وتتركز محاور الطرق بشكل تتوافق فيه مع الطبيعة الطبوغرافية فتتبع في مسيرتها السهول الساحلية والممرات الجبلية والأودية النهرية مثل وادي مجردة الذي يصل تونس بالجزائر ، وممر تازا بين الجزائر ومراكش وهو الممر الذي يصل ايضاً بين جبال الريف الساحلية وجبال الاطلس الداخلية في مراكش ..

٢ – المنطقة الصحراوية :

هي امتداد للصحراء الكبري وقسم منها ، تبدأ في الشمال عند السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي وتنتهي في الجنوب عند منطقة الساحل ، حيث شجر الصمغ والدوم وهي صحراء نباتية ، يتبع الجزائر منها مساحة تزيد على مليوني كيلو متر مربع (٢ مليون كم٢)،ويتبع موريتانيا مليون كم٢ تقريباً .

ويمكن تقسيم تضاريس هذه الصحراء الى قسمين اعتباراً من خط طول مدينة الجزائر ، فتتكون الصحراء المرتفعة الى شرق هذا الخط وتمتد الصحراء المنخفضة الى غرب هذا الخط ، وتتميز الصحراء الكبرى بصخورها المتبلورة القديمة ومنها (الحماد الصحراوي) الذي يضم هضاباً حجرية واسعة بها طبقات مائية جوفية وتحيط بالحماد المرتفعات الصخرية كما يشرف هذا الحماد على منخفضات مياهها مالحة او عذبة ، كما يوجد في هذه الصحراء (الدق) وهي مفاوز رملية من الحصى ، يندر فيها وجود الماء ، اما (العرق) فهي صحارى رملية تضم مرتفعات رملية ايضاً لكنها تحتوي على بعض آبار المياه ، وتأتي بعد ذلك الكتل الجبلية ذات الصخور البلورية والبركانية وأهمها جبل الاحجار على مدار السرطان – جنوب الجزائر – .

المنـــاخ :

يقع المغرب العربي تحت تأثير عوامـــل ثلاثة : البحر الأبيض المتوسط من الشمال والمحيط الأطلسي من الغرب والصحراء الكبرى من الجنوب ، ونتيجـة لتباين هذه العوامل الثلاثة يكون مناخ المغرب العربي مضطرباً متبايناً مثله في ذلك مثل الطبيعة الجغرافية ..

– وبدهي ان يتفاوت تأثير هذه العوامل على المغرب العربي حسب قربه من هذه العوامل وبعـــده عنها ، فالمناطق المجاورة لحوض البحر الابيض المتوسط والمحيط الأطلسي كثيرة الأمطار بصورة عامة في حين يتزايد التأثير الصحراوي كلما اقتربنا من الداخل في اتجاه الصحراء ..

٨ ـ افريقية ، عشية الفتح الاسلامي .

آ ـ الوضع السياسي :

استعاد بيلزير افريقية عام ٥٣٤ م ، وطرد الفاندال منهـــا واعادها لحكم بيزنطة فعمل الامبراطور « جوستينيان » على تقسيمها الى اقسام ادارية سبعة :

١ ـ الولاية القنصلية « شمال تونس الحالية » proconsularium .

٢ ـ الولاية الداخلية « بيزاكيوم » Byzacium .

٣ ـ ولاية طرابلس Tripolitania .

وكان يحكم هذه الولايات الثلاثة قناصل مدنيون في حـــين تركت الأقسام الأربعة لحكم مديرين وهي :

٤ ـ ادارة نوميديا Numidia .

٥ ـ ادارة موريتانيا الأولى Mauritania Sitifiensis .

٦ ـ ادارة موريتانيا الثانية ، وتشمل شمـــال مراكش
Moritania Cesariensis – moritania Tingtana

٧ ـ ادارة سردانية ..

– وعين جوستينيان حاكماً مدنياً لحكم افريقية بولاياتها واداراتها السبعة، لكن الثورات المتتابعة وضرورات فرض احكام قوية من اجل حشد الطاقات والامكانات اللازمة لحروب بيزنطة ارغمت الأباطرة على تعيين قائد عسكري لحكم افريقية واستبدل الحكام المدنيون بعد جوستينيان بحكام عسكريين يحملون لقب دوق Duz ، كما تولى حكم المدن قادة عسكريون لهم مطلق الصلاحية في ممارسة اعمالهم ..

– في عام ٦٠٢ م ، عين الامبراطور « موريس Maurice » لولايات افريقية بطريقاً من اصل ارمني عرف بكفاءته القيادية العسكرية الماهرة واسمه « هرقل » ، وندب لمعاونته في ادارة البلاد اخوه «جريجوريوس» وبدأ الأخوان هرقل وجريجوريوس في العمل الجدي لتهدئة الأمور والسيطرة على الاضطرابات ولكنهما بوغتا في عام ٦٠٨ بثورة في القسطنطينية انتهت بقتل الامبراطور موريس وقيام الامبراطور فوكاس .

– عمل هرقل مباشرة على التخطيط للانفصال عن بيزنطة بسبب ما وصله من انباء عن انحراف فوكاس وظلمه ، وقام بحجز السفن الناقلة للقمح من افريقية الى القسطنطينية واحتفظ بها في خليج قرطاجنة ، واسرع الناقمون على الامبراطور الجديد للاتصال بهرقل وحمله على انقاذ الدولة من الوضع المتدهور الذي انتهت اليه ..

كان هرقل رجلاً في الستين من عمره ، فندب ابنه هرقل ايضاً لتنفيذ واجب انقاذ الدولة ، واستطاع هرقل الابن ان يزحف بجيش افريقية ويطيح بحكم الامبراطور فوكاس ويقضي على اعوانه وانصاره ، وعندما تمت له تسوية الأزمة أراد العودة الى افريقية لكن رجال الدولة واساقفتها حملوه على قبول تاج الامبراطورية واحتفل بتتويجه في عام ٦٠٠ م ..

كان من الطبيعي ان يعترف الامبراطور هرقل بالعرفان لجيش افريقية واهلها نتيجة لما قدموه من عون في ايصاله لقمة السلطة ..

ـ مات هرقل «الأب» في افريقية عام ٦١٠ م ، وخلفه اخوه جريجوريوس، لكنه لم يستمر في ولايته طويلاً وخلفه البطريق «قيصريوس» ثم اعقبه نقيتاس «ابن جريجوريوس» وابن عم الامبراطور هرقل «الابن» ، وخلف نقيتاس ابنه «جريجوريوس» على ولاية افريقية وهو الذي يعرفه العرب باسم «جرجير» وقد جاء الفتح العربي في عهده ، وقتله عبد الله بن الزبير في معركة العقوبة عام ٢٧ هـ - ٦٤٧ م .

ب - الوضع الديني :

ـ كانت الوثنية هي الديانة السائدة بين الافريقيين ، ثم دخلت المسيحية الى افريقية عن طريق مصر ، وعن طريق روما ، واعتنق كثير من البربر الديانة المسيحية وانتشر الرهبان بين البربر ، لكن الانقسام الكنسي انتقل الى افريقية ولم تعد الكنيسة واسطة بين الشعوب الافريقية والسلطة الحاكمة ووسيلة لتسوية التناقضات بين الحاكمين والمحكومين ، وانما اصبحت وسيلة لاكتساب الانصار مما احدث تمزقاً كبيراً بين المواطنين الأفارقة ، ولم تقف حدود هذا التمزق عند حدود اختلاف الولاء لكنيسة روما او كنيسة «بيزنطة» وانما تعدى ذلك حيث ظهر في افريقية اسقف كبير اسمه دونات Donat انشأ مذهباً خاصاً ورفض الاعتراف بشرعية انتخاب سليان اسقفاً لقرطاجنة واعلن طلب الاستشهاد فاستجاب له كل الساخطين على الدولة وخاصة من طبقات الكادحين وذلك في الفترة التي سبقت اقتحام الفاندال لافريقية ..

ـ في عام ٦٣١ م حاول هرقل رأب الصدع في الكنيسة فأوجد مذهبه الجديد الذي حاول فرضه، وذلك على نحو ما فعل في مصر ، وكان الرد الطبيعي هو حدوث مزيد من التمزق الديني الذي كان تعبيراً عن التمزق الاجتماعي والسياسي ووسيلة من وسائله ..

ـ وفي عام ٦٤٠ م ، وصل افريقية الراهب مكسيم وهو اشهر رجال الدين في القرن السابع الميلادي ، واخذ هذا الراهب ينشر تعاليمه بين القساوسة

البسطاء حتى يستطيعوا مجابهة سفسطة الرهبان البيزنطيين وأسلوبهم الجدلي ، ونجح الراهب مكسيم في انشاء قاعدة قوية له ، وحاولت كنيسة روما دعم الراهب مكسيم لمجابهة بيزنطة ، ونجحت في ذلك .

– كما لقيت حركة الراهب مكسيم دعم والي افريقية « جريجوريوس » الطامح بالاستقلال عن السلطة المركزية في القسطنطينية ، وعرف الراهب مكسيم ما يدبره « جريجوريوس » فبارك وشجعه .

– وفي هذا المناخ من التمزق الديني والاجتماعي والضعف السياسي جاءت ثورة الاسلام وفتوحات المسلمين لتبدل من صورة هذا الواقع .

ج – الوضع العسكري :

تركز جهد القيادة البيزنطية في افريقية على تنظيم حاميات قوية في حصون « ليمات » متقاربة ، وأقامت في كل حصن قوة كافية لحمايته والدفاع عنه ، ولم تتوقف هذه القيادات عن تنظيم خط واحد من الحصون بل أقامت ثلاث حاميات في حصون منسقة عمقاً .

– ان اقامة الجند في الحصون والمواقع المنعزلة أضعف من روحهم القتالية وافقدهم الروح الهجومية ، كما افقدهم في الوقت ذاته انضباطهم فأخذوا يغيرون على مزارع الأهلين ويروعون الآمنين وتحولوا شيئاً فشيئاً الى لصوص وقطاع طرق حتى عجزت الحكومة عن ردعهم واخضاعهم ، وتهاون من بقي منهم على الطاعة في القيام بواجباتهم العسكرية فتقاعسوا عن القتال وتهاونوا فيه ، وادعوا الحاجة الى الطعام وأخذوا بمبررات التعب وشدة البرد حتى اذا ساروا الى القتال دخلوا المعركة دونما تنظيم وخرجوا منه دونما تعليمات أو أوامر من قادتهم .

– لقد كان الهدف الأساسي من الحاميات في افريقية هو تحقيق الاستقرار والأمن وردع هجمات البربر وتأمين متطلبات الامبراطورية البيزنطية ، لكن

اعتماد أسلوب الدفاع الثابت والبقاء فترة طويلة في الحاميات البعيدة ، أفقد هذه القوات التي كانت فخر الامبراطورية قوتها وارادتها القتالية .

– وعلاوة على ذلك فان التمزق الديني ، والفارق الاجتماعي بـــين الروم والبرابرة من العوامل التي أضعفت القدرة القتالية للقوات المدافعة عن افريقية .

– هذا ومما يجدر ذكره هنا ، ان طول العهد واستمرار العلاقات بين بيزنطة والبربر خلال فترة طويلة من الزمن ، وظهور بعض القادة والحكام المصلحـــين أمثال هرقل وجريجوريوس قد خلق نوعاً من الانسجام والتوافق بين الروم وبين سكان البلاد الأصليين ، وعلاوة على ذلك فان الأسلوب الارهابي الذي اتبعـــه القادة البيزنطيين قد ترك لدى السكان نوعاً من الشعور بالهيمنة القوية التي لا يمكن ازالتها ، وان هـــذا الشعور يشابه الى حد بعيد شعور سكان الشام تجاه الروم واعتقادهم « بقوة الروم التي لا تقهر » ..

—★—

القسم الثاني

الفصل الثاني

فتح افريقية

١ ـ معركة عقوبة « عبد الله بن سعد » .

آ ـ الغزوات الاستطلاعية . ب ـ الاستعداد وقوى الطرفين .

ج ـ حرب الاستنزاف والحرب النفسية . د ـ الصلح مع النوبة .

هـ ـ قمع حركة التمرد الأولى .

٢ ـ معركة الأجم « معاوية بن حديج السكوني » .

آ ـ الوضع العام قبل المعركة . ب ـ عقبة بن نافع وفتوحه بين ٤١ـ٤٥هـ.

ج ـ بيزنطة تحرض على الثورة المضادة . د ـ ابن حديج مرة ثالثة في افريقية ومعركة الأجم . هـ ـ استثمار الظفر ..

٣ ـ المد الكبير « عمليات عقبة بن نافع »

آ ـ الفتوح بين ٤٦ و ٦٢ هـ . ب ـ القيروان قاعدة متقدمة للعمليات .

ج ـ ابو المهاجر دينار ، وأعمال الفتوح . د ـ عقبة يتابع ثانية فتوحاته .

هـ ـ تهوذة المأساة ومقتل عقبة بن نافع ٦٣ هـ ..

٤ ـ معركة ممس « زهير بن قيس البلوي »

آ ـ الوضع العام . ب ـ خطة كسيلة . ج ـ المعركة الحاسمة .

د ـ المطاردة واستثمار الظفر . هـ ـ العدوان البيزنطي .

٥ ـ القضاء على ثورة الكاهنة وتدمير قوة بيزنطة في قرطاجنة « حسان بن النعمان »

آ ـ الوضع العام . ب ـ الوضع الخاص . ج ـ الواجب الأول « قرطاجنة » .

د ـ الواجب الثاني « معركة نيني » وفشل محاولة القضاء على ثورة الكاهنة .

٦ ـ القضاء على ثورة الكاهنة واستعادة قرطاجنة ٨١ ـ ٨٢ هـ .

آ ـ الوضع العام . ب ـ الكاهنة . ج ـ بيزنطة .

د ـ العرب المسلمون . هـ ـ مسيرة الأعمال القتالية .

و ـ تصفية قاعدة العدوان « قرطاجنة » .

ز ـ القضاء على النفوذ البيزنطي في البحر « بناء تؤنس » .

٧ ـ حرب القبائل « موسى بن نصير »

آ ـ الوضع العام . ب ـ المرحلة الأولى : تأمين قاعدة الانطلاق .

ج ـ التأمين البحري لافريقية « غزوة الأشراف » .

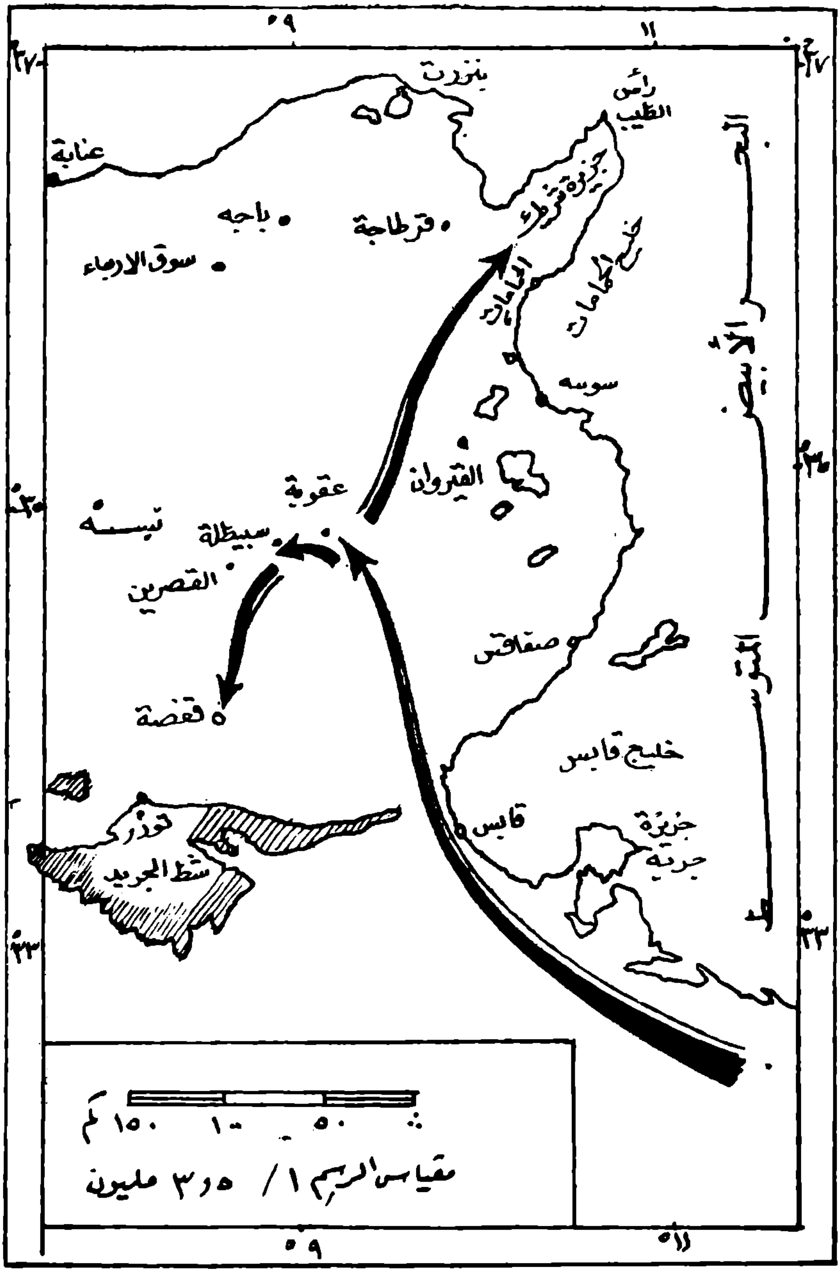
د ـ اخضاع القبائل المتمردة .

فتح افريقية

جدول توقيت الاحداث

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٢٠ هـ	٦٤٠ م	**فتح مصر والاسكندرية .**
٢١ هـ	٦٤١ م	موقعة نهاوند ، وبداية تطوير عمليات الجبهة الشرقية .
٢٢ هـ	٦٤٢ م	فتح همذان – الري – قومس – جرجان – طبرستان – اذربيجان – باب الابواب .
٢٣ هـ	٦٤٣ م	فتح توج اصطخر – فسا – دار الجرد – كرمان – نيسجستان – مكران – ببروذ .
٢٣ هـ	٦٤٣ م	**وفاة الخليفة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان ابن عفان .**
٢٤ هـ	٦٤٤ م	غزو اذربيجان وارمينيا .
٢٥ هـ	٦٤٥ م	**اعادة فتح الاسكندرية .**
٢٥ هـ	٦٤٥ م	هجوم الروم في ارمينيا .
٢٧ هـ	٦٤٧ م	**فتح افريقية - « معركة عقوبة » .**
٢٨ هـ	٦٤٨ م	فتح قبرص بقيادة معاوية بن ابي سفيان .
٣٠ هـ	٦٥٠ م	فتح طبرستان .
٣١ هـ	٦٥١ م	موقعة ذات الصواري .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحـــداث
٣٢ هـ	٦٥٢ م	فتح مرو الروذ والطالقـــان وجوزجـان وطخارستان .
٣٤ هـ	٦٥٤ م	مقتل الخليفة عثمان وخلافة علي بن أبي طالب .
٤٠ هـ	٦٦٠ م	مقتل الخليفة علي واجتماع كلمة المسلمين على معاوية ـ حكم الأمويين .
٤٥ هـ	٦٦٥ م	معركة الأجم بقيادة معاوية بن حديج .
٥٠ هـ	٦٧٠ م	بناء القيروان « عقبة بن نافع » وفتوحه .
٦٠ هـ	٦٧٩ م	وفاة معاوية بن ابي سفيان وخلافة ابنه يزيد .
٦٣ هـ	٦٨٢ م	معركة « تهوذة » ومقتل عقبة بن نافع .
٧١ هـ	٦٩٠ م	معركة « ممس » ومقتل زهير بن قيس البلوي « يوم البلاء » .
٨١ هـ	٧٠٠ م	حسان بن النعمان الغساني ، والقضاء على ثورة الكاهنة .
٨٣ هـ	٧٠٢ م	بدء العمل لبناء مدينة « تونس » .
٨٦–٩٠	٧٠٥ – ٧٠٨ م	موسى بن نصـــير ، وتحقيق الاستقرار في « افريقية » .



فتح المغرب الادنى تونس بقيادة عبد الله بن سعد ٢٥ و ٢٧ هـ

فتح افريقية

١ - معركة عقوبة ٢٧ هـ - ٦٤٧ م

آ - الغزوات الاستطلاعية : ٢٤ - ٢٦ هـ - ٦٤٤ - ٦٤٦ م .

- أصدر الخليفة عمر بن الخطاب أوامره بالتوقف عن متابعة العمليات عند حدود « طرابلس » ، فعين عمرو بن العاص قائداً لحامية برقة هو عقبة بن نافع .

- نظم عقبة قاعدة عملياته في « برقة » واتخذ تدابير الأمن ثم وضع مخططاً لإرسال مفارز قتالية بصورة مستمرة ، وكان الهدف من هذه التدابير حماية برقة من كل هجوم مباغت ، والحصول على المعلومات الضرورية .

- وتوفي الخليفة عمر بن الخطاب عام ٢٣ هـ ، وخلفه عثمان بن عفان .

في عام ٢٥ هـ ، وبينما كانت بيزنطة تنظم هجومها على الاسكندرية ، نظم عثمان بن عفان جيشين قوة كل واحد منهما خمسة آلاف مقاتل ، وأسند قيادة الجيش الأول الى عبد الله بن نافع بن عبد قيس ، ولقيادة الجيش الثاني عبد الله ابن نافع بن الحرث وكلفهما بالهجوم على افريقيا ، وانطلقت القوات الى مسرح العمليات المخصص لها ، وتقدم القادة الافريقيون وحكام المناطق فصالحوا قادة الجيشين على جزية معينة ولم تتمكن هذه القوات من التوغل في العمق بسبب قلة عددها [١] .

لقد حققت هذه الغزوة الاستطلاعية بعض النتائج الهامة منها :

١ - وفرت الحماية للقوات المشتركة في عمليات اعادة فتح الاسكندرية بقيادة عمرو بن العاص وأمنت الحدود الغربية .

٢ - أظهرت هـذه القوة للقادة الافريقيين وحكام المناطق تصميم العرب المسلمين على تحطيم كل عدوان تقوم به بيزنطة او تحرض عليه

---

(١) الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى ١ / ٦٧ .

ـ في هذه الفترة استحكم الخلاف بين عمرو بن العاص وعبد الله بن سرح، فخرج عمرو بن العاص الى المدينة ، وكان لقاؤه حاراً انتهى بعزل عمرو بن العاص وتثبيت عبد الله بن سرح على ولاية مصر وافريقية ..

ـ تابع عبد الله بن سعد سيرة سلفه [**فكان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في ايام عمرو ، فيجيبون من أطراف افريقية ويغتنمون ، فكتب في ذلك عبد الله بن سعد الى عثمان ، وأخبره بقربهم من حرز المسلمين ويستأذنه في غزوها**][1] .

ـ من الواضح ان الغزوات الاستطلاعية وفرت للقادة العرب المعلومات الضرورية :

١ ـ عن طبيعة السكان وقدرتهم القتالية وما يمكن للقوات العربية ان تلقاه من مقاومة .

٢ ـ المحاور الأرضية وطرق المواصلات ، وموارد الحياة في مسرح العمليات المقبل .

٣ ـ الروح المعنوية لقوات الخصم ..

ومما لا ريب فيه هو أن هذه الهجمات المتكررة ، قد أضعفت الروح القتالية لدى جيش الخصم ، مقابل ما اكسبته للقوات العربية الاسلامية من روح معنوية عالية .

ب ـ الاستعداد ، وقوى الطرفين في « عقوبة »[2] :

ـ عندما وصلت رسالة والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى الخليفة عثمان يستأذنه بفتح افريقية ، عقد الخليفة مؤتمراً [**واستشار من عنده من الصحابة فأشار اكثرهم بالاقدام على غزو افريقية**] ..

---

(١) فتوح مصر والمغرب ٢٤٦ ، والبلاذري ٢٢٧ .

(٢) عقوبة : موقع بينه وبين « سبيطلة » يوم وليلة .. البلاذري ٢٢٨ .

ـ أرسل الخليفة عثمان بن عفان إلى واليه في مصر موافقته لفتح افريقية ، وبدأ في الوقت ذاته بتنظيم جيش لدعم عبد الله بن سعد ، وعندما انتهى تنظيم الجيش [**أمر عليهم الحرث بن الحكم الى أن يقدموا عبد الله بن سعد مصر ، فيكون الأمر اليه**[1] ، **وكان فيهم جماعة من الصحابة ...**] .

ـ سار عبد الله بن سعد فور وصول رسالة الخليفة ، متوجهاً الى افريقية ، ولما وصل بجيشه الى « برقة » حيث انضمت اليه حاميتها بقيادة عقبة بن نافع ، ثم تابع عبد الله تقدمه حتى وصل « عقوبة » .

ـ [**كان مستقر سلطان افريقية بمدينة قرطاجنة ، وكان عليها ملك يقال له جرجير كان هرقل استخلفه ، فخلع هرقل وضرب الدنانير على وجهه وكان سلطانه ما بين طرابلس الى طنجة ..**] [2] .

عندما علم جرجير بتقدم العرب المسلمين جمـــع جيوشه وتقدم الى العقوبة بهدف اعاقة المسلمين عن التوغل في بلاده ..

ـ كان مخطط جرجير هو الافادة من قرب قواعد تموينه والدخول في معارك يستنزف فيها قوة العرب المسلمين قبل الدخول معهم في معركة حاسمة ..

ـ كانت قوة جيش جرجير ١٢٠,٠٠٠ ، وكانت قوة جيش عبدالله ٢٠,٠٠٠ مقاتل ، وهكذا فان ميزان القوى لصالح جيش جرجير يعادل ستة الى واحد ..

ـ في اليوم التالي للاصطدام بين القوات ، وجه عبد الله رسولاً الى جرجير يعرض عليه شروط المسلمين المعروفة ، الاسلام او الجزية او الحرب .

---

(١) فتح مصر وافريقية ، ابن الحكم ٢٤٦ .

(٢) ابن الحكم ٢٤٦ ، الاستقصاء ١ / ٦٧ .

قرطاجة : مدينة لا تزال آثارها باقية بالغرب من تونس ، ويقال ان تونس قد بنيت بعد تدميرها ، وتتكون قرطاجة من اسمين قرطا بمعنى مدينة وجنة لطيب هوائها ونزهاتها .

طنجة : مرفأ على مضيق جبل طارق في شمال المغرب ، كانت مركزاً من مراكز الفينيقيين ايام قرطاجة ، وهي قاعدة لمنطقة دولية في الوقت الحاضر ..

ورفض جرجير الشروط مصمماً على متابعة الحرب معتزاً بما لديه من تفوق في ميزان القوى معتمداً على قربه من قواعده. وعندما وجد عبد الله ان جرجير مصمم على متابعة القتال قرر استئناف الحرب، واستمرت المعارك بعد ذلك.

ج - حرب الاستنزاف والحرب النفسية:

- استمرت المعارك اليومية بين جرجير وبين عبد الله بن سعد اياماً دون أن يحقق طرف من الطرفين نتيجة حاسمة..

- كان العرب المسلمون مصممون على انتزاع النصر، مصممون على الاستمرار في القتال، وكان جرجير مصمم على دحر العرب المسلمين والحاق الهزيمة بهم.

وكانت المعارك نتيجة لذلك طاحنة، وزاد من قسوتها صعوبة المناخ وطبيعة الاقليم، فكانت المعارك القتالية اليومية تبدأ منذ الصباح المبكر وتنتهي عند الظهر..

- وبعد أيام من القتال وصلت قوات الدعم «جيش العبادلة» وانضم الى قوة عبدالله بن سعد. [ولما سمع جرجير بوصول المدد فت ذلك في عضده..] (1)

- كان عبد الله بن الزبير في جيش العبادلة، وشهد القتال منذ وصوله، وعلم ذات يوم بغياب ابن ابي سرح فسأل عنه [فقيل له انه سمع منادي جرجير يقول من قتل ابن أبي سرح فله مائة الف دينار وأزوجه ابنتي فخاف وتأخر عن شهود القتال، فقال له ابن الزبير: تنادي أنت بأن من قتل جرجير نفلته مائة الف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده، فخاف جرجير أشد منه].

- عندما استمر القتال اراد القادة وضع حد حاسم لحرب الاستنزاف، فجلس عبد الله بن الزبير الى عبد الله بن أبي سرح وقال له:

[... ان أمرنا يطول مع هؤلاء، وهم في امداد متصلة وبلاد هي لهم

---

(1) الاستقصاء ١ / ٦٧.

ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم ، وقد رأيت ان نترك غداً جماعة صالحة من ابطال المسلمين في خيامهم متأهبين ، ونقاتل نحن الروم في باقي العسكر الى أن يضجروا ويملوا فاذا رجعوا الى خيامهم ورجع المسلمون ركب من كان في الخيام من المسلمين ولم يشهدوا القتال وهم مستريحون ونؤصدهم على غرة ، فلعل الله ينصرنا عليهم ...] (١)

- عقد ابن أبي سرح مؤتمراً للقادة ، ونوقش اقتراح عبد الله بن الزبير وتقرر تنفيذه في اليوم التالي ..

- أقام جميع شجعان المسلمين في خيامهم - صبيحة الغد - وكانت خيولهم عندهم مسرجة ، ومضى الباقون فقاتلوا الروم الى الظهر قتالاً شديداً ، فلما أذن الظهر وهمّ الروم بالانصراف على العادة لم يتركهم ابن الزبير وألح عليهم بالقتال حتى أتعبهم ، ثم عاد عنهم هو والمسلمون ، فكلٌّ من الطائفتين ألقى سلاحه ووقع تعباً ... عند ذلك أخذ الزبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين وقصد الروم فلم يشعروا بهم حتى خالطوهم ، وحملوا حملة رجل واحد وكبروا فلم يتمكن الروم من لبس سلاحهم حتى غشيهم المسلمون(٢) .

- انطلق عبد الله بن الزبير في هجومه ، وشاهد خلال المعركة (جرجير) وقد خرج من عسكره فأخذ معه ثلاثين فارساً اختارهم بنفسه وكان «جرجير» وراء عسكره على برذون اشهب ومعه جاريتان تظلانه بريش الطواويس وبينه وبين عسكره أرض بيضاء ليس فيها أحد ، فحمل عبد الله مع قوته في الوجه الذي فيه جرجير وقال للفرسان الذين معه احموا ظهري ، فخرق الصف الى « جرجير » وخرج صامداً له وما يظن هو وأصحابه إلا أن ابن الزبير رسول اليه حتى دنا منه فعرف الشر ،فثنى برذونه مولياً لكن ابن الزبير أدركه فطعنه وأجهز عليه « دافه » وحز رأسه ونصبه في رمحه وكبر ... فحمل المسلمون من

....

(١) و (٢) التاريخ الكامل لابن الأثير ٣/٣٣ - ٣٥ . تهذيب ابن عساكر ٧/٤٠١ - ٤٠٢ .

الوجه الآخر فانهزم العدو في كل وجه ومنح الله المسلمين اكتافهم وانهزم الروم بعد أن قتل ابن الزبير « جرجير » فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة وأخذت ابنة جرجير سبية ، فنفلها ابن الزبير[1] .

عمل ابن ابي سرح بعد المعركة على تقسيم الغنائم فأخرج الخمس ، ووزع الباقي فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار ، للفرس ألفا دينار ولفارسه ألف دينار ، وللراجل ألف دينار ، وقسم لرجل من الجيش توفي بالحمى فدفع الى أهله بعد موته ألف دينار ..

– كانت ابنة جرجير لواحد من الانصار فأقبل بها منصرفاً قد حملها على بعير له وهو يرتجز :

يا ابنة جرجير تمشي عقبتك إن عليك بالحجاز ربتك

لتحملن من قبـاء قِرْبَتك

قالت ابنة جرجير : – ما يقول هذا الكلب؟ فأخبرت بذلك فألقت بنفسها عن البعير الذي كانت عليه فدقت عنقها فماتت[2] .

– أعاد ابن أبي سرح تنظيم قواته بسرعة وتوجه مباشرة الى « سبيطلة » وضرب حصاراً حولها ولم تتمكن سبيطلة من الصمود ففتحها ابن أبي سرح ودمرها.

ووجه ابن أبي سرح قواته الى الأقاليم حتى وصلت «قفصة» وهي بلدة تبعد عن القيروان ثلاثة أيام ففتحها ..

– كما وجه جيشاً الى حصن الأجم « Thysderas » فحاصره العرب المسلمون وعندما يئس السكان من الحصار خرجوا فصالحوا المسلمين ..

– وسبى المسلمون من ملوك البربر : صولات بن وزمار الزناتي ، والمغزاوي جد بني خزر – ملوك تلمسان – فرفعوه الى الخليفة عثمان رضي الله عنه فأسلم على يده فمن عليه وأطلقه وعقد له على قومه ثم رغب الفرنج والبربر في السلم وسألوا

(١) و (٢) الكامل لابن الاثير ٣ / ٢٣ – ٣٥ . فتح مصر والمغرب ٢٤٦ – ٢٤٩ . البلاذري ٢٢٧ – ٢٢٩ . الاستقصا ١ – ٦٨ . تهذيب ابن عساكر ٧ – ٤٠٢ .

الصلح ، فأجابهم المسلمون الى ذلك ، ورجع عبد الله بن سعد بن أبي سرح الى مصر بعد أن أمضى بافريقية سنة وثلاثة اشهر ..

د ـ الصلح مع النوبة :

ـ بعد فشل عقبة بن نافع في تحقيق الاستقرار الدائم مع النوبة في عهد عمرو ابن العاص ، تابع عمرو سياسته في توجيه موجات متتابعة من القوى لتأمين الحدود الجنوبية لمصر ، وعندما تسلم عبد الله بن أبي سرح ولاية مصر وقام بفتوحاته في افريقية ثم عاد الى مصر ليتابع عملياته ضد الجنوب ، وسأل اهل النوبة عبد الله بن سعد الهدنة وكانت قوات العرب المسلمين قد استولت على « دنقلة » فعقد مع اهل مقرة اتفاقية للصلح تضمن لهم الاستقلال في بلادهم وتضمن للمسلمين في الوقت ذاته الاطمئنان الى حدودهم ، وكان من نتيجة اختلاط العرب المسلمين بأهل النوبة والبجة ان اعتنق عدد كبير منهم الدين الاسلامي .. وكان نص الاتفاقية بين العرب المسلمين واهل النوبة التالي :

[... انما عاهدناكم وعاقدناكم ان توفونا في كل سنة ثلاثمائة رأس وستين رأساً . وتدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين وكذا ندخل بلادكم على انكم ان قتلتم من المسلمين قتيلاً فقد برئت منكم الهدنة . وعليكم رد أباق المسلمين ومن لجأ اليكم من اهل الذمة ...] (1) .

ـ أظهر العرب المسلمون رغبة صادقة في تنفيذ بنود الاتفاقية ، وكذلك فعل أهل النوبة فخيم السلم والأمن على اقاليم مصر الجنوبية وتحقق الاستقرار الذي رغب الطرفان به ، وتوثقت عرى التعاون ، وتصاعد حجم التبادل التجاري بين اقاليم وادي النيل ..

هـ ـ قمع حركة التمرد الأولى ٣٣ هـ .

ـ نقض اهل افريقية الاتفاقية المعقودة بينهم وبين عبد الله بن سعد ، وكان

....

(١) فتوح مصر والمغرب ـ ابن الحكم ٢٥٤ .

للروم دور في التحريض على الثورة المضادة، فأسرع عبد الله بتنظيم مجموعة قتالية وتقدم في هجومه ، ونجح في احباط المقاومات التي اعترضت تقدمه ، وعندما شعر اهل افريقية انه لا قبل لهم بزحف العرب المسلمين طلبوا الصلح وأقرهم عبد الله على الصلح وعاد الهدوء والسلم يخيم على افريقية ..

٢ ـ معركة الأجم[١] ٤٥ هـ - ٦٦٥ م

آ - الوضع العام قبل المعركة :

ـ في عام ٣٤ هـ ، خرج عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر بقواته البحرية والتقى بأسطول الشام حيث خاضت القوات المشتركة معركة « ذات الصواري » .

ـ وفي الوقت ذاته توجهت مجموعة قتالية بقيادة معاوية بن حديج السكوني لمتابعة عمليات الفتح وقد ضم جيش معاوية جماعة من المهاجرين والانصار ، ففتح مناطق واسعة ، وحصل على غنائم ضخمة واتخذ قيرواناً عند « القرن » وبقي فيها حتى خرج الى مصر ..

ـ وفي عام ٣٥ هـ ، وقعت احداث الفتنة التي انتهت بقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان وتولى علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وانشقاق معاوية بن أبي سفيان.

ـ عزل الخليفة علي والى مصر عبد الله بن أبي سرح الذي سار الى عسقلان ومات فيها .. واستقل محمد بن أبي حذيفة بولاية مصر ، لكن الخليفة علي عين قيس بن عبادة الانصاري عام ٣٧ هـ ، ثم لم يلبث أن عزله بسبب تهاونه في قتال أهل « خربتا وفيهم بسر بن أرطأة ومعاوية بن حديج وغيرهم كثير من وجوه العرب العثمانيين » ، وجاء محمد بن أبي بكر خلفاً لقيس ، لكن الامور تطورت بسرعة ، وجاء عمرو بن العاص على رأس جيش من الشام فقتل محمد بن أبي بكر

---

(١) المصادر : الكامل لابن الاثير ٣ ـ ٨ ـ ٣٤ ـ ١٩٧ . ابن خلدون ٢ ـ ١٢٩ و ٣ ـ ٩ ـ ١٠ . فتوح مصر والمغرب ٢٦٢ ـ ٢٦٤ . الاستيعاب ٣ ـ ١٠٧٦ .

وسيطر على مصر ، وأتبعها للخليفة معاوية ، وفي عام ٤٠ هـ قتل الخليفة علي ، وانتهى الحكم للامويين .

– كان من نتيجة الانقسام بين العرب توقف اعمال الفتوحات إلا من بعض العمليات الصغرى ، ومن هذه العمليات :

– توجيه حملة بحرية عام ٣٦ هـ قوتها مائتي مركب بقيادة عبد الله بن قيس وذلك لغزو صقلية .

– قيام عقبة بن نافع عام ٣٩ هـ ، بقيادة اهل مصر لغزو الروم بحراً ..

– وعندما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة وجـه معاوية بن حديج الى افريقية سنة ٤١ هـ فكانت هذه غزوته الثانية ، وكان معه عبدالملك بن مروان ، تقدم معاوية بن حديج بجيشه حتى وصل بنزرت ففتحها وصالح اهلها .

ب – عقبة بن نافع ، وفتوحه ما بين ٤١ - ٤٥ هـ :

بقي عقبة بن نافع قائداً لحامية برقة فترة طويلة ، بدأت عام ٢١ هـ ، وبقي حتى عام ٤١ هـ ،وكان بقاؤه فترةطويلة في هذه المنطقة خير مساعد لهلاكتسابه خبرة جيدة بطبيعة المنطقة جغرافياً وبشرياً ، علاوة على ما كسبه من خبرات بقتاله مع عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ومعاويـة بن حديج السكوني ، ولهذا كان على معرفة تامة بما يجب عليه عمله عندما عينه عمرو بن العاص سنة ٤١ هـ لولاية افريقية ..

– انطلق عقبة بجيشه الى « قبائل لواتة » اكبر بطون البربر ، وكانوا قـد نقضوا العهد ، فتنحت قبائل لواتة عن « طرابلس » فقاتلهم عقبـة قتالاً ضارياً وألحق بهم الهزيمة فطلبوا الصلح ، ولكن عقبة رفض صلحهم وقال لهم :

[انـه ليس لمشرك عهد عندنا – والله عز وجل يقول في كتابه : كيـف يكون للمشركين عهد . ولكن أبايعكم على أنكم توفوني ذامتي ، ان شئنا أقررناكم وان شئنا بعناكم ..]

– بعد انتصار عقبة على « لواتة » توجه مباشرة للقضاء على تمرد « هوارة » وهذه بدورها ايضاً من اشهر قبائل البربر ، فقاتلهم ونجح في تمزيقهم واخضاعهم .

– وفي عام ٤٢ هـ ، افتتح عقبة غدامس وأباد القوات المضادة .

– وفي عام ٤٣ هـ ، افتتح عقبة كوراً من السودان ، واثخن في تلك النواحي وكان له فيها جهاد وفتوح. وبذلك امكن اعادة الاستقرار والأمن الى «افريقية».

ج ـ بيزنطة تحرض على الثورة المضادة :

– عندما بلغ ملك الروم ان اهل افريقيا صالحوا المسلمين بذلك المال الذي اعطوه للمسلمين غضب عليهم وبعث بطريقاً اسمه في تواريخ الروم « نيسيفور » او نقفور Nicephore »، حتى يأخذ منهم مثل ذلك، فنزل قرطاجنة، وأخبرهم بما جاء له فأبوا وقالوا [**قد كان ينبغي له أن يسعدنا فيما نزل بنا ..**] **فقاتلهم** البطريق وهزمهم وطرد الملك « جناها ـ اوهباهيا ـ Jenaha - Habahia خليفة جرجير ، فهرب « جناها » ولحق بالشام ، وقد اجتمع الناس على معاوية ابن ابي سفيان فاستجاشه على افريقية [١].. وشكا اليه ما ناله من صاحب قيصر .

د ـ ابن حديج مرة ثالثة في افريقية ـ معركة الأجم :

الأجم ـ « العجم » ـ كانت معروفة أيام البيزنطيين باسم « Thisderas » كمركز حربي ممتاز ، وكواحدة من « الليمات » والمواقع الحصينة التي اعتمدها البيزنطيون للدفاع عن حدودهم [٢] .

– قرر الخليفة معاوية بن ابي سفيان توجيه ضربة قوية للنفوذ البيزنطي في افريقية ، فجهز جيشاً قوته عشرة آلاف مقاتل لتدمير القوة البيزنطية ، وأسند قيادته الى رجل عرف افريقية وعرفته وهو معاوية بن حديج السكوني .. وقاد ابن حديج جيشه نحو افريقية ، وقد ضم هذا الجيش جماعة من الصحابة

---

(١) الاستقصا ١ ـ ٦٨ ـ ٧٠ . الاصابة ٦ ـ ١١١ . البلاذري ٢٣٧ .
(٢) المجلة العسكرية ٢ ـ و ـ ٣ ـ ٧٤ الصادرة عن الادارة السياسية في سوريا .

والتابعين ، منهم عبد الله بن عمر بن الخطـاب وعبد الملك بن مروان ، وذلك سنة ٤٥ هـ ، وكانت هذه المرة الثالثة التي يقود فيها ابن حديج عمليات هجومية في افريقية ..

– عندما وصل الجيش الى مصر توفي « هباهيا » ولم يقـدر له العودة الى ملكه ، وتابع ابن حديج تقدمـــه وكانت افريقية تضطرم ناراً حتى وصل « قمونية » – في موضع القيروان – فتوقف واخذ يجمع المعلومات عن خصمه ..

– كان ملك « سبيطلة » على رأس ثلاثـــين الف مقاتل وجههم القيصر من القسطنطينية في البحر لمدافعة العرب المسلمين عن افريقية ، وعندما عـلم ملك سبيطلة بتقدم العرب المسلمين دفع قواته الى « الأجم » وتحصن بها ..

– توجـه ابن حديج بجيشه الى « الأجم » واصطدمت قواتـه بالقوات البيزنطية ، وبعد معركة قاسية نجح ابن حديج في انتزاع النصر وتدمير قوات خصمه تدميراً تاماً ..

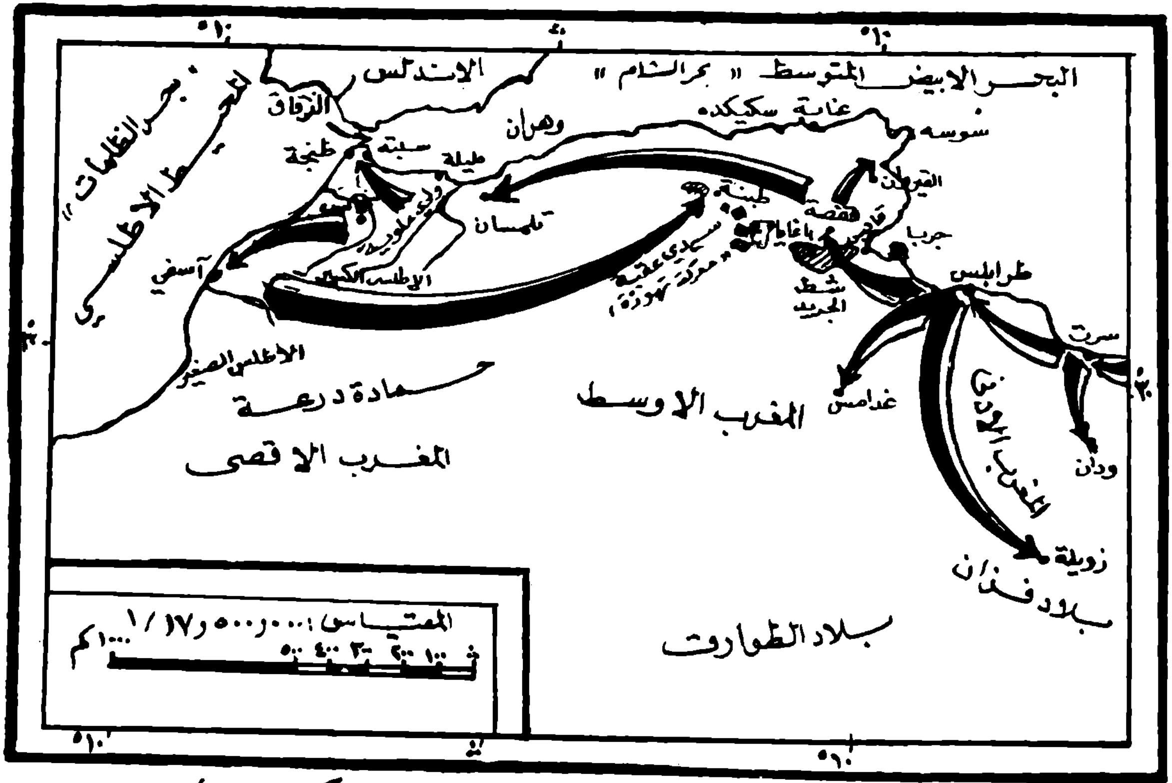
هـ – استثمار الظفر :

– كان النصر الذي حققه معاوية بن حديج في ميدان القتال نصراً حاسماً ، فقد نجح في تحطيم قوات تتفوق عليه بمعدل ثلاثة الى واحد ، علاوة على انهـــا كانت تخوض معركة دفاعية في حين كان معاوية يخوض معركة هجومية ، وأسرع معاوية لاستثمار هذا النصر ..

[فبث السرايا ودوخ البلاد فبعث عبد الله بن الزبير الى سوسة فافتتحها ، وبعث رويفع بن ثابت الأنصاري بحراً الى جربة ، وهي جزيرة في تونس قرب قابس كان يسكنها البربر ، فافتتحها ثم عاد ادراجه الى طرابلس الغرب التي كان اميراً عليها ، وبعث عبـد الملك بن مروان الى جلولاء في الف رجـل[1]

....

(١) جلولاء : مدينة شهيرة بافريقية الشمالية وهي غير جلولاء العراق ، تقع في تونس بينها وبين القيروان اربعة وعشرون ميلا ، وبها آثار وابراج من أبنية الأول .



عمليات عقبة بن نافع ٤١ - ٤٦ هـ و ٦٢ - ٦٣ هـ المد الكبير حتى مأساة تهودة

فحاصرها اياماً فلم يصنع شيئاً، فانصرف راجعاً فلم يسر الا يسيراً حتى رأى في ساقة الناس « المؤخرة » غباراً شديداً فظن أن العدو قد طلبهم فكر جماعة من الناس لذلك وبقي من بقي على مصافهم ، وتسرع سرعان الناس « وهم جماعة الفرسان الخفيفة » فاذا مدينة جلولاء قد وضع حائطها فدخلها المسلمون وغنموا ما فيها وانصرف عبد الملك الى معاوية بن حديج الذي وزع الغنائم..

قال عبد الملك بن مروان : وأخذت لفرسي ولنفسي ستمائة دينار ، واشتريت بها جارية][1] .

— استقر معاوية بن حديج بعد ذلك في جبل (القرن) — وسلات حالياً — واحتفر بها آباراً حملت اسم « آبار حديج » خارج باب تونس منحرفة عنه الى الشرق . وتابع مهمته التوجيهية ، فظهر الاسلام في البربر ثم عاد الى مصر بعد أن استقر في القرن ثلاث سنين ، وخلف في افريقية آثاراً حسنة ..

٣ — المد الكبير

آ — الفتوح ما بين عام ٤٦ هـ — ٦٢ هـ :

— كان لاستقرار الوضع دوره في حفز القادة لتطوير عملياتهم القتالية ، وتحقيق الاستقرار ، فانطلق عقبة بن نافع ومعه بسر بن أرطاة وشريك بن سمي المرادي في اتجاه الجنوب مستفيداً من العمليات التي كان يمارسها معاوية بن حديج في القضاء على ثورة القبائل المتمردة ..

— علم عقبة بن نافع ان (مغداش) و (ودان) [2] قد رفضتا ما كانتا تلتزمان بتقديمه وفق معاهدتهم مع بسر بن أرطاة عام ٢٣ هـ ..

---

(١) فتح مصر والمغرب ، ابن الحكم ٢٦٢ . الاستقصاء ١ - ١٦٩ - ١٧٠ . البلاذري ٢٣٧ . الاصابة ٦ - ١١١ .

(٢) ودان : مدينة قديمة من مدن البربر الجنوبية ويتبعها زلة وهون وسوكنة وما جاورها ويطلق على الكل بلاد ودان ، وتقع ودان في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس بمسافة ٧٦٩ كم تقريباً والى جنوب « سرت » بمسافة ٢٨٠ كم تقريباً .

– في عام ٤٦ هـ ،وصل عقبة بن نافع بجيشه الى «مغداش»)[١] من «سرت»[٢] ففتحها، وترك قواته واستخلف عليهم عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي ثم سار بنفسه وبمن خف معه ، اربعمائة فارس واربعمائة بعير وثمانمائة قربة « للمياه على كل بعير قربتين » وتوجه الى ودان ..

– كان أهل « ودان » قد تحصنوا ، وعرض عليهم عقبة الاستسلام ، فأبى أهلها إلا العصيان وعدم الطاعة ، فحاربهم عقبة حتى أخضع البلاد بلداً بلداً وقبض على ملكهم فجدع أذنه فقال : « لِمَ فعلت هذا بي ؟! » فقال عقبة : « فعلت هذا بك أدباً لك ، إذا مسست اذنك ذكرته فلا تحارب العرب ! » واستخرج منهم ما كان بسر بن أرطاة فرضه عليهم ..

– بعد ان انتهى عقبة من اعادة الأمن والنظام الى « ودان » سأل أهلها : [.. **هل من ورائكم أحد ؟!**] فقيل له « جرمة »[٣] وهي مدينة فزان العظمى .. فسار اليها ثماني ليال من ودان ، فلما دنا منها أرسل فدعاهم الى الاسلام فأجابوا فنزل منها على ستة أميال ، وخرج ملكهم يريد عقبة وأرسل عقبة خيلاً فحالت بين ملكهم وبين موكبه فأمشوه راجلاً حتى أتى عقبة وقد لغب ، فتعب واصابه الاعياء ، وكان ناعماً فجعل يبصق الدم فقال له : لم فعلت هذا بي وقد أتيتك طائعاً ؟ فقال عقبة : « أدباً لك ، اذا ذكرته لم تحارب العرب » وفرض عليهم الجزية[٤] ..

ووجه عقبة الرجل من يومه ذلك الى المشرق ، ثم مضي على جهته من فوره الى قصور فزان فافتتحها قصراً قصراً حتى انتهى الى اقصاها فسألهم : [**هل من**

....

(١) مغداش : بلد قريب من « سرت » في طرابلس الغرب بليبيا .
(٢) سرت : مدينة قريبة مكانها الآن مدينة تونس بشمال افريقيا وكانت محطاً للقوافل وسوقاً للتجارة ، وبلغت اوج ازدهارها وعزها ايام ملوك الاغالبة في القرن التاسع الميلادي .
(٣) جرمة : اسم قصبة بناحية فزان ، وكانت عاصمة فزان ايام الفتح الاسلامي .
(٤) فتوح مصر والمغرب ٢٦٢ . الاستقصاء ١ - ٧١ .

ورائكم احداً ؟!..] قالوا نعم أهـــل « خاور[١] » وهو قصر عظيم على رأس المفازة في وعورة على ظهر جبل وهو قصبة كوار[٢] ، فســار اليها خمس عشرة ليلة فلما انتهى تحصنوا ، فحاصرها شهراً فلم يستطع لهم شيئاً ، فمضى أمامه على قصور كوار فافتتحها حتى انتهى الى اقصاها وفيها ملكها فأخذه فقطع أصبعه فقال : لِمَ فعلت هذا بي ؟ قال : [أدباً لك حتى اذا انت نظرت الى اصبعك لم تحارب العرب ..] فسألهم : [.. هل من ورائكم أحد ؟..] واجابه الدليل ليس عندي بذلك معرفة ولا دلالة فانصرف عقبة راجعاً ، فمر بقصر « خاور » فلم يعرض له ولم ينزل بهم ، وسار ثلاثة ايام ، فأمنوا ، وفتحوا مدينتهم ..

أقام عقبة بمكان اسمه اليوم « ماء فرس » ولم يكن بــه ماء فأصابهم عطش شديد ، أشفى منه عقبة واصحابه على الموت ، وجعل فرس عقبة يبحث بيديه في الأرض حتى كشف عن صفاة ، فانفجر فيها الماء ، فجعل الفرس يمص ذلك الماء فأبصره عقبة فنادى في الناس ان احتفروا فحفروا سبعين حسياً[٣] فشربوا واستقوا ، فسمي لذلك « ماء فرس » .

– رجع عقبة بعد ذلك الى خاور من غير طريقه التي كان أقبل منها ، فـلم يشعروا به حتى طرقهم ليلاً فوجدهم مطمئنين قــد تمهدوا في أسرابهم فاستباح ما في المدينة من ذرياتهم واموالهم وقتل مقاتلتهم ..

– انصرف عقبة بعدها راجعاً فسار حتى نزل بموضـع « زويلة » اليوم ثم ارتحل حتى قدم على عسكره بعد خمسة أشهر وقد جَمَّتْ خيولهم وظهورهم .

– عندما أنهى عقبة فتح المناطق الصحراوية وأخضع القبائل المتمردة وضع مخططه لمتابعة العمليات على المحور الساحلي ، فسار متوجهاً الى المغرب وجانب

....

(١) خاور : مدينة كبيرة جنوبي فزان بليبيا .

(٢) كوار : كذا في الاصل ، ذكرت في معجم البلدان كاوار ، وهي كورة جنوب فزان مركزها خاور .

(٣) الحسي : البئر قليل العمق .

الطريق الأعظم وأخذ الى أرض مزاتة فافتتح كل قصر بها ثم مضى الى صفر[1] فافتتح قصورها وقلاعها .. وبعث خيلاً الى « غدامس » فافتتحها ولما رجعت هذه القوة من الفرسان سار الى قفصة [2] فافتتحها ، ثم افتتح مصطيلية [3] ثم انصرف الى القيروان بعد أن أنهى عملياته في الحدود « التونسية » ..

ب ـ « القيروان » قاعدة متقدمة للعمليات :

كان معاوية بن حديج قد اختط القيروان في موضع القرن وعندما وصل اليه عقبة ودرس موقعه لم يعجبه لأسباب عديدة منها :

١ً – كان يرغب في بناء القيروان ان تستند الى الجبل حتى تستفيد من صعوبته للحماية ..

٢ً – وكان يرغب دفع المدينة في اتجاه الصحراء ، اذا لم يتحقق الشرط الأول نظراً لما يعرفه العرب من اساليب حرب الصحراء وتوافقها مع طبيعتهم ..

٣ً – وعلاوة على ذلك فقد كان عقبة يرغب في ابعاد « القيروان » عن المدن والمناطق المأهولة بالسكان للمحافظة على الأمن .

وتظهر الحوافز التي دفعت لبناء قاعدة متقدمة من خلال حديثه الى قادته وجنده حيث قال لهم :

[... ان افريقية اذا دخلها إمام أجابوه للاسلام فاذا تركها رجع من كان اجاب منهم لدين الله الى الكفر فأرى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا مدينة تكون عزاً للاسلام الى آخر الدهر ..]

– واتفق الناس على ذلك ، وأن يكون اهلها مرابطين قرب البحر ليتم لهم الجهاد والرباط ، وقال لعقبة بعض اصحابه :

[قربها من البحر ليكون اهلها مرابطين ..] واجابهم **[اني اخاف ان**

---

(١) صفر : اسمها الحالي صفرو مدينة في شمال المغرب، في قلب جبال أطلس الوسطى.

(٢) مدينة في تونس ، بينها وبين القيروان ثلاثة ايام ، كان لها اهمية كبرى في عهد الرومان.

(٣) تقع في اقصى بلاد المغرب على حدود الصحراء .

يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها ؛ ولكن اجعلوا بينها وبين البحر ما لا يدركها معه صاحب البحر ، لأن صاحب المركب لا يظهر من اللجة حتى يستره الليل فهو يسير الى ساحل البحر الى نصف الليل ، فيخرج فيقيم في غارته الى نصف النهار فلا تدركها منه غارة ابداً ، فان كان بينها وبين البحر ما لا يجب فيه التقصير ، فأهلها مرابطون ، ومن كان على البحر فهم حرس لهم وهم عسكر معقود الى آخر الدهر وميتهم في الجنة] .

– وبدأ البحث عن الموقع المناسب ، وأشرف عقبة وجيشه على الموقع الذي بنيت فيه القيروان فركز رمحه وقال هذا قيروانكم [1] ، وكان وادياً كثير الشجر كثير القطف تأوي اليه الوحوش والسباع والهوام ، واقام ثلاثة ايام وامر الناس بالتنقية والخطط ، واراد عقبة تقريب المدينة من السبخة ، فقالوا له :

[نخاف ان تهلكنا الذئاب ويهلكنا بردها في الشتاء وحرها في الصيف] فقال : [لا بد لي من ذلك ، لأن اكثر دوابكم الابل وهي التي تحمل عسكرنا ، والبربر قد تنصروا ، ونحن اذا فرغنا من امرها لم يكن لنا بد من المغازي والجهاد ونفتح الأول منها فالأول فتكون ابلنا على باب مصرنا في مرعاها آمنة من غارة البربر والنصارى ..]

---

(١) تذكر المصادر ان الرجال اجابوا عقبة عندما قال لهم هذا قيروانكم بما يلي :

(.. انك أمرتنا بالبناء في شعار وغياض لا ترام ، ونحن نخاف من السباع والحيات وغير ذلك من دواب الأرض . وكان في عسكره خمسة عشر رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر ذلك تابعون ، فدعا الله عز وجل وجعل اصحابه يؤمنون على دعائه ؛ ومضى الى السبخة وواديها ونادى (ايتها الحيات والسباع ، نحن اصحاب رسول الله ، فاظعنوا انا نازلون ومن وجدناه بعد ذلك قتلناه) . ونظر الناس بعد ذلك الى أمر معجب من أن السباع تخرج من الشعار تحمل اشبالها والذئب يحمل جروه والحيات تحمل أولادها ، ونادى في الناس « كفوا عنهم حتى يرتحلوا عنا » فلما خرج ما فيها من الوحش والهوام وهم ينظرون اليها نزل عقبة الوادي وأمرهم ان يقطعوا الشجر ..) . المصادر : فتح مصر والمغرب ٢٦٥ - ٦٦ . رياض النفوس ١ - ٦ - ٧ . اسد الغابة ٣ - ٤٢٠ - ٢١ . الكامل لابن الأثير ٣ - ١٨٤ .

- كان مع عقبة عشرة آلاف فارس ، وانضم اليه من أسلم من البربر ،فكثر جمعه ، وبدأ العمران عام ٥٠ هـ ، واستمرت عملية البناء خمسة اعوام ، ونقل الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله الى مكان القيروان الجديدة .. وكان محيطها ثلاثة آلاف وستمائة باع ، فأصبحت المدينة عسكراً للمسلمين وأهلهم وأموالهم يأمنون من ثورة تكون من اهل البلاد ، فقوي جنان من هناك من الجنود وثبت الاسلام فيها ، وكان عقبة في اثناء عمارة المدينة يغزو ويرسل السرايا فتغير وتنهب ودخل كثير من البربر في الاسلام واتسعت خطة المسلمين ورسخ الدين ، وصارت القيروان مدينة كبيرة وعاصمة الاسلام في المغرب .

- أصبحت افريقية في هدوء بعد اضطراب وفي أمن بعد خوف وفي سلم بعد حرب ، وبدىء العمل لبناء قاعدة متقدمة يمكن الانطلاق منها نحو آفاق اكثر اتساعاً للتوغل غرباً ومتابعة الفتوح لكن أحداثاً طرأت على الموقف وكان لها دورها في مسيرة الأحداث ..

- في عام ٥٥ هـ ، أصدر معاوية بن ابي سفيان أمره بتعيين مسلمة بن مخلد الانصاري على مصر وافريقية ، مكافأة له على مواقفه المؤيدة لعثمان والامويين ، ووفاء بحقه عليه . وعمل مسلمة على عزل عقبة بن نافع عن ولاية افريقية وتعيين ابو المهاجر دينار بديلاً له ، وقيل لمسلمة : [**لو أقررت عقبة فان له جزالة وفضلاً**] فقال مسلمة : [**ان ابا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيل فنحن نحب أن نكافئه**] ، وهكذا لم يعزل معاوية او مسلمة عقبة عن افريقية لريبة أو تقصير .

وتوجه ابو المهاجر الى افريقية ، وألقى القبض على عقبة فسجنه وأوقره حديداً حتى أتاه كتاب معاوية بن ابي سفيان بتخلية سبيله وإشخاصه اليه ..

سار عقبة الى الشام ، وعاتب معاوية فاعتذر معاوية اليه ..

- في عام ٦٢ هـ ، توفي مسلمة بن مخلد .. وشعر يزيد ان الموقف في مصر

وافريقية سيتفاقم خطورة فقال: [**ادركوا افريقية قبل ان يخربها ابو المهاجر..**]
واصدر امره باعادة تعيين عقبة لولاية افريقية ..

ج ـ ابو المهاجر وأعمال الفتوح :

ـ خلال الفترة مابين ٥٥ ـ ٦٢ هـ ،تولى ابو المهاجر دينار ولاية افريقية، وقام بمجموعة من الاعمال القتالية التي أوصلت المد العربي الاسلامي حتى الجزائر « المغرب الاوسط » .

ـ عندما وصل ابو المهاجر (افريقية) كره أن ينزل في الموضع الذي اختطه عقبة بن نافع ، ومضى عن القيروان حتى خلفها بميلين فابتنى ونزل ، واخذ في تنظيم جيشه والاستعداد للمعارك المقبلة ..

ـ كانت قرطاجنة عاصمة الروم ـ بيزنطة ـ في شمال افريقية، وكانت سيطرة الروم لا زالت قوية على الساحل الشمالي لافريقية ما بين بنزرت [١] وطنجة ، وكان هذا الوجود البيزنطي مصدر قلق العرب المسلمين باستمرار نظراً لما كان يقوم به هذا الوجود من تحريض على الثورة المضادة ، ومن تأمين مجال حيوي للبيزنطيين في القسطنطينية ، فوضـــع ابو المهاجر هدفه الاول لضرب النفوذ البيزنطي والهجوم على قرطاجنة [٢] .

ـ تحرك ابو المهاجر بجيشه حتى هدفه الأول فوجد أن قرطاجنة قدتحصنت بالأسوار العالية وتحصنت ، فشدد ابو المهاجر عليهم الحصار ، وعرفت الحامية المدافعة عن المدينة في المسلمين تصميمهم على الاستمرار في الحصار ومتابعة القتال حتى النصر ، فعرضوا على المسلمين الصلح، واشترط ابو المهاجر لقاء الصلح جلاء الحامية المدافعة عن « شبه جزيرة شريك » . وذلك لأن الروم كانوا يستخدمون موقع شبه الجزيرة لحشد قواتهم ، وكان لها ايضاً اهمية كبرى كقاعدة متقدمة

---

(١) بنزرت : مدينة بينها وبين تونس يومان أما طنجة فبينها وبين سبتة مسيرة يوم واحد .
(٢) المصادر : فتوح مصر والمغرب ٦٦٦ . الاستقصا ١ ـ ٧١ .

وكمركز مراقبة يمكن بواسطتـــه حماية قوة العرب المسلمين العاملة على المحور الساحلي . وقبل الروم شروط ابو المهاجر وتم عقد الصلح بين الطرفين ..

– وضع ابو المهاجر [**هدفه الثاني**] الاستيلاء على (ميْله) [1] نظراً لموقعها المتوسط بين المغربين الأدنى والأوسط،وأهميتها بالتالي لمراقبة واستطلاع تحركات البربر والروم . وعندما أنهى ابو المهاجر استعداده توجه غرباً مع محاذاة الساحل. ولم يعترض تقدمه مقاومه تذكر حتى وصل (ميله) فوجد الروم والبربر وقـد تحصنوا بهاوامتنعوا وراء أسوارها. وضرب أبو المهاجر حصاراً دقيقاً حتى اتيحت له الفرصة ففتحهـا . واستقر فيها ، وأخذ ينشر الدعوة الاسلامية بين القبائـل البربرية ويشرح لها اسس الدين وتعاليمـه ونجح في اجتذاب عدد كبير من افراد هذه القبائل طوال فترة السنتين اللتين قضاها في « ميله » – .

– وأصبح [**الهدف الثالث**] عند أبو المهاجر . هو الاستيلاء على تلمسان[2].

– كان كسيله ابن لمزم الأوربي زعيم قبيلة« أوْربَة » قوي الشخصية وكانت قبيلته من اكبر القبائل في المغربين الأدنى والاوسط . وعندما علم كسيله أن أبا المهاجر قـد وصل ميله واستقر بها . انطلق الى البربر يدعوهم لحرب العرب واجلائهـم عن افريقية . واجتمعت كلمة البربر تحت قيادته ، ودعمه الروم البيزنطيون واخذ كسيله في الاستعداد للحرب وجعل من تلمسان مقراً له – .

– لم ينتظر أبو المهاجر قيام كسيله بالهجوم على قواته ، فتحرك بجيشه حتى وصل « تلمسان » حيث التقت قوات العرب المسلين بجيش كسيله. ودارت رحى معركـة طاحنة . قاتل فيها جيش كسيلة بعناد وضراوة وصبر جيش العرب المسلمين حتى استطاعوا انتزاع النصر ، وأمكن لهم تمزيق قوات خصومهم وأسر

---

(١) ميلة : مدينة صغيرة بأقصى افريقيـة الى الجنوب الشرقي من بجاية وبينهما ثلاثة ايام (خمسين ميلا تقريباً) معجم البلدان ٨ – ٢٢٦ .

(٢) تلمسان : مدينة بالمغرب كان اسمها « أقادير » وتقع على بعد مرحلة من وهران . معجم البلدان ٢ – ٤٠٩ .

كسيله حيث حمل الى ابي المهاجر الذي احسن اليه ، وأكرمه وقربه وكان لذلك اثره في نفسية « كسيلة » فأشهـر الاسلام واستبقاه ابو المهاجر واستخلصه ـ .

ثم تابع ابو المهاجر تقدمه لاخضاع القبائل حتى وصل الى العيون المعروفـة بعيون أبي المهاجر حيث صالح القوات البيزنطية والقبائل البربرية ـ [1] .

– توقف تقدم ابو المهاجر عند حدود « المغرب الأوسط » وقرر العودة الى القيروان – بعد ان حقق منجزات رائعة وفرض سيطرة العرب المسلمين ولأول مرة على منطقة المغرب الأوسط – .

عقبة يتابع ثانية فتوحاته

أصدر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أمره بتعيين عقبة لولاية افريقية ، عام ٦٣ هـ فسار عقبة من الشام الى افريقية مباشرة بقوة عشرة آلاف مقاتل،وعندما وصل (القيروان) – أخذ ابا المهاجر وحبسه وقيده وأخذ ما معه من الأموال وخرب مدينته وعمر القيروان وعزم على الجهاد فدعا أولاده وقال لهم : –

[.. يا بني ، أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوها ، اياكم ان تملأوا صدوركم بالشعر وتتركوا القرآن فان القرآن دليل على الله عز وجل، وخذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللبيب ويدلكم على مكارم الأخلاق ، ثم انتهوا عما وراءه . وأوصيكم ألا تدينوا ولو لبستم العباء فان الدين ذل بالنهار وهم بالليل فدعوه تسلم لكم اقداركم وأعراضكم وتبق لكم الحرمة في الناس مابقيتم. ولا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين فيجهلوكم دين الله ويفرقوا بينكم وبين الله تعالى ، ولا تأخذوا دينكم الا من أهل الورع والاحتياط فهو أسلم لكم ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا ..

ثم قال : « عليكم سلام الله ، وأراكم لا تروني بعد يومكم هذا .. »

(١) المصادر : تاريخ المغرب الكبير ٢ / ٣٤–٣٨ . الاستقصا ١ / ٧١–٧٢ . فتوح مصر والمغرب ٢٦٧ .

ثم قال : – [اللهم تقبل نفسي في رضاك واجعل الجهاد رحمتي ودار كرامتي عندك] . [١]

أنهى عقبة استعداده القتالي ، ودفع بزهير بن قيس البلوى على مقدمته وسار بجيشه ففتح حصن لميس – وتابع زحفه لا يدافعه أحد والروم يهربون في طريقه يمينـاً وشمالاً حتى وصل (باغاية) [٢] فحاصرها وقد اجتمعوا بها وقاتلهم قتالاً شديداً فانهزموا عنه وقتل منهم قتلاً ذريعاً ، وغنم منهم غنائم كثيرة واحتمى المنهزمون داخل أسوار المدينة فكره المقام عليهم .

– كانت (تلمسان) [٣] من اعظم مدائن المغرب وكانت تدافع عنها حامية قوية ، وانضم الى الحاميـــة الروم والبربر ، فتوجه عقبة لقتالهم وخرج الروم والبربر للقائه في جيش كبير ، والتحم القتال حتى ظـن المسلمون أنه الفناء ، ولكنهم صبروا وهاجموا الروم هجوماً عنيفاً حتى الجأوهم الى حصونهم وقاتلوهم على أبوابها واصابوا منهم غنائم كثيرة ..

– تابع عقبة زحفه الى بلاد الزاب وكانت (أرَبَة) دار ملكهم واعظـم مدينة لديهم وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية كلها عامرة فامتنع بهـا من هناك من الروم والنصارى وهرب بعضهم الى الجبال ، فاقتتل المسلمون ومن بالمدينة من النصارى ثم انهزم النصارى وقتل كثير من فرسانهم ..

– وصل عقبة في مسيرته الشاقة والطويلة حتى وصل « تاهرت »[٤]. وكانت

....

(١) رياض النفوس ١ – ٢٢ .

(٢) يطل جبل أوراس على باغاية .. وباغاية الغين معجمة وألف وباء ، مدينة كبيرة في أقصى افريقية بين مجانة وقسنطينة . معجم البلدان ١ – ٣٢٥ .

(٣) تلمسان : مدينة بالمغرب اسمها القديم : أقادير ، على بعـد مرحلة من وهران . معجم البلدان ٢ – ٤٠٩ .

(٤) تاهرت : اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب . معجم البلدان ٢ – ٣٥٤ .

المصادر : الكامل لابن الأثير ٤ – ٤٢ والاستقصا ١ – ٧٢ .

حاميتها من الروم قد استنجدت بالبربر فأغاثوهم وأنجدوهم وكثر جمعهم فقام عقبة في الناس خطيباً وقال :

[.. أيها الناس : ان أشرافكم وخياركم : بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان على من كفر بالله إلى يوم القيامة وهم أشرافكم والسابقون منكم الى البيعة ، باعوا أنفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة ، وأنتم اليوم في دار غربة ، وانما بايعتم رب العالمين وقد نظر اليكم في مكانكم هذا ، ولم تبلغوا هذه البلاد الا طلباً لرضاه واعزازاً لدينه فأبشروا ! فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل ان شاء الله تعالى . وربكم عز وجل لا يسلمكم ، فالقوهم بقلوب صادقة فان الله عز وجل جعلكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه والله لا يرد بأسه عن القوم المجرمين ..]

و التقى المسلمون بأعدائهم وكانت معركة طاحنة في تاهرت اظهر فيها المسلمون من الصبر بقدر ما أظهر خصومهم من عناد ، وتفوق المسلمون بإيمانهم على تفوق عدوهم وكثرة عدده ، ونجحوا في انتزاع النصر وانهزم الروم والبربر وكثر فيهم القتل وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم .

– تابع عقبة زحفه حتى وصل طنجة فحاصرها واستنزل ملكها ليليان أمير غمارة (١) فنزل على حكمه ولاطفه وهاداه .

– اراد عقبة بعد ذلك اللحاق بالجزيرة الخضراء من عدوة الأندلس فقال له ليليان : –

[.. أتترك كفار البربر خلفك وترمي بنفسك في بحبوبة الهلاك مع الفرنج ويقطع البحر بينك وبين المدد ؟ فقال عقبة : – وأين كفار البربر ؟ فقال ببلاد – السوس – وهم أهل نجدة وبأس . قال عقبة وما دينهم ؟ قال ليس

---

(١) جاء في تاريخ المغرب الكبير ٢ – ٤٤ ان يليان الغماري من البربر في حين ذكر في فتح العرب للمغرب ١٩٢ انه قوطي من اسبانيا وهو الأصح على ما يذكره مؤرخو الأندلس .

لهم دين ولا يعرفون أن الله حق وانما هم كالبهائم . وكانوا على دين المجوسية يومئذ ..]

– كانت (وليلى) الواقعة بازاء جبل زرهون من أكبر مدن المغرب يومئـذ فيما بين النهرين العظيمين « سبو – و – ورغة » وهي المسماة اليوم بلسان العامة بقصر فرعون – فتوجه عقبة نحوها وافتتحها عنوة – .

– ثم توجه عقبة الى « درعة [1] والسوس » فلقيه جموع البربر فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزمـت البربر بعد حروب صعبة وقتلهم المسلمون قتلاً ذريعاً وتبعوا آثارهم الى صحراء لمتونة لا يلقاهم احد الا هزموه – .

– وتوجه بعد ذلك عقبة في اتجاه المحيط حتى وصل «آسفي» وأدخل قوائم فرسه في البحر « المحيط الأطلسي » ووقف ساعة ثم قال لأصحابه : –

ارفعوا أيديكم ففعلوا وقال : – [.. اللهم اني لم أخرج بطراً ولا أشراً وانك لتعلم انما نطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين وهو أن تعبد ولا يشرك بك شيء . اللهم انا معاندون لدين الكفر ومدافعون عن دين الاسلام ، فكن لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والاكرام] ثم انصرف راجعاً .

وصل عقبة في طريق عودته الى جبال « درن » وقاتل المصامدة بها فكانت بينه وبينهم حروب قاسية ، وحاصروه بجبـل « درن » فنهضت اليهم « جموع زناتة » وكانوا خالصة للمسلمين منذ اسلام مغداوة – فأفرجت المصامدة عـن عقبة وأثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الإسلام ودوخ بلادهم ثم أجاز الى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة – أهل اللثام – وهم يومئذ على دين المجوسيةولم

....

(١) درعة : مدينة صغيرة بالمغرب ، تقع الى الغرب من سجلماسة بأربعـة فراسخ « معجم البلدان – » .

المصادر : الاستقصاء ١ – ٧٣ . التاريخ الكامل لابن الاثير ٤ – ٣ – ٤ . رياض النفوس ١ / ٢٣ – ٢٤ .

يدينوا بالنصرانية فأثخن فيهم وانتهـــى الى « تارودنت » وهزم جموع البربر وقاتل « مسوفة » من وراء السوس ثم قفل راجعاً – .

هـ – تهوذة « المأساة » – ٦٣ هـ – ٦٨٣ م [١]

كان كسيلة الأوربي في جيش عقبة قد استصحبه في غزواته هذه – وكان قد اضطفن عليه صحبته لأبي المهاجر ونكبه وكان يستهين به ويمتهنه فأمره يومـاً بسلخ شاة بين يديه فدفعها كسيلة الى غلمانة فاراده عقبة ان يتولاها بنفسه وانتهره فقام اليها كسيلة مغضباً وجعـل كلما دس يده في الشاة مسح بلحيته . والعرب يقولون ما هذا يا بربري ؟ – فيقول : – هو أجير . فيقول لهم شيخ منهم : – ان البربري يتوعدكم – وبلغ ذلك أبا المهاجر وهو معتقل عند عقبة فبعث اليـه ينهاه ويقول : –

[كان رسول الله ﷺ يستألف جبابرة العرب وأنت تعمد الى رجل جبار في قومه وبدار عزه ، حديث عهد بالشرك فستفسده ..]

وأشار عليه بأن يتوثق منه وخوف غائلته . فتهاون عقبة بقوله ...

– وصل عقبة في طريق عودته الى « طبنة » من أرض الزاب وكسيلة اثناء هذا كله في صحبته . وصرف العساكر إلى القيروان ، أفواجاً متتابعة ثقة منـه بما حققه من الفتوحات . ولم يبق معه الا قليل من الجند لا يزيد على ثلاثمائة . فلما وصل الى « تهوذة » وأراد أن ينزل بها الحامية نظر اليه الفرنجة وطمعوا فيه ، فراسلوا كسيلة ودلوه على الفرصة فيــه فانتهزها وراسل بني عمه ومن تبعهم من البربر فاتبعوا أثره . وعـــلم أبو المهاجر بالأمر فأرسل الى عقبـــة يقول له : **[عاجله قبل أن يقوى جمعه]** . وأسرع عقبـــة حتى التقى بكسيلة عنـد

....

(١) تهوذة : مدينة في جنوب جبال اوراس الى الجنوب الشرقي من مدينة « طبنة » وتبعد عنها ٥٠ كم تقريباً . وهناك قبيلة من البربر ايضاً تحمل هذا الاسم . معجم البلدان ٢ – ٤٣٨ وتاريخ المغرب الكبير ٢ – ٤٦ .

« تهوذة » وشعر ان نتيجة المعركة لن تكون لصالحه . وبلغه ان ابا المهاجر يتمثل في قيوده بقول ابو المحجن الثقفى يوم القادسية :

كفى حزناً أن ترتدي الخيل بالقنا وأترك مشدوداً علي وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد وأغلقت مصارع من دوني تصم المناديا ..

فتأثر عقبة وقال [أطلقوا أبا المهاجر] ثم قال له :

[.. الحق بالقيروان وقم بأمر المسلمين وأنا اغتنم الشهادة] فقال ابو المهاجر : [وانا اغتنم الشهادة مثلك ..] (١)

– نزل عقبة والقوة الباقية معه عن خيولهم – وكسروا اجفان سيوفهم – واندفعوا بايمان وتصميم حتى قتلوا جميعاً وفيهم كبار الصحابة والتابعين – وقاتل ابو المهاجر في هذه المعركة بشجاعة وعناد حتى استشهد ووقع عدد من الصحابة في الأسر منهم محمد بن اوس الانصاري ويزيد بن خلف العبسي ونفر معهما ففداهم ابن مصاد صاحب قفصه وبعث بهم الى القيروان – .

– جمعت اجداث الصحابة فيما بعد وبني لهم قبور – ثم شيد مسجد لا زال مزاراً – والواقع **[ان المسجد الذي يضم رفاته في المنطقة التي تحمل اسمه « سيدي عقبة » جنوبي سكرة ، هو اقدم أثر من فن العمارة الاسلامية في افريقية ، ويعود الى وقت كانت فيه العمارة لا تزال بسيطة بدائية ..]** (٢) .

– زحف كسيلة بعد الوقعة الى جهة القيروان ان هي دار الامارة بالمغرب يومئذ وبها جمهور العرب ووجوه الاسلام فبلغهم الخبر وعظم عليهم الأمر – فقام زهير بن قيس البلوي فيهم خطيباً وقال :

[.. يا معشر المسلمين ، ان اصحابكم قد دخلوا الجنة فاسلكوا سبيلهم او يفتح الله عليكم ..]

---

(١) المصادر : التاريخ الكامل لابن الاثير ٤ – ٤٣ . الاستقصاء ١ – ٧٤ . رياض النفوس ١ – ٢٥ .

(٢) تاريخ الشعوب الاسلامية – بروكلمان – ١ – ١٥٢ .

فخالفه حنش بن عبدالله الصنعاني لما علم انه لا طاقة للمسلمين بما دهمهم من أمر البربر – ورأى النجاة بمن معه من المسلمين أولى – ونادى في الناس بالرحيل الى مشرقهم . فاتبعوه الا قليلاً منهم وبقي زهير في أهل بيته فاضطر الى الخروج وسار إلى برقة فأقام بها مطلاً على المغرب ومنتظراً المدد من الخلفاء .

– اجتمع الى كسيلة جميع اهل المغرب من البربر والفرنجة [**ودفعه هؤلاء الفرنجة لينظم بالاتفاق مع الحاميات البيزنطية الباقية في البلاد المقاومة ضد العرب**] [1] ، فعظم أمره، وتقدم الى القيروان فاستولى عليها في المحرم سنة ٦٤هـ . وفر منها بقية العرب فلحقوا بزهير، ولم يقم بها الا أصحاب الذراري والأثقال . فأمنهم كسيلة وثبتت قدمه بالقيروان واستمر أميراً على البربر ومن بقي بها من العرب خمس سنين . وقارن ذلك مهلك يزيد بن معاوية وفتنة الضحاك بن قيس مع مروان بن الحكم بمرج راهط من أرض الشام وحروب آل الزبير فاضطرب أمر الخلافة بالمشرق . واضطرم المغرب ناراً ، ونشبت الردة في « زناتة » و « البرانس » الى أن استقل عبد الملك بن مروان بالخلافة ، وأذهب آثار الفتنة من المشرق فالتفت الى المغرب وتلافى أمره – . [2]

٤ – معركة « مَمَس » ٧١ هـ – ٦٩٠ م [3]

آ – الوضع العام :

أصيب المسلمون بخيبة أمل مريرة بعد معركة « تهوذة » وكان مقتل عقبة بن نافع قد ترك جرحاً عميقاً في النفوس لا سيما وان توافقت هذه النكسة قد جاء مع

....

(١) تاريخ الشعوب الاسلامية - بروكلمان - ١ - ١٥٢ .

(٢) الاستقصاء ١ – ٧٥ . الكامل لابن الأثير ٤ – ٣ : ٣ .

(٣) ممس ، أو ممش كما جاء في ابن الأثير ، وتقع في هضبة الى الجنوب الشرقي من جبال أوراس .

- الكامل لابن الاثير ٤ / ٤٣ – ٤٤ . الاستقصاء ١ – ٨١ . فتح العرب للمغرب ٢١٣ – ٢٢٧ و ٢٦٢ – ٢٦٤ .

انتكاسة اخرى تمثلت في انقسام الجبهة الداخلية بعـد وفاة يزيد بن معاوية ـ .

ـ عانى العالم العربي الاسلامي من التمزق والاضطراب طوال الفترة ما بين عام ٦٣ هـ و٦٨ هـ ، حتى انتهى الأمر الى عبـد الملك بن مروان الذي استطاع اخماد الفتن والقضاء على الثورات واعادة جمع شمل الأمة وتوحيدها ـ وعندما تم له ذلك أصبح في وضع يسمـح له باعادة فرض سيطرة الدولة وتعزيز مكانتها ـ .

ـ أفادت بيزنطة من هذا المناخ ـ فوجهت قواتها واحتلت بعض مدن «الشام» وفي الوقت ذاته دعمت حركة المقاومة في افريقية بقيادة « كسيلة » وكان لجهود « قسطنطين الرابع » ملك بيزنطة دور حاسم في اعادة بناء الدولة ودعمها وتقويتها في جميع المجالات ـ .

ـ أراد عبد الملك بن مروان دعم قوة العرب المسلمين في افريقية ، وتقليص نفوذ الروم واستعادة ما كان عقبة بن نافع قد فتحه ، وأخذ في البحث عن قائد يستطيع الاضطلاع بهـذا العبء وتساءل في مجلسه : ـ [**فقال : ـ من للأمر مثل عقبة ؟ ..**]

واتفق الاجماع على زهير بن قيس البلوي فأرسل اليه عبد الملك أمراً باستئناف اعمال القتال ومتابعة اعمال الفتوح ـ .

ـ كان زهير بن قيس ـ قد بقي على رأس الحامية المدافعة عن برقة منذ مأساة تهوذة ، وخلال هذه الفترة امكن له جمع معلومات عن خصمه وتابع دراسة الموقف انتظاراً للفرصة المناسبة التي يستطيع فيها الانتقام لمقتل عقبة بن نافع والأخذ بالثأر من قاتله « كسيلة » . وعندما وصله أمر عبد الملك ـ أسرع بالاجابة وكتب رسالة الى الخليفة ضمنها تقديره للموقف مقارناً بين قوة عدوه وكثرة عدده مقابل ضعف اعداد المقاتلين من العرب المسلمين ـ

ـ عند ذلك ـ أرسل عبد الملك بن مروان يستنفر أشراف العرب ليحشدوا اليه الناس من الشام وأفرغ عليهم أموال مصر ـ فسارع الناس الى الجهاد ، واجتمع

منهم خلق عظيم ، فأمرهم أن يلحقوا بزهير فلما وصلوا اليها خرج بهم الى افريقية بعد أن أعاد تنظيمهم — .

— انطلق زهير بن قيس بجيشه بعد أن أكمل استعداداته الادارية ، ووضع مخططاته ، وتقدم حتى وصل « قلشانة » الواقعة على مسافة قريبة من القيروان، وذلك استعداداً للمعركة الحاسمة — .

ب — خطة كسيلة

— عندما بلغ « كسيلة » زحف العرب المسلمين بقيادة زهير بن قيس ، أخذ في الاستعداد للقتال — وجمع اليـــه قادته من الروم والبربر وشاورهم في الأمر وقال لهم : —

[.. ارى ان ننزل بـ « ممس » لئلا يركبنا من بالقيروان فنهلك لأن بالقيروان خلقاً كثيراً من المسلمين ، ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف ان قتلنا زهيراً ان يثب هؤلاء وراءنا ، فاذا نزلنا « ممس » أمناهم وقاتلنا زهيراً ، فان ظفرنا بهم تبعناهم الى «طرابلس » وقطعنا أثرهم من افريقية، وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا ، كما ان الماء بـ « ممس » كثير ..] .

— وواضح من ذلك أن مخطط كسيلة اعتمد المعطيات التالية : —

١ً — إطالة خطوط مواصلات زهير بن قيس وعزله عن قاعدة عملياته .

٢ً — جر العرب المسلمين الى المعركة في منطقة معادية بكاملها لهـم — حتى ينقطع عنهم كل دعم .

٣ً — استنزاف قوة العرب المسلمين في منطقة بعيدة ثم القيام بهجوم عـام ضدهم وانتزاع افريقية كلها من قبضتهم اذا أمكن ذلك .

٤ً — الانسحاب من المعركة الى الجبل — اذا ما انتصر العرب — والاستمرار في حرب الاستنزاف واشعال الثورة المضادة .

٥ً — الافادة من منطقة العمليات وما يتوفر فيها من موارد حياتية .

ـ وتنفيذاً لهذه الخطة ـ توجه « كسيلة » بجيشة الكبير الى « مَمّس » وأخذ في حشد قبيلته من « البرانس » ومن والاهم من جموع البربر والروم .

ج – المعركة الحاسمة

ـ توفرت المعلومات عنـد زهير عن تحرك « كسيلة » الى « ممس » فتوقف في ظاهر القيروان مدة ثلاثة أيام أفاد منها زهير لتنظيم قواته وأفادت منها القوات للراحة والاستعداد للمعركة ثم انطلق زهير بعدها فأشرف على معسكر كسيلة في نهاية النهار – .

ـ في صبيحة اليوم التالي ـ تقدمت قوات العرب المسلمين وتقدم خصومهـم وحدث اللقاء – وكان لقاء حاراً [.. **حيث التحم الفريقان ، ونزل الضر ، وكثر القتل في الجانبين حتى يئس الناس من الحياة .. ولم يزالوا كذلك حتى انهزم كسيلة وقتل ..**] .

ـ لقـد كان جيش العرب المسلمين دون جيش خصمه في قوته العددية وكان كسيلة قد حشد قوته لخوض معركة حاسمة ـ وكان العرب مقابل ذلك مصممون على انتزاع النصر فكانت معركتهم قاسية ، صعبة أظهروا فيهـا من الصبر والشجاعة بقدر ما أظهر خصومهم من العناد والبسالة – حتى استطاعوا الحاق الهزيمة بخصومهم والانتقام من قاتل عقبة بن نافع .

د – المطاردة ـ واستثمار النصر – .

ـ أسرع زهير لاستثمار النصر ، فدفع قواته الخفيفة للمطاردة – ومضـى الناس في طلب البربر والروم فلحقوا كثيراً منهم وقتلوهم – وجدوا في طلبهم حتى واد « ملوية » بطنجة في المغرب – . وخلال عملية استثمار النصر ـ فتـح العرب المسلمون مجموعة من التحصينات والقلاع ـ كما فتحوا مدينة « تونس » وشقنبارية [١] .

....

(١) مدينةرومانية قديمة اسمها Sicca Vaneria وتسمى الآن مدينة الكف«أوالكاف».

ـ استطاع العرب المسلمون في هذه المعارك المتتالية ان يقتلوا عدداً كبيراً من رجال الروم والبربر وان يبيدوا ملوكهم وأشرافهم وفرسانهم ، وانتشرت موجة من الذعر ـ فلجأ الروم الى قلاعهم وهرب البربر الى الجبال يعتصمون بها وتمزقت عرى التعاون بين الروم والبربر وكانت الخسائر بين قبائل « البرانس ـ و ـ اوربة » اكثر من غيرها ـ ونظراً لتحطم الزعامة في القبائل المذكورة وهي من اكبر القبائل اصبح باستطاعة العرب المسلمون العمل بأمن والانتشار حتى المغرب الاقصى حيث استولوا على مدينة « وَليلي » ما بين فاس ومكناس.

هـ ـ العدوان البيزنطي ـ .

كانت بيزنطة تتابع مسيرة الأعمال القتالية في أفريقية ، وأرادت اجهاض تلك الانتصارات التي أحرزها العرب المسلمون والقضاء على جيشهم مما يسمح لهم بمعاودة فرض سيطرتهم على هذا المجال الحيوي .. [.. **فخرجوا الى برقة في مراكب كثيرة وقوة عظيمة من القسطنطينية وجزيرة صقلية فأغاروا على برقة واصابوا بها سبياً كثيراً وقتلوا ونهبوا ووافق ذلك قدوم عسكر زهير ، فأمر عسكره بالمسير الى الساحل طمعاً بأن يدرك سبي المسلمين فيستنقذهم ، وأشرف على الروم فاذا هم في خلق عظيم .. (١)**

لقي زهير الروم في اربعين رجلا واراد ان يكف حتى يلحقه الناس فقال له فتى حدث كان معه.. جبنت ابا شداد ، فقال قتلتنا وقتلت نفسك ثم خرج بهم فصادف العدو ، فقرأ السجدة فسجد وسجد اصحابه ثم نهضوا فقاتلوا فقتلوا اجمعون لم يشذ منهم رجل ، ثم اتى فهد بن كثير المعامزي فأزال الروم عن برقة فضبطها (٢) . وعاد الروم بما غنموا الى القسطنطينية ..

دفن زهير وصحبه بـ « درنة » قريباً من الشاطيء حيث استشهد . وكان

....

(١) الكامل لابن الاثير ٤ ـ ٤٤ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٥ ـ ٣٩٣ .

خبر المأساة التي نزلت به وبالمسلمين مؤلماً . ولما سمع عبد الملك بن مروان بقتل زهير عظم عليه واشتد وكانت مصيبته مثل مصيبة عقبة بن نافع قبله نظراً للمكانة الرفيعة التي احتلها زهير في نفوس المسلمين – .

٥ – القضاء على ثورة الكاهنة وتدمير قوة بيزنطة في قرطاجنة

أ – الوضع العام – .

جاءت احداث النكسة الجديدة التي أصابت العرب المسلمين واستشهاد زهير ابن قيس البلوي تزيد من عمق المأساة التي أصيبت بها الجيوش العربية قبل ذلك في استشهاد عقبة بن نافع الفهري ولتوضح الصورة العامة للموقف في «افريقية».

لقد أصبح واضحاً للعرب المسلمين جميعاً أنه ما لم يتم القضاء نهائياً على النفوذ البيزنطي في افريقية فإن الأمر لن يستقر للعرب وأن بيزنطة لن تتخلى عن مجالها الحيوي في افريقية والبحر بسهولة ولهذا فان الطريقة الوحيدة لتحقيق الاستقرار هي في تصعيد العمليات براً وبحراً وتدمير جميع الروابط بين بيزنطة–وافريقية–.

– وكانت بيزنطة قد أدركت – بعد أن تحررت الشام من قبضتها – أن وجودها وبقاءها مرتبط إلى حد بعيد في قوتها البحرية وفي مجالها الحيوي وقدرتها على الاحتفاظ ببعض القواعد البحرية فوق أرض افريقية وعلى سواحلها–. فأعادت بناء قوتها الذاتية ونظمت قواتها المسلحة ضمن حدود مفهوم هذه المنطلقات.

– لقد توافق توقيت أحداث النكسات في افريقية مع تمزق في الجبهة الداخلية خلال الفترة الاولى من حكم عبد الملك بن مروان ٦٥ – ٨٦ هـ – فكانت الثورات المتلاحقة سبباً في عدم تمكن الحكم الأموي من تركيز الجهد لتحقيق الاستقرار في افريقية وكان من أهم هذه الثورات والأحداث : –

سنة ٧٣ – كانت ثورة عبد الله بن الزبير في الحجاز من الثورات القوية التي ناهضت الحكم الأموي ، وتطلب القضاء عليها جهداً كبيراً واستمرت حتى أمكن القضاء عليها سنة ٧٣ هـ .

سنة ٧٦ هـ — ثورة شبيب بن قيس الخارجي الشيباني بالعراق . وقـد اشتد ساعد شبيب بالكوفة. ونجح في القضاء على القوات التي وجهها الحجاج ضده وقتل قادة هذه الجيوش على التتابع ومنهم ـ زائدة بن قد امه الثقفي وعتاب بن ورقاء الخزاعي والحارث بن معاوية الثقفي وأبا الورد النضري ثم طهمان مولى عثمان بن عفان وأخيراً اضطر الى قيادة جيش بنفسه حتى نجح في اخماد الثورة وقتل شبيب.

سنة ٧٧ هـ — ثورة مطرف بن المغيرة بن شعبة في العراق — واعلانه خلع عبد الملك بن مروان مما اضطر الحجاج الى توجيه قوة كبيرة لقمع الثورة والقضاء على مطرف ومطاردته حتى الجبال وقتله ـ .

سنة ٧٩ ـ انتشر وباء الطاعون في الشام فلم يغز في تلك السنة أحد ـ .

سنة ٨٠ هـ ـ ثورة عبد الرحمن بن الأشعث في سجستان ـ وكانت هذه الثورة من أقوى الثورات حتى كادت تهدد وجود الدولة الأموية ـ وقد خاض الحجاج مجموعـة من المعارك ضد ثورة عبد الرحمن بن الأشعث وكانت من المعارك الضارية التي استنزفت طاقات الدولة وامكاناتها ـ واستمرت هذه الثورة حتى عام ٨٤ـ. حيث أمكن قتل ابن الأشعث في سجستان ـ .

ب الوضع الخاص

بلغ عبد الملك بن مروان مقتل زهير بن قيس البلوي واصحابه فاشتد عليه وعلى المسلمين ذلك . وسأل أشراف المسلمين عبد الملك أن ينظر إلى اهـــل أفريقية ويؤمنهم من عدوهم ويبعث الجيوش إليهم فقال عبد الملك : ـ

[.. ما اعلم احداً أكفأ بافريقية من حسان بن النعمان الغساني ..]

وجهز عبد الملك جيشاً ووجهه إلى مصر كما كتب إلى حسان بن النعمان أمر تعيينه لولاية افريقية ـ وكان مما كتبه له : ـ

(.. اني اطلقت يدك في اموال مصر ، فأعط من معك ومن ورد عليك واعط الناس ، واخرج الى بلاد افريقية على بركة الله وعونه ..)

أمضى حسان عام ٧٤ هـ في الاستعداد للمعركة وتنظيم القوات وبلغ عدد جيشه ٤٠٫٠٠٠ مقاتل .

ـ كان حسان أول قائد من الشام دخل افريقية وكان جيشه أكبر جيش جهز للفتح فلم يدخل أفريقية قط جيش مثله ـ .

ـ عندما أنهى حسان استعداده ، غادر مصر وتوجه إلى طرابلس . حيث توقف فيها لاعادة تنظيم القوات وجمع المعلومات ووضع مخطط العمليات ـ وخلال توقفه « في طرابلس » انضم إليه المسلمون من الأفارقة فمن لقيادتهم هلال بن ثروان اللواتي ـ وهو أول قائد افريقي يتولى مركزاً قيادياً ـ كما انضمت اليه القوات المتفرقة ، فدفع مقدمة له بقيادة محمد أبي بكير وهلال بن ثروان اللواتي ـ ففتح البلادوأصاب غنائم كثيرة دون أن يلقى مقاومة كبيره ـ. وتابع حسان بعد ذلك مسيرته بجيشه الكبير حتى وصل القيروان .

جـ ـ الواجب الأول[1] .

كانت «قرطاجنة» دار ملك افريقية . وكان صاحبها من أعظم الملوك قدراً ـ وبها يومئذ من جموع الروم أمم لا تحصى ولم يكن المسلمون قط حاربوها وفتحوها عنوة بل كانوا يحاصرونها ويفرضون على أهلها أموالاً أو يقتطعون منها بلاداً مجاورة كما فعل أبو المهاجر دينار عندما اقتطع منها جزيرة شريك ثم يتركونها لأهداف أخرى .

ـ وضع حسان « هدفه الأول » في تدمير الروابط بين بيزنطة وأهل أفريقية وذلك بتدمير قواعد ارتكازهم في الساحل الأفريقي ، وقرر البدء بالهجوم على « قرطاجنة » فتوجه بجيشه ونظم حصاراً دقيقاً حول المدينة وخاض مع الحامية المدافعة عن قرطاجنة معارك ضارية كبد فيها الحامية خسائر فادحة ، وعندما أدرك القادة المدافعين عن المدينة تصميم حسان على فتح المدينة قرروا الانسحاب ـ

....

(١) التاريخ الكامل لابن الاثير ٤ ـ ١٤٣ . البيان المغرب ١ ـ ٢٣ ـ ٢٤ .

وركبوا في مراكبهم وسار بعضهم إلى صقلية وبعضهم إلى الأندلس ، وفتح حسان المدينة عنوة فسباها وغنم ما فيها وأمر بهدم قرطاجنة وقطع القناة عنها وعاد إلى القيروان ـ .

ـ علم أهل بوادي « قرطاجنة » وأقاليمها بأمر هروب ملكها عنها ـ فأسرعوا بالدخول إليها والاعتصام بها ، وتوجه حسان بجيشه لحصارها ثانية ، واستطاع الجيش العربي الاسلامي اقتحام الأسوار من جديد ، وعمل على إبادة المقاومة ، وأرسل حسان لمن حواليها فاجتمعوا إليه مسارعين خوفاً من عظيم سطوته وشدة بأسه فلما أتوه ولم يبق منهم أحد أمرهم بتخريب قرطاجنة [1] وهدمها ، فهدم المسلمون ما أمكن منها ـ .

ـ عندما يئس الروم من استخدام « قرطاجنة » قاعدة لهم ، تجمعوا في «صطفورة»[2] و«بنزرت»[3] ـ والتحق بهم من والاهم من البربر، وأخذوا في تنظيم قوتهم استعداداً لجولات أخرى ، وعلم حسان أمر هذا التجمع وعرف أن الروم لا زالوا على شيء من القوة والكثرة ، فقرر تصفية مقاومتهم قبل تزايد خطرهم وسار إليهم وقاتلهم في معارك عنيدة وضارية أظهر فيها الروم من الصمود بقدر ما أظهر العرب من الشجاعة ، واستطاع العرب المسلمون انتزاع النصر وانهزم الروم وكثر القتل فيهم واستولى المسلمون على بلادهم ، ولم يترك حسان موضعاً من بلادهم الا وطئه وخافه أهل أفريقية خوفاً شديداً، ولجأ المنهزمون من الروم

....

(١) قرطاجنة : تقع على بعد اثني عشر ميلا من مدينة تؤنس ، ويسميها اهل تونس اليوم « المعلقة » وكان بينها قرى متصلة عامرة ، وفي هذه المدينة آثار عظيمة وأبنية ضخمة وأعمدة قائمة . معجم البلدان ٧ — ٥٢ .

(٢) صطفورة : بلدة من نواحي افريقية . معجم البلدان ٥ — ٣٥٦ .

(٣) بنزرت : مدينة في تونس بينها وبين مدينة تونس يومان وهي مشرفة على البحر . معجم البلدان ٢ - ٢٩٢ .

إلى مدينة « باجة » [١] فتحصنوا بها وتحصن البربر بمدينة « بونة » [٢] فعاد حسان إلى القيروان لأن الجراح قد كثرت في أصحابه، فأقاموا بها حتى صحوا.

د - الواجب الثاني « معركة نيني »

فشل محاولة القضاء على ثورة الكاهنة .

بعد مجموعة الانتصارات التي حققها حسان بن النعمان على قواعد الروم، أصبح باستطاعته توجيه قواته للقضاء على حركات التمرد التي تزعمتها الكاهنة -.

بعد مقتل كسيلة، انتقلت زعامة البربر إلى « جراوة » من قبائل البربر الكبيرة وكانت هذه القبيلة تدين بالطاعة والولاء لملكة تخبر قومها بأشياء من الغيب حتى « لقبت بالكاهنة » - . وكان للكاهنة من قوة الشخصية ماساعدها على فرض ملكها وامتداد سلطانها على البربر دون منازع - . وكان للكاهنة بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم، واعتزت على قومها بهم وبما كان لها من الكهانة فانتهت اليها رئاستهم ووقفوا على اشارتها [٣] .

قرر حسان بن النعمان القضاء على ثورة الكاهنة، فنظم قواته، وانطلق بجيشه حتى وصل « مجانة » [٤] فنزل بها وكانت قلعة لم تفتح فتحصن بها الروم فمضى حسان وتركهم وبلغ الكاهنة أمره فزحفت من جبل « أوراس » في عدد لا يحصى حتى نزلت مدينة « باغاية » [٥] واخرجت من بها وهدمتها ظناً منها أن حسان يريد حصنها ليتحصن به منها - . وعندما علم حسان بما فعلته

---

(١) باجة : بلدة بافريقية تعرف بـ « باجة القمح » لوفرة محصولها من القمح . معجم البلدان ٢ - ٢٥ .

(٢) بونة : مدينة حصينة بافريقية تقع على البحر . معجم البلدان ٢ - ٣٠٩ .

(٣) الاستقصاء ١ - ٨٢ . فتح مصر والمغرب ٢٧٠ .

(٤) مجانة : بلدة بينها وبين القيروان خمس مراحل . معجم البلدان ٧ - ٣٨٦ .

(٥) باغاية : بلدة بين مجانة وقسنطينة . معجم البلدان ٢ - ٤١ .

الكاهنة سار بجيشه الى وادي « مكناسة » [1] وبحث عن موقع يتوفر فيه الماء والمواد الحياتية وقال لأصحابه: (.. **دلوني على ماء يسع العسكر الذي أنا فيه..)** فمالوا إلى نهر « نِينِي »[2] فنزل عليه وزحفت إليه الكاهنة حتى أتت أسفل النهر فنزلت عليه ـ. فكان حسان يشرب هو وأصحابه من أعلاه وتشرب هي وأصحابها من أسفل النهر ودنا الطرفان من بعضهما فأبى حسان أن يقاتلها آخر النهار وأبى أن يقاتلها بالليل وبات الفريقان على مصافهم ـ. فلما أصبحوا زحف بعضهم على بعض فاقتتلوا قتالاً شديداً وعظم البلاء وظن المسلمون أنه الفناء فانهزم حسان بعد بلاء عظيم وقتل من العرب خلق كثير فسمي ذلك اليوم[**يوم البلاء**] وسمي النهر الذي التقوا عليه [**نهر البلاء** ..] فاتبعته الكاهنة بمن معها حتى خرج من حد « قابس »[3] فأسلم إفريقية ومضى على وجهه وأسرت من أصحابه ثمانين رجلاً منهم خالد بن يزيد العبسي ـ. وكان رجلاً مذكوراً فأحسنت إسارهم ـ.

ـ عندما فصل حسان من « قابس » كتب إلى أمير المؤمنين يخبره بما نزل بالمسلمين من الكاهنة ـ فكتب إليه أمير المؤمنين : ـ

(.. قد بلغني امرك وما لقيت وما لقي المسلمون ، فانظر حيث لقيت كتابي هذا .. فاقم ولا تبرح حتي امري ..)

فلقيه الكتاب وهو نازل بمكان يقال له اليوم قصور حسان، فبني هناك قصراً لنفسه ونزل قصوراً من حيز برقة فسميت «قصور حسان» وكانت (أنطابلس)[4]

---

(١) مكناسة : بينها وبين مراكش اربع عشر مرحلة نحو المشرق وهناك مدينة مشهورة اخرى يقال لها مكناسة الزيتون ـ حصينة ـ في طريق المار من فاس الى سلا على شاطيء البحر . معجم البلدان ٨ ـ ١٣٣ .

(٢) نيني : نهر كبير في افريقية . معجم البلدان ٨ ـ ٣٦٩ .

(٣) قابس : بين طرابلس وصفاقس على ساحل البحر . معجم البلدان ٧ ـ ٢ .

(٤) انطابلس : معناها بالرومية الخمس مدن . معجم البلدان ١ ـ ٣٥٣ .

(ولوبية)[1] (ومراقبة) الى حد (أجدابية) من عمل حسان فأقام بعمل برقة خمس سنوات[2] .

٦ – القضاء على ثورة الكاهنة واستعادة قرطاجنة ٨١ – ٨٢هـ

أ – الوضع العام

حدثت معركة « نيني » ومأساة يوم البلاء على يد الكاهنة عام ٧٦ هـ – وتوقف جيش العرب المسلمين قريباً من « سرت » حيث بنيت قصور حسان وذلك بانتظار الدعم ثم استأنف حسان بن النعمان الغساني عملياته عام ٨١ هـ . وبين التاريخين خمسة أعوام حدثت خلالها تطورات كبيرة في موقف كل طرف من الاطراف المتصارعة فوق رمال افريقية وسهولها وجبالها وشواطئها – .

ب – الكاهنة

الكاهنة من قبيلة جراوة من زناتة وهي القبيلة التي احتلت زعامة البربر في جبال الأوراس – واسم الكاهنة « داهيا بنت ماتيا بن تيفان » احترفت السحر والكهانة واستخدمت ذكاءها بمهارة حتى فرضت طاعتها وكان زوجها ملكاً على الأوراس – في الجزائر – ثم توفي الزوج وترك للكاهنة ثلاثة أبناء صغار أوصى لهم بالملك وقامت الكاهنة مقامهم . ونجحت في فرض زعامتها على البربر جميعاً وعززت مكانتها بانتصارها على حسان في معركة « نيني » حتى لم يبق لها في أفريقية كلها معاند أو معارض .

عندما انتصرت الكاهنة على حسان تابعت مطاردته حتى أخرجته من أفريقية ولم تحاول الاستمرار بعد ذلك في المطاردة على نحو ما فعل « كسيلة » من قبل . ولم تحاول الكاهنة أيضاً الإساءة إلى العرب المسلمين في القيروان بعد

....

(١) لوبية : ليبيا

(٢) الاستقصاء ١ – ٨٢ . فتوح مصر والمغرب ٢٧٠ . الكامل ابن الاثير ٤ – ١٤٣ .

أن استخلف عليهم أبا صالح ، وعادت الكاهنة بعد المطاردة إلى قاعدتها في « الأوراس » .

ـ ثم حسنت الكاهنة معاملة الأسرى العرب ـ وبصورة خاصة إلى خالد ابن يزيد حيث تبنته [1] وجعلته كواحد من أولادها الثلاثة ـ .

ـ أما معاملة الكاهنة لقومها البربر فكانت على النقيض من ذلك ، حيث أخذت بأساليب الظلم والإساءة والاضطهادضد أبناء جلدتها وقد حاولت الكاهنة تنظيم جبهة مضادة للعرب المسلمين لكن كثيراً من قومها عارضوها في ذلك وقد أخذت أعداد ضخمة منهم تعتنق الاسلام ديناً لها وكانت هذه المعارضة سبباً في حمل الكاهنة على اتباع مزيد من العنـــف والشدة فانتشر الاضطراب وسادت الفوضى في البلاد ـ حتى فكر كثير من البربر في طلـــب النجدة من العرب واستدعائهم ـ . [2]

ـ توفرت المعلومات عند الكاهنة عن عزم العرب المسلمين على معاودة الفتح، فجمعت أنصارها وأتباعهـــا ـ وقررت تطبيق سياسة [الأرض المحروقة] فقالت لهم : ـ

ان العرب انما يطلبون من أفريقية المدائن والذهب والفضة ونحن انما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم الا خراب بلاد أفريقية كلها حتى ييأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع اليها إلى آخر الدهر ، ووجهت قومهـا الى

---

(١) جاء في البيان المغرب ١ ـ ٢٧ : كان عدد أسرى العرب المسلمين ثمانـــين رجلا منهم خالد بن يزيد العبسي وكان رجلا مذكوراً فأحسنت اسارهم ، الا خالد بن يزيد وكان أذكر من كان مع حسان فحبسته عندها ثم عمدت الى دقيق شعير مقلو فأمرت به فلت بزيت والبربر تسمي ذلك « البسيسة » وقالت لخالد « ما رأيت في الرجال اجمل منك ولا اشجع وأنا اريد ان أرضعك فتكون أخاً لولدي » فعمدت الى دقيق الشعير الملتوت بزيت وجعلته على ثدييهـــا ودعت ولديها وقالت (كلا معه على ثديي ، ففعلا) فقالت قد صرتم اخوه ، وكانت الكاهنة من جماعة البربر لها رضاع اذا فعلوه يتوارثون بينهم .

(٢) الكامل لابن الاثير ٤ / ١٤٣ . فتح مصر والمغرب ٢٧٠ .

كل ناحية يقطعون الشجر ويهدمون الحصون فذكروا أن أفريقية كانت ظلاً واحداً من طرابلس حتى طنجة وقرى متصلة ومدائن منتظمة حتى لم يكن في أقاليم الدنيا اكثر خيرات ولا أوصل بركات ولا اكثر مدائن وحصوناً من اقليم أفريقية والمغرب ، فخربت الكاهنة ذلك كله ، وخرج يومئذ من النصارى والأفارقة خلق كثير مستغيثين مما نزل بهم من الكاهنة فتفرقوا على الأندلس وسائر الجزائر البحرية .

ـ تركت سياسة الكاهنة عقابيل سيئة انعكست على قوة « الكاهنة » .

ـ فقد أخذ البربر المسلمون يتحينون الفرصة للانعتاق من سلطة الكاهنة ـ.

ـ وأخذت اعداد كبرى من البربر والروم في النزوح إلى الأندلس وصقليا .

ـ وكان من نتيجة « سياسة الأرض المحروقة » حرمان البربر من مواردهم الحياتية فتمزق البربر وأخذوا يبتعدون عن الكاهنة .

ـ لقد أضر هذا العمل التخريبي بقضية الكاهنة ضرراً عظيماً حيث أخذت أصوات التأييد للكاهنة تنقلب ضدها وأخذت المعارضه تنتظم في صف واحد مناوئة لها ، ولم يعد باستطاعة الكاهنة ممارسة الدور القيادي الذي كانت تمارسه قبلاً والذي مكنها من توحيد البربر في مجابهة العرب المسلمين والانتصار عليهم ـ.

ج ـ بيزنطة[1]

توافق حكم عبد الملك بن مروان ٦٥ ـ ٨٦ هـ (٦٨٥ ـ ٧٠٥) م حكم ثلاثة من ملوك بيزنطة الأقوياء وهم جستينيان الثاني ٦٦ ـ ٧٦هـ (٦٨٥ ـ ٦٩٥)م وليونيتوس ٧٦ ـ ٧٩ هـ (٦٩٥ ـ ٦٩٨) م وتيبير الثالث ٧٩ ـ ٨٦ هـ (٦٩٨ ـ ٧٠٥) م ـ وقد اتبع هؤلاء الأباطرة الثلاثة سياسة واحدة بالنسبة لأفريقية وهي العمل على إحباط كل محاولات عربية لانتزاع افريقية وتحريرها من سيطرة الروم ـ .

---

(١) تاريخ المغرب الكبير ١ / ٨٧ وفتح العرب للمغرب ٢٥٢ ـ ٢٥٤ .

ـ كان احتلال «قرطاجنة» وتدميرها من قبل حسان بن النعمان بمثابة ضربة قوية لنفوذ بيزنطة ومخططاتها وعندما علمت بيزنطة بهزيمة حسان في معركة «نيني» أخذت في تجهيز قوة كبيرة لاستعادة قرطاجنة وأسندت قيادة هذه القوة إلى قائد عرفت فيه بيزنطة القوة والكفاءة وهو البطريق يوحنا PATRICIUS JEAN وأعد امبراطورية في تلك الفترة« ليوتيوس » حملة بحرية وأسطولاً كبيراً لنقل المقاتلين إلى أفريقية ـ .

ـ وفي عام ٧٨ هـ ـ ٦٩٧ م ـ وصلت هذه القوة البحرية إلى « قرطاجنة » وهاجمت المدينة التي لم تكن هناك حامية قوية للدفاع عنها ـ فلم تصطدم قوة الروم بمقاومة كبيرة. وأخذ جند الروم في طرد العرب المسلمين الذين كان يقودهم أبا صالح ـ .

تميز أسلوب معاملة الروم للعرب المسلمين بالقسوة والوحشية مما أثار حقد العرب المسلمين وعندما بلغ حسان بن النعمان ما فعله الروم وجه وفداً إلى الخليفة عبدالملك بن مروان يضم أربعين رجلاً من أشراف العرب بهدف اطلاع الخليفة على حقيقة الموقف المتدهور في أفريقية وضرورة توفير الإمكانات الضرورية لمعاودة الفتوح ـ .

ـ توقف البطريق يوحنا عند حدود استعادة قرطاجنة والمدن المجاورة لها ـ وأعاد بناء الحصون ـ والمواقع الدفاعية ـ .

ـ أصبح الموقف في أفريقية على النحو التالي : ـ

ـ الكاهنة وتسيطر على الداخل والمناطق الجبلية بداية من الأوراس ـ .

ـ الروم ـ ويسيطرون على الساحل بداية من قرطاجنة مع شريط ضيق في اتجاه الغرب .

د ـ العرب المسلمون ـ (١) .

ـ توقف حسان في المنطقة التي أمره الخليفة عبد الملك بن مروان بالتوقف

---

(١) الكامل لابن الأثير ٤ / ١٤٣ ـ ١٤٤ . فتوح مصر والمغرب ٢٧٠ .

عندها من اقليم « برقة » وأخذت فرسان العرب ورجالها تصل تباعاً من قبل أمير المؤمنين ، لكن هذا الدعم بقي محدوداً ولم يكن باستطاعة الخليفة عبد الملك بن مروان إرسال دعم قوي بسبب الفتن والثورات الداخلية . والأوبئة . وأخيراً وفي عام ٨١ هـ - وبعد أربع سنوات من التوقف أرسل الخليفة دعماً قوياً وأصدر أوامره إلى حسان بن النعمان لمتابعة العمليات - .

- كان حسان في حاجة للمعلومات الدقيقة عن أوضاع الكاهنة وقوتها حتى يستطيع تقدير الموقف بصورة صحيحة ، فكلف رجلاً يثق به بمهمة الوصول إلى معسكر الكاهنة والاتصال بخالد بن يزيد الأسير لديها ويبلغه الرسالة التالية : -

[... ان حسان يقول لك ما يمنعك من الكتابة الينا] وبعث حسان مع هذاالرجل بكتاب يستعلم من خالد الأمور فكتب خالد في ظهر كتاب حسان: - [... البربر متفرقون ، لا نظام لهم ولا رأي عندهم فاطو المراحل وجدّ في السير] .

وضع خالد كتابه في خبزة وجعلها زاداً للرجل ووجهه بها إلى حسان وكان خالد قد أنضج الخبزة فاحترق الكتاب بالنار فلما كسر حسان الخبزة وقرأ الكتاب الذي كتبه إليه خالد وجده وقد أفسدته النار فقال له حسان : إرجع إليه - .

- عاد الرجل مرة أخرى إلى خالد بن يزيد، وأعلمه باحتراق رسالتهفكتب خالد إلى حسان رسالة ثانية بها كان قد كتبه إليه وأودع الرسالة قربوس السرج بعد أن حفره ووضع الكتاب وأطبق عليه حتى استوى وخفيّ مكانه - . وبذلك استطاع أن يوصل إلى حسان ما يحتاج إليه من معلومات - .

- أخذ حسان في الاستعداد للهجوم ، فنظم قواته استناداً للمعلومات التي أمكن جمعها وسير إليه أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان الجنود والاموال . وعندما أنهى حسان تجهيز جيشه وتنظيمه توجه نحو جبال أوراس حيث ملك الكاهنة ومستقرها - .

٥ ـ مسيرة الأعمال القتالية (١)

ـ علمت الكاهنة بتقدم جيوش العرب المسلمين فغادرت مقرها في الأوراس ومعها خلق عظيم وذلك في أواخر سنة احدى وثمانين الهجرية ـ .

ـ توقفت الكاهنة في الليل وجمعت أبناءها ومعهم خالد بن يزيد وقالت لهم أنها رأت رأسها مقطوعاً موضوعاً بين يدي ملك العرب الأعظم الذي بعث حسان . وأعلمتهم [... **أنها مقتولة من غدها ...**] فقال لها خالد بن يزيد : [**فارحلي بنا وخلي له عن البلاد ...**] فامتنعت ورأته عاراً لقومها .

ـ اقتربت جيوش العرب المسلمين من الكاهنة ـ فخرجت ناشرة شعرها وقالت : ـ

[يا بني ! انظروا ماذا ترون في السماء ؟ ـ فقالوا : ـ [نرى شيئاً من سحاب أحمر ، فقالت : ـ لا ، وإلهي » ولكنها رهج خيل العرب] ثم قالت لخالد بن يزيد : ـ إني إنما كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم ، أنا مقتولة . فأوصيك بأخويك هذين خيراً فانطلق فخذ لهما أماناً .

ـ ركب خالد وأبناء الكاهنة ، وتوجهوا إلى حسان. فأخبره خالد بخبرها. وأنها شعرت بقرب نهايتها فوجهت إليك أولادها . فوكل بهما من يحفظهما وقدّم خالداً على أعنة الخيل .

ـ كان مع حسان جماعة من البربر استأمنوا إليه ، فلم يقبل أمانهم إلا أن يعطوه إثني عشر ألفاً من قبائلهم يجاهدون مع العرب.فأجابوه وأسلموا على يديه ، فعقد لولدي الكاهنة لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس وأخرجهم مع العرب يجولون في المغرب يقاتلون الروم ومن كفر من البربر ـ .

ـ تقدم جيش العرب المسلمين بقيادة حسان حتى وصل قابس حيث لقيه

---

(١) فتح العرب للمغرب ٢٥٦ ـ ٢٥٨ . فتوح مصر والمغرب ٢٧١ . الكامل . ابن الاثير ٤ ـ ١٤٣ .

أهلها بالأموال والطاعة ، وجعلها عاملاً له ومضى إلى هدفه ـ .

ـ والتقى حسان خلال مرحلة التقرب بجمع من الروم فأخذوا يستغيثون به من الكاهنة ويشكون إليه منها وكانت هذه المواقف كلها تؤكد صحة المعلومات عن تمزق قوة الكاهنة .

ـ تابع العرب المسلمون تقدمهم حتى قفصة ، حيث أعلن أهلها الطاعة ، وتابع العرب تقدمهم إلى قسطيلية ونفزاوة (١) ، فكان أهل المدينتين ايضاً في استقبال العرب المسلمين. وتخلى الروم والبرانس وقسم من البتر عن الكاهنة حتى لم يبق في طاعتها سوى نفر قليل من البتر ـ .

ـ التقى جيش حسان مع جيش الكاهنه في سفح جبل الأوراس ودارت معركة قصيرة وحاسمة لقي فيها جيش الكاهنة هزيمة منكرة وطارد حسان الكاهنة حتى قتلها في موضع حمل اسمهامنذ ذلك التاريخ وعرف ببئر الكاهنة.

ـ كان مقتل الكاهنة ـ إيذاناً بانتهاء مقاومة البربر حيث لم تلق جيوش العرب المسلمين بعد ذلك مقاومة تذكر . وكانت ثورة الكاهنة بمثابة المعقل الأخير للمقاومة الطويلة التي جابهت العرب المسلمين في فتوح أفريقية ـ .

و ـ تصفية قاعدة العدوان « قرطاجنة »

ـ بعد انتهاء جيش العرب المسلمين بقيادة حسان من القضاء على حركة الكاهنة عاد إلى القيروان في شهر رمضان من عام ٨٢ هـ ـ بهدف إعطاء الجيش فترة للراحة وإعادة التنظيم ومتابعة الأعمال القتالية لتصفية قاعدة العدوان البيزنطية المتمثلة بقرطاجنة ـ .

ـ كان البطريق يوحنا قد نظم قواته بعد الاستيلاء على قرطاجنة ، فاتخذ من

....

(١) نفزاوة : مدينة بالمغرب بينها وبين القيروان ستة ايام ، تسير من القيروان نحو الغرب معجم البلدان ٨ ـ ٣٠٣ .

جبال «زغوان»[1] شمال القيروان خطاً أمامياً للدفاع يمتد حتى جنوب قرطاجنة ، وكانت سيطرة البطريق قد امتدت مع الشريط الساحلي ما بين سوسة وشقبنارية.

ـ بعد انتهاء مرحلة التنظيم ، شكل حسان مجموعة قتالية بقيادة أبي صالح ودفعه كمقدمة لعملياته في اتجاه القيروان ـ. ووصلت هذه المجموعة حتى حدود جبل زغوان حيث اصطدمت بمقاومة الروم واستمرت المعركة بين الطرفين ثلاثة أيام متتالية دونما تحقيق نتيجة حاسمة فاضطر حسان لقيادة القوة الرئيسية والتوجه إلى القيروان ففتحها صلحاً ـ .

تابع جيش العرب المسلمين تقدمه نحو« قرطاجنة » ـ فانسحب الروم حتى حدود المدينة وتحصنوا بأسوارها ودارت بينهم وبين العرب المسلمين معركة طاحنة لقي فيها البطريق يوحنا هزيمة منكرة فتراجع إلى قرطاجنة واحتمى بحصونها ـ .

ـ في الوقت الذي كانت تدور فيه المعارك البرية كان أسطول العرب المسلمين يجابه أسطول بيزنطة ويلحق به هزيمة منكرة ويرغم القطع البحرية البيزنطية على الإنسحاب .

شعر البطريق يوحنا أن الموقف في غير صالحة ، فقرر الإنسحاب من المدينة وجمع جنده وأبلغهم قراره بالإنسحاب على أمل العودة ثانية ـ . وركب جند الروم القطع البحرية التي كانت متوقفة في ميناء « باب النساء » وحمل الجند معهم نساءهم وأولادهم وتسللوا ليلاً إلى عرض البحر متوجهين إلى بيزنطة ـ . ولم يبق في المدينة سوى حاكمها « الملك المسمى مرياف » وأهله وولده ـ .

ـ اتصل « الملك مرياف » بحسان وأرسل إليه رسالة جاء فيها : ـ

[... هل لك أن تعاهدني في أهلي وولدي ، وأشترط لنفسي ما شئته من المنازل وأسلم لك المدينة ؟]

(١) جبل زغوان : جبل منيف مشرف بالقرب من تونس وفيه قرى كثيرة آهلة . معجم البلدان ٤ ـ ٣٩٤ .

– ولما كان العرب المسلمون يجهلون أمر إنسحاب الروم من المدينة فقد أجابه حسان إلى ذلك، ودخل بجيشه إلى قرطاجنة فلم يجد فيها غيره وغير ولده وأهله، فوفى له حسان بما أعطاه من العهد – وأقام سرياف مالكاً لهـذه الأرض وهي الناحية المسماة اليوم بمرياف في تونس – . [1]

– بعد هذا الانتصار الحاسم أصبح باستطاعة حسان تركيز الجهد لبناء المجتمع الجديد وتوطيـد عرى التعاون بين العرب المسلمين وبين سكان البلاد الأصليين والعمل في الوقت ذاته على تصفية بقية المقاومات الثانوية التي لا زالت منتشرة في أنحاء متفرقة من أفريقية – وتصفية كل جذور النفوذ البيزنطي المحرض الدائم على الثورة المضادة – .

ز – القضاء على النفوذ البيزنطي في البحر [2] .

بناء « تونس »

– كانت بيزنطة تستخدم الجزر القريبة من أفريقية كقواعد متقدمة لحشد قواتها، وأراد حسان بن النعمان تتويج إنتصاراته بالقضاء على سيطرة بيزنطـة وتصفية قواعدها البحرية فاستمد عبد الملك بن مروان وطلب دعمه بقوات الأسطول، وأمده عبد الملك بأسطول تحت قيادة عبد الملك بن قطن – .

– توجه أسطول العرب المسلمين وأخذ في تطهير الجزر المتصلة بساحل أفريقية وفتحها حتى لم يبق للروم نفوذ فيها أو سيطرة عليها .

– كانت هذه العمليات البحرية، وخطر التهديد البيزنطي من الحوافز التي دفعت حسان نحو التفكير لإقامة قاعدة بحرية متقدمة يتم فيها بناء أسطول خاص لعمليات أفريقية نظراً لبعد المسافة الفاصلة بين أفريقية وقواعـد الأسطول في الشام ومصر. فيغير بهذا الأسطول على ساحل الروم فيشغلهم بأنفسهم عن الإغارة على أفريقية – .

---

(١) فتح العرب للمغرب ٢٦٠ . تاريخ المغرب الكبير ٢ – ١٠٥ . البيان المغرب ١ – ٢٩ .
(٢) فتح العرب للمغرب ٢٦٠ – ٢٦٢ . تاريخ المغرب الكبير ٢ – ١١٥ .

ـ بدأت أعمال الإستطلاع لتحديد موقع مناسب يتم فيه بناء هذه القاعدة البحرية ، ووقع الإختيار على موقع « جنوب قرطاجنة » حيث توجد بلدة قديمة يرجع عهدها إلى أيام اليونان واسمها « ترشيش » يسكنها بعض الرهبان في كنيسة هي كل ما بقي من البلدة التي كانت زاهرة في يوم من الأيام . وكانت أصوات الرهبان في الليل وترجيع عباداتهم تخفف من وحشة المنطقة المقفرة «وتؤنسها» .

ـ كانت « ترشيش » موطناً للبربر والروم ، تقع في سفح جبل وتحتل ربوة يحيط بها خندق طبيعي هـو كالحصن لها والسور الذي يمنع الأعداء عنها ، والى الشرق من البلدة تقع بحيرة جميلة تلطف جوها وتزيدها سحراً وأنساً وجمالاً ، وكانت السهول الزراعية تحيط بالبلدة التي نزلها حسان بن النعمان مع جيشه أثناء حصار قرطاجنة فأعجب بمناعة موقعها وجمال مكانها ، وكان مما أعجب العرب المسلمين في موقع « ترشيش » اشرافها على « سبخة » فسيحة لا يفصلها عن البحر غير برزخ صغير ، ذلك ان التمركز الى الداخل وعند حدود السبخة يحبب العرب في سكنى المدينة التي ستقام عنده لأنهم لم يكونوا حينذاك يطمئنون كثيراً الى سكنى المدن الساحلية الصرفة ، ثم إن موقعها هذا يجعلها بمأمن من غارات الروم المباغتة فيكفي حراسة مدخل السبخة لكي ينذر الحراس اهل المدينة الجديدة الى الخطر قبل وقوعه . وعلاوة على ذلك كله فان الأرض السبخة هي المرعى الطبيعي للإبل سفن الصحراء ، ولخيول العرب ومواشيهم .

ـ أخذ حسان بن النعمان في تخطيط مدينته الجديدة على أنقاض مدينة « ترشيش » البائدة . وأطلق عليها العرب المسلمون « تؤنس ـ أو تونس » لجمالها ولما تدخله من الأنس والبهجة على القلوب .

ـ بدأت أعمال بناء مدينة « تؤنس » بحفر قناة عميقة تصلح للملاحة وتصل بين البحيره والبحر فتصبح تونس ميناء بحرياً تحميه البحيرة الواسعة من أمواج البحر ويتم على ضفاف البحيرة إقامة دار لصناعة السفن بحيث ترسوا القطع البحرية وهي بأمن تام من كل عدوان غادر ، أو هجوم مباغت .

– ظهرت خلال أعمال البناء ضرورة الاستعانة بالخبرة الفنية واليد العاملة الماهرة فكتب حسان بن النعمان إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان رسالة يطلب فيها دعمه بنفر من أهل مصر لإنشاء الميناء وبناء السفن فكتب عبد الملك إلى اخيه عبد العزيز – والي مصر حينذاك – لتوجيه ألف قبطي وأهلهم وأولادهم إلى معسكر «تؤنس» وأن يحملهم من مصر ويحسن عونهم حتى يصلوا إلى «تؤنس» كما كتب إلى حسان أن يبني لهم دار صناعة تكون قوة وعدة للمسلمين إلى آخر الدهر . وأن يجعل على البربر جر الخشب لانشاء المراكب وان يضع بها المراكب ويجاهد الروم في البر والبحر ، وأن يغير منها على ساحل الروم فيشتغلوا عن القيروان نظراً للمسلمين وتحصيناً لشأنهم ، فوصل القبط إلى حسان وهو مقيم بتونس . فأجرى البحر من دار الصناعة حتى مرس « رادس » [وهي الفرضة الصغيرة على البحيرة التي تسمى باسم « آدس ADES] وجر البربر الخشب وجعل فيها المراكب الكثيرة وأمر القبط بعمارتها .

– في عام ٨٥ هـ ، حدث اختلاف بين حسان بن النعمان والي افريقية وبين عبد العزيز بن مروان والي مصر ، فعزل عبد العزيز حسان بن النعمان وامره بالقدوم اليه فعلم حسان ما أراد عبد العزيز بن مروان أخو عبد الملك فعمد إلى الجوهر والذهب والفضة فجعله في قرب الماء وأظهر ما سوى ذلك من الأمتعة وأنواع الدواب والدقيق وسائر أنواع الأموال ، فلما أقدم على أمير مصر ، أهدى اليه مائتي جارية من بنات ملوك الروم والبربر ، لكن عبد العزيز لم يقنع بذلك، فسلبه جميع ما معه من الخيل والأمتعة والوصائف والوصفان ، ورحل حسان بالأثقال التي بقيت له حتى قدم على الوليد بعد وفاة عبد الملك ، فشكا له ما صنع به عبد العزيز فغضب الوليد لذلك ثم قال حسان لمن معه ائتوني بقرب الماء . ففرغ منها من الذهب والفضة والجوهر والياقوت ما استعظمه الوليد وعجب من امر حسان فقال له الوليد : جزاك الله خيراً يا حسان فقال :

يا أمير المؤمنين ، انما خرجت مجاهداً في سبيل الله وليس مثلي يخون الله

ولا الخليفة فقال له الوليد : ـ أنا اردك الى عملك واحسن اليك وأنوه بك ، فحلف حسان « لا أولي لبني امية ابداً ».

ـ وخرج حسان في السنة التالية لغزو الثغور الرومية ، مقاتلاً عادياً ، ولقي مصرعه .

وهكذا لم يتمكن حسان من إنجاز بناء «تؤنس» ، وترك اكمال هذا المشروع الضخم لمن جاء بعده .

ـ أفاد حسان من فترة الهدوء التي أعقبت القضاء على ثورة الكاهنة وتصفية قاعدة العدوان البيزنطية « قرطاجنة » فأرسل مفارز الوحدات الخفيفة حتى وصلت إلى فاس وافتتحها « كما وجه قواته إلى كل موقع فتحقق الأمن والاستقرار في ربوع أفريقية وكانت الخبرة الطويلة التي اكتسبها حسان بن النعمان من إقامته في أفريقية مدة اثنتي عشر عاماً افضل معين لمعرفة الطبيعة البشرية والجغرافية وتحقيق ما أنجزه في أفريقية .

ـ وكان بناء تونس عملاً مكملاً لبناء القيروان . فأصبحت الأولى ثغراً بحرياً ، بينما كانت الثانية مركزاً عسكرياً وقاعدة برية متقدمة لقوات العرب المسلمين .

٧ ـ حرب القبائل ٨٦ ـ ٩٠ هـ

آ ـ الوضع العام :

ـ حدث بعد عودة حسان بن النعمان عن أفريقية حركة « ردة جديدة » ويعلل ابن خلدون هذه الظاهرة بما يلي :

[... ان الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة والسبب في ذلك اختلاف الآراء والأهواء ، وان وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمانع دونها فيكثر الانتفاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت وان كانت ذات عصبية لأن كل عصبية ممن تحت يدها تظن في نفسها منعة

وقوة وانظر ما وقع من ذلك بافريقية والمغرب منذ اول الاسلام ولهذا العهد ، فان ساكن هذه الأوطان من البربر اهل قبائل وعصبيات فلم يغن فيهم الغلب الاول الذي كان لابن ابي سرح عليهم وعلى الافرنجة شيئاً وعاودوا بعد ذلك الثورة والردة مرة بعد اخرى وعظم الاثخان في المسلمين فيهم ، ولما استقر الدين عندهم عادوا إلى الثورة والخروج والأخذ بدين الخوارج مرات عديدة.

قال ابن ابي زيد : ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم يستقر كلمة الاسلام فيهم الا لعهد ولاية موسى بن نصير فما بعده وهذا معنى ما ينقل عن عمر [ان افريقية مفرقة لقلوب اهلها] اشارة الى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحامله لهم على عدم الاذعان والانقياد ..] [1]

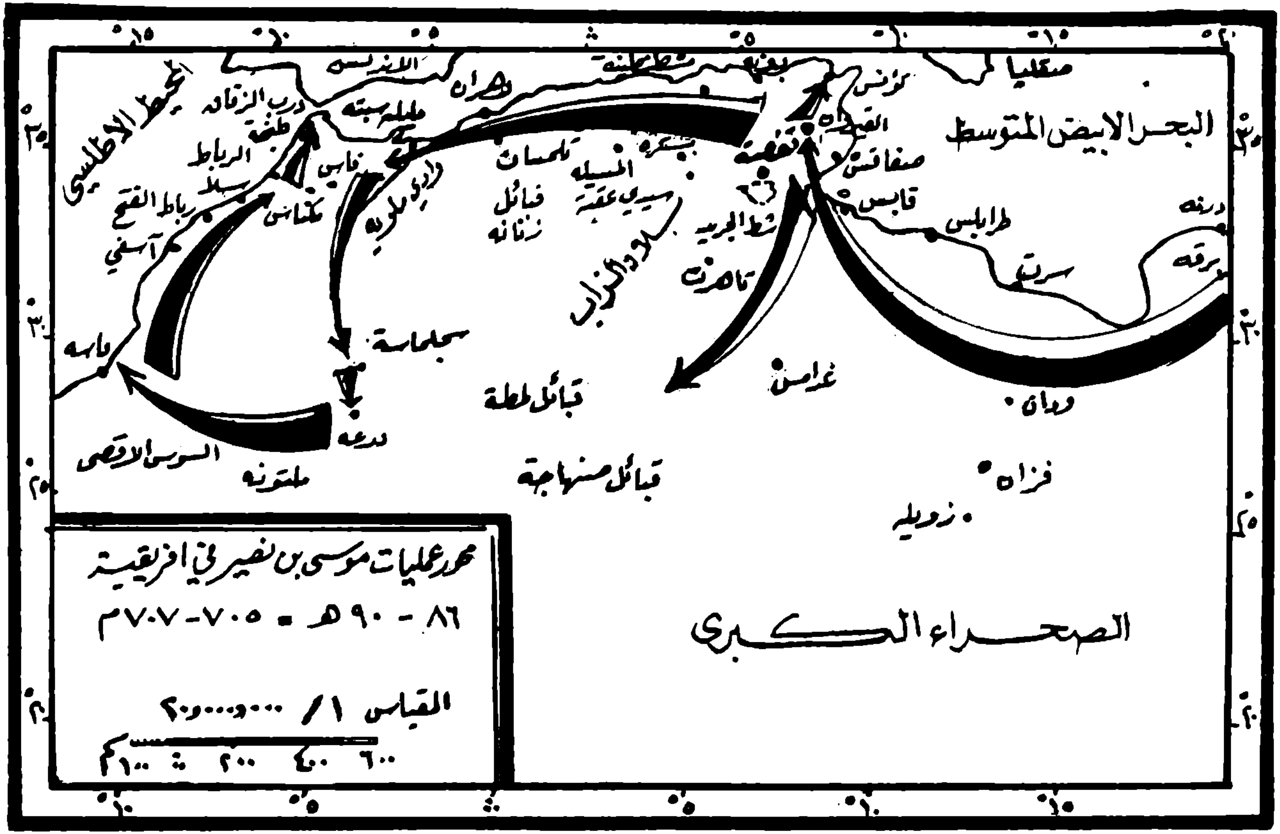
في نهاية عام ٨٥ هـ، تولى موسى بن نصير ولاية أفريقية خلفاً لحسان بن النعمان فوصلها حيث كان فيها ابا صالح ، الذي استخلفه حسان قبل ذهابه إلى دمشق. وبدأ موسى بن نصير أعماله بحشد قواته وإعادة تنظيمها ودراسة الموقف ووضع مخطط عملياته .

– لقد عرف موسى بن نصير التشابه الكبير بين حياة العرب القبلية في الجاهلية والاسلام وبين حياة البربر القبلية خلال أعمال الفتوح وما حدث من تكرر « الردة » فكان أسلوب عمله تقليداً واتباعاً لما قام به الرسول الأعظم من أعمال لإخضاع القبائل العربية وتوحيدها تحت راية الاسلام . وقد أفاد موسى بن نصير من تجربة الخليفة الأول الصديق في غزو الشام والعراق وما كان لذلك من نتائج في ترسيخ جذور الاسلام بين العرب فكان تفكيره في فتح الأندلس .

وقد جاءت نتائج فتح الأندلس بالنسبة لترسيخ جذور الاسلام في افريقية وتوحيد القبائل البربرية مماثلة لما أحدثته فتوح الشام والعراق . ولا حاجة هنا للقول ان فتح الأندلس قد جاء تحقيقاً لهذا الهدف فقط ، لكن هذا الهدف

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٨٠ .


محور عمليات موسى بن نصير في افريقية
٨٦ - ٩٠ هـ = ٧٠٥-٧٠٧م
المقياس ١/ ٢٠،٠٠٠،٠٠٠
البحر الابيض المتوسط
صقليا
تونس
القيروان
صفاقس
قابس
طرابلس
سرت
برقه
درنه
الصحراء الكبرى
فزان
زويله
ودان
غدامس
تاهرت
شط الجريد
بلاد الزاب
المسيله
تلمسان
قبائل زناته
قبائل لمطة
قبائل صنهاجة
سجلماسة
درعه
ملتونه
السوس الاقصى
ماسه
المحيط الاطلسي
طنجة
الرباط
سبتة
مليلة
وهران
الاندلس
مكناس
فاس

- هدف تحقيق الاستقرار وترسيخ جذور الاسلام في أفريقية وتوطيد الاستقرار - كان من الحوافز وفي جملة الاسباب التي دفعت المسلمين لاقتحام « الأندلس » وعبور المضيق .

ب - المرحلة الاولى : تأمين قاعدة الانطلاق

- أخذ موسى بن نصير في حشد قواته واعادة تنظيمها قبـــل الدخول في افريقية وعندما أنجز هذه المرحلة جمع قواته وألقى خطاباً جاء فيه :

[... انما انا رجل كأحدكم ، فمن راي مني حسنة فليحمد الله، وليحض على مثلها ومن رأى مني سيئة فلينكرها فاني اخطىء كما تخطئون واصيب كما تصيبون ، وقد امر الأمير : عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، اكرمه الله لكم بعطاياكم وتضعيفها ثلاثاً ، فخذوها هنيئاً مريئاً ، ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها على ما عز وهان مع المواساة ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله ...] (١)

- وانطلق موسى بن نصير الى افريقية، وعندما وصلها وجد ان الاضطراب قد عاودها فقدر موقفه ووضع مخطط عملياته ، وألقى خطاباً في جنده جاء فيه :

ايها الناس : انما كان قبلي على افريقية احد رجلين : مسالم يحب العافـية ويرضى بالدون من العطية ويكره ان يكلم ويحب ان يسلم ، او رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهويني وليس اخو الحرب الا من اكتحل السهر ، واحسن النظر وخاض الغمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو ويسلم دون ان يكلم او يكلم ويبلغ النفس عذرها في غير خرق يريده ولا عنف يقاسيه متوكلاً في حزمه جازماً في عزمه مستزيداً في علمه مستنيراً لأهل الرأي في احكام الراي متحنكاً بتجاربه ليس بالمتجابن اقحاماً ولا بالمتخاذل احجاماً،

....

(١) الامامة والسياسة ٢ - ٦١ - ٦٣ .

ان ظفر لم يزده الظفر الا حذراً وان نكب اظهر جلادة وصبراً راجياً من الله حسن العاقبة فذكر بها المؤمنين ورجاهم اياها لقول الله تعالى : (ان العافيــــة للمتقين) اي الحذرين ..]

وبعد .. فان كل من كان قبلي كان يعمد الى العدو الأقصى ويترك عدوا منه ادني ينتهز منه الفرصة ويدل منه على العودة ويكون عوناً عليه عنـد النكبة ـ وايم الله ـ لا ايم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله ارفعهـا ويذل امنعها ويفتحها على المسلمين بعضها او جميعها او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ..] (١)

– استقر موسى بن نصير في قاعدة عملياته في القيروان ، ووضـع مخططه موضعالتطبيق بهدف تأمين قاعدة العمليات فنظم ثلاثة مجموعات قتالية كالتالي :

١ – مجموعة قوتها خمسمائة فارس بقيادة عبد الملك بن حنشين بمهمة تطهير جبل زغوان القريب من تونس والواقع على مسافة مسيرة يوم كامل من القيروان والقضاء على المتمردين .

٢ – مجموعة قتالية بقيادة ابنه عبد الله بن موسى بمهمة تطهـير بعض جيوب المقاومة في افريقية .

٣ – مجموعة قتالية بقيادة ابنه مروان بن موسى بمهمـة تطهير بعض جيوب المقاومـــة ..

وانطلقت المجموعات الثلاثة ،ونجحت فيابادة المقاومات واستسلمت مجموعات كبرى فأخذت أسرى ، وكان عدد الأسرى يزيد على كل ما أمكن اعتقالهحتى قيل ان خُمس الأسرى بلغ ستون ألفاً .. واذا كان لذلك دلالته فهو في تصميم موسى بن نصير على تمزيق المقاومة مرة واحدة والى الأبد ..

....

(١) الامامة والسياسة ٢ – ٦١ ـ ٦٣ .

ج – التأمين البحري لافريقية :

غزوة الأشراف(1)

– بعد أن وطد موسى بن نصير أسس قاعدة عملياته في القيروان أراد تأمين حرية العمل حتى لا تستطيع بيزنطة التأثير على مسيرة أعماله القتالية ، وذلك بانشاء أسطول بحري قوي يعمل مباشرة لحماية السواحل الافريقية .. ولهذا قرر اكمال المشروع الذي بدأه حسان بن النعمان فتابع بناء مدينة « تؤنس » وعمل على تطوير دار الصناعة وأصبح لديه قوة مائة مركب ..

– في نهاية عام ٨٥ هـ ، وبداية ٨٦ هـ ، أصدر موسى بن نصير أوامره الانذارية ، التأهب لركوب البحر ، وأعلم المقاتلين انه راكب بنفسه [**فرغب الناس وتسارعوا فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب الفلك، فعقد موسى لواء هذه الغزوة لابنه عبد الله بن موسى وولاه عليهم وأمّره ..**]

– لقد أراد موسى عندما أعلن عن ركوبه بنفسه البحر دفع المقاتلين أفضلهم والناس أشجعهم لهذه الغزوة ، التي سميت غزوة الأشراف لما ضمته من الأشراف الأبطال ، وعندما انتهت الاستعدادات وجه موسى هذه القوة المكونة من تسعمائة الى ألف مقاتل لغزو « صقلية » .

– قاد عبد الله بن موسى قوته البحرية حتى وصل صقلية ، وقام بانزال بحري ناجح واستطاع فتح بعض المواقع مع مدينة ساحلية ، وغنم أموالاً كثيرة حتى بلغ سهم الرجل مائة دينار ذهباً ، ثم عاد من غزوته الى تؤنس دون أن تصاب قواته بخسائر في الأرواح أو المعدات .

– وفي عام ٨٦ هـ ، وجه موسى بن نصير مجموعة قتالية اخرى بقيادة عياش ابن أخيل بمهمة الهجوم على صقلية مرة أخرى ، فشتا عياش في البحر ووصل جزيرة صقلية وقام بالانزال على شواطئها وفتح مدينة سرقوسة ثم رجع الى تونس بعد تنفيذ المهمة بنجاح ..

---

(1) الامامة والسياسة ٢ / ٧٠ – ٧١ .

– بعد أن نجح موسى بن نصير بتأمين السواحل الافريقية من كل تدخل بيزنطي ، وبعد أن أصبح لدى المقاتلين الثقة التامة بقدرتهم على التوغل في فتوحاتهم ، اخذ موسى بن نصير بتطبيق الجزء الثاني من مخططه لاخضاع المتمردين من قبائل البربر ..

د – اخضاع القبائل المتمردة [1] :

– كانت قبائل هوارة وزناتة تتمركزان في منطقة المغرب الأوسط «الجزائر حالياً» .

– وكانت قبيلة كتامة تتمركز في «درعة» الواقعة على أربعة فراسخ من سجلماسة .

– وكانت صنهاجة في وادي ملوية في المغرب الأوسط «الجزائر» .

– أما قبائل مصمودة فكانت متمركزة في «أطلس العليا» ..

– وكانت قبائل البتر والبرانس في منطقة طنجة ، في المغرب الأقصى «المغرب حالياً» ..

وضع موسى بن نصير مخطط عملياته على اساس تدمير مقاومات هذه القبائل على التتابع وعدم الانطلاق في العمق قبل تصفية كل مقاومة ..

١ – كانت قبيلة كتامة قد أعلنت ولاءها وتأييدها لموسى بن نصير ووفدت عليه ، فعين لها من يتولى أمورها وأخذ منهم الرهائن ، وحاولت رهون كتامة الفرار الى قبيلتهم فوجه الخيول في طلبهم وأتى بهم ، فأراد صلبهم فقالوا : **[لا تعجل ايها الأمير بقتلنا حتى يتبين امرنا ، فان آباءنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا في خلاف ابداً ونحن بين يدك ، وانت على البيان اقدر منك على استحيائنا بعد القتل ..]** فأوقرهم حديداً وأخرجهم معه الى كتامة وخرج

....

(١) الامامة والسياسة ٢ - ٦٢ - ٦٨ ، تاريخ المغرب ٢١٠ - ٢١١ ، البيان المغرب ١ – ٣٢ - ٣٤ .

هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسى تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحيا رهونهم ..

٢ – وجه موسى مجموعة قتالية مكونة من ألف فارس بقيادة عياش بن أخيل بمهمة اخضاع تمرد « هوارة وزناتة » ، وعندما وصلت المجموعة الى مستقر هذه القبائل قامت بهجوم مباغت ، وأبادت المقاومة ، وألقت القبض على الأسرى وعرضت هوارة وزناتة الصلح فصالحهم المسلمون .

٣ – نظم موسى بن نصير مجموعة قتالية مكونة من ستة آلاف مقاتل ، أربعة آلاف من أهل الديوان وألفين من المتطوعين ، وقادهم بنفسه لقتال صنهاجة والاغارة عليها بهجوم مباغت بعد أن توفرت لديه المعلومات الدقيقة عن عدم استعداد صنهاجة القتالي .

دفع موسى عياض بن عقبة بن نافع لقيادة مقدمته ، وعين لقيادة ميمنته المغيرة بن أبي بردة ، وقاد ميسرته زرعة بن أبي مدرك .. ثم تقدم بقوته حتى وصل وادي ملوية ، وقام بهجومه المباغت فأعمل في « صنهاجة » قتلاً ومن كان معها من قبائل البربر ، وكان قتله لهم قتل الفناء ، وسبى منهم سبياً كثيراً بلغ مائة ألف ، ثم عاد موسى بعدها الى « القيروان » ..

٤ – كانت قبيلة « البرانس » من أكبر قبائل البربر وأكثرها قوة ، وكان ملكهم « كسيلة » هو الذي قتل عقبة بن نافع في « تهوذة » ثم قتله زهير بن قيس البلوي ، وكان قسم كبير من « البرانس » يستقر في « سجومة » من المغرب الأوسط .

– قرر موسى بن نصير تصفية مقاومة « البرانس » فنظم مجموعة قتالية من عشرة آلاف مقاتل وأعطى اللواء ابنه مروان بن موسى وعين لمقدمته عياض بن عقبة بن نافع وللميمنة زرعة بن أبي مدرك وللميسرة المغيرة بن بردة القرشي وللساقة « المؤخرة » نجدة بن مقسم ..

تقدمت المجموعة القتالية حتى وصلت موقع « سجن الملوك » قريباً من نهر

ملوية ، توقف العرب المسلمون ، وخلف موسى الاثقال في حراسة ألف مقاتل بقيادة عمرو بن أوس ثم تابع المسلمون تقدمهم حتى نهر ملوية ، وكان النهر في فترة الفيضان .. وتوقف فترة قصيرة تم خلالها استطلاع النهر وانتقاء موضع للعبور غير ذلك الذي سبق عبور عقبة بن نافع منه ، ثم قام العرب المسلمون بالعبور ووقفوا في مواجهة خصومهم المستعدين للقتال .. .

بدأت المعركة بين الطرفين [**واقتتلوا قتالا شديداً في جبل شديد لا يصل اليهم الا من ابواب معلومة ، وبعد قتال استمر ثلاثة ايام ، انهزم اهل سجومة ففتح المدينة وقتل ملوكها وأمر اولاد عقبة بن نافع « عياضاً وعثماناً وابا عبيدة » ان يأخذوا حقهم من قاتل ابيهم ، فقتلوا من اهل سجومة ستمائة رجل من كبارهم ، ثم قال لهم موسى « كفوا » ، « فكفوا » ، وقال عياض بن عقبة [أما والله لو تركني ما امسكت عنهم ومنهم عين تطرف**] .

٥ – بدأ موسى بن نصير باستثمار الظفر ، والافادة من قوة القاعدة التي أصبح ينطلق منها ، فبدأ مطاردته حتى أخضع القبائل ، هذه التي ارتدت بعد مسير حسان بن النعمان الى المشرق وتلك التي لم تكن قد خضعت قبلاً للمسلمين ، واستمر موسى بن نصير في تقدمه حتى المغرب الأوسط ،وولاية طنجة ،وأخذت القبائل تفر من أمامه متوجهة نحو الغرب فتتبعها عبر « السوس الأدنى » -- ريف طنجة – واستمر في تقدمه حتى وصل «سجلماسة ، ووادي درعة » .

٦ – بعد تلك الانتصارات الرائعة ، نظم موسى بن نصير مجموعة قتالية مكونة من خمسة آلاف مقاتل بقيادة ابنه مروان ، ووجهها نحو « السوس الأقصى » وبينها وبين السوس الأدنى مسيرة شهرين . وتوجه مروان بن موسى نحو هدفه وأمكن له تحقيق انتصارات كبيرة على المقاومات التي جابهته .

٧ – وفي الوقت ذاته وجه موسى بن نصير مجموعة قتالية أخرى بقيادة زرعة ابن أبي مدرك بمهمة اخضاع قبائل المصمودة « من البربر البرانس » . والمتمركزة في أطلس العليا . وتوجه زرعة إلى هدفه ، فلم يلق حرباً من المصامدة الذين

استقبلوه باعلان خضوعهم وقدموا له رهائنهم . وأخذ الاسلام ينتشر بين قبائل البربر في أقصى المغرب . وبث موسى فيهم الدين والقرآن وكان يأمر العرب أن يعلموا البربر القرآن وأن يفقهوهم في الدين ، وبذلك لم يبق في أفريقية من ينازع موسى سوى منطقة طنجة ، ومنطقة سبتة .

٨ - كانت ولاية طنجة تابعة « لجوليان » حاكم سبتة ، وكانت هذه الولاية تضم مدناً كثيرة تتسع لمسيرة شهر ويدافع عنها البربر والروم . (١)

دفع موسى بن نصير ، مقدمته بقيادة مولاه طارق بن زياد ، وتوجه نحو ولاية طنجة . ولم تلبث المدن والقلاع أن تساقطت تباعاً أمام زحف العرب المسلمين حتى لم يبق سوى مدينة طنجة فحاصرها موسى ودفع مجموعات من الفرسان لعزل المدينة وشدد قبضة الحصار حتى افتتحها وولى عليها والياً وأنزل فيها حامية من المسلمين وجعلها قاعدة متقدمة « قيرواناً » للمسلمين . وعين ابنه مروان قائداً لهذه الحامية المكونة من ألف وسبعمائة مقاتل .

٩ - تابع موسى بن نصير تقدمه في اتجاه « سبتة » واصطدم بقوات «جوليان» وكانت هذه القوات جيدة التنظيم والتدريب والأمداد بحيث لم يتمكن العرب المسلمون من احراز نصر حاسم فقرر ضرب حصار حولها وعزلها ، لكن المقاومة لم تتأثر بسبب تأمين الامداد بحراً من الأندلس فقرر موسى بن نصير إخضاعها لأسلوب الحصار الطويل والتضييق عليها وتنظيم اغارات مستمرة لاستنزاف قدرتها واوكل هذه المهمة لطارق بن زياد بعد أن ترك عنده تسعة عشر ألفاً من البربر بكامل أسلحتهم وعتادهم . كما ترك مع هؤلاء مجموعة صغيرة من العرب المسلمين بمهمة تعليم القرآن وفرائض الاسلام .

١٠ - بعد هذه الفتوحات قرر موسى بن نصير العودة إلى القيروان. وكانت مدينة « مجانة » التي تبعد خمسة أيام عن القيروان لا تزال ممتنعة وفي حال عصيان

---

(١) فتوح مصر والمغرب ٢٧٥ - ٢٧٦ . فتوح البلدان ، البلاذري ٢٣٢ .

بعد أن كان بسر بن أرطاة قد فتحها للمرة الأولى. فدفع موسى بن نصير بمجموعة قتالية وأمكن له استعادة فتحها مرة اخرى . وبذلك انتهت عملية إخضاع أفريقية بصورة كاملة .

١١ - تأكدت لموسى بن نصير مرة أخرى ومن خلال الاتصال الوثيق بين مقاومة سبتة وامدادها من اسبانيا ضرورة فرصة السيطرة البحرية لعزل كل اتصال خارجي وتأمين السواحل الافريقية . فوجه عام ٨٩ هـ مجموعة قتالية بقيادة عبد الله بن مرة بمهمة الهجوم على سردينية « سردانية » وافتتاح مدنها . وأبحرت هذه القوة نحو هدفها ، ونجحت في تنفيذ واجبها حيث استولت على كميات كبيرة من الذهب والفضة والمواد الأخرى كما أخذت ثلاثة آلاف أسير حملتهم معها الى افريقية .

- وفي السنة ذاتها : ٨٩ هـ ، وجه موسى بن نصير مجموعة قتالية أخرى بقيادة ابنه عبد الله بمهمة احتلال جزيرتي « ميورقة » و « منورقة » الواقعتين بين صقلية وجزيرة « الأندلس» ونجح عبد الله بن موسى بتنفيذ واجبه المحدد له[١].

- كان من نتيجة العمليات - في البر والبحر - عزل أفريقية عن المؤثرات الخارجية فتحقق الاستقرار في ربوعها ، وخيم الامن في ولاياتها . وأصبح بالامكان التفكير للانطلاق نحو آفاق جديدة .

---

(١) تاريخ المغرب العربي ٢١٩ . الامامة والسياسة ٢ - ٧٠ - ٧١ .

القسم الثاني

الفصل الثالث

فن الحرب وفتح افريقية والمغرب

١ – الانطلاق من قواعد أمنية .
٢ – تحديد الافضليات على مسارح العمليات .
٣ – المباغتة .
٤ – التنسيق بين العمليات البرية والبحرية .
٥ – الاهتمام بالشؤون الإدارية .
٦ – الأمن والاستطلاع .
٧ – الحرب النفسية .
٨ – كفاءة القيادة .
٩ – الروح المعنوية وإرادة النصر .
١٠ – إقامة علاقات عامة جديدة .
١١ – دروس النكسات .

قراءات

آ – عبد الله بن سعد بن أبي سرح .
ب – معاوية بن حديج السكوني .

حـ ـ عبقة بن نافع الفهري .

د ـ أبو المهاجر دينار .

هـ ـ عبد الله بن الزبير بن العوام .

و ـ بسر بن أرطاة .

ز ـ زهيربن قيس البلوي .

ح ـ حسان بن النعمان .

فن الحرب وفتح افريقية والمغرب

ـ بدأت عمليات الجبهة الغربية بفتح مصر عام ٢٠ هـ ، ثم حدث توقف قصير واستؤنفت العمليات بفتح برقة عام ٢٧هـ واستمرت العمليات بين مد وجزر حتى عام ٩٠ هـ حيث استقر الأمر نهائياً للعرب المسلمين وتوطدت دعائم الاسلام في أفريقية والمغرب وجاء فتح الأندلس تتويجاً لهذه كلها . وخلال هذه الفترة التي استمرت سبعون عاماً تقريباً حدثت تطورات كبرى في فن الحرب عند العرب المسلمين وأمكن ترسيخ القواعد والمبادىء والدروس المستقاة من المعارك المتتالية فأخذت مبادىء فن الحرب تظهر في أقوال القادة وأعمالهم بشكل واضح .

وكان من عوامل هذا التطور :

١ ـ زيادة حجم القوات المقاتلة . فبينما كان جيش فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص لا يزيد على ثمانية آلاف مقاتل ، ارتفع عدد هذا الجيش أيام عبد الله بن سعد ابن أبي سرح إلى عشرين ألفاً . ووصل إلى أربعين ألفاً في عهد حسان بن النعمان الغساني . وتضاعف هذا العدد بانضمام البربر في عهد موسى بن نصير .

٢ ـ اتساع مسرح العمليات. فالمسافة بين القيروان والأطلسي تزيد على ألفي كيلومتر ويضاف إلى ذلك العمق الاستراتيجي لهذا المسرح ما بين الساحل والصحراء ، علاوة على هامش الحيطة «الأمن» والمكون من الجزر البحرية في البحر الأبيض المتوسط .

٣ ـ صعوبة الامداد والتموين على هذا المسرح الكبير للعمليات ، لا سيما عند تحركات قوات كبيرة .

٤ ـ وجود عناصر مختلفة في جيش العرب المسلمين مما تطلب وجود أجهزة

قيادية وعناصر قيادية على درجة عالية من الكفاءة. وكانت المساواة والعدالة والقيم الروحية التي جاء بهـــا الاسلام عاملاً حاسماً في إذابة التناقضات بين الأجناس المختلفة . والاقلال من خطورتها كما كان حجم الواجب الثقيل والهدف الكبير الذي حدده الاسلام للمسلمين وواجب نشر الرسالة كافياً لصهر المؤمنين في بوتقة واحدة . لكن ذلك كله لا يمنع من القول أن وجود عناصر مختلفة وعقليات متباينة قد تطلب كفاءة قيادية لانسطيع إيقاظ الحماسة باستمرار وجعـــل هذا الهدف الكبير ماثلاً أبداً أمام اعين المقاتلين على اختلاف قبائلهم وأجناسهم .

– لم تكن أعمال القتال في افريقية والمغرب سهلة ، فقد حدثت نكسات خطيرة ووقعت أحداث ومعارك مأساوية ، وظهرت حركات تمرد عنيدة قــد تكون من أبرزها حركة الكاهنة وحركة كسيلة . وأفاد قادة العرب المسلمين من هذه التجارب بقدر ما أفادوا من التجارب الناجحة وتكون من حصالة ذلك كله دروس هامة أبرزت مبادىء فن الحرب بشكـــل واضح وكان في جملة هذه الدروس ضرورة حشد القوات ، وتأمين متطلباتها الادارية والحفاظ على روحها المعنوية واستعدادها القتالي هذا إلى جانب دراسة موقف العدو وحجم قواتــه ومعرفة طبيعة الأرض واتخاذ تدابير الأمن والقيام بأعمال الاستطلاع المستمرة . ولعل من أوضح مبادىء الحرب التي ظهرت في أعمال أفريقية ما يلي :

١ – الانطلاق من قواعد أمنية ودفع هذه القواعد باستمرار نحو الأمام .

٢ – تحديد الافضليات على مسارح العمليات وتحديد محور الجهد الرئيسي والمحاور الثانوية ..

٣ – الحرص على تطبيق مبدأ « المباغتة » الزمانية ، والمكانية ، وحجم القوات او اسلوب القتال ..

٤ – التنسيق بين العمليات البرية والبحرية ، ووضع نظرية هامش الأمن وذلك بالسيطرة على الجزر القريبة لابعاد نفوذ بيزنطة عن البحر الابيض المتوسط.

٥ – الاهتمام بالشؤون الادارية ، في حرب الصحراء ..

٦ – الحرص على أمن القوات ، والاهتمام بأعمال الاستطلاع وتقاطع المعلومات .

٧ – العناية بالحرب النفسية ، واستخدامها لخدمة القوات المسلحة .

٨ – كفاءة القيادة ، واختيار مكان القائد الصحيح في مختلف مراحل الاعمال القتالية .

٩ – الاهتمام بالروح المعنوية للمقاتلين ، وتعزيز ارادة النصر لديهم .

١٠ – بناء مجتمع جديد واقامة علاقات عامة فيه .

تلك هي بعض الدروس الواضحة لا كلها . وقد كانت الدروس التي ترجمها القادة والمقاتلون إلى مفاهيم ثابتة هي نواة « فن الحرب » المتطور . وقد يكون من المفيد المرور بها سريعاً لابراز معالمها .

ـ ان اعادة معالجة هذه المبادىء ، واستعادة ما يستجد عليها من تطورات انما يعزز القول أن معارك العرب المسلمين قد حدثت وفق تنهيج علمي صحيح بعيد كل البعد عن الارتجال والعفويةوالبدائية وأن ما أحرزهالعرب منانتصارات وما حققوة من فتوحات لم يكن مجرد هجمات سهلة أو اغارات مباغتة وانمانتيجة للارادة الثابتة والتصميم الذي لا يتزعزع لخدمة الهدف النبيل الذي عمل المسلمون له .

ـ لقد كان عدد المسلمين لا يتجاوز بضعة آلاف، تزايد عددهم بانضمام منأسلم من أهل الأقاليم فكانت الفتوحات تطبيقاً عملياً لاستراتيجية بقعة الزيت سواء في اكتساب مساحات جغرافية أو في اكتساب مزيد من القوة القتالية .

ـ وكانت استراتيجية العرب المسلمين تقوم على استخدام المبادأة وعدم تركها لخصومهم أبداً .

وكانت استراتيجية العرب المسلمين تقوم على الهجوم باستمرار . وتطوير الدفاع ليكون هجومياً وأوضح نموذج لذلك الغزوات الاستطلاعية في البر واحتلال الجزر في البحر .

ـ ومن خلال هذه الاستراتيجية، وتطبيقاتها الناجمة عن تطور فن الحرب الذي يضم الصفحات التالية بعضاً من ملامحه .

١ ـ الانطلاق من قواعد أمنية

ـ لم تكن قواعد جيوش العرب المسلمين مجرد مراكز للاقامة فقط . بل أصبحت مراكز للاشعاع الديني ومناطق للحشد ومعسكرات اقامة استعداداً للحرب .

ـ عندما فتح العرب المسلمون مصر جعل عمرو بن العاص من «برقة» قاعدة متقدمة ووضع فيها حامية يقودها عقبة بن نافع .

ـ وعندما تقدم العرب بفتوحاتهم ، جعل معاوية بن حديج السكوني من قمونية قاعدة متقدمة للعمليات .

ـ وجاء عقبة بن نافع فأراد إقامة قاعدة متقدمة داخلية . [**ليست ضاربة في الشمال فتكون جبلية ولا ضاربة في الجنوب فتكون رملية**] ووقع اختياره على القيروان بهدف :

١ ـ عزل جيش العرب المسلمين عن السكان للحفاظ على الأمن وسرية المعلومات .

٢ ـ وضع القوات في وضع استعداد دائم للحرب.

٣ ـ حتى تكون « محطاً لقوافل المقاتلين ومراحاً لعسكرهم » .

تحطيم هيمنة البيزنطيين والتأكيد على أن فتح العرب المسلمين فتحاً دائماً وليس مجرد غارة عابرة مصيرها إلى زوال . [**فكانت مدينة القيروان عزاً للاسلام الى آخر الدهر ..**]

وعندما انتهى الأمر إلى حسان بن النعمان الغساني ، بدأ ببناء قاعدة بحرية [لتكون مستقراً للاسطول العربي ـ الاسلامي تنطلق منه في حالتي الدفاع والهجوم فتغير بهذا الاسطول على ساحل الروم. فيشغلهم بأنفسهم عن الاغارة على افريقية ..]

وكان الهدف من بناء « تونس » :

١ً – اقامـة قاعدة متقدمة « برية – بحرية » للانطلاق بعمليات مشتركة .

٢ً – اقامة دار لصناعـة السفن ، من أجل تعزيز القدرة القتالية للقوات البحرية .

٣ً – وقاية افريقية من كل هجوم مباغت .

– لم يتمكن حسان بن النعمان من انجاز مشروعه فجاء عبد الله بن الحجاب أيام هشام بن عبد الملك – أي بعد ثلاثين عاماً من بدء العمل – فأكمل المشروع الضخم الذي بقي خالداً مع الدهر .

– لقد كان قادة العرب المسلمين ينظمون قواعدهم المتقدمة مـع الأخذ بعين الاعتبار ، الظروف السياسية والمتطلبات العسكرية ، والاستراتيجية ، والظروف المناخية والحاجات الحياتية والمواقع الجغرافية وهذا سبب خلود قواعد المسلمين وتحولها إلى مدن دائمة وخالدة .

– وكان انجاز هذه القواعد تخطيطاً وتنفيذاً من أول عوامل انتصار المسلمين في عملياتهم القتالية . وشاهداً على تصميم العرب المسلمين وارادتهم في تنفيـذ مخططاتهم لنشر الدعوة الاسلامية وتوفير المناخ الملائم لبقائها واستمرارها .

٢ – تحديد الافضليات على مسارح العمليات

كان الخليفة الأموي هو الذي يعطي أفضلية العمليات على الجبهات المختلفة مثل جبهة الشمال مع بيزنطة والجبهة الشرقية في فارس والجبهة الغربية في مصر وافريقية ثم يكرس الخليفة بعد ذلك الامكانات الضرورية لنجاح العمليات .

– أمـا أفضلية العمل على مسرح العمليات فتعود إلى قائد مسرح العمليات ذاته وفـق تقديره للموقف وتحديد درجة الخطورة . وكان الخلفاء أو ولاة مصر يتدخلون اذا ما تطلب الأمر ذلك ، ولو أن هذا التدخل كان محدوداً وفي إطار الخطوط العامة مثل زج القوات البحرية وتخصيص امكانات إضافية والدعـم بقوات احتياطية .

أظهر القادة في فتح أفريقية قدرة على التمييز بين درجات الخطورة واعطاء الأفضليات في العمليات . وكان الخطر يتمثل على صورتين :

١ - التدخل البيزنطي المباشر - بانزال القوات - مثل الانزال في قرطاجنة وما نتج عن ذلك من مقتل زهير بن قيس البلوي .

٢ - التدخل البيزنطي غير المباشر ، لدعم الثورات المضادة وحركات التمرد.

- وأظهر بعض القادة كفاءة خاصة في تقدير الموقف العام وتحديد الواجبات المختلفة على نحو ما فعله عقبة بن نافع في المرحلة الأولى من عملياته ومثلما فعله حسان بن النعمان في القضاء على ثورة الكاهنة ثم التحول إلى قرطاجنة و كذلك ما فعله موسى بن نصير في توجيه المجموعات القتالية المختلفة إلى أهداف متباعدة وابقاء القوة الرئيسية على استعداد تام للعمل والتدخل إذا ما تطور الموقف وذلك خلال المرحلة النهائية من فتح المغرب الأقصى .

- لقد كانت المعلومات المتوفرة بفضل الاغارات الاستطلاعية المستمرة وبفضل البربر الذين دخلوا الاسلام وصدق إيمانهم من العوامل الأساسية في تقدير الموقف السليم واتخاذ القرار المناسب . .

وكانت المرونة في التحركات والسرعة في الانتقال من محور إلى محور آخر من العوامل الحاسمة في نجاح المخططات القتالية . .

لكن المعارك بصورة عامة ومقدار النجاح فيها يعود بالدرجة الأولى إلى كفاءة القادة في تحديد محور الجهد الرئيسي والمحاور الثانوية وتخصيص القوات اللازمة للتعامل مع الاهداف المختلفة .

٣ - المباغتة :

- اعتمد القادة العرب مبدأ المباغتة عاملاً اساسياً في اعمالهم القتالية ، وكان تطبيقهم لهذا المبدأ يتوافق مع الظروف ومواقف القتال وأساليب القادة . . فعندما طال أمد القتال بين عبد الله بن سعد وجرجير ملك افريقية عام ٢٥ هـ ،

وبعث الخليفة عثمان قوة دعم سميت «بجيش العبادلة» ، عقد القادة مؤتمراً لمناقشة الموقف وطرح عبد الله بن الزبير فكرة مباغتة الخصم بهجوم غـير متوقع في تاريخه ، ذلك أن أسلوب القتال الذي اتبع بين العرب المسلمين وخصومهم طبق على اساس الاشتباك في المعركة من الساعات الاولى للنهار وحتى الظهيرة،فاقترح عبد الله بن الزبير تقسيم الجيش الى مجموعتين قتاليتين ، تقاتـل اولاهما كالعادة من الفجر وحتى الظهر ثم تنطلق المجموعة الثانية بهجومها عند عودة المجموعة الاولى

– وطبق هذا الاقتراح بعد اقراره ، وكانت المباغتة عاملاً حاسماً في احراز النصر وكسب معركة « عقوبة » ..

– وعندما بدأ عقبة بن نافع عملياته « في المرحلة الاولى » امتنعت عليـه « خاور » وتحصنت بقلاعهـا ومواقعها الحصينة ، ووجد عقبة ان اطالة أمد الحصار سيستنزف من قوته دونما فائدة ، فوضع مخططه على اساس تطبيق مبدأ المباغتة فغادر « خاور » وبعد ان قطع مسافات في الصحراء عاد بصورة « مباغتة » وقد اطمأن القوم وانصرفوا الى شؤونهم الحياتية ، وكانت مباغتة مطلقة نتج عنهـا فتح قلاع « خاور » وحصونها ..

– واستخدم موسى بن نصير اسلوب المباغتة بارسال مجموعات مختلفـة الى أماكن بحيث يشكل ظهور جنـد العرب المسلمين مباغتة غير متوقعة ، وبهـذا الاسلوب ، وبالافادة من سرعة التحركات والمرونة أمكن له اخضـاع الحركات المناوئة وفتح الحصون المنيعة .

– لقد كانت سرعة التحركات والمرونة ، والظهور في اماكن غـير متوقعة وتجاوز المفاوز والصحارى ، من الاساليب التي اتبعها قادة العرب المسلمـين لتحقيق المباغتة المكانية ..

– وكانت مخططات العمليات ، وتنظيم أعمال الهجوم في وقت لا يتوقعـه العدو من الاساليب التي طبقها العرب المسلمون لتحقيق المباغتة الزمانية .

– وكان اسلوب القادة في حشد قواتهم، واستخدام المتطوعين من البربر ومن

أسلم منهم، هي من الاساليب التي استخدمها قادة العرب المسلمين لتحقيق المباغتة في التنظيم والتسليح وحجم القوى وكانت المباغتة من اول المبادىء التي حرص قادة العرب على تطبيقها فكانت في جملة عوامل نصرهم على خصومهم .

٤ - التنسيق بين العمليات البرية والبحرية

أفاد الخلفاء بعد معاوية بن أبي سفيان من تجارب الخليفة الأموي الأول في مجال التنسيق بين العمليات البرية - البحرية ، وأعمال الغزو البحري . وكانت هذه التجارب الرائدة منهلاً استوعب أبعاده القادة جميعاً . فأخذوا ينظرون إلى البحر الأبيض المتوسط على أنه مصدر خطر التهديد البيزنطي والمجال الحيوي الواجب انتزاعه من أيديهم كما اعتبروا الجزر المنتشرة فيه على أنها هامش الأمن والحيطة الواجب السيطرة عليها لتحقيق الاستقرار في سواحل بلاد الشام ومصر وأفريقية والمغرب ..

- ان متابعة سيطرة المسلمين ، على البحر الأبيض المتوسط وأعمال الغزو فيه تظهر الارتباط الوثيق بين تطوير العمليات البرية ، وتوسع النشاط البحري ولقد جاء تطوير دار بناء السفن في الروضة وانشاء أسطول مصر ضمن هذا المفهوم الذي أصبح جزءاً من عقيدة الدولة القتالية والتي طبقها بنجاح حسان بن النعمان حيث عمل على بناء « تونس » وأنشأ دار الصناعة فيها ونظم أسطولاً مستقلا لعمليات أفريقية .

- وفي الوقت ذاته أصبح احتلال الجزر المقابلة لشواطىء بلاد العرب المسلمين جزءاً من تدابير الأمن . فكان القادة العرب المسلمون من أول القادة العرب الذين أوجدوا فكرة « هامش الأرض » لكن بمفهوم محدود نسبياً .

لقد بدأ العرب المسلمون احتلال الجزر القريبة من شواطىء الشام بعد أن استقر حكمهم فيها . وعندما تطور الموقف في مصر ، وظهر الأسطول العربي فيها بدأت عملية غزو الجزر الايطالية واليونانية وأمكن السيطرة على الجزر في وسط البحر الأبيض المتوسط ، ومن هذه الأعمال يمكن ذكر ما قام به معاوية

ابن حديج السكوني حيث غزا قبرص عــــام ٢٧هـ ثم قام بغزو البحر عامي ٣٦ و ٣٩ هـ وفي عام ٤٦ وجه معاوية قوة بحرية بقيادة عبد الله بن قيس ففتح صقلية وفي عام ٤٩ غزا عقبة بن نافع الروم في البحر واستمرت أعمال غزو القسم الأوسط من البحر الأبيض المتوسط وعندمـــا شيدت تونس ، أصبحت قاعدة لتوقف أسطول مصر الذي يتزود بالتموين والامداد فيها ثم ينطلق في عملياته . وعندما جاء موسى بن نصير ، وأمكن له تحقيق الاستقرار في أفريقية أخـذ في التفكير بتأمين أفريقية بحرياً ، ووجه قواته لاحتلال جزر الباليئار مــع متابعة غزو السواحل الايطالية واليونانية ، بحيث يمكن القول أن عمليات الغزو البحري قد سارت متوافقة في جدولها الزمني وفي مسيرة احداثها للعمليات البرية والتوسـع الأرضي وان وصول العرب إلى الأطلسي غرباً قد مهد السبيل للسيطرة على البحر الأبيض المتوسط بكامله حتى أصبح يعرف باسم « بحر الشام » بعد أن كان يعرف « بالبحر البيزنطي أو بحر الروم » .

ـ لقد انتهت هذه التجارب بولادة مفهومين واضحين عند قادة العرب المسلمين :

١ً ـ مفهوم « هامش الأمـــن » وضرورة السيطرة على جزر البحر الابيض المتوسط لتحقيق الأمن والاستقرار في بلاد العرب المسلمين والقضـاء على النفوذ البيزنطـــي . .

٢ً ـ مفهوم التنسق بين العمليات البرية ـ البحرية للقيام بالعمليات الكبرى .

٥ ـ الاهتمام بالشؤون الادارية :

لم تكن قوات العرب المسلمين التي افتتحت مصر بقيادة عمرو بن العاص تزيد على ثمانية آلاف مقاتل . . ثم زاد حجم القوات حتى وصل الى عشرين الف مقاتل في معركة العقوبة بقيادة عبد الله بن ابي سرح . وفي عـــام ٧٤هـ ارتفع عدد جيش فتح افريقية بقيادة حسان بن النعمان الى ٤٠,٠٠٠ مقاتل .

ـ لم يكن جيش حسان بن النعمان كله من العرب ، وانما ضم تحت لوائه البربر من المسلمين . وكانت زيادة حجم قوات العرب المسلمين سبباً في :

ـ بطء حركة القوات بالمقارنة لما كانت عليه أيام الفتح الأولى .

ـ وجود ذيـل إداري يثقل كاهل القوات أثناء التقدم ومسيرة العمليات ..

ـ ضروره تخصيص وحدات معينة ، لتأمين الامداد الإداري ، وحراستـه وتوفيره للمقاتلين .

ـ ان ظاهرة البطء في التحركات تبرز بشكلها الواضح من خلال الفترة التي قضاها الحسان بن النعمان بين تعيينه ، وبين بداية العمليات حيث استمرت هـذه الفترة سنة كاملة تقريباً .

وتتكرر هذه الظاهرة أيضاً من خلال تأخر عقبـــة بن نافع في استئناف عملياته للمرحلة الثانية ـ فترة سنة تقريباً ـ وذلك بهدف تأمين حشد القوات وتوفير متطلباتها ..

ـ ولقـــد عالج القادة ظاهرة زيادة حجم الذيل الإداري باتخاذ إجراءات مختلفة منها :

١ ـ تخصيص منطقة للشؤون الإدارية خلال مسيرة العمليات على نحو ما فعله موسى بن نصير عندما وصل وادي ملوية حيث خلف الأثقال تحـــت الحراسة وانطلق في عملياته .

٢ ـ تقسيم القوة الضاربة إلى مجموعات مختلفة تسير على التتابع بحيث تحافظ على مرونتها وتتحرر من أعباء ثقل الذيل الإداري وذلك على نحو ما فعله عقبة بن نافع خلال عودته من فتوحاته الثانية .

٣ ـ عدم زج كتلة الجيش الكبير في منطقة عمليات واحدة وتوجيهه على شكل مجموعات قتالية إلى أهداف مختلفة . كما فعل موسى بن نصير في فتـــح المغرب الأقصى « مراكش » .

ـ لقـد اضطر قادة العرب المسلمين إلى زياده حجم قواتهم بسبب التحديات الكبيرة التي جابهتهم وتبع ذلك زيادة في حجم المتطلبات الإدارية . وكان نجاح القادة رائعاً في الحفاظ على التوازن بين المتطلبات الإدارية وبين متطلبات العمليات

بحيث لم يكن « الذيل الإداري » سبباً في إعاقة مسيرة العمليات وفقدان المرونة وسرعة التحركات وهي العوامل الأساسية في نجاح عمليات العرب المسلمين.

٦ – الامن، والاستطلاع :

– نفذت عمليات فتح أفريقية على مراحل متتابعة ، وكان يتم في كل مرحلة التوقف عند حدود معينة ثم تأتي المرحلة التالية لتحقق مزيداً من منجزات الفتح . ولم يكن التوقف عند حدود المرحلة يعني الجمود والسكون وانما يعني الاستعداد الدائم لمعارك مقبلة . فعندما توقفت عمليات عمرو بن العاص عند حدود « برقة » وتم تعيين عقبة بن نافع لقيادة الحامية المدافعة عند حدود مصر الغربية . كان عقبة يراسل « المسلمين في جرائد الخيل » بهدف الاغارة على الحدود المجاورة وجمع المعلومات عنها وجاء عبد الله بن سرح فتابع تنفيذ الخطة ذاتها . حتى أصبحت سنة للقادة جميعاً .

– كانت الإغارات الاستطلاعية من أفضل الوسائل التي اتبعها العرب المسلمون لجمع المعلومات عن الأرض ، والعدو . ولكنهم لم يتوقفوا عندها فكانوا يستفيدون من البربر الذين حسن اسلامهم للحصول على المعلومات الدقيقة . لاكمال صورة الموقف .

وهم أيضاً لم يتوقفوا عند هذه الحدود ، فكانوا يستخدمون كل وسيلة تبادلية من أجل تقاطع المعلومات وتأكيدها وذلك على نحو ما فعله حسان بن النعمان عندما كتب إلى خالد بن يزيد لموافاته بمعلومات دقيقة عن « الكاهنة » فكتب خالد رسالة وضعها في رغيف من الخبز وشواه فاحترقت الرسالة. فأرسل رسالة ثانية أودعها قربوص سرج المراسل . ووصلت المعلومات المطلوبة في الوقت المناسب مما ساعد حسان بن النعمان على توجيه قواته للقضاء على ثورة الكاهنة .

– وكانت المعلومات الدقيقة عن قوات الروم في قرطاجنة ومعرفة نقاط الضعف في التحصينات التي ساعدت حسان بن النعمان على تصفية مقاومة قرطاجنة وتدميرها بعد جلاء البيزنطيين عنها .

ـ كما كانت المعلومات الدقيقة عن الأرض، وطبيعة السكان، ومعرفة القبائل من أول العوامل التي ساعدت موسى بن نصير على التقدم حتى المغرب الأقصى وتحقيق الاستقرار في « أفريقية كلها » .

ـ وعلاوة على ذلك فقد كان أسلوب تنظيم القوات ودفع « المقدمات » امام الكتلة الرئيسية ، من جملة أساليب « الإستطلاع بالقوة » لجمع المعلومات وعدم تمكين العدو من مباغتة قوات العرب المسلمين في إقامتها وتحركها وخلال مسيرة عملياتهـا .

ـ لقد كان الاستطلاع وترتيبات الأمن عاملاً حاسمـاً فيما أحرزه العرب المسلمون من نجاحات في أعمالهم القتالية .

٧ ـ الحرب النفسية

ـ أتقن قادة العرب المسلمين اساليب الحرب النفسية ، وكان استخدامهم لهذه الأساليب بمهارة حتى أنهم استطاعوا الحفاظ على مضاء هذا السلاح ومغالبته مع استمرار أعمالهم القتالية كلها . وكانت حروبهم النفسية رديفاً لقواتهم المسلحة ولم تكن بديلاً لها بمعنى أن الحرب النفسية كانت لديهم وسيلة وليست غاية. وان هذا الوضوح في استخدام أساليب الحرب النفسية يتوافق مع أحدث معطيات الحرب النفسية وتجاربها .

ـ تظهر التجربة الأولى للحرب النفسية بوضوح تام في حرب عبد الله بن سعد لجرجير ملك أفريقية في معركة « عقوبة » حيث أعلن جرجير « ان من يقتل عبد الله بن سعد سيمنح مائة ألف دينار ويزوجه ابنته » فكان الرد الحاسم إعلان عبد الله [**من أتاني برأس جرجير نفلته مائة ألف وزوجته ابنته واستعملته على بلاده**] حتى صار جرجير أكثر خوفاً من عبد الله .

ـ وتظهر تجارب الحرب النفسية التالية فيما قام به عقبة بن نافع من أساليب قطع بعض أعضاء قادة المقاومة، أو من يحتمل لهم قيادة المقاومة، كجدع الأنف

وقطع الاصبع بهدف ردعهم عن التفكير في تنظيم الحرب ضد العرب المسلمين . وكان الحافز الذي دفع عقبة لذلك هو كثرة ما شهده من أعمال ارتداد افريقية وتمردها فأراد بذلك استخدام الحرب النفسية كسلاح وقائي. وكان لهذا الأسلوب اثر حاسم فيما حققه عقبة من نجاح في عملياته حتى وصل المحيط الأطلسي .

– وكان أسلوب الاحتفاظ بالرهائن – في بعض جوانبه – أسلوباً من أساليب الحرب النفسية لردع قادة القبائل عن التمرد والاشتراك بالحرب ضد العرب المسلمين .

– كما كان بناء القواعد المتقدمة ، وإقامة الحاميات، في بعض جوانبه أيضاً، من أسالب الحرب النفسية التي أشعرت السكان ببقاء العرب واستمرار حكمهم وعدم تراجعهم عما حققوه من فتوحات . وأن أعمال الفتوح ليست مجرد غزوة عابرة أو إغارة مؤقتة وسريعة .

– لقد كان أسلوب قادة العرب المسلمين في حروبهم ، وفي وفائهم بالتزاماتهم وفي عدم غدرهم بحلفائهم مقابل القسوة فيمن يغدر أو يخون المواثيق المعقودة مع القادة ، هو حرب نفسية في مضمونه ، ذلك أن هذا الأسلوب قد جعل قاده المقاومة يفكرون كثيراً قبل إعلان تمردهم لمعرفتهم بما ينتظرهم عند فشل ثورتهم، ولقد كان الصدق في الوعد والوعيد من أول أساليب الحرب النفسية لقادة العرب المسلمين وأكثرها نجاحاً .

– كانت العمليات التي قام بها موسى بن نصير في أفريقية ، تطبيقاً عملياً ناجحاً لتوافق الحرب النفسية مع حرب القوات المقاتلة ، وتتويجاً لتجارب الحرب السابقة في أفريقية . ويعود الفضل فيما حققه موسى بن نصير من نجاحات وانتصارات إلى أولئك القادة الذين خاضوا التجارب المتتابعة وحصلوا بنتيجتها على خبرات كثيرة في طليعتها « استخدام الحرب النفسية » ضمن حدود مرسومة وفي إطار واضح يخدم الهدف الذي تعمل القوات المقاتلة على إنجازه .

٨ - كفاءة القيادة :

- من الملاحظ نتيجة لتطور فن الحرب طوال عهد الفتوحات ، ظهور عدد من المعطيات التي أخذ القادة يلتزمون بها ومن بعض هذه المعطيات :

١ - ضرورة وجود القائد في المقدمة أثناء التقدم ومع المؤخرة ، الساقة ، أثناء الإنسحاب او التراجع .

٢ - وجود القائد مع كتلة القوات الرئيسية عند توزيع القوات للقيام بواجبات مختلفة .

٣ - وجود عناصر قيادية ، تعاون القائد وتعمل معه بارتباط وثيق ، كهيئة أركان حرب .

٤ - الإعتماد على أسس ثابتة ، والأخذ بعوامل ، تقدير الموقف ، دراسة الأرض قبل اتخاذ القرار اللازم للعمليات ووضعه موضع التنفيذ .

٥ - الحفاظ على الروح المعنوية للمقاتلين .

- لقد اعتمد الخلفاء الراشدين على أصحاب السبق في الإسلام ولمن عرف عنهم البأس والقوة والقدرة القيادية فظهرت طبقة قيادية رائدة أثناء فتوح الشام والعراق وفارس ومصر ، ثم أخذ الخلفاء الأمويون بإعطاء أفضلية القيادة لمن والاهم وناصرهم وكان العنصر العربي هو العامل الأساسي لإسناد المركز القيادي وعلى الرغم من ظهور أسماء غير عربية في تسلسل القيادات ، إلا أن الطابع الرئيسي للقيادة هو اعتماد العنصر العربي . وكان عامل الكفاءة القيادية هو الحاسم في تعيين القادة ، كقول يزيد بن معاوية عندما استشار أصحابه لتعيين وال على أفريقية [**من للأمر مثل عقبة ؟**]

وكقول عبد الملك بن مروان عند تعيين حسان بن النعمان لولاية أفريقية :

[**ما أعلم أحداً أكفأ أفريقية من حسان بن النعمان الغساني ..**]

- وان تعيين بعض الولاة على أساس الولاء يعتبر شذوذاً عن القاعدة واستثناء وليس أساساً لها .

ـ لقد أظهرت أعمال فتوح أفريقية طبقة قيادية على درجة الكفاءة استطاعت أن تمارس عملها بنجاح وفق التطورات التالية :

١ – زيادة حجم الوحدات المقاتلة ، وتضخم أعدادها على ما كانت عليه في بدايه الفتح .

٢ – وجود عناصر مختلفة ، والقدرة على التوفيق بينها ، العرب، الصقالبة، البربـــر .

٣ – ظهور زيادة حجم الامداد الإداري بسبب اتساع رقعة مسرح العمليات من جهة وزيادة حجم الوحدات المقاتلة من جهة أخرى .

٤ – معالجة الصعاب الخاصة بمسرح العمليات والقدرة على مجابهتها وايجـاد الحلول المناسبة لها .

ـ إن العودة إلى مسيرة العمليات القتالية في أفريقية بداية من هجوم عبـد الله بن سعد بن أبي سرح عام ٢٥ هـ . ونهاية بالوصول للأطلسي واستقرار المسلمين فيها أيام موسى من نصير ٩٠ هـ، تظهر القدرة القيادية وما تميز به القادة المتتابعون من كفاءات قيادية عالية .

٩ ـ الروح المعنوية وارادة النصر .

بين القيروان وآسفي على المحيط الأطلسي ما يزيد على ألف وخمسمائة كيلومتر. وطريق العودة يزيد على ذلـــك ، آلاف الكيلومترات سارها العرب المسلمون بقيادة عقبة بن نافع ثم بقيادة موسى بن نصير ، وقطعوا قبلها مـــا بين الشام والقيروان مسافات طويلة . ولم يكن طريق المسيرة مفروشاً بالورود ، فقد تخللته معارك ضارية وأعمال قتـال صعبه ، في الحر والبرد ، في السهول والصحارى والجبال ، وكانت معارك عنيدة مـــع مقاتلين أشداء ، وخصوم أقوياء يعرفون أرضهم ومناطق عملهم ورغم ذلك فقد حقق العرب المسلمون انتصارات رائعة انتهت بتحقيق الاستقرار ونشر الإسلام في ربوع أفريقية .

لم يكن عدد العرب المسلمين الذين أسهموا في فتوح المغرب كبيراً . ولم تكن الحاجة للطعام والشراب حافزهم لارتكاب الأخطار فقد كان لهم في سهول الشام والعراق مـــا يكفيهم مؤونة العيش برفاه لو كانت الدنيا هدفهم . كما لم تكن المغانم والمكاسب مبتغاهم ، فقد كان في البلاد التي فتحوها مغانم ومكاسب تزيد عن احتياجهم .

لقد جابه العرب المسلمون في فتح أفريقية نكسة بعد نكسة وقُتل من القادة خيارهم ومن المقاتلين فرسانهم وعرف المقاتلون أن معارك أفريقية شديدة الوطأة ثقيلة الأعباء باهظة الثمن ورغم ذلك تابعوا عملياتهم معركة بعد معركـــة حتى تعرف أهل البلاد على حقيقة العرب المسلمين وأهدافهم وعند ذلك التحم سكان البلاد مع العرب المسلمين وكانت لهم معاً أيام خالدة أبد الدهر .

لقـــد كانت الروح المعنوية العالية هي العامل الأساسي والحاسم في انتصار العرب المسلمين وتحقيق ما كان يريده العرب المسلمون من فتوحاتهم .

– كانت حروب العالم القديم والحديث تهدف إلى زيادة السيطرة أو النزاع على مجال حيوي . ولهذا لم تترك وراءها سوى شواهد وآثار صامتة ضمنهـــا التاريخ لتكون دليلاً على فشل كل اعمال الفتوحات المجردة من مثل أعلى .

ـ وكانت حروب العالم العربي – الإسلامي ذات مضمون انساني ـ حضاري ولهذا تركت من الآثار في النفوس والعقول، في الافراد والمجتمعات ما بقي خالداً مع الدهر .

– كان الإيمان بالقضية ، قضية الأمة العربية الإسلامية ، وواجبها في نشر الرسالة في أنحاء العالم وتعريف الدنيا بها ، هو الحافز الأول والأخير لما قام بـه العرب المسلمون من فتوحات وما تحملوه من مشاق ومـــا تكبدوه من جسام التضحيات ..

إن معارك أفريقية برهان واضح وأكيد على صلابة الانسان العربي وقوتـه

وشدة بأسه وإرادته الثابتة لكنها في الوقت ذاته برهان أيضاً على الروح المعنوية العالية التي تميز بها المقاتلون من العرب المسلمين .

١٠ ـ اقامة علاقات عامة جيدة

عندما توقف العرب المسلمون عن متابعة فتوحاتهـم في أفريقية عام ٢١ هـ ، تابعوا اتصالاتهم مـع زعماء قبائل البربر وأهل البلاد ، بهدف تعريفهم على الدين الاسلامـي . ثم استؤنفت المعارك بعد ذلك وعقدت المعاهدات مع زعماء البلاد وشيوخ القبائل وكانت هذه المعاهدات تترك لأصحاب البلاد حرية العمل وتطبيق ما يريدونه من أعراف وعادات فكان من يدخل الاسلام يصبح له مـا للمسلمين وعليه ما على المسلمين أما من رفض ذلك فعليه جزية معلومة له لقاء حمايـة المسلمين له . وكان انسحاب العرب المسلمين بعد عقد الاتفاقيات يشعر أهـل البلاد أن فتوح العرب المسلمين ليس أكثر من غزوات هدفها الحصول على مغانم. ولهذ كانت تتكرر أعمال التمرد ، وكان النفوذ البيزنطي عاملاً مساعـداً على التحريض وقيام الثورات المضادة . مما دفع قادة العرب المسلمين على إقامة القواعد المتقدمة لتكون منارات فكرية إضافة إلى دورها العسكري . وقد عرف أهل البلاد تدريجياً حقيقة الدين الاسلامي . وتعرفوا على طبائـع حاملي الرسالة وأخلاقهم فأخذت عرى التلاحم تتزايد وثوقاً مع الأيام حتـى أصبح العرب والأفارقة نسيجاً واحداً من المستحيل تمزيقه .

ـ لقد أنشأ الرومان والبيزنطيون« الليمات » على امتداد أفريقية وأقاموا فيها الحاميات لكن هذه الحاميات لم تلبث أن انهارت وتراجعت أمام المد العربي ـ الاسلامي ولم تترك من الآثار سوى شواهد عمرانية بين رمال الصحراء .ذلك أن الرومان وجند بيزنطة أقاموا على عزلة ولم يندمجوا مع السكان إلا في حـدود ضيقة بينما تلاحم العرب مع سكان البلاد نتيجـة لشعورهم بواجب تعريفهم على دينهم وأخـذ دم المسلمين من عرب وأفارقة يمتزج برمال افريقية ليقيم وحـدة حقيقية ، ولم يلبث الأفارقة حتى اضطلعوا بأنفسهم بحمل الرسالة وأسهموا الى

حد بعيد في نشر الاسلام وفتح الأندلس وحمايتها وتحقيق الاستقرار في افريقية..

– لقد دخلت شعوب كثيرة في الدين الاسلامي كالأتراك والفرس والاكراد، وأسهمت هذه الشعوب بدورها في نشر الدين الاسلامي لكن تلاحم العرب مع الأفارقة أخذ طابعاً خاصاً، وقد يكون السبب في ذلك هو تقارب طبيعة الشعبين وتماثل البيئة الجغرافية والاجتماعية وكونهما – أيام نشر الرسالة – أقرب الى البداوة في حياتهما ومفاهيمهما.

– كان بناء المجتمع العربي الإسلامي في افريقية شاقاً، اعترضته هزات قوية وعنيفة وسقط في افريقية آلاف الشهداء، لكن تلك التضحيات والجهود لم تذهب عبثاً ودونما فائدة، بل إنها رسخت جذور البناء وأرست قواعده على أسس ثابتة فارتفع البناء متيناً لم تنجح كل الأعاصير والزوابع بعد ذلك على زعزعته وإنما زادته قوة وثباتاً..

– لم يقتصر بناء المجتمع الجديد في افريقية على اذابة الفوارق الاجتماعية وصهر المجتمع الجديد في بوتقة واحدة، كما أنه لم يقتصر على اقامة المدن وبناء العمران، أو التجنيد في جيش واحد أو اقامة قوات مسلحة مستقلة، وانما تجاوز ذلك كله الى البنيان الاقتصادي. ففي عهد حسان بن النعمان الغساني – وفي الوقت الذي كان فيه عبد الملك بن مروان يضع أساس الاستقلال النقدي للدولة العربية، ووضع نقود جديدة – كان حسان بن النعمان يستبدل النقود القوطية والنقود البيزنطية بالدينار العربي..

كانت النقود المتداولة في افريقية قوطية وبيزنطية وكانت تحمل رسم ملوكهم وشعارات دولهم، فكان الدينار القرطاجني يحمل على وجهه الاول صورة القيصر وولي عهده أو القيصرة وبه من الكتابة اسم القيصر وألقابه، وعلى الوجه الثاني صليب في الوسط قائم على ثلاث درج ومكتوب على دائرته باللاتينية، ضرب هذا في افريقية، مع ذكر السنة بحسب عقد ذات عشر سنوات من اعتلاء ذلك القيصر حكم بلاده. وجاء حسان بن النعمان فضرب الدنانير

والدراهم والفلوس وحـذف من الصليب العمود الافقي وعوضه برسم الكرة في أعلى العمود الرأسي وحذف الدرج الأسفل من السلم ووضـع صورتي عبد الملك ابن مروان والوليد بن عبد الملك ابنه وكتب حسان في سكته باللغـة اللاتينية كلمة التوحيد على النحو التالي :

في الوجه الاول : بسم الله الرحمن الإله الأوحد

IN- NADNIMISR - CUNDS IN NMINE - DOMI MISERI

وفي الوجه الثاني : وحـده لا شريك ولا مثيل له CORDIS UNIUS

UNUS DEUS NISL SOCIUS ALIS SIMILLS

وكتب على هذا الوجه أيضاً : ضرب بافريقية في العشرة الثالثة « ٨٥هـ »

FE RIEI IN AFRICA IN DIETIOUE

– وكانت هذه الخطوة ، ضربة حاسمة للنفوذ البيزنطي في افريقية .

– واضافة الى ذلك ، عمل حسان بن النعمان على تدوين الدواوين ، وانشـاء المدارس بجوار كل مسجد وتقسيم الاراضي بين قبائل البربر ، والقيام بالخدمات العامة كفتح الطرق واصلاح القنوات للري ، وتنظيم اعمال الحراسة لحفظ الآمن وتنظيم الشؤون المالية للدولة .

– كان من نتيجة هذه الاجراءات وغيرها ، اقامـة مجتمع جديد يختلف في جوهره ومظهره عن المجتمع السابق ، وقد اطمأن أهـــل افريقية الى المجتمع الجديد بعـد أن عرفوه جيداً فأخـذوا يتسابقون لبنيانه والعمل فيه ودعمـه بجهـدهم كله .. وان الاحداث المتتالية التي جاءت بعـد ذلك تثبت هذه الحقيقة وتؤكدها ..

١١ – دروس النكسات :

١ – في عام ٦٣ هـ – ٦٨٣ م : استشهد عقبة بن نافع في معركة « تهوذة » وأثار « كسيلة » نيران الثورة المضادة وسيطر على افريقية وحدثت انتكاسـة استمرت خمسة أعوام ..

ـ وقد يكون من السهل القاء اللوم على عقبة واتهامه بالتقصير في اتخاذ تدابير الأمن أو التهاون في جمع المعلومات عن خصومه أو الاستهتار في بقائه مع مؤخرة قليلة لا تستطيع الدفاع عن نفسها مما انتهى إلى مأساة مدمرة تحت كل الجهود التي بذلها عقبة حتى وصل بجنده الى المحيط ، لكن هذه الاتهامات تتداعى أمام بعض الحقائق ومنها أنه لا يجوز محاكمة «حادث تاريخي» في إطار زمني يختلف عن العصر الذي وقع فيه هذا الحادث ..

ـ لقد استطاع عقبة أن يقوم بهجوم كبير وصل به إلى المحيط على امتداد محور يزيد على ألفي كيلو متر .. ولم تكن القوات العربية الاسلامية في عددها كافية ـ دونما ريب ـ لاقامة حاميات مستقلة على امتداد محور العمليات .

ان الموارد الحياتية لجيش كبير ترهق سكان البلاد . وكان عقبة يوازن بين متطلبات الجيش وبين بناء المجتمع الجديد وبين تدابير الأمن . وان ايعازه الى قادته بالانطلاق في طريق العودة إلى القيروان على شكل مجموعات منفصلة هو برهان على أنه أراد التحرر من ثقل الذيل الاداري والوصول بسرعة إلى قاعدة عملياته مطمئناً في ذلك إلى ما أحرزه من انتصارات .

ـ ليس هناك ، سوى عدد قليل جداً من القادة ، الذين يستطيعون اتخاذ القرارات المناسبة في كل الظروف ، وان اتخاذ قرار ظهر خطأه عند التطبيق لا يقلل من أهمية النجاحات التي حققها عقبة في عملياته، ولو لم تكن عمليات عقبة اكثر من غزوة استطلاعية بالقوة للمغرب كله لكفاها غزوة خالدة حققت الكثير من الفوائد التي جنى التابعون ثمارها .

ـ لقد اكتشف عقبة ، ان حرب الصحراء هي حرب شؤون إدارية بالدرجة الأولى وأن العامل الاداري هو العامل الحاسم في نجاح معاركه والمحافظة على قواته . وان قراره بتقسيم جيشه إلى مجموعات مستقلة هو برهان على عبقريته القتالية أكثر منه برهاناً على اهماله مبادىء « فن الحرب » . وان شواهد حرب الصحراء في الحرب العالمية الثانية برهان ثابت على صحة هذه النظرية حيث

كانت معارك رومل ومونتغومري معارك شؤون إدارية بالدرجة الأولى .

– تميزت أعمال عقبة بن نافع بترسيخ عدد من مبادىء فن الحرب – كالمباغتة – والحشد والحرب النفسية والمحافظة على المبادأة ، والحفاظ على الروح المعنوية للمقاتلين وتحديد المكان الصحيح للقائد في المعركة وإن هذه المبادىء وظهورها بشكل واضح هي برهان على أن عقبة لم يكن ليهمل مبدأ « المحافظة على الأمن » أو الاستطلاع . لكن عوامل مسرح العمليات فرضت ذاتها على مقرراته ، وألزمته باتخاذ قرار كانت فيه نهايته المأساوية ، ولعل هناك خلل في أسلوب معاملة عقبة « لكسيلة » واحتقاره له ، لكن عذر عقبة في ذلك انه انسان يعيش انفعالات وأحاسيس مختلفة ، وكان غضبه على أبي المهاجر دينار سبباً في انتقال النقمة إلى كسيلة مما حمل هذا على الثورة واعلان التمرد وتجريد القوات لحرب العرب المسلمين والقضاء على عقبة في معركة « تهوذة » .

٢ – وفي عام ٧١ هـ – ٦٩٠ م : استشهد زهير بن قيس البلوي « في برقة » عند الاشتباك مع قوة انزال بحري وجهتها بيزنطة للقضاء على جيش العرب المسلمين . وقامت « الكاهنة » بقيادة ثورة مضادة وحدثت انتكاسة كبيرة للمرة الثانية استمرت ثلاثه أعوام حتى استطاع حسان بن النعمان الغساني تصفية هذه الثورة والقضاء على النفوذ البيزنطي ومهد السبيل لاستقرار العرب المسلمين في عهد موسى بن نصير الذي أعقبه في ولاية افريقية ..

– قاد زهير بن قيس معركة « ممس » الخالدة وقضى على ثورة كسيلة ، ثم توج عملياته بالتوغل في افريقية وفتح مدينة تونس .. ويظهر من ذاك أن زهير قد احتل مكانته القيادية عن جدارة وكفاءة ، لكن الانزال البيزنطي المباغت دفعه إلى التوجه على رأس قوة ضعيفة في اتجاه برقة على أمل أن تلحق به كتلة القوات الرئيسية ، ووجد ذاته أمام موقف لا مجال للتردد فيه ، فقد استثارت حميته العربية صرخات النساء والاطفال تحت ذل الجند البيزنطيين فصمم على خوض معركة يائسة ، في ظروف غير متكافئة .

لقد خطط الروم لهذه الاغارة المباغتة ، وعملوا على الاعداد لهـا بدقة ، وتم تنفيذها بمهارة حيث كان جيش « افريقية » بعيداً ، ومن المحتمل ان تكون بعض المعلومات قد تسربت عن تحرك الاسطول البيزنطي ممـــا حمل زهير على العودة بسرعـــة في اتجـاه مصر ، لكن تسارع الاحداث لم يمكنه من اتخاذ الاجراءات الكفيلة باحباط العدوان فكانت نهايته الحتمية . ومرة أخرى قـد يكون الحكم على زهير « بالفشل في القيادة » حكماً جائراً ذلك لأن هـــذه المحاكمة تفصل الحادث التاريخي عن « إطاره الزمني».. فزهير بن قيس ، إنسان عربي ، عرف بالشجاعة ، والمروءة ، والنجدة ، ومن الصعب تصور زهـير بن قيس يقف على رأس قوة صغيرة ويشهد بعينيه ما يحـدث للمسلمين ثم يبقى في موقف المتفرج ريثما تصل قواته الرئيسية دون أن يزج بنفسه في المعركة بصرف النظر عن كل تقدير للنتائج التي ستنتهي إليها المعركة ..

– كان هدف الروم من إغارتهم القضاء على جيش زهير، وقام زهير بهجومه على غير استعداد مسبق، وبذلك كان موت زهير والصحابة والتابعين ممن سقطوا في المعركة فداء ، حفظ لجيش العرب المسلمين كتلته الرئيسية ..

– أفاد قادة العرب المسلمين من هذه الانتكاسات بقدر ما أفادوا من تجاربهم الناجحة ، وكان تطوير القواعد المتقدمة ، وانشاء أسطول بحري خاص بافريقية وتدمير كل نفوذ لبيزنطة ، وتوثيق عرى التعاون مع اهـل البلاد هي من بعض نتائج هذه التجارب الفاشلة .. كما كان لهذه التجارب فوائدها على المدى البعيد ذلك انها أكسبت مقاتلي العرب المسلمين مزيداً من الخبرات والمعارف بطبيعـة السكان والطبيعة الجغرافية للاقليم مما مهد السبيل أمـام تحقيق استقرار دائم في افريقية ومرحلة للانتقال نحو عمليات أكثر توسعاً في آفاق جديدة .

قراءات

آ – عبد الله بن سعد بن ابي سرح ـ القرشي العامري(١)

٤٦ ق هـ – ٣٦ هـ – ٥٧٧ – ٦٥٦ م

اری الأمر لا يزداد الا تفاقماً وأنصارنا بالمكتين قليل
وأسلمنا اهل المدينة، والهوى هوى اهل مصر ، والذليل ذليل

من شعر ابن أبي سرح يوم حوصر الخليفة عثمان بن عفان

عبد الله بن سعد بن أبي سرح بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي القرشي العامري ويكنى أبا يحيى ، وأمه مهابة بنت جابر الأشعري ، أرضعت عثمان بن عفان فهو أخو عثمان بالرضاعة ..

من أوائل المسلمين ، ثم ارتد ورجع الى مكة ، فأهدر النبي دمه ، مما دفعه إلى الفرار يوم فتح المسلمون مكة ، واللجوء إلى أخيه عثمان بن عفان ، فتوسط له عثمان عند الرسول الأعظم فعفى عنه ..

– كان عبد الله قائداً للميمنة أثناء تحرك عمرو بن العاص لفتح مصر ، ثم تولى صعيد مصر بعد فتحها في خلافة عمر بن الخطاب ثم حدث خلاف بينه وبين عمرو بن العاص في بداية عهد خلافة عثمان بن عفان . فحسم الخليفة عثمان ابن عفان الخلاف بعزل ابن العاص وتعيين ابن أبي سرح لولاية مصر وخراجها ..

---

(١) أسد الغابة ٣ ـ ١٧٣ . الاستيعاب ٣ ـ ٩١٨ . سيرة ابن هشام ٤ ـ ٢٨ . طبقات ابن سعد ٧ ـ ٤٩٦ . شذرات الذهب ١ ـ ٤٤ . تهذيب ابن عساكر ٧ ـ ٤٠٧ .

استأذن ابن أبي سرح الخليفة عثمان لغزو افريقية فأذن له وأمـــده بجيش كبير فيه عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن جعفر ، والحسن والحسين ، لذلك سمي هذا الجيش « بجيش العبادلة » .

– انطلق ابن أبي سرح بجيشه من منطقة الحشد في برقـــة حيث انضمت إليه حاميتها بقيادة عقبة بن نافع ، وقام بفتح طرابلس ثم حدثت معركة مـع جرجير في عقوبة على مقربة من سبيطلة ، وانتصر المسلمون بعد أن لحقت بهم قوات الدعم التي وجهها الخليفة عثمان ، ثم حاصر سبيطلة ففتحها ووجه بمجموعة قتالية إلى قفصة ففتحها ووجه بمجموعة إلى حصن الأجم .

في سنة ٢٨ هـ : قاد عبد الله بن سعد الأسطول من مصر وقام بغزو قبرص.

في سنة ٣١ هـ : عقد عبد الله بن سعد صلحاً مع النوبة وأمن الحـــدود الجنوبية لمصر .

في سنة ٣٣ هـ : نقض أهل أفريقية العهد . فقام عبد الله بقيادة جيشه وأعاد فتح أفريقية .

في سنة ٣٤ هـ : غزا غزوة ذات الصواري ، وأظهر بطولة رائعة وقيادة ماهـــرة .

في سنة ٣٥ هـ : استدعاه الخليفة عثمان لاستشارته ، واستقل محمد بن أبي حذيفة بمصر .

في سنة ٣٦ هـ : وبعد مقتل عثمان ، عزل عبد الله بن سعد وعين قيس بن سعد ابن عبادة لولاية مصر .

وعاد عبد الله إلى عسقلان وتوفي فيها .

—✱—

ب - معاوية بن حديج السكوني[1]

٥٢ هـ - ٦٧٢ م

[... غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ...]

حديث شريف رواه معاوية بن حديج

معاوية بن حديج بن جفنة بن قتيرة بن حارثة بن عبد شمس بن معاوية بن جعفر ابن أسامة بن سعد بن أشرس بن شبيب بن السَّكُون السكوني . يكنى أبا نعيم وقيل أبا عبد الرحمن .

وأمه كبشة بنت معدي كرب .

- كان ابن حديج في قوة جيش عمرو بن العاص لفتح مصر . وكان رسوله إلى الخليفة عمر بن الخطاب لإعلامه بفتح مصر والاسكندرية .

- وفي سنة ٣١ هـ : كان ابن حديج في القوة التي قادها عبد الله بن سعد ابن أبي سرح لفتح النوبة فذهبت عينه يوم دمقلة حيث وصف الشاعر العربي المعركة بقوله :

لم تر عيني مثل يوم دمقلة والخيل تعدو بالدروع مثقلة

- وفي سنة ٣٤ هـ : قاد معاوية مجموعة قتالية لفتح أفريقيا وذلك في ولاية عبد الله بن سعد لمصر وعهد الخليفة عثمان . وكان في هذه المجموعة القتالية جماعة من المهاجرين والأنصار ففتح ابن حديج مناطق واسعة وغنم غنائم عظيمة واتخذ القيروان قاعدة له .

- وفي سنة ٤١ هـ : قاد مجموعة قتالية ومعه عبد الملك بن مروان وفتح بنزرت .

- وفي سنة ٤٥ هـ : قاد معاوية جيشاً قوته عشرة آلاف مقاتل فيهم عبد الله

....

(١) اسد الغابة ٤/٣٨٤ . الاستيعاب ٣/١٤١٤ . البلاذري/٢٣٧ . طبقات ابن سعد ٧-٥٠٣ . شذرات الذهب ١-٥٨ . تهذيب التهذيب ١٠-٢٠٤ .

ابن عمر بن الخطاب وجماعة من االصحابة والتابعين فنزل بقمونية وهزم جرجير ملك سبطلة عند الأجم .

ثم وجه معاوية بن حديج قوة قتالية بقيادة عبد الله بن الزبير ففتح سوسة .

ووجه مجموعة قتالية أخرى بقيادة رويفع بن ثابت الأنصاري لفتح جزيرة جربة القريبة من تونس .

ووجه مجموعة ثالثة بقيادة عبد الملك بن مروان ففتح جلولاء .

ثم استقر في جبل القرن وجعله قاعدة لعملياته . وبقي هناك ثلاث سنين .. وكانت آخر غزوة له عام ٥٠ هـ .

ـ في سنة ٥٠ هـ : وجه معاوية بن حديج مجموعة قتالية لغزو أفريقية بقيادة عقبة بن نافع .

أما في مجال العمليات البحرية ، فقد وجه معاوية بن حديج حملتين بحريتين.

١ ـ حملة بقيادة عبد الله بن قيس قوتها مائتي مركب لغزو صقلية سنة٣٦هـ.

٢ ـ حملة بقيادة عقبة بن نافع الفهري لغزو الروم وذلك عام ٤٦ هـ .

وفي عام ٥٢ هـ توفي في مصر ودفن فيها .

كان معاوية بن حديج عثمانياً ، مخلصاً ، قوي الإيمان ، صلب العقيدة ، مقاتلاً عنيداً وقائداً حكيماً .

ج ـ عقبة بن نافع الفهري [(١)]

١ ق. هـ — ٦٣ هـ ، ٦٢١م — ٦٨٣م

[... اللهم اشهد اني قد بلغت المجهود ، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد احد من دونك ...]

عقبة بن نافع ـ قالها وقد وصل الاطلسي خلال تقدمه في المغرب .

عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الضرب بن الحارث ابن فهر القرشي .

....

(١) رياض النفوس ١ـ٥٤ . اسد الغابة ٣ـ٤٢٠ ، الاستيعاب ٣ـ١٠٧٦ . فتوح مصر والمغرب ـ ٢٦٢ . شذرات الذهب ١ـ٥٣ . الكامل : لابن الاثير ٣ـ١٨٤ .

ـ أمه سبية من « عَنَـزَة » اسمها النابغة أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ واشتراها الفاكهة بن المغيرة ثم اشتراها عبد الله بن جدعان ثم صارت إلى نافع بن عبد القيس قبل أن تنتهي إلى العاص بن وائل . ولهذا فان عقبة بن نافع أخ عمرو ابن العاص لأمه .

نشأ عقبة في بيئة إسلامية وفي وسط حربي له القادة والريادة .

ـ في سنة ٢١ هـ : كان عقبة في جيش فتح مصر ، وكلفـه عمرو بن العاص بفتح زويلة . وفي السنة ذاتها قاد عقبة مجموعة لفتح النوبـــة ، ثم تولى قيادة حامية برقة .

ـ سنة ٢٦ هـ : انضمت حاميته إلى جيش عبد الله بن سرح لفتح طرابلس . ثم عاد إلى برقة وبقى فيها .

ـ سنة ٣٩ هـ . قاد عقبة القوات المصرية لغزو الروم بحراً .

ـ سنة ٣٩ هـ : قاد عقبة الشاتية ومعه أهل مصر فشتى في بلاد الروم .

ـ سنة ٤١ هـ : أسند عمرو بن العاص قيادة القوات في أفريقية إلى عقبة فقاد قواته حتى (لواتة) وأصدر ابن العاص أوامره بضم (هوارة) إلى عقبة بعدأن ارتد أهلها فأخضعها عقبة .

ـ سنة ٤٢ هـ : افتتح عقبة [غدامس] .

ـ سنة ٤٣ هـ : افتتح كوراً من السودان كما افتتح ودان للمرة الثانية سنـة ٤٦هـ ثم تابع إلى [جرمة] ومنها إلى [فزان] و [خاور] ثم فتح بلاد كاوار ، ووصل حتى الأطلسي .

ـ سنة ٥٥ هـ : عين معاوية بن أبي سفيان مسلمة بن مخلد الأنصاري الخزرجي لولاية مصر وأفريقيا فعين مسلمة أبا المهاجر دينار على أفريقية وقام أبو المهاجـر دينار باعتقال عقبة وإلقائه في السجن .

ـ سنة ٦٢هـ : اعاده يزيد لولاية أفريقية ، فعمل على إلقاء أبي المهاجر دينار في السجن ، وعاود فتوحاته حتى أخضع كل المتمردين وخلال عودته اضطـر

لتقسيم قواته وتوجيهها نحو القيروان على موجات متتابعة . وبقي مع المجموعة الأخيرة فباغتته قوة كبيرة من البربر في تهوذة بقيادة كسيلة فقاتل عقبة هذه القوة حتى قتل . وبدأت حركة تمرد استمرت خمسة أعوام ، وحتى أيام عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ هـ ، حيث تم إخضاع حركة التمرد .

د - ابو المهاجر دينار (١)

٠٠٠، ٦٣ هـ — ٠٠٠، ٦٨٣م

[ان ابا المهاجر صبر علينا في غير ولاية ولا كبير نيل ، فنحن نحب ان نكافئه ..]

قالها مسلمة بن مخلد عندما عزل عقبة وعين ابا المهاجر لولاية أفريقية سنة ٥٥هـ ٦٧٤م

ابو المهاجر دينار بن دينار مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري - من التابعين.

– **في سنة ٥٥ هـ** : أصدر معاوية بن أبي سفيان قراره بتعيين مسلمة بن مخلد الأنصاري لولاية مصر وأفريقية ، فعمل مسلمة على عزل عقبة بن نافع عن ولاية أفريقية وتعيين أبي المهاجر بدلاً منه فتوجه أبو المهاجر دينار إلى أفريقية وعزل عقبة وأساء معاملته وألقى بـه في السجن ، مما جعل عقبة يحقد عليه ويقول :

[اللهم لا تمتني حتى تمكني من ابي المهاجر دينار بن دينار ..]

– بعد أن استقر الأمر لأبي المهاجر دينار وضع مخططه لتطهير المنطقة ما بين بنزرت وطنجة والقضاء على قوة الروم فيها بهدف تدمير كل جيوب الثورة المضادة وقطع كل اتصال مع الروم بهدف التآمر على العرب المسلمين .

– توجه أبو المهاجر بقواته إلى قرطاجنه ، وحاصرها طويلاً ثم فتحها صلحاً

---

(١) رياض النفوس ١-١٩-٢١ . الاستقصاء١-٧١-٧٤ .فتوح البلدان - البلاذري ٢٣٠ . فتوح مصر والمغرب ٢٦٥-٢٦٧ . النجوم الزاهرة ١-١٥٧ . الكامل : ابن الاثير ٣-١٨٤-٤-٤٢ .

على أساس اخلاء جزيرة شريك . وقد جعل أبو المهاجر من هذه الجزيرة قاعـدة متقدمة وبذلك منع العدو من استخدامها وأفاد منها كنقطة مراقبة متقدمة .

– توجه أبو المهاجر بعد ذلك إلى (ميلة) الواقعة على بعد خمسين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من بجاية فحاصر حاميتها المكونة من الروم والبربر وفتحها . ثم جعلها قاعدة انطلاق لعملياته وأقام فيها مدة سنتين .

كان كسيلة بن لمزم الأوربي زعيم قبيلة أوربة . فجمع قوات كبيرة لمقاومـة الزحف الإسلامي ، وعلم بذلك أبو المهاجر ، فتوجه إلى قاعدته في تلمسان وبعد معركة عنيدة وحاسمة ، انتصر أبو المهاجر وأسر كسيلة فأحسن معاملته وقربه فتظاهر كسيلة بالاسلام واستقر الأمر للمسلمين فعاد أبو المهاجر إلى القيروان .

– **في سنة ٦٢ هـ** : أعاد يزيد عقبة بن نافع لولاية أفريقية ، فخرج عقبـة من دمشق ووصل القيروان بسرعة ، وألقى القبض على أبي المهاجر وألقى بـــه في السجن وأراد التوجه إلى طنجة فقال له أبو المهاجر : (**ليس بطنجة عدو لك ، لأن الناس قد اسلموا وهذا رئيس البلاد – كسيلة – فابعث معه والياً ..**) لكن عقبة لم يستمع لنصح أبي المهاجر وخرج بنفسه ، ومعـه أبو المهاجر مكبلاً بالحديد . وأساء معاملة كسيلة ، فهرب هذا ، وجمع جيشاً كثيفاً هاجم به عقبة قرب تهوذة وعنـــد ذلك أطلق عقبة سراح أبي المهاجر وقال له : – (**الحق بالقيروان : وقم بأمر المسلمين وانا اغتنم الشهادة فأجابه ابو المهاجر وانا اغتنم الشهادة مثلك**) . فكسر كل واحد منهما غمد سيفه ، وكسر المسلمون أغماد سيوفهم وقاتلوا حتى قتلوا سنة ٦٣ .

هـ – عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي – القرشي(1)

١ – ٧٣ هـ : ٦٢٢ – ٦٩٢م

[ابشر ! لا تمسك النار أبداً . ويل لك من الناس وويل للناس منك ..]

– قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبير عندما شرب الدم الذي احتجم من الرسول –

– عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . وأمه أسماء بنت أبي بكر ، ذات النطاقين . وجدته لأبيه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وعمة أبيه خديجة بنت خويلد ، ام المؤمنين وخالته عائشة ام المؤمنين ويكنى عبد الله ، أبا بكر وأبا خبيب « اسم أكبر أولاده ».

– ظهر طموحه وحبه للقيادة وشدة بأسه منذ نعومة أظفاره .

– فاشترك عبد الله مع أبيه في معركة اليرموك ، سنة ١٣ هـ .

– واشترك مع أبيه أيضاً في فتح مصر وكان من شهود عقد الصلح مع المقوقس سنة ٢١ هـ .

– وعندما تم فتح ليبيا وجه عمرو بن العاص مجموعة قتالية بقيادة عبد الله بن الزبير لفتح صبراتة . وأسرع عبد الله في سيره وقام بهجوم مباغت ونجح في احتلال صبراتة .

– وكان مع قوة الدعم التي وجهها الخليفة عثمان لفتح أفريقية بقيادة عبد الله ابن سرح. وعندما طال أمد الحصار اقترح عبد الله تقسيم قوة المسلمين إلى مجموعتين

....

(١) اسد الغابة ٣ – ١٦١ – ١٦٣ . الاستيعاب ٣ – ٩٠٥ . تهذيب ابن عساكر ٧ – ٣٩٦ – ٤٢٣ . فتح مصر والمغرب ٢٤٦ – ٩ : ٢ . الكامل لابن الاثير ٤ – ٥٨ و ١٣٦ . تاريخ الطبري ٤ – ٣٨٥ و ٥ – ١٠ .

لتحقيق الإستمرار في القتال والحصول على « المباغتــة » ونجح مخططه في تدمير قوة جرجير عامل الروم.

– وكان عبد الله بن الزبير الساعد الأيمن لمعاوية بن حديج السكني في فتح أفريقية.

– وفي عام ٤٥ هـ : فتح عبد الله السوسة في أفريقية .

– وفي عام ٤٩ هـ : كان عبد الله في قوة غزو القسطنطينية .

ـ كان عبد الله أثيراً عند الخليفة الصديق أبي بكر . وكذلك كان شأنه مع الخليفة عمر والخليفة عثمان ، ودافع عن الخليفة عثمان دفاع المستميت .

ـ اشترك في موقعة الجمل ، ثم اعتزل الخلاف بين علي ومعاوية . وعندمـــا استقر الأمر لمعاوية بايعه عبد الله فكان معاوية يستقبله بقوله [مرحباً بابن عمة رسول الله] .

ـ عرف عن عبد الله قوة الحجة وطلاقة اللسان .

ـ امتنع عبد الله عن بيعة يزيد.وقوي شأنه لا سيا بعد وفاة يزيد واختلاف الأمر بعد معاوية بن يزيد . فبويع لعبد الله في الحجاز والعراقين ومصر وأكثر الشام وخراسان واكثر السند وبقــي حتى أيام عبد الملك بن مروان حيث ركز عبد الملك قواتــه بقيادة الحجاج بن يوسف ، وقضى على ثورة عبد الله بن الزبير الذي بقي يقاتل حتى قتل ، فما كان من الحجاج إلا أن أمر بصلبه .

و – بسر بن أرطاة العامري ـ القرشي .. (١)

٢ – ٨٦ هـ : ٦٢٣ – ٧٠٥ م

[...ان أفرض لمن شهد بيعة الحديبية مائتين من الدنانير ، وأتمها لخارجة بن حذافة لضيافته ولبسر بن أرطاة لشجاعته ..]

في كتاب الخليفة عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص بعد فتح مصر .

بسر بن عمير « أبي أرطأة » بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار

....

(١) تهذيب ابن عساكر ٣ – ٢٢٠ . اســد الغابة ١ – ١٧٩ . الاستيعاب ١ – ١٥٧ – ١٦٠ . الولاة والقضاه ١٤ – ٢١ . تاريخ الطبري ٤ – ١٧٤ – ٢١٤ . فتوح مصر والمغرب ٢٦٢ .

ابن معيصر بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر يكنى أبا عبد الرحمن .

ـ توجه بسر إلى مصر في قوة الزبير بن العوام لدعم عمرو بن العاص، وعندما وصل عمرو في فتوحه إلى طرابلس وجه بسر ومعه مجموعة قتالية لفتح « ودان » سنة ٢٣ هـ .

ـ وفي عام ٢٧ هـ : كان بسر في جيش العبادلة لفتح أفريقية .

ـ وفي عام ٣٥ هـ : قفز محمد بن أبي حذيفة إلى السلطة في مصر . فتصدى لمقاومته معاوية بن حديج وبسر بن أرطأة . وكان بسر أول من بايع معاوية بن حديج على الثأر لعثمان .

ـ وفي عام ٣٦ هـ : وجه محمد بن أبي حذيفة جيشاً إلى « خربتا » مقر شيعة عثمان ، وحدثت معركة انتصر فيها أصحاب عثمان .

ـ وفي عام ٣٧ هـ : تولى قيس بن سعد ولاية مصر لعلي بن أبي طالب، فأكرم قيس أنصار عثمان وكان ذلك سبباً في سخط علي وتعيين محمد بن ابي بكر لولاية مصر .

ـ وفي عام ٣٧ هـ : التحق بسر بن أرطأة بالشام وانضم إلى معاوية بن أبي سفيان في معركة صفين .

ـ في عام ٣٨ هـ : استشار معاوية بن أبي سفيان كلاً من عمرو بن العاص وبسر بن أرطاة ووجوه رجاله في فتح مصر فأشاروا بذلك . فأرسل عمرو بن العاص ، وفتح مصر وقتل محمد بن أبي بكر .

ـ في عام ٤٠ هـ : وجه معاوية بجموعة إلى الحجاز واليمن بقيادة بسر بن أرطاة، فقتل بسر آلافاً ممن اشتركوا في مقتل عثمان وناصروا علياً بن أبي طالب .

ـ في عام ٤٣ هـ : غزا بسر بلاد الروم وشتى بأرضهم حتى وصل القسطنطينية .

ـ في عام ٤٤ هـ : غزا بسر في البحر .

ـ في عام ٤٦ هـ : خرج إلى المغرب مع عقبة بن نافع ومعه شريك بن سمي المرادي . .

- في عام ٥٠ هـ و ٥١ هـ : كان بسر على غازية الصيف وشاتيه عام ٥٢ هـ فتح « مجانة » بافريقية وهي تسمى « قلعة بسر » .

تولى بسر ولاية البصرة سنة ٤١ هـ كما ولي امارة اليمن . وكان عثمانياً صلباً ومقاتلاً عنيداً ، خرف في الأيام الأخيرة من عمره فكان يحمل سيفه ويسأل من يصادفه « أين شيخي عثمان » . فاستبدل له أهله سيفه بسيف خشبي حتى لا يؤذي أحداً ، ومات في أيام الوليد بن عبد الملك .

ز - زهير بن قيس البلوي [1] ولقبه « ابا شداد »

١ - ٧١هـ ، ٦٢١ - ٦٩٠م

زهير بن قيس البلوي ، صحابي روى عن جماعة الصحابة وروى عنه جماعة من التابعين ومن أحاديثه أنه عندما حدثت الفتنة بين معاوية وعلي . خرج زهير مع عمرو بن العاص وذلك التزاماً بما سمعه من حديث عن علقمة بن رمية البلوي الذي قال :

(بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى البحرين ثم خرج رسول الله في سرية وخرجنا معه فنعس رسول الله ثم استيقظ فقال « رحم الله عمرو » وأعادها ثلاث مرات فقال له الناس ما باله ؟ قال ذكرت أني كنت إذا ندبت الناس إلى الصدقة جاء من الصدقة فأجزل فأقول له من أين لك هذا يا عمرو ؟ فيقول من عند الله ، وصدق عمرو ، ان لعمرو عند الله خيراً كثيراً » ! فلما كانت الفتنة قلت : أتبع هذا الذي قال رسول الله فيه ما قال :

- كان زهير بن قيس في جيش عمرو بن العاص عند فتح مصر .
- سنة ٦٢ هـ : كان زهير على مقدمة القوات عندما تقدم عقبة بن نافع حتى وصل المحيط ، ثم عاد حتى وصل القيروان .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٥ - ٣٩٣ . الاستقصاء ١ - ٨١ . التاريخ الكامل لابن الاثير ٤ - ٤٣ . وجاء في ابن عساكر انه قتل عام ٧٦ ، وهو يخالف الواقع .

– سنة ٦٣ هـ : أراد زهير البقاء في القيروان بعـــد « استشهاد عقبة » في «تهوذة» لكن بعض الصحابة وفي مقدمتهم حنش الصنعاني[1] نصحوه بالتراجع، وسبقوه اليه ، فاضطر إلى الانسحاب بمن معه حتى « برقة » وبقي فيهـا طوال خمسة أعوام .

– سنة ٦٩ هـ : وجهه عبد الملك بن مروان على رأس جيش كبير لإعادة فتح أفريقية ، وقاد زهير معركة حاسمة في « ممس » انتصر فيها على كسيلة .

– سنة ٧٠ هـ : قامت القوات البيزنطية بانزالها في « برقة » وعـــاد زهير بسرعة على رأس قوة صغيرة ، وخاض معركة يائسة ، استشهد فيها مع جميع أصحـــابه ..

ج – حسان بن النعمان الأزدي – الغساني – [2]
« الشيخ الأمين »

٠٠٠، ٨٧هـ : ٠٠٠، ٧١٥م

[ليس مثلي يخون الله ولا الخليفة . ووالله لا الي لبني أمية أبداً ..] حسان

الغساسنة ، ملوك الشام « أبناء جفنة » هم أهل حسان ، منهم من أسلم ومنهم من بقي على ولائه لبيزنطة مثل جبلة بن الأيهم . فالتحقوا ببيزنطة بعـد الفتح ، وكان حسان من التابعين ، روى عن الخليفة عمـر بن الخطاب وكانت له مكانة مرموقة عند الأمويين خاصة وعند الناس عامة .

– سنة ٧٤ هـ : جهز عبد الملك بن مروان جيشاً كبيراً واستعمل عليهم وعلى

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٥ – ٩ . الاستقصا ١ – ٧١ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ٤ – ١٤٦ . الاستقصا ١ – ٨٢ . فتوح مصر والمغرب ٢٧٠ .

أفريقية حسان بن النعمان ، كانت قوة الجيش ٤٠,٠٠٠ مقاتل ، وهو أكبر جيش خرج من الشام وكان ذلك بعد مقتل زهير بن قيس .

– سنة ٧٦ هـ : فتح حسان قرطاجنة « الفتح الأول » ثم أعاد فتحها في السنة ذاتها فهدم المسلمون ما أمكن منها . وتوجه بعدها لحرب الكاهنة فكانت هزيمته في معركة نيني ، وعاد إلى منطقة « قصور حسان » قريباً من « سرت » . حيث أقام لفترة خمسة أعوام .

– سنة ٧٨ هـ : قامت القوات البيزنطية بانزال في « قرطاجنة » واحتلتها وأعادت تحصينها ومكثت فيها حتى عام ٨١ هـ .

– سنة ٨١ هـ : انطلق حسان بهجوم حاسم فقضى على ثورة الكاهنة ثم قضى على قوة بيزنطة في قرطاجنة ودمرها واستخدم الاسطول للقضاء على قوة الروم في الجزر القريبة من سواحل أفريقية وتابع توجيه قواته حتى فرض سيطرته على أفريقية .

قام بالتخطيط لمدينة « تؤنس ـ تونس » وأشرف على بنائها .

سنة ٨٥ هـ : ولى عبد العزيز بن مروان عبداً له يقال له تليد « لولاية برقة » وكانت بها أشراف الناس ، فكبرت عليهم إمامة تليد فاعتقه عبد العزيز ثم انه سأل حسان أن يترك ولاية « برقة » لتليد فلم يتركها له ، فعزله عبد العزيز ورجع حسان من مصر إلى الوليد بن عبد الملك الذي ولي الخلافة بعد أبيه عبد الملك سنة ٨٦ هـ . فشكى إليه ما صنع به عبد العزيز فغضب الوليد لذلك، وقال حسان لمن معه « إئتوني بقرب الماء » ففرغ منها ما جاء به من الفضة والذهب والجوهر فقال له الوليد بن عبد الملك: جزاك الله خيراً يا حسان فأجابه حسان: يا أمير المؤمنين ، إنما خرجت مجاهداً في سبيل الله وليس مثلي يخون الله ولا الخليفه. فقال الوليد : (أنا أردك إلى عملك وأحسن إليك وأنوه بك) . فحلف حسان (لا ألي لبني أمية أبداً ..) وخرج في السنة التالية لغزو بلاد الروم ومات فيها .

قال أبو عتيك عندما جاء نبأ عزل حسان :

أقول لأصحابي عشية جاءنـــا بغير الذي تهوى البريد المبشر
ألا مـا الذي قال ابن نعمان دوننا فقال متاح الخير والخير يقـــدر
فقلت ولم أملك سوابـــق عبرة فنعـــم الفتى المعزول والمتنظر
فان يـــك هذا الدهر جاء بعزله عليـــه فان الدهر بالمرء يعثر

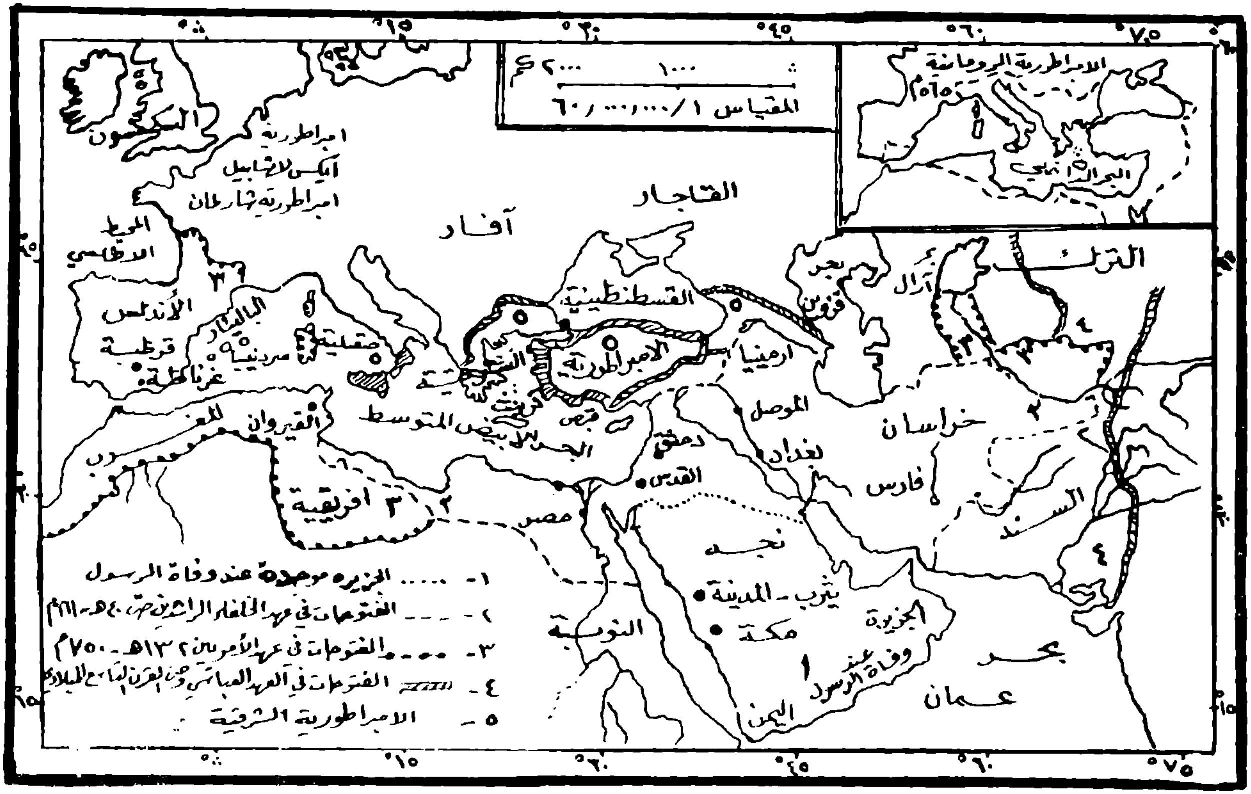
* * *

القسم الثالث

الفصل الأول

فتح الاندلس

١ ـ الموقع والطبيعة الجغرافية .
٢ ـ المعطيات البشرية .
٣ ـ المناخ .
٤ ـ الثروة الطبيعية .
٥ ـ الموقف عشية الفتح الاسلامي .
آ ـ التاج .
ب ـ السلك .
حـ ـ علاقة السكان باليهود .
د ـ علاقة حاكم سبتة بملوك الأندلس .
هـ ـ الاسطورة في خدمة قضية الفتح .



مراحل الفتوحات العربية الاسلامية

فتـــح الاندلس

١ - الموقع ، والطبيعة الجغرافية

تقع شبه جزيره ايبيريا « الأندلس » إلى الشمال من أفريقية ويفصلها عنهـا دريب الزقاق « مضيق جبل طارق » كـما يفصلها عن أوربا سلسلة جبال البيرينة « البرانس » وتحتل الأندلس القسم الجنوبي الغربي من أوربا وتغمرها مياه المحيط من الشمال الغربي وحتى الجنوب الغربي بينما تغمرها مياه البحر الأبيض المتوسط من الشرق وحتى الجنوب الشرقي .

- تبلغ مساحة الأندلس ٥٩٣٫٢٩٠ كم٢ وهي تمتد بين خط طول ٣ شرق غرينيتش وحتى ٩ غربيه وبين ٣٦ و ٤٤ شمال خط الاستواء .

- ان متوسط ارتفاع سطح « الأندلس » يقارب ٧٠٠ م وتقطع هذا السطح مجموعة من الجبال الغرانيتية أو الكلسية ومنها : جبال كنتبريان وايبريا وسيرا وايستريللا ومورينا ونيفادا . وتنحدر من سلاسل الجبال الينابيـع التي تتجمع في أنهار يتجه بعضها غرباً حيث المحيط بينما يصب القسم الثاني في الشرق حيـث البحر الأبيض المتوسط ومن هذه الأنهار : مينهو - ودورو والتاج والغاديان وغادا الكيفير وجوكار .

٢ - المعطيات البشرية (١)

الايبريون : هم أقدم سكان شبه جزيرة « ايبريا » ، وهم السكان الأصليون

....

(١) المرجع : تاريخ فـن الحرب ، استروكوف وتاريخ جيوش العالم - المجلة العسكرية ١ و ٢ - ١٩٧٣ .

الذين أعطوا الجزيرة اسمهم خلال حقبة طويلة من الزمن . ثم جاء الفينيقيون واليونانيون فأسسوا لهم مستوطنات فوق المناطق الساحلية وجـاء القرطاجيون فطوروا علاقاتهم التجارية مع العالم وجعلوا من جنوب الأندلس قاعدة لهـم وذلك في القـرن الخامس . وعندما ظهرت دولة الرومان وبدأت فتوحاتها ، احتلت الأندلس وقضت على قرطاجنة ، ١٤٦ ق.م.

وفي عام ٥١ ق.م : قاد يوليوس قيصر جيوشه في غاليا « فرنسا » وصرع كراسوس .

وفي عام ٤٩ ق.م : قضى يوليوس قيصر على النظام الجمهوري .

وفي عام ٤٥ ق.م : أرسل قيصر قائده ديويوس إلى اسبانيا لتدمير آخـر البومبيين .

في القرن الثالث الميلادي أخذت بعض الشعوب الجرمانية تنحدر من سهول الشمال الشرقي لأوربا وعرفت هذه الشعوب بالقوط . وكان منهم قوط شرقيون ومنهم قوط غربيون عرفوا باسم « فيزيقوطيون » . وقـد أقام « الفيزيقوطيون في ايلليريا ، البانيا » وتحالفوا مع الرومان ثم جـاء الستيليكون فحاربوهم وهزموهم عام ٤٠٣ م فنزح هؤلاء نحو الجنوب واستقروا في اسبانيا . وفي عـام ٤١٠ م احتل الأريك « روما » واستقر « التهولف » في بروفانسيا وبرشلونـة وتولوز .

وفي عام ٤٣٩ م هزم فاليـا الشعوب « السويفية والآلانيين والفاندال الذين تنسب اليهم شبه جزيرة ايبيريا فيقال « فاندالوسيون ، أندلسيون ، أندلوسيا ،

(٢) الآلانين : ALAINS : شعوب برابرة ، اكتسحوا بلاد غاليا ـ فرنسا ـ ثم اباده‍م الفيزيقوطيون في اسبانيا عام ٤٠٦ م .

الأندلس [١] ، وهي التسمية التي اعتمدها العرب المسلمون في كتاباتهم .

لقد كانت الاندلس ، بحكم موقعها نقطة اتصال هامة بين أفريقيا واوربا وكانت أرضها مهداً لامتزاج الشعوب واحتكاكهم عبر التاريخ .

٣ - المناخ

تتأثر الاندلس برياح الشمال الباردة ورياح الجنوب الدافئة لكن تأثير المحيط الاطلسي والبحر الابيض المتوسط يعمل على تعديل المؤثرات فيجعل مناخ الاندلس معتدلاً يختلف بصورة كبيرة عن الشمال البارد. ولعل هذا السبب هو الذي حمل سكان أوربا يعتبرون « الاندلس »قسماً من أفريقية أكثر منه قسماً متصلاً بأوربا. وقد أعجب العرب المسلمون بمناخ الاندلس فجاء وصفه على السنتهم وفي كتاباتهم التي نطالع فيها ما ذكره الرازي [٢] :

[... الاندلس ، موسطة من البلدان، كريمة البقعة بطيب الخلقة . طيبة التربة ، مخصبة القاعة ، منبجسة العيون الثرار [٣] . قليلة الهوام ، ذوات السموم ،معتدلة الهواء اكثر الأزمان لا يزيد قيظها زيادة منكرة تضر بالأبدان ،

....

(١) الفاندال ، مثلهم مثل البورغونيون ، عرق جرماني ، هبطوا من الشمال الشرقي.وكانوا قبل عام ٢٥٨ م بين نهر الفيتول والاودر ثم انتقلوا الى سهل الدانوب . ووصلوا عام ٢٨٦م حتى مدينة « مايانس » وفي عام ٤٠٦ عاثوا فساداً في بلاد التالين واقاموا في الاندلس. طردهم الفيزيقوطيون فنزحوا الى الجنوب وعبروا الى افريقية عام ٤٢٨ م ووصلوا قرطاجنة عام ٤٢٩ وقاموا بثورة ونهبوا روما عام ٤٥٥ م ثم اجتاحوا مصر وخربوها . كما خربوا « ايطليريا - البانيا » واليونان ، ودمرت مملكتهم من قبل القائد البيزنطي BELIZAIRE بيليزير ، قائد الامبراطور جوستينيان عام ٥٣٤م . وفي عام ٥٥٤م استعادت الامبراطورية الشرقية «بيزنطة» سيطرتها على الفيزيقوطيين الذين حكموا الاندلس حتى عام ٧١١ م حيث انتصر طارق بن زياد في معركة الكه XERES وبدأت سيطرة العرب المسلمين على الاندلس التي استمرت حتى عام ١٤٩٢ حيث استطاع فردیناند وايزابيللا الاستيلاء على غرناطة .

(٢) نفح الطيب ٢٧٨/١ .

(٣) الثرار : جمع ثرة : غزيرة المياه .

وكذا سائر فصولها في أعم سنيها تأتي على قدر من الاعتدال وتوسط في الحال، وفواكهها تتصل طول الزمان فلا تكاد تعدم لان الساحل ونواحيه يبادر بباكورة كما أن الثغر وجهاته والجبال التي يخصها برد الهواء وكثافة الجو تستأخر بما فيها من ذلك حتى يكاد طرفا فاكهتها يلتقيان فمادة الخيرات فيها متصلة كل أوان ...]

ويكمل أبو عامر السلمي الصورة فيقول :

[... الاندلس من الاقليم الشامى هو خير الأقاليم وأعدلها هواء وترابا وأعذبها ماء واطيبها هواء وحيواناً ونباتاً وهو أوسط الأقاليم وخير الأمور أوسطها ...] (١)

ويقول أبو عبيد البكري:

[الأندلس ، شامية في طيبها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، اهوازية في عظم جبايتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها ...] (٢)

٤ - الثروة الطبيعية :

- بلاد الاندلس غنية بثرواتها الطبيعية نتيجة لموقعها ولطبيعتها الجيولوجية ولقد وصف كتاب العرب المسلمين وشعراؤهم ومؤرخيهم وضع الاندلس حيث نطالع :

[... وحجر المغناطيس يوجد في كورة تدمير ، وحجر الشادنة بجبال قرطبة كثير ويوجد حجر اللؤلو بمدينة برشلونة ، ويوجد المرجان بساحل بيرة ، ومعدن الذهب بنهر لاردة ويجمع أيضاً في ساحل « لأشبونة » لشبونة ومعدن الفضة في الاندلس كثيرة في كورة تدمير وجبال جمة ببجانة ، وباقليم

(١) و (٢) نفح الطيب ١/٢٥٥ .

كرتش من عمل قرطبة معدن فضة جليل وبأشكونية معدن القصدير ومعدن الزنبق في جبال البرانس « البيرنة » وبجبال قرطبة توتياء ، ومعادن الشبوب والحديد والاندلس اكثر من أن تحصى [1]

وقد أفاد العرب المسلمون من ثروات « الاندلس » المعدنية لصناعة الاسلحة وصك النقود ، وتطوير الاسلحة فنطالع :

[... وأما آلات الحرب من القراس والرماح والسروج والألجم والدروع والمغامز فأكثرهم أهل الاندلس، والسيوف البرذليات مشهورة بالجودة، وبرذيل « بوردو : BORDEAUX » آخـــر بلاد الاندلس من جهة الشمال والمشرق ، والفولاذ الذي في اشبيلية اليه النهاية] [2] .

وعن الثروة النباتية كتب العرب المسلمون :

[... وأما الثمار وأصناف الفواكه فالاندلس أسعد بلاد الله بكثرتها، ويوجد في سواحلها قصب السكر والموز ويوجدان في الاقاليم الباردة ، ولا يعدم منها الا التمر ولها من أنواع الفواكه ما يعدم في غيرها أو يقل كالتين القوطي والتين السفري باشبيلية والتين المالقي والزبيب المنكبي والزبيب العسلي والرمان السفري والخوخ والجوز واللوز ..] [3]

ومن خواص طلطيلة ان حنطتها لا تسوس ولا تتغير على طول السنين ، والعنبر كثير ببحر الاندلس] [4] .

— كما كانت الثروة الحيوانية متوفرة بالاندلس بسبب غنى الطبيعة ووفرة الثروة النباتية ، وكثرة السهول والمراعي .

٥ ـ الموقف عشية الفتح الاسلامي :

استخدم الكتاب الاندلسيين ومؤرخوهم في تسجيل الاحداث تسلسلاً محدداً

....

(١) نفح الطيب ١/٢٨٣ . (٢) نفح الطيب ٢/٧٠ .
(٣) نفح الطيب ٢/٦٦ . (٤) نفح الطيب ١/٢٨٣ .

ومصطلحات معينة . ولايضاح ذلك نذكر هنا مـا جاء في [المغرب في حلى المغرب] [1] حول هذا الموضوع :

[... حضرة قرطبة احدى عرائس مملكتهاوفي اصطلاح الكتاب للعروس الكاملة الدنية ١ – منصة : وهي مختصة بما يتعلق بذكر المدينة في نفسها .

٢ – تـاج : وهو مختص بالايالة السلطانية .

٣ – سلك : وهو مختص باصحاب دور الكلام من النثـار والنظام .

٣ – حلة : وهي مختصة باعلام العلماء والمصنفين الذين ليس لهم نظم ولا نثر ولا يجب اهمال تراجمهم .

٥ –أهداب: وهي مختصة باصحاب فنون الهزل وما ينحو منحاه.

وهكذا ، فان التسلسل هـو : المنصة ، التاج ، السلك ، الحلة ، الاهداب . واحياء لهذه التسميات لا أكثر بسبب ارتباطها بتاريخ عزيز على النفس نأخذهنا بها . وقد سبق معالجة المنصة تحت عنوان الطبيعة الجغرافية ، الموقع ، المعطيات البشرية ، المناخ والثروة الطبيعية وتتابع الفصل وفق التسلسل اعلاه .

آ ـ التاج

كانت الاندلس تحت حكم القوط ، وكان من ملوكهم في الفترة الاخيرة الملك فمبا VAMPA ٦٧٢–٦٨٠ م ثم تلاه إرفنج IRVING الذي تميز عهده بسن تشريع خاص لاضطهاد اليهود ، ثم جاء الملك اخيكا EGICA وفي عهـده دبر يهود اسبانيامؤامرة سنة ٦٩٤ م افتضحت وانتهت بالفشل وعندها بدأت أزمة انتهت بحرب اهلية نتيجـة لاقدام اخيكا على تعيين ابنه من بعده واسمه WITIZA ، عرفه العرب المسلمون باسم غيطشة . وذلك دون الرجوع إلى قانون الانتخابات . وتوفي اخيكا . وتسلم ابنـه غيطشة السلطة وخرق قانون

....

(١) المغرب في حلى المغرب . ١/٣٧ ونفح الطيب ١/٢٩٨ .

الانتخابات ولم يرجع الى النبلاء لأخذموافقتهم متبعاً في ذلك سنة أبيه. وظهرت معارضة قوية ضده تزعمها رودريك [1] . وأخيراً ، عمل غيطشة على تخفيف قانون العقوبات ضد اليهود مما حمل رجال الكنيسة على تأييد حركة المقاومة ودعمها فاضطر غيطشة الى تعيين ابنه اخيلا AQUILA ورزحت البلاد تحت وطأة الاضطراب والفوضى وامتنع عدد من النبلاء عن تأييد ملك « صغير في عمره » وأفاد رودريك من هذا الوضع فاستولى على السلطة بتأييد من الكنيسة وعدد من النبلاء وعند ذلك اخذ انصار الملك الشرعي بالاستقلال في اقاليمهم ولا سيما منها الاقاليم الشمالية مثل «جيليقية واشتوريش » حيث ناصبت رودريك العداء فوجه هذا جيشاً عام ٧٠٩ م نجح في تحطيم المقاومة ، فهرب قادة المقاومة الى سبتة ، وانضم بعضهم إلى جيش رودريك ، انتظاراً لفرصة اكثر ملاءمة .

– لقد اغتصب رودريك السلطة اغتصاباً ، ونهضت في وجهه حركات المقاومة فاضطر لاستخدام القوة والعنف حتى يسيطر على المملكة ، فانتهى ذلك الى خلق هوة كبيره بين جهاز الحكم وبين جماهير الشعب .

ب – السلك « ونعني به هنا السلك الكهنوتي » :

بعد نجاح القوط في طرد الفاندال واستقرار القوط في الاندلس واقامتهم دولة قوية ، اخذ الضعف والتخاذل يتسرب اليهم فقسم الاشراف ورجال الدين البلاد الى اقطاعات كبيرة وسكنوا القصور الفخمة وانصرفوا الى اللهو وماتت فيهم حمية آبائهم الشجعان ، وتركوا الصناعة والزراعة في ايدي الأرقاء الذين كانوا يعيشون في ذل وضعة كما اثقلوا كاهل الطبقة الوسطى من الزراع والتجار بالضرائب .

(١) المسلمون في اسبانيا ، دوزي ٢٣١ ، وترجم العرب اسم رودريك باشكال مختلفة فكان ادرينوق عند الطبري ٤/٥ ٢٤ ورذريق عند ابن الاثير ، الكامل ٤ - ٢١٣ ولزريق عند ابن خلدون ٤ - ١١٧ ، ولذريق عند ابن الحكم (٢٣٩) وأدريق عند اليعقوبي٣-٢٩.

وقد اتبع رجال الدين الذين كانوا يشيدون بالاخوة المسيحية بعد أن أثروا وملكوا الضياع الواسعة السياسة الموروثة وعاملوا عبيدهم وخولهم بالعسف كما كان يفعل أثرياء الرومان وأغنياء القوط من بعدهم [وقد كسب رجال الدين لطائفتهم نفوذاً راجحاً في شؤون الدولة وجلس الاساقفة وكبار رجال الدين في المجالس الوطنية التي كانت تجتمع لاقرار الشؤون الهامه في الدولة والمصادقة على انتخاب الملك وادعت لنفسها الحق في عزله اذا ابى الأذعان لقراراتهم . واتخذ القسس من وراء هذه القوة التي وصلوا اليها سبيلاً لاضطهاد اليهود الذين كانوا طائفة كبيرة العدد في أسبانيا . وصدرت الأوامر المشددة ضد كل من امتنع عن الدخول في المسيحية] (١) .

وكانت الطبقة الدنيا تشمل العبيد الذين انصرفوا إلى الزراعة . أما الطبقة الوسطى فقد كانت تلاقي من ضنك العيش شراً مما كان يلاقيه العبيد فكان يقع عليهم عبء الانفاق على الدولة ، فهم الذين يؤدون الضرائب ويجمعون الأموال للأغنياء مما جر إلى خراب هذه الطبقة وافلاسها (٢) .

هذا إلى ما أصاب الأندلس من بؤس وشقاء فقد قيل ان الوباء تفشى في سني ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ هـ حتى مات اكثر من نصف سكانها .

ج - علاقة الملك باليهود :

تعرض اليهود خلال تاريخهم الطويل لعدد من النكبات بسبب مواقفهم العدائية من الشعوب الاخرى مثل موقفهم في مصر وموقفهم من بابل وآشور وموقفهم من اليونان وموقفهم من فينيقيا ثم موقفهم من المسيحية وموقفهم من الرومان وكانت هذه المواقف العدائية تنتهي بهم دائماً للتشرد والاضطهاد والهجرة وقد تكون

---

(١) السير توماس ارنولد ، الدعوة الى الاسلام، ١٥٤ - ١٥٥ . من تاريخ الاسلام الدكتور حسن ابراهيم حسن ١ - ٣٠٩ .
(٢) ليبنول ، العرب في اسبانيا ، ترجمة علي الجارم ٥ - ٦ - ٨ .

ثورة باركوكبا عام ١٣٥ م. هي آخر ثوراتهم في فلسطين حيث شردهم الرومان بعد ذلك ولم يبق لهم وجود في فلسطين أو كيان فوق أراضيها. وقد أرغمت أعمال الاضطهاد اليهود على الهجرة إلى كل مكان في العالم فكان منهم اعداد كبيرة في الاسكندرية وفي الاندلس.

وقد جعل اليهود من الاندلس مقراً لتآمرهم، مما حمل المسيحية على اضطهادهم ونطالع فيما كتبه دوزي، المستشرق الهولاندي في الجزء الثاني من تاريخه للدولة الاسلامية في اسبانيا صورة عن العلاقة اليهودية ـ الاسبانية في عهدالقوط.

[.. كان رجال الدين الكاثوليكي يرهقون اليهود عسفاً ويبالغون في ايذائهم]. وقال المؤرخ الفرنسي المشهور، ميشليه، [كان الناس في القرون الوسطى كلما سألوا: لماذا ينقلب هذا العالم جحيماً بينما يجب أن يكون المثل الأعلى في الفراديس تحت ظل الكنيسة؟ فتجيبهم الكنيسة: «لأن هذا من غضب الله الذي يرى أن قتلة ربنا لا يزالوا وافرين؟» فبدأ اضطهاد الكنيسة لليهود عام ٦١٦ م ايام الملك Sisebut. وتقرر اعطاء اليهود مهلة سنة ليتنصروا فان لم يتنصروا خلال تلك السنة نفوا الى خارج الاندلس وضبطت املاكهم وجلد كل منهم مائة جلدة فتنصر منهم تسعون ألفاً من مجرد الرعب ولكن المتنصرين كما لا يخفى لبثوا يختنون أولادهم سراً ويدينون بدين موسى فقرر مجمع الاساقفة الرابع المنعقد في طليطلة تركهم أخيراً وشأنهم بشرط أن يسلموا أطفالهم لاجل تنشئتهم في النصرانية، وفي المجمع السادس في طليطلة قرر الاساقفة ان لا يؤذن بمبايعة ملك الاندلس إلا على شرط انفاذ قرارات المجامع الاسقفية بحق اليهود، وبرغم هذا كله بقي في تلك البلاد يهود كثيرون، واستمر المسيحيون في تعذيبهم نحواً من ثمانين سنة إلى أن فرغت جعبة اصطبارهم فاجمعوا الثورة بمظاهرة يهود البربر في أفريقية، ووعدهم هؤلاء بالاجازة الى الاندلس لاجل نجدتهم وكان ذلك في زمن الملك اخيكا EGICA الذي بلغه هذا الخبر فجمع الاساقفة وبعد ان استوثقوا من صحة الخبر قرروا استعباد اليهود

باجمعهم وضبط جميع املاكهم ، ومن الغريب أنه قضى على بعض اليهود أن يكونوا عبيداً لمن كانوا عبيداً وتقرر ان يؤخذ لولادهم من بعد بلوغ سن السابعة وينشأوا في النصرانية . ولم يكن يؤذن بزواج اليهودي من اليهودية بل كان لا بد لليهودية من أن تتزوج بعبد مسيحي ولا بد لليهودي بعد انصار عبداً من أن يتزوج امة مسيحية . فلما جاء المسلمون وفتحوا اسبانية كان اليهود هناك في أشد العذاب فحررهم المسلمون من الرق وتركوا لهم الحرية التامة بأن يمارسوا شعائر دينهم ، فتنشقوا نسيم الفرج فلذلك كانوا هم والارقاء ، وجميع الضعفاء من اعظم انصار الاسلام ..] [1]

علاقة حاكم سبتة بملوك الاندلس :

كان « يليان : JULIAN » [2] حاكماً عاماً على « ولاية طنجـة » احدى الولايات السبعة الخاضعة للدولة البيزنطية . وقد بدأ يليان حكمه لهذه الولاية في سن مبكرة وأقام فيها مدة طويلة . فعرف جيداً أرض المغرب وتوثقت علاقتـه بمن جاوره من قبائل البربر واستطاع أن يكتسب صداقة البربر له حتى أصبـح يعد نفسه واحداً منهم وقد اختلط الأمر على الناس فظنوه بربرياً .

في عام ٦٣ هـ – ٦٨٢ م وصلت قوات العرب المسلمين حتى المغرب الأقصى بقيادة عقبة بن نافع . وأصبحت ولاية « موورطانية » مهددة بالزوال . وفي الوقت ذاته كانت سيطرة العرب المسلمين على البحر الأبيض المتوسط تتزايد إحكاماً وقوة ووجد يليان انه اصبح معزولاً عن « بيزنطة » لا يستطيع توفير الدعـم اللازم للمقاومة فتوجه نحو الاندلس القوطية يطلب دعمها ومساعدتها .

ـ ووجدت الاندلس في سبتـة قاعدة متقدمة توفر لها الأمن وتحمي لها

---

(١) تاريخ غزوات العرب ، شكيب ارسلان ، – ٣٢ – .

(٢) ورد اسمه في كتب مؤرخي العرب بتحريف فكان يليان ، في البيان المغرب ٢ – ٦ ويوليان في ابن الاثير ٤ – ٢١٣ وإليان في صفة المغرب ١٠٤ – .

حدودها الجنوبية فاستجابت للطلب واسرعت بتقديم العون (واخذت السفن تختلف اليهم بالميرة والامداد من الأندلس من قبل ملكها غيطشة ، فهم يذبون عن سبتة ذباً شديداً ويحمون بلادهم حماية تامة) مما ساعد على صمودها بوجـــه المسلمين الفاتحين [1] .

ـ في عام ٨٢ هـ ـ ٧٠١ م، نجحت مؤامرة رودريك في انتزاع الملك واقصاء اخيلا غيطشة عن السلطة فالتجأ هذا الى حليفه يوليان ، وأقام في سبتة ،ولم يكن باستطاعة يوليان التمرد على رودريك نظراً لوضعه الخاص في افريقية واضطر على ابقاء صلة طيبة مع حاكم الاندلس الجديد حتى وقعت الحادثة التي غيرت الموقف ويذكر المقري هذه الحادثة على النحو التالي : [2]

[... كان من سير اكابر العجم بالاندلس وقوادهم ان يبعثوا اولادهم الذين يريدون منفعتهم والتنويه بهم الى بلاط الملك الاكبر بطليطلة ليصيروا في خدمته ويتأدبوا بأدبه وينالوا من كرامته حتى اذا بلغوا انكح بعضهم بعضاً استئلافاً لآبائهم وحمل صُدُقاتهم وتولى تجهيز إناثهم الى ازواجهن فاتفق أن فعل ذلك يليان عامل لنريق على سبته وكانت يومئذ في يد صاحب الاندلس واهلها على النصرانية ، ركب الطريقة بابنة له بارعة الجمال تكرم عليه فلما صارت عند لنريق وقعت عينه عليها فأعجبته واحبها حباً شديداً ولم يملك نفسه حتى استكرهها وافتضحها فاحتالت حتى اعلمت اباها بذلك سراً بمكاتبة خفية فأحفظه شأنها جداً واشتدت حميته وقال ودين المسيح لازيلن سلطانه ولاحفرن تحت قدميه فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب في فتح الاندلس ...]

ثم ان « يليان » ركب بحر الزقاق من سبته في اصعب الاوقات في يناير

....

(١) نفح الطيب ١ ـ ٢٣٤ وصفة جزيرة الاندلس ، بروفنسال .
(٢) نفح الطيب ١ ـ ٢٥٢ وفتوح مصر والمغرب ٢٧٧ فجر الاندلس ٥٩ ـ ٦٠ تاريخ ابن خلدون ٤ ـ ١١٧ .

Enero « كانون الثاني » قلب الشتاء فصار بالاندلس واقبل الى طليطلة نحو الملك لذريق فأنكر عليه مجيئه في مثل ذلك الوقت وسأله عما لديه ولم جاء في مثل وقته ؟ فذكر خيراً واعتل بذكر زوجته وشدة شوقها الى رؤية ابنتها التي عنده وتمنيها لقاءها قبل الموت والحاحها عليه في احضارها وانه احب اسعافها ورجا بلوغها امنيتها منه وسأل الملك اخراجها اليه وتعجيل اطلاقه للمبادرة بها ففعل واجاز الجارية وتوثق منها بالكتمان عليه وافضل على ابيها فانقلب عنه وذكروا انملا ودعه قال له لذريق [اذا قدمت علينا فاستفره لنا من الشذانقات – الصقور –التي لم تزل تطرفنا بها فأنها آثر جوارحنا لدينا] فقال له : [ايها الملك وحق المسيح لئن بقيت لادخلن عليك شذانقات ما دخل عليك مثلها قط ..] . عرض له بالذي اضمره من السعي في ادخال رجال العرب عليه وهو لا يفطن .

ان ما سبق ذكره قد حمل بعض المؤرخين الى اعتبار عمليات فتح الاندلس من العمليات السهلة بهدف الاقلال من أهمية الجهد الذي بذله العرب المسلمون في اعمالهم القتالية . ونطالع فيما كتبه كلود كاهن ، في تاريخ العرب والشعوب الاسلامية الفقرة التالية : (١)

[كانت اسبانيا تمتد خلف افريقية البربرية . وكان يكفي لبلوغها عبور مضيق ضيق . ولقد تداعى فيها حكم اسرة الفيزيقوط بسبب الخلافات الداخلية وعداء سكان السواحل التي كانت تحتلها بيزنطة وبسبب مناهضة اليهود المضطهدين فيها ولهذا كله رأى والي افريقية انه من الممكن غزوها ، ولقد تم تعيين والي من قبل مصر التي كانت تشرف على افريقيه من الناحية الادارية فبدأ موسى بارسال طارق بن زياد مولاه البربري ، الذي ابحر في المكان الذي سمي بجبل طارق منذ ذلك الحين . واستطاع ان يهزم بسهولة الملك لذريق

---

(١) كلود كاهن ، تاريخ العرب والشعوب الاسلامية ١ – ٤١ .

الذي سقط في ساحة المعركة . اما ما تبقى من القتال فكان اشبه بنزهة عسكرية اتاحت لطارق ان يطوف عبر اسبانيا كلها ..]

– والواقع ، ان هذه العوامل ،هي عوامل مساعدة لها وزنها ولكنها ليست العوامل كلها ، انها جزء فقط ، ولكن الجزء الاكثر اهمية هـو مجموعة العوامل الاخرى ومنها :

١ – مهارة القيادة وكفاءتها .
٢ – ايمان المقاتلين بالقضية التي يعملون لها ويقاتلون في سبيلها .
٣ – استخدام اسس « فن الحرب » بمهارة .
وهذا ماسنطالعه في اعمال الفتح.

هـ – الاسطورة في خدمة قضية الفتح :

وأخيراً سبقت عملية الفتح العربي لاسبانيا ورافقتها مجموعة من الأساطير . وقدتكون هذه القصص والاساطير تعبيراً عن الحالة النفسية التي عاشها المواطنون الاسبان خلال هذه الحقبة التاريخية ورغبتهم في التخلص مما هم فيه من أوضاع سيئـة وأملهم في أن يستطيع العرب المسلمون تحريرهم من واقعهم ومن بعض هذه القصص والاساطير :

١ – [كان في طليطله دار ملك القوط بيت مغلق يحرسه قوم من ثقات القوط وكانت العادة انه اذا تولى من القوط ملك زاد على البيت قفلا فلما تولى لذريق عزم على فتح الباب والاطلاع على مابداخل هذا البيت فأعظم ذلك أكابرهم وتضرعوا اليه أن يكف عن ذلك فأبى وظن أنه بيت مال ففض الأقفال عنه ودخله فأصابه فارغاً لا شيء فيه الا المائدة التي كانت تعرف بمائدة سليمان وتابوت عليه قفل فأمر بفتح التابوت فألفاه فارغاً ليس فيه غير شقة مدرجه قد صورت فيها صور العرب على الخيول وعليهم العمائم متقلدي السيوف متنكبي القسي رافعي الرايات على الرماح وفي أعلاها كتابة بالعجمية فقرئت

فاذا هي (اذا كسرت هذه الاقفال من هذا البيت وفتح التابوت فظهر ما فيه من هذه الصورة فان الأمة المصورة فيه تغلب على الاندلس وتملكها) (١) **.**

٢ - «لما ركب طارق بن زياد البحر، رأى وهو نائم النبي ﷺ وحوله المهاجرون والانصار قد تقلدوا السيوف وتنكبوا القسي فيقول له رسول الله : (يا طارق تقدم لشأنك) ونظر اليه وإلى أصحابه قد دخلوا الاندلس قدامه . فهب من نومه مستبشراً ، وبشر أصحابه وثابت نفسه ببشراه ولم يشك في الظفر، فخرج من الجبل واقتحم بسيط البلد شاناً للغارة وأصاب عجوزاً من أهل الجزيرة فقالت له في بعض قولها انه كان لها زوج عالم بالحدثان فكان يحدثهم عن أمير يدخل إلى بلدهم هذا فيغلب عليه ويصف من نعته أنه ضخم الهامة فأنت كذلك ومنها أن في كتفه الأيسر شامة عليها شعر فان كانت فيك فأنت هو فكشف ثوبه فاذا بالشامة في كتفة على ما ذكرت فاستبشر بذلك ومن معه » (٢) .

ـ كان طارق يشعر بثقل الواجب الملقى على عاتقه ويستلهم الايمان من نفسه معيناً وقوة لمجابهة الصعاب المتوقعة .

—*—

....

(١) نفح الطيب للمقري ١ - ٢٣١ ، ٢٣٥ . البيان المغرب ٢ - ؛ تاريخ افتتاح الاندلس ٣٢ - ٣٣ .

(٢) نفح الطيب للمقري ٢ - ١٢٩ ، ١٣٠ .

القسم الثالث

الفصل الثاني

المرحلة الاولى من فتح الاندلس

١ ـ من العبور حتى معركة وادي لكة ، « التمهيد للفتح »
٢ ـ الغزوات الاستطلاعية .
٣ ـ الانزال في الاندلس .
٤ ـ معركة وادي لكة .
٥ ـ نتائج المعركة .
٦ ـ استثمار الظفر .

المرحلة الثانية من فتح الاندلس

١ ـ عمليات موسى بن نصير
٢ ـ فتح اشبيليا .
٣ ـ التوقف عند ماردة .
٤ ـ قمع حركة التمرد في اشبيليا .
٥ ـ معركة السواقي .

٦ ـ معاودة فتح طليطلة .
٧ ـ فتح سرقسطة وفتوح الشمال .
٨ ـ فتوح شمال غرب الاندلس « جيليقية » .
٩ ـ فتح عبد العزيز بن موسى في الاندلس .

قراءات

١ ــ موسى بن نصير اللخمي : ابو عبد الرحمن .
٢ ــ طارق بن زياد : الليثي .
٣ ـ مغيث الرومي بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الايهم .
٤ ـ عبد العزيز بن موسى بن نصير .
٥ ــ نهاية موسى بن نصير .
٦ ــ مصير أولاد غيطشة بعد الفتح .

فتح الأندلس

جدول توقيت الاحداث

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
٨٦ هـ	٧٠٥ م	– تولي الوليد بن عبد الملك الخلافة ..
٨٦ هـ	٧٠٥ م	– تولي موسى بن نصير ولاية افريقية والمغرب .
٨٩ هـ	٧٠٧ م	– تحقيق الاستقرار في المغرب واحتلال جزيرتي ميورقة ومنورقة .
٩١ هـ	٧١٠ م	– غزوة استطلاعية للأندلس بقيادة طريف .
٩٢ هـ	٧١١ م	– عبور طارق بن زياد درب الزقاق « مضيق طارق » والانزال في الاندلس .
٩٣ هـ	٧١٢ م	– عبور موسى بن نصير المضيق والانزال في الأندلس .
٩٣ هـ	٧١٢ م	– غزو قتيبة بن مسلم الباهلي سمرقند ، شرقاً وفتحها ..
٢٨ رمضان ٩٢ هـ	١٩ تموز ٧١١ م	– معركة وادي لكة ونجاح طارق بن زياد بتمزيق جيش لذريق .
٩٤ هـ	٧١٣ م	– موقعة « تامص » ونجاح مروان بن موسى ابن نصير بقتل لذريق .
٩٤ هـ	٧١٣ م	– فتح غرب الاندلس « البرتغال » بقيادة عبد العزيز بن موسى بن نصير .

الاحـــــداث	السنـة الميلاديـة	السنـــة الهجرية
ـ وفاة الوليد وتولي سليمان بن الوليد الخلافة .	٧١٥ م	٩٦ هـ
ـ قتيبة بن مسلم يقوم بفتح كاشغر ، وغزو الصين .	٧١٥ م	٩٦ هـ
ـ حصار القسطنطينية وغزو جرجان وطبرستان في الشرق ..	٧١٧ م	٩٨ هـ
ـ وفاة سليمان بن الوليد وولاية عمر بن عبد العزيز الخلافة ..	٧١٧ م	٩٩ هـ
ـ تعيين السمح بن مالك الخولاني لولاية الاندلس وتجاوزه البرانس واحتلال وادي الدون ، وتولوز ، ومقتل السمح وتراجع المسلمين حتى ناربون .	٧١٨ ـ ٧١٩ م	١٠٠-١٠٢
ـ وفاة عمر بن عبد العزيز وولاية يزيد الثاني الخلافة .	٧١٨ م	١٠١ هـ
ـ تعيين عنيسة بن سحيم الكلبي لولاية الاندلس واحتلال سبتمانيا وتقدم العرب المسلمين لحصار نيون ، ثم مقتل عنيسة وتراجع المسلمين حتى ناربون .	٧٢١ ـ ٧٢٥ م	١٠٣-١٠٧
ـ وفاة يزيد الثاني وولاية هشام بن عبد الملك الخلافة ..	٧٢٣ م	١٠٥ هـ
ـ تعيين عبد الرحمن الغافقي لولاية الاندلس .	٧٢٥ م	١٠٧ هـ
ـ موقعة «تور بواتييه» ، ومقتل عبد الرحمن الغافقي .	٧٣٢ م	١١٤ هـ
ـ سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية في المشرق .	٧٥٠ م	١٣٢ هـ
ـ انتهاء عهد الولاة وقيام الدولة الاموية بالاندلس .	٧٥٥ م	١٣٨ هـ

فتـــح الأندلس

١ - من العبور حتى معركة وادي لكة

[... ان الله ذوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها . ان ملك أمتي سيبلغ ما ذُوِيَ لي منها واعطيت الكنزين الأحمر والأبيض..][١]

حديث شريف

١ - التمهيد للفتح

عندما وصل عقبة بن نافع الى المغرب الاقصى عام ٦٢ هـ - ٦٨٢ م . ولقيه عند وصوله طنجة بطريق من الروم اسمه يليان ؛ هو حاكم سبتة ، فأهدى له هدية حسنة ونزل على حكمه وأراد عقبة فتح الاندلس فقال له يليان : أتترك كفار البربر خلفك وترمي بنفسك في بحبوحة الهلاك مع الفرنج ويقطع البحر بينك وبين المدد[٢] .

- هـل كان يليان مخلصاً في نصحه أم أراد صرف عقبة عن الهدف الكبير تنفيذاً لمخططه في البقاء حاكماً للقاعدة المتقدمة في الدفاع عن الاندلس ؟..

مهما كان عليه الأمر فقد عاد عقبة من عملياته واستشهد في معركة تهوذة عند الزاب في عام ٦٣ هـ وتوقف مشروع فتح الاندلس .

....

(١) حديث رواه مسلم وأحمد والنسائي ، في سنن أبي داوود الجزء الرابع كتاب الفتن والملاحم ٤٢٥٢ وفي مسلم الفتن وأشراط الساعة . باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ٢٨٨٩ ص ٢٢١٥ .

(٢) الكامل لابن الاثير ٣/٤٤ ، تاريخ المغرب الكبير ٢/٤٤ .

– وفي عام ٨٩ ، و ٩٠ هـ عاد المد العربي بقيادة موسى بن نصير فوصل المغرب الاقصى ولم يبق من قلاع المقاومة الحصينة سوى « سبتة » فوضع موسى حامية قوتها ١٩,٠٠٠ تسعة عشر الف مقاتل من البربر بقيادة طارق بن زياد ، وذلك بمهمة احكام الحصار على سبتة والتضييق عليها وارغامها على الاستسلام[1]. وكان طموح فتح الاندلس يراود مخيلة موسى ، لكنه أرجأ مشروعه الى حين وحتى سقوط سبتة .

– خلال هذه الفترة ، كان موسى يطور العمليات البحرية تنفيذاً لمشاريعه المقبلة فاهتم بعمران مدينة تونس وتوسيع دار الصناعة فيها وشق القناة التي تصل الميناء بالمدينة وأمر بصناعة مائة مركب .

– قام أسطول افريقية بمجموعة من عمليات الانزال البحري في صقلية وسردينيا وانتهى باحتلال ميورقة ومنورقة من جزر الباليئار سنة ٨٩هـ. وبذلك أصبحت الحدود الشرقية للأندلس في حالة الفتح مأمونة ، كما اكتسب العرب المسلمون ثقة بقدرتهم على تنفيذ عمليات الانزال الكبرى .

– عاد « يوليان » الى سبته وهو مصمم على الانتقام من « رودريك » – ومن المحتمل أن يكون الحافز الاقوى الذي دفعه هو ما شاهده من قوة العرب المسلمين وتصميمهم على تحقيق أهدافهم خلال حصارهم لمدينته فقرر كسب الوقت واغتنام الفرصة والعمل مع الجانب الرابح فقرر الانضمام الى العرب المسلمين . كما انه من المرجح ان يكون اتصال يوليان قد تم بعد هزيمه حزب اخيلا في شمال الاندلس والتجاء قادة المقاومة الى يوليان في سبتة وتحريضه على الانتصار بالعرب المسلمين بقيادة طارق بن زياد الذي وجهه الى موسى بن نصير .

اتصل يوليان بموسى بن نصير وعرض عليه مشروعه لفتح الاندلس ووصف له حسنها وفضلها وما جمعت من أسباب المنافع وأنواع المرافق وطيب المزارع

....

(١) نفح الطيب ١/٢٢٤ .

وكثرة الثمار وثرارة المياه وعذوبتها وهون عليه مع ذلك حال رجالها ووصفهم بضعف البأس وقلة الغناء [1] .

- لم يكن باستطاعة موسى بن نصير تنفيذ هذا المشروع قبل العودة الى أمير المؤمنين في دمشق ، فكتب الى الوليد بن عبد الملك يطرح عليه الموقف ويخبره بتحول « يوليان » ووقوفه الى جانب العرب المسلمين ويستأذنه في عبور المضيق والانزال في الاندلس ، فكتب اليه الوليد :

[.. خضها بالسرايا حتى تختبر شانها ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال ...] .

فراجعه انه ليس ببحر زخار وانما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه فكتب اليه :

[.. وان كان ، فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه ...] [2] .

- وبدأ موسى في العمل .

٢ - الغزوات الاستطلاعية :

١ - لم يكن باستطاعة موسى بن نصير وهو القائد الذي اكسبته التجارب خبرة طويله ان يقبل بسهولة ما عرضه عليه يوليان ، وأراد أن يضع ولاءه موضع التجربة فكلفه بالقيام باغارة استطلاعية والاتصال بحلفائه من أهل البلادويذكر المقرى هذه الاغارة فيقول :

[... اخذ «موسى» بالحزم فيما دعاه اليه يوليان، فعاقده على الانحراف الى المسلمين واستظهر عليه بأن سامه مكاشفة أهل ملته من الاندلس المشركين

....

(١) نفح الطيب ٢٥٤/١ ويذكر ابن الاثير ٢١٣/٤ . والبيان المغرب ٦/٢ ان هذا اللقاء قد تم على متن سفينة في البحر .

(٢) نفح الطيب ٢٥٤/١ وجاء في البيان المغرب ٦/٢ ان موسى استشار الوليد اما مراسلة واما نهض بنفسه اليه ... والاحتمال الاكثر هو ان عملية الاستشارة قد تمت بالمراسلة نظراً لما كان يضطلع به موسى من مسؤوليات جسام .

والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ففعل يوليان ذلك وجمع جمعاً من أهل عمله فدخل بهم في مركبين وحل بساحل الجزيرة الخضراء فأغار وقتل وسبى وغنم وأقام بها اياماً ثم رجع بمن معه سالمين وشاع الخبر عند المسلمين فأنسوا بيوليان واطمأنوا اليه ...] [1] .

٢ – بعث موسى بعد ذلك رجلاً من مواليه من البرابرة اسمه طريف في اربعمائة رجل معهم مائة فرس ، سار بهم في اربعة مراكب فنزل بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التي اصبحت فيما بعد معبراً للسفن تضم داراً لصناعة المراكب . وحملت الجزيرة منذ ذلك الحين اسم جزيرة « طريف » . وأقام بالجزيرة اياماً ثم مضى حتى اغار على الاندلس فأصاب سبياً لم ير موسى ولا اصحابه مثله حسناً ومالاً جسيماً وذلك في شهر رمضان من عام ٩١ هـ [2] .

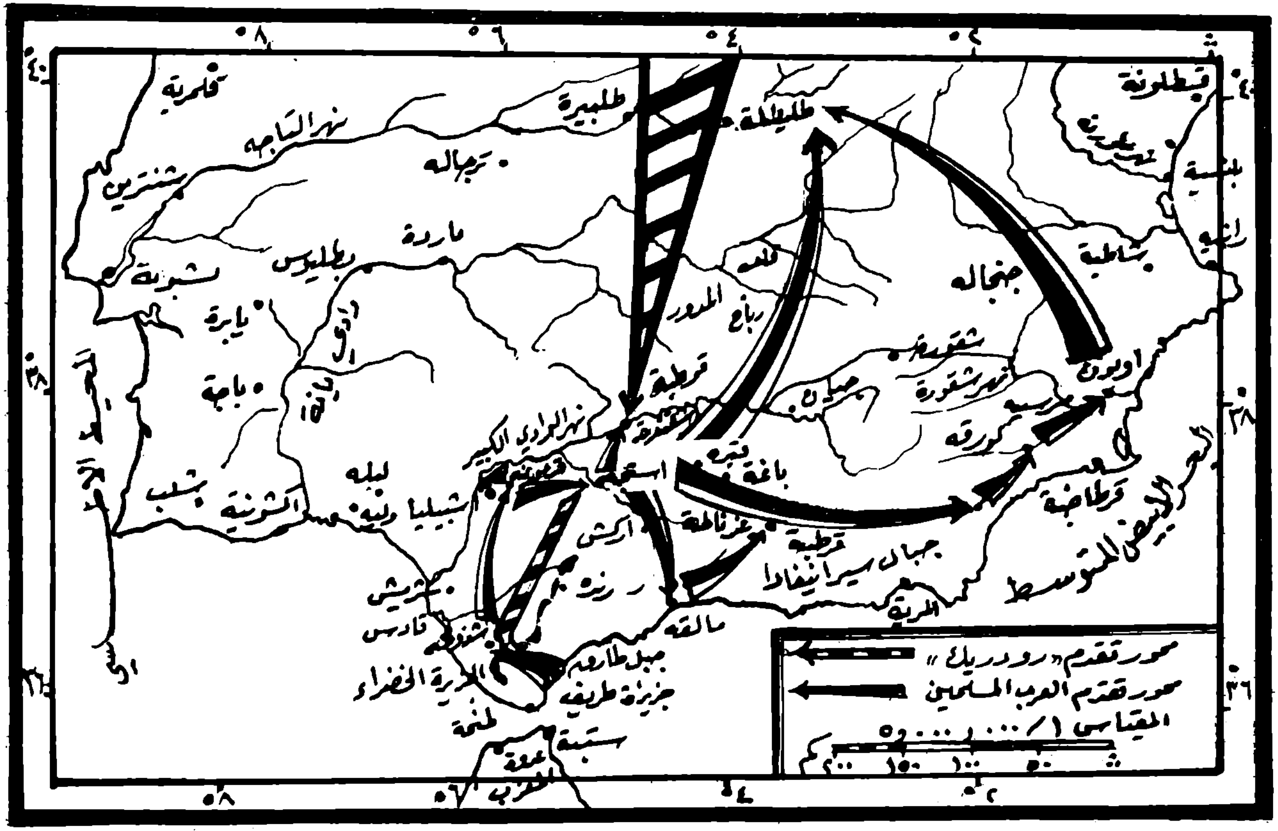
٣ – قام « أبو زرعة » وهو شيخ من البرابرة بعد ذلك بغزوة قوتها ألف رجل ونزلت قوة الاغارة بالجزيرة الخضراء وكان أهلها قد تفرقوا عنها، فضرموا عامتها بالنار وحرقوا كنيسة بها كانت عندهم معظمة وأصابوا سبياً يسيراً وقتلوا وانصرفوا سالمين وهناك من يضع من المؤرخين الغزوتين فيجعلها غزوة واحدة بسبب لقب طريف « بأبي زرعة » وبسبب قرب تاريخ تنفيذ الاغارتين الاستطلاعيتين بعضهما من بعض .

– توفرت المعلومات عن وضع الجزيرة ، واتخذ موسى قراره بتنفيذ العملية وأصدر اوامره إلى طارق بن زياد بالعبور في رجب ٩٢هـ ، نيسان – ابريل ٧١١م . والتوقف عند حدود قرطبة [3] .

---

(١) و (٢) نفح الطيب ١ / ٢٥٤ .

(٣) البيان المغرب ٣/١٨ – ١٩ .



عمليات طارق بن زياد ٩٣ هـ = ٧١١ م

٣ - الانزال في الاندلس .

- قاد طارق بن زياد جيشه المكون من سبعة آلاف مقاتل . وبدأت عملية العبور من سبتة تباعاً في سفن يليان ونزل بالبقعة الصخرية المقابلة التي عرفت منذ ذلك اليوم باسم جبل طارق . ثم توقف فيها حتى توافى جميع اصحابه عنده بالجبل. وانطلق طارق لدعم رأس الجسر وتوسيعه حتى اكمل فتح الجزيرة الخضراء [١] الى البحيرة .

- عندما حدث انزال قوات العرب المسلمين في جنوب الاندلس . كان رودريك يقود جيشه ويقاتل البشكنش في أرض بنبلونة [٢] وكانوا انصاراً لأخيلا.

- علم رودريك بأمر الانزال وعرف أن يليان يعمل مع قوات العرب المسلمين حليفاً لهم . (فعظم عليه الأمر وأقبل مبادراً الفتق في جموعه حتى وصل مدينة قرطبة من الموسطة « المتوسطة » ونزل القصر المدعو بها ببلاط « لذريق » وبقي فيها اياماً والحشود من اعماله تتوافى اليه) [٣] .

- كان اخيلا غيطشة قد هلك ، وكانت زوجته قد ضبطت لاولادها ملك الدهم بطليطلة . فلما اقتحم طارق الاندلس استنفر رودريك اجناد اهل الاندلس . وكتب الى اولاد غيطشة يدعوهم الى الاجتماع معه على حرب العرب

....

(١) الجزيرة الخضراء ، مدينة أمام سبتة من بر الاندلس الجنوبي ، وهي من أرشق المدن وأطيبها وأرفقها بأهلها وأجمعها لخير البر والبحر وقرب المنافع من كل جهة ، توسطت مدن السواحل واشرفت بسورها على البحر ومرساها أحسن المراسي للجواز « العبور» وأرضها ارض زرع وضرع ونتاج . وعندما يخرج الانسان من بابها يجد المياه الجارية والبساتين النضرة ونهرها يعرف بوادي العسل ومن متنزهاتها النقا ، التفاصيل المغرب في حلى المغرب ٣٢٠/١ وتقويم البلدان ١٧٣ .

(٢) البشكنش قوم كانوا يسكنون في جبال البرانس « البيرينة » منطقة الباسك LE BASQUES مركزها حالياً PAU ، جنوب فرنسا « المؤلف » .

(٣) نفح الطيب ٢٥٠/١ .

ويحذرهم من القعود عنه ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم يداً واحدة . وكان أولاد غيطشة قد ترعرعوا وركبوا الخيل واتخذوا الرجال فعندما وصلتهم دعوة «رودريك» لم يجدوا بداً من تلبيتها وحشدوا قوتهم وقدموا عليه بقرطبة ونزلوا اكناف قرية شقندة [١] بعدوة نهرها قبالة القصر ، ولم يطمئنوا الى الدخول على رودريك أخذاً بالحزم الى ان استتب جهاز « رودريك » وخرج فانضموا اليه ومضوا معه وهم مرصدون لمكروهه [٢] .

علم طارق ان عسكر رودريك في نحو اربعين الف ذوي عدة وعدد، فكتب الى موسى يستمده ويعرفه انه فتح الجزيرة الخضراء وملك المجاز اليها واستولى على اعمالها الى البحيرة، وان رودريك زاحف اليه بما لا قبل له به ـ وكان موسى منذ وجه طارقاً لوجهه قد اخذ في عمل السفن حتى صار عنده منها عدة كثيرة فحمل الى طارق فيها خمسة آلاف من المسلمين مدداً كملت بهم عدة من معه اثني عشر الفاً ، حراصاً على اللقاء ومعهم يليان المستأمن اليهم في رجاله واهل عمله يدلهم على العورات ويتجسس لهم الاخبار .. واقبل نحوهم لذريق في جموع العجم وملوكها وفرسانها [٣] ..

٤ – معركة وادي لكة : XERES

التقى الطرفان يوم الاحد ٢٨ رمضان سنة ٩٢ هـ – ١٩ تموز – يوليو ٧١١م

(١) شقندة : كانت في قديم الزمان مدينة ، ثم خربت وصارت قرية وهي مطلة على قرطبة مجاورة لها ، المغرب في حلى المغرب ١/٢١٣ .

(٢) و (٣) نفح الطيب ١/٢٥٨ . وفيه ايضاً :

(... وقال اولاد غيطشة ، بعضهم لبعض ... ان هذا ابن الخبيثة قد غلب على سلطاننا وليس من أهله وانما كان من اتباعنا فلسنا نعدم من سيرته خبالاً في أمرنا وهؤلاء القوم الطارقون لا حاجة لهم في استيطان بلدنا ، وانما مرادهم ان يملأوا ايديهم من الغنائم ثم يخرجوا عنا فهلم فلننهزم بابن الخبيثة اذا نحن لقينا القوم لعلهم يكفوننا اياه فاذا انصرفوا عنا أقعدنا في ملكنا من يستحقه فأجمعوا على ذلك ...) . وهناك بعض المصادر تذكر ان قوة القوط مائة الف ، وهو مبالغ فيه .

وبدات المعركة على نحو ما كان اسلوب القتال متبعاً ، واخذ الجند يتقاذفون بالسهام · في الوقت الذي كان فيه كل طرف يستطلع خصمه لمعرفة نقاط ضعفه.

– حشد القادة قواتهم في – وادي لكه – قرب مدينة شذونه [١] حيث البحيره – واخذت الاشتباكات في تصاعد حتى تحولت الى قتال شديد ·

– ارسل رودريك – علجاً – من اصحابه قد عرف نجدته ووثق ببأسه ليشرف على عسكر طارق – ويعرف مقدار قوته ونقاط ضعفه فأقبل ذلك العلج حتى اطلع على العسكر ثم شد في وجوه من استشرفه من المسلمين فوثبوا اليه فولى منصرفاً راكضاً، وفاتهم بسبق فرسه فقال العلج للذريق : [اتتك الصور التي كشف لك عنها التابوت – في دار الحكمة – فخذ على نفسك فقد جاءك منهم من لا يريد الا الموت او اصابة ما تحت قدميك – قد حرقوا مراكبهم اياساً لأنفسهم من التعلق بها وصفوا في السهل موطنين انفسهم على الثبات اذ ليس لهم في ارضنا مهرب .. فرعب وتضاعف جزعه ..

– في هذا الوقت ارسل اولاد غيطشة الى طارق يعلمونه ان رودريك كان تابعاً وخادماً لأبيهم فغلبهم على سلطانه بعد مهلكه وانهم غير تاركي حقهم لديه ويسألونه الأمان على ان يميلوا اليه عند اللقاء فيمن يتبعهم وان يسلم اليهم اذا ظفر ضياع والدهم بالأندلس كلها وكانت ثلاثة آلاف ضيعة ، نفائس مختاره وهي التي سميت بعد ذلك «صفايا الملوك» . فأجابهم الى ذلك وعاقدهم عليه ، وكان « رودريك » قد عين ولدي غيطشه . ارطباس والمند ، لقياده ميمنة جيشه وميسرته . وكان لهما تأثير قوي على اتباعهما ..

....

(٤) شذونة : هناك مدينة شذونة « وكورة شذونة » والمدينة ، من مدن الاندلس المليحة ظاهراً وباطناً ، في نهاية العمارة وكثرة الارزاق من متفرجاتها الجانة وفيها نهر لك وهو نهر مستحسن عليه بساتين ومناظر ملاح اما الكورة – الناحية او القصبة – فهي من كور اشبيلية واجلها محرثاً وشجرة ومياهاً وضياعاً وما شبه ، الى جانب المحيط ، المغرب في حلى المغرب ١/ ٣٠١ – ٣٠٢ ، معجم البلدان ٥/ ٢٤٤ .

ـ كان ميزان القوى في صالح رودريك ، فوقف في ساحة المعركة على سريره محمولاً على دابتين وعليه مظلة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد تحف به البنور والأعلام وبين يديه جنده الكثيف من العبيد والمستضعفين الذين ينقصهم الإيمان . . واقبل طارق في بساطته يحف به اصحابه الذين عمر الإيمان قلوبهم وعليهم الزرد ومن فوق رؤوسهم العمائم وبأيديهم القسي العربية وقد امتشقوا السيوف وتقلدوا الرماح ـ

ـ شعر جند طارق بالرهبة نتيجة لتفوق عدوهم ، فوقف طارق يستحث جنده ويستثير حماستهم فقال لهم : (١)

[. ايها الناس ! اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم وليس لكم والله الا الصدق والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الأيتام في مأدبة اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم ولا اقوات لكم الا ما تستخلصونه من ايدى عدوكم . وإن امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرأ ، ذهب ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة بمناجزة هذا الطاغية ، فقد القت به اليكم مدينته الحصينة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لأنفسكم بالموت. واني لم أحذركم امرأ انا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس الا وانا ابدأ بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً. وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان ـ الذهب ـ المقصورات في قصور الملوك ذي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عرباناً ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته

---

(١) نفح الطيب ٢٤١/١ .

واظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنماً خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم والله تعالى وليّ انجادكم على ما يكون لكم ذخراً في الدارين واعلموا اني اول مجيب الى ما دعوتكم اليه ، واني عند ملتقى الجمعين حاملٌ بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتكم امره ولم يعوذكم بطلٌ عاقل تسندون اموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون ...] .

ـ نظم طارق جيشه بحيث استند الى بحيرة خاندا التي تمتد كيلومترات عديدة والتي يصب بها نهر برباط . كما استند بجناحه الآخر الى المرتفعات الجبلية « ريتين » وامضى وقته في التنظيم للمعركة وحشد قواته ومعالجة الروح المعنوية ، وبات المقاتلون ليلتهم في حرس الى الصبح حيث بدأت المعركة الحاسمة واقتتل الطرفان قتالاً شديداً حتى انهزمت ميمنة رودريك وميسرته ، وثبت القلب بعدها قليلاً ، وعذر رودريك اهله بشيء من قتال ثم انهزموا ورودريك امامهم وأذرع المسلمون القتل فيهم . ولم تغرب شمس يوم ٥ شوال سنة ٩٢ هـ ٢٧ تموز ـ يوليو ـ ٧١١ م حتى كانت طلائع قوات العرب المسلمين ومفارز فرسانهم الخفيفة تطارد فلول القوات القوطية المنهزمة . وانتهت المعركة بعد ثمانية أيام من القتال العنيد الذي صمم فيه كل طرف على انتزاع النصر ، وكان تصميم العرب المسلمين هو الأقوى .

٥ – نتائج المعركة

– احدث انتصار العرب المسلمين في وادي لكة هزة قوية في العالم القديم . وكان له اثر كبير على مسيرة العمليات ومن هذه النتائج :

١ – انفتاح شبه جزيرة ايبيريا امام العرب المسلمين بعد تحطيم قوة جيش القوط وانزال الخسائر الفادحة في تعداده حيث قتل منهم « خلق عظيم » اقامت

عظامهم بعده ذلك بدهر طويل ملبسة بتلك الأرض . (وان انتصار المسلمين في وادي لكة القى باسبانيا كلها في ايدي المسلمين ولم يكن طارق بحاجة الا الى قليل من الجهد ليقضي على المقاومة الضئيله في بعض المدن ..) [١]

٢ – حصل العرب من الغنائم على اعداد كبرى من الخيول كانت كافية لحملهم جميعاً فلم يبق بينهم راجلاً مما يسر لهم مرونة الحركة وخفة الانتقال وساعدهم على التحرك بسرعة وخلال فترة قصيرة حتى وصلوا الى طليطلة ولم يكن تحقيق هذه المرونة والسرعة في التحركات بالمستطاع لو تم الاعتماد على العدد المحدود من الخيول التي نقلها المسلمون معهم عبر « بحر الزقاق » [٢] .

٣ – ارتفاع الروح المعنوية للمسلمين واكتساب مزيد من الثقة بالنجاح مقابل وضع مناقض عند القوط. وأسرع المقاتلون من أفريقية الى عبور البحر والالتحاق بقوات طارق (... تسامع الناس من أهل بر العدوة بالفتح على طارق بالاندلس، وسعة المغانم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليـــه من مركب وقشر فلحقوا بطارق وارتفع أهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال ...) [٣] .

٦ ـ استثمار الظفر

– أسرع طارق بالتحرك لمطاردة القوات المنسحبة وعدم تمكينهـا من تنظيم مقاومات جديدة، فوصل شذونة وكان أهلها قد اعتصموا بها وصمموا على الدفاع عنها فحاصرها طارق وشدد قبضته عليها ونجح في اقتحامها ، وسقطت شذونة

(١) العرب في اسبانيا ، لينبول ستانلي ، ترجمة علي الجارم بك ص ٢١ .
(٢) دراسات في تاريخ الاندلس ، احمد بدر ، ١٢ .
(٣) نفح الطيب ١/٢٠٩ وفيه (.. اختفى لذريق بعد المعركة ، الا ان المسلمين وجدوا فرسه الاشهب الذي فقد وهو راكبه وعليه سرج له من ذهب مكلل بالياقوت والزبرجد ووجدوا أحد خفيه وكان من ذهب مكلل بالدرر والياقوت وقد ساخ الفرس في طين وحمأة وغرق العلج فثبت احد خفيه في الطين فأخذ وخفي الآخر وغاب شخص العلج ولم يوجد حياً أو ميتاً).

في قبضة المسلمين وفتحوها عنوة. وتابع طارق تحركه حيث توفرت له المعلومات عن تجمع فلول « القوط » في « استجة » ، فمر في مسيرته من المدور [1] وعطف على قرمونة [2] فمر بعينه المنسوبة اليه ثم مال الى اشبيلية فصالحه أهلها على الجزية. ووصل استجة [3] وكان أهلها قد نظموا مقاومتهم وانضم اليهم الفارون من جيش رودريك . ووقعت بينهم وبين المسلمين معارك ضارية حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين وأخيراً نجح طارق في انتزاع النصر وتمزيق المقاومة. فالتجأ أهل المدينة الى حصونهم ومعاقلهم . وعمل طارق على تضييق الحصار .

– كان حاكم المدينة وقائد المقاومة فيها مغتراً سيء التدبير ، فخرج الى النهر لبعض حاجته وحده فصادف طارقاً هناك قد أتى لمثل ذلك وطارق لا يعرفه ، فوثب عليه طارق في الماء فأخذه وجاء به الى العسكر ، فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة فصالحه طارق على ما أحب وضرب عليه الجزية وخلى سبيله . فوفى بما عاهد عليه بعد مجموعة الانتصارات التي حققها طارق ، عقد مؤتمراً لمناقشة الموقف وحضر يليان المؤتمر ، وطرح رأيه فقال لطارق :

[... انك فضضت جيوش القوم ورعبوا ، فاصمد لبيضتهم ، وهؤلاء ادلاء من اصحابي مهرة ففرق جيوشك معهم في جهات البلاد واعمد انت الى طليطلة حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر في امرهم والاجتماع الى اولي رايهم ...] .

– وتكونت لدى طارق القناعة بصحة هذا الرأي، ولم يكن لديه من الوقت

---

(١) المدور AL MODOVAR حصن حصين مشهور بالأندلس بالقرب من قرطبة – ومودور ايضاً كورة متصلة بأحواز قرمونة ، معجم البلدان ٧/٤١٧ .

(٢) قرمونة CARMONA ، كورة مشهورة بكثرة الحرث وطيبه والحالي منها مدينة قرمونة وهي مدينة من جهة ضخامة الاسواق والحمامات ومعقل عظيم من جهة الارتفاع والمنعة لا ترام بقتال ، كانت من حصون الاسلام المشهورة ، المغرب في حلى المغرب ١/٢٩٩ .

(٣) استجة ، ECIJA ، كورة بالاندلس ، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ ، معجم البلدان ١/٢٢٤ .

ما يسمح له بالعودة الى موسى بن نصير لاستطلاع رأيه ، فقرر البدء بتنفيذ مخططه فشكل ثلاث مجموعات قتالية ووجهها الى اهداف مختلفة .

١ – وجه طارق بن زياد مجموعة قتالية من سبعمائة فارس يقودهم مغيث الرومي بمهمة فتح قرطبة .

قاد مغيث مجموعته حتى وصل الى « عدوة نهر شقندة » فكمن وجنده في غيضة أرز شامخة ، وأرسل الأدلاء ، حتى توفرت له المعلومات عن نقطة ضعف في سور المدينه ، وأفاد مغيث من ظلمة الليل وهطول الامطار فتسلل بقوته حتى وصل السور ، وتسلق المقاتلون واقتحموا الترصينات ، وفتحوا الأبواب فتدفق سيل المقاتلين ونجح المسلمون في تدمير المقاومة ، وفر ملك قرطبة ومعه اربعمائة مقاتل الى كنيسة بقرب المدينة . ووجه مغيث قوة لحصار الكنيسة وكتب الى طارق يعلمه بالفتح .

– استمر الحصار ثلاثة أشهر ، فعمل مغيث على تشديد الرقابة ، ووضع عناصر الاستطلاع ووقع احدهم اسيراً في قبضة ملك قرطبة . وتعرض للتعذيب فصمد وقاوم وعرف مورد المياه الذي تعيش القوة منه . وهرب عندما استطاع ذلك واعلم مغيث بما توفر لديه فعمل مغيث على قطع موارد المياه وعرض عليهم الاستسلام بدخول الاسلام او دفع الجزية لكن الملك رفض فعمل مغيث على اضرام النار فسميت منذ ذلك الحين بكنيسة الحرقى وحاول الملك الهروب فتبعه

---

(١) قرطبة CORDOBA ، كانت اعظم مدينة بالاندلس تقع على الوادي الكبير وليس في الاندلس واد يسمى باسم عربي غيره . وهي من أحسن البلاد مباني ، وأوسعها مسالك وأبرعها ظاهراً وباطناً ، هواؤها معتدل . وبها القنطرة التي هي احدى غرائب الارض في الصنع والاحكام ، والجامع الذي ليس في بلاد الاندلس والاسلام اكبر منه . قال فيها أحدهم :

دع عنك حضرة بغداد وبهجتها ولا تعظم بلاد الفرس والصين
فما على الأرض قطر مثل قرطبة وما مشى فوقها مثل ابن حمدين .

نفح الطيب ٤٥٧/١ – ٤٦٠ آثار البلاد وأخبار العباد ٥٥٢ – المسالك والممالك ٣٥ .

مغيث وطارده حتى القى القبض عليه وكان الملك الوحيد الذي أمكن أسره من بين ملوك الاندلس جميعاً .

٢ – ووجه طارق بمجموعة ثانية بمهمة فتح مالقة [١] فمضت هذه الى هدفها ونجحت في القضاء على المقاومة التي تمزقت والتجأت الى الجبال . وتابعت القوة مسيرتها حيث انضمت الى المجموعة الثالثة المكلفة بفتح غرناطة [٢] .

٣ – وكان واجب المجموعة الثالثة التي وجهها طارق بن زياد التقدم نحو البيرة [٣] وغرناطة [٤] . ونجحت هذه المجموعة في حصار غرناطة واقتحامها عنوة

---

(١) مالقة MALAGA، احدى قواعد الاندلس وبلادها الحسان ، جامعة بين مرافق البر والبحر ، كثيرة الخيرات والفواكه كالتين والعنب والرمان واللوز قال فيها ابو الحجاج يوسف ابن الشيخ البلوي المالقي .

مالقة حييت يا تينهـا ... الفلك من أجلك يأتينها
نهى طبيبي عنه في علتي ... ما لطبيبي عن حياتي نهى

نفح الطيب ١/١٥١ ، المسالك والمهالك ٣٥ معجم البلدان ٧/٣٦٧.

(٢) نفح الطيب ١/٢٦٣ .

(٣) البيرة ELVIRA ، بلدة قريبة من ساحل البحر في الأندلس . وكانت مملكة جليلة بين مملكتي قرطبة والمرية ومملكتي جيان ومالقة وهي كثيرة الكتان والأشجار والانهار ، كما كانت قاعدة المملكة في القديم ولها ذكر شهير ومحل عظيم الا ان رسمها قد طمس ولم يبق منها الا بعض أثر وصارت غرناطة كرسياً . المغرب في حلى المغرب ٢/٩١ – ٩٣ . معجم البلدان ٢/٣٣٠ .

(٤) غرناطة GRANADA ، هي دمشق بلاد الاندلس ، لأن جند دمشق نزلوها وتسمى كورة البيرة التي منها غرناطة وقيل انها سميت دمشق لشبهها بها في غزارة المياه وكثرة الأشجار، يخترقها نهر عليه قناطر يسمى نهر شنبل وفي قبليها جبل شلير « وهو ما يسمى سيرا نيفادا » وفيها قيل :

غرناطة مـا لهـا نظير ... ما مصر ، ما الشام ، ما العراق ؟
مـا هي الا عروس تجلى ... وتلك من جلة الصداق ..

نفح الطيب ١ – ١٤٧ – ١٤٨ .

وأقاموا فيها حامية وضموا اليها اليهود للاستعانة بهم ثم تابعوا تقدمهم حتى رية [١] ومنهـــا تدمير [٢] حيث كانت قصبتها أريولة [٣]، وهناك وقعت معركة ضارية ونجح المسلمون في انتزاع النصر وارغام حاكم تدمير على الانسحاب حتى وصل اريولة واعتصم بأسوارها ولجأ حاكم تدمير الى الخديعة فأمر النساء والأولاد بارتداء ثياب المقاتلين وحمل الاسلحة والتوقف عند الاسوار، وعرض المسلمون الصلح فنزل حاكم تدمير متنكراً وفاوض المسلمين وبعد أن حصل على شروط الأمن وتم التوقيع على الاتفاق وعند ذلك عرفهم بنفسه، واعتذر اليهم بالابقاء على قومه وأخذهم بالوفاء بعهده وأدخلهم المدينة فلم يجدوا فيهـــا سوى النساء والأطفال وحافظ العرب على الوفاء كما هي عادتهم، وتركوا في المدينة حامية صغيرة وتابعت قوة المجموعة تحركها حيث التحقت بالقوة الرئيسية التي توجهت بقيادة طارق للاستيلاء على طليطلة. في الوقت الذي كانت فيه المجموعات القتالية تقضي على المقاومات في المعاقل والجبال والقلاع الحصينة كان طارق يقود الكتلة الرئيسية من قواته متوجهاً نحو الشمال عن طريق جيان [٤] وكان وصول طارق

(١) رية، وهي التي أصبحت تعرف باسم « بالقة » يمر منها نهر تسيل مياهه في أشهـــر الربيع فقط، وبها قلعة حصينة. المغرب في حلى المغرب ١ - ٤٢٣.

(٢) تدمير: من كور الاندلس الشرقية وتسمى مصر أيضاً لكثرة شبهها بها لان لها أرضاً يسيح عليها نهر في وقت مخصوص من السنة ثم ينضب عنها فتزرع كما تزرع أرض مصر وصارت القصبة بعد تدمير « مرسية » وتسمى البستان لكثرة جناتها المحيطة بها، وفي كورة تدمير حجر المغناعيس الجاذب للحديد ومعادن الفضة كثيرة في كورة تدمير - نفح الطيب ١ - ١٦٤.

(٣) أريولة « اوريولة » ORIHUELA في موضع كأنه اقتطع من جنة الخلود، نهر سائل ودواليب نعارة وطيور شادية وأشجار متعانقة ولها قلعة في نهاية من الامتنـــاع وكانت أريولة قاعدة الكورة قبل ان تنتقل هذه القاعدة الى مرسية. نفح الطيب ١ - ١٦٦، المغرب في حلى المغرب ٢ - ٢٨٦.

(٤) جيان JAEN مملكة جليلة بوسطة الاندلس، معروفة بالمحارث والاخشاب، وهي بين غرناطة وطليطلة ومرسية، جمعت تناهي طيب الارض وكثرة الثمر وغزر السقيـــا واطراد العيون وكثرة الحرير. المغرب في حلى المغرب ٢ / ٤٩ - ٥١.

الى حدود طليطلة [١] مباغتة كاملة لبقايا القوط الذين تركوا المدينة والتجأوا الى الجبال . ودب اليأس في قلوب قادة المقاومة وحكام المقاطعات وكبار رجال الكنيسة ذلك انهم لم يكونوا يتوقعون تحرك طارق بمثل هذه السرعة وكانوا يتوقعون ايضاً ان تكون عمليات طارق مشابهة لغزوات بليان وطريف وأبي زرعة ، وعندما تطورت الاحداث على غير ما كانوا يتوقعونه تخلوا عن المقاومة وأسلموا مدينتهم فدخلها طارق بقوات المسلمين وهي شبه خالية واستولى على ثروات ضخمة وكنوز تراكمت عبر عصور متتالية في القصور والكنائس ومضى طارق خلف من فر من أهل طليطلة بعد أن خلف في المدينة رجالاً من أصحابه وسلك وادي الحجارة[٢] فبلغ مدينة المائدة خلف الجبل ثم اقتحم ارض جيليقية حتى انتهى الى مدينة استرقة . وعاد طارق الى طليطلة لقضاء فصل الشتاء فيها والاستعداد لمتابعة العمليات وبعد ذلك تابع اعمال الفتح فدخل ولاية برغش [٣] وأحتل مدينة أماية [٤] *

(١) طليطلة TOLEDO احدى المدن الاربع التي بنيت في مدة قيصر اكتنيان ، يمر بها نهر تاجة تقع في موسطة الاندلس . قال ابن وكيل فيها :

زادت طليطلة على ما حدثوا بلد عليه نضارة ونعيم
الله زينـــه فوشح خصره نهر المجرة والقصور نجوم

المغرب في حلى المغرب ٢ / ٨ نفح الطيب ١ / ١٦١ ، معجم البلدان ٦ / ٥٦

(٢) وادي الحجارة GUADAL JARRA ، الى الشمال الشرقي من طليطلة غير أنه رافد يرفد نهر تاجه .

(٣) برغش BURGOS احدى مدن الحدود الشمالية . نفح الطيب ١ / ٣٦٤ .

(٤) أمايه AMAYA احدى مدن الحدود الشمالية ، يمر منها احـد الفروع الرافدة لنهر دويرة .

(*) جاء في نفـح الطيب ١ / ٢٦٠ (.. وكان من ارهاب طارق لنصارى الاندلس وحيله ان تقدم الى اصحابه في تفصيل لحوم القتلى بحضور أسراهم وطبخها في القدور يرونهم انهم يأكلونها فجعل من انطلق من الاسرى يحدثون من وراءهم بذلك فتمتلىء منه قلوبهم رعبا ويجفلون فراراً ..) وذكر ابن القوطية في كتابه فتح المسلمين للاندلس نصا بهـــذا المعنى ←

اخترق طارق الأندلس من اقصى الجنوب الى ما فوق الوسط اختراق السهم وبقيت جميع البلاد من الجانبين غير خاضعة له تتجمع فيها حاميات قوطية وهذا الأمر يجعل خط الفتح الاسلامي عرضة للانقطاع[1] . وقد دخل طارق الاندلس بغير أمر مولاه موسى بن نصير وهناك رواية متناقضة حول هذه النقطة، اكثرها ينص على أن موسى كان يتلقى اخبار الفتح « بحسد والغيرة تعضه » وبعضها ينص على أن تجاوز طارق وادي لكة وتوغله قد أقلق موسى حول مصير المسلمين وعما يمكن أن يتعرضوا له من مخاطر . وان مسيرة الاحداث وتطورها يثبت صحة الروايات الثانية على قلتها ويدحض الروايات الاولى على كثرتها ومن المحتمل جداً أن تكون المحنة التي انتهى اليها موسى بعد فتوحاته وما رافق ذلك من مؤامرات خلفية في المشرق قد أسهمت في نشر تلك الشائعات واثباتها حتى أصبحت معروفة لدى العامة والخاصة فأقبل المؤرخون على تسجيلها والاخذ بالآراء الاولى التي تنص على أن حوافز موسى للفتح كانت بتأثير الحسد والغيرة لا أكثر وأن غضبته على طارق كانت بتأثير هذه العوامل وليست نتيجة لخوف موسى من احتمالات وقوع المحن بالمسلمين *

المرحلة الثانية من فتح الاندلس

١ – عمليات موسى بن نصير :

– كان موسى بن نصير يتابع بقلق توغل طارق في عمق الاندلس ، تاركاً

....

وقد رد المؤرخ رينو M. REINAUD على هذا القول في كتابه غزو العرب لفرنسا وسويسرا فقال : (ان ابن القوطية عاش في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي، وقيل له ابن القوطية لانه من ذراري ملوك القوط باسبانيا ، فشهادته مطعون بها وضعيفة ، بحيث لا يمكن الاخذ بها . في تاريخ غزوات العرب – شكيب ارسلان ، ص ٣٢ ، مزيد من القول .

(١) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، لابن عذارى المراكشي تحقيق ج . س . كولان وليفي بروفنسال ص ١٣/ اصدار بيروت .

بجنباته دون حماية ، فأخذ في تجهيز قوة أكبر واستخلف على ولاية افريقية ابنه عبد الله وتوجه بقوة وصل عدد أفرادها الى ثمانية عشر الف مقاتل فيهم رجال قريش وزعماء العرب ووجوه الناس . وبعد أن تم حشد القوات في طنجة بدأت عملية العبور ووصل موسى بجيشه الى الاندلس في رمضان سنة ثلاث وتسعين هجرية ٧١٢ م[1]. واحتل الجبل الذي كان قد شهد قبل ذلك انزال قوات طارق ثم تجاوزه فنزل الجبل الذي نسب اليه والذي عرف باسم جبل موسى وسيطر بقواته على الجزيرة الخضراء .

– عندما استقر موسى في الجزيرة الخضراء ، اسرع يليان للقائه ، وعقد معه مجلساً للتشاور ، ثم عقد مؤتمراً حضره قادة العرب[2] وجمع حوله الرايات وعددها يزيد على عشرين راية وتفاوض الجميع في الرأي وكان مما قاله موسى :

[... ما كنت لأسلك طريق طارق ، ولا اقفو أثره ، فقال له العلوج اصحاب يليان .. نحن نسلك بك طريقاً هو اشرف من طريقه وندلك على مدائن هي اعظم خطراً واعظم خطباً .. ومدائن لم تفتتح بعد .][3]

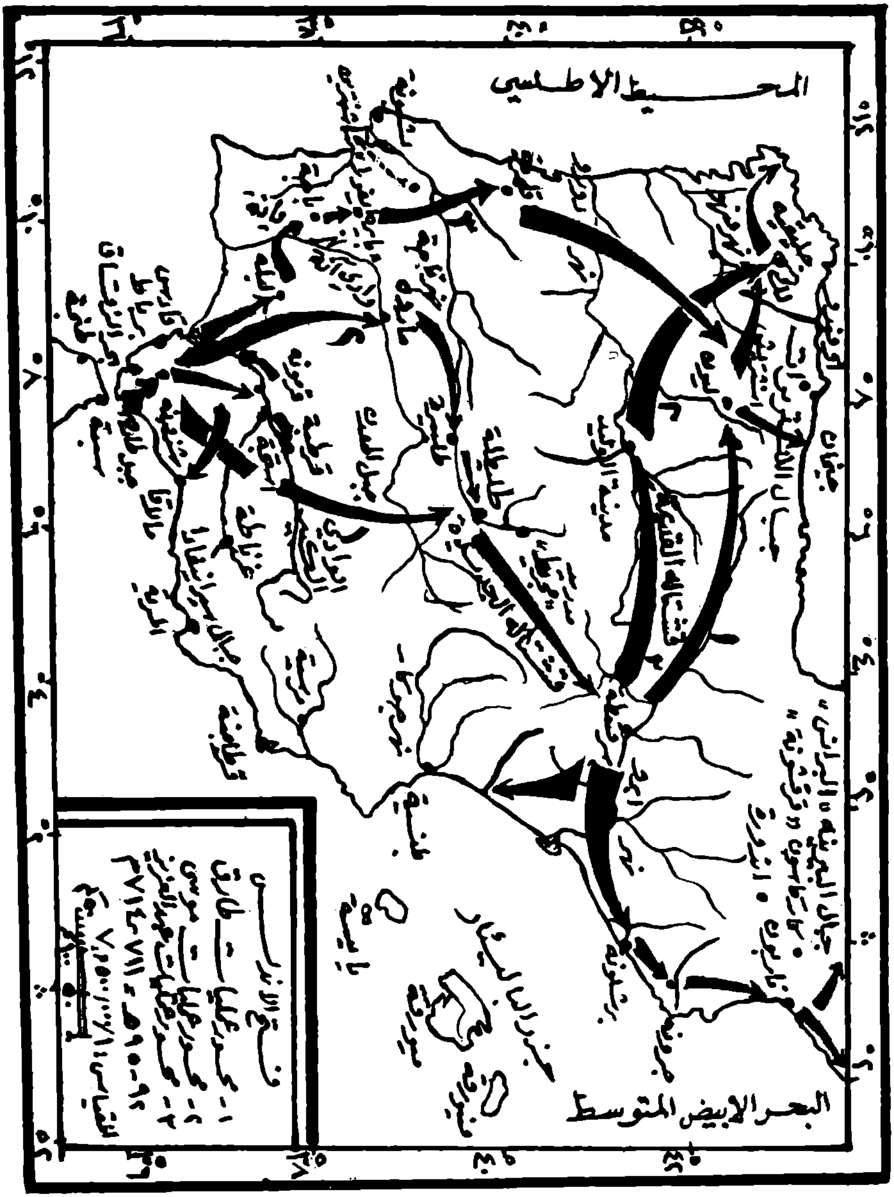
– وتقرر بعد الحوار اتباع محور الى الغرب من المحور الذي اتبعه طارق في عملياته. ولم يبرح موسى موضعه ولا فارق مشهده حتى أمر بتخطيط الموضع، الذي عقد فيه المؤتمر ، واتخاذه مسجداً ، حمل اسم « مسجد الرايات » ، وكان يقابل بباب البحر من أبواب المدينة .

....

(١) نفح الطيب ٢٦٩/١ وجاء في ابن الاثير ٢١٥/٤ وفتح مصر والمغرب (٢٨٠) ان موسى خرج الى الاندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين .

(٢) كان من الصحابة الذين ضمهم جيش موسى بن نصير في الآندلس حنش بن عبد الله الصنعاني وهو الذي أشرف على قرطبة من الفج المسمى بفج المائدة ، وابو عبد الله علي بن رباح اللخمي وحيان بن ابي جبلة القرشي وابو عبد الرحمن الحبلي وعياض بن عقبة والمنذر الافريقي وكان عدد الصحابة نحو عشرين رجلا . نفح الطيب ٢٨٨/١ و ٥/٣ – ١٤

(٣) اخبار مجموعة ص ١٣ ، النص التالي : (نحن ندلك على طريق هي أشرف من طريقه ومدائن هي اعظم خطباً ..) ونفح الطيب ٢٦٩/١ .


المحيط الاطلسي
البحر الابيض المتوسط

- كان طارق قد احتل شذونة وقرمونة ، لكن هذه المدن اصبحت مراكز للمقاومة بعد توغل طارق ومسيرته حتى طليطلة ، فتوجه موسى بجيشـــه في جانب ساحل شذونة وافتتحها عنوة .

- كانت قرمونة مدينة ليس بالأندلس احصن منها ولا ابعد على من يرومها بحصار او قتال فلجأ موسى الى الخديعة حيث دفع اصحاب يليان امامه فدخلوا قرمونة وكأنهم فلول قولمت الحق بهم موسى الهزيمة ، وفي الليل فتح اصحاب يليان الأبواب واقتحمتها خيول المسلمين وفرسان موسى بن نصير وتم فتـــح المدينـة .

- سار موسى بقواته بعد ذلك الى قلعة جابر المعروفة بقلعة « وادي ابرة » او رعواق [1] فافتتحها عنوة وبذلك اصبحت القاعدة الجنوبية مأمونة ويمكن التوغل نحو الشمال .

٢ - فتح اشبيليا : [2]

توجه موسى بن نصير شمالاً في اتجاه اشبيليه ، وكان اهلها قد نقضوا اتفاقهم

....

(١) عواق AL CALA de QUADAIRA - تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس - ٩٤ - واخبار مجموعة/١٥/

(٢) اخبار مجموعة ١٦ وتاريخ الاسلام للذهبي ٣٢٤/٣ و ٥٨/٤ ونفح الطيب ٢٦٩/٢ .
- جاء في اخبار مجموعة ١٦ ، واشبيلية هي اعظم مداين الاندلس شأناً وخطبا واعجبها بنيانا واثاراً ، وكانت دار الملك قبل غلبة القوطيين على الاندلس ، فلما غلبت القوطيون حولوا السلطان الى طليطلة وبقي شرف الرومانيين وفقههم ودينهـــم ورياستهم في دنياهم باشبيلية ..) .
- وجاء في نفح الطيب ١٥٦/١ : (من اعظم مدن الاندلس اشبيلية ، ومن محاسنها اعتدال الهواء ، وحسن المباني ونهرها الاعظم الذي يصعد المدينة اثنين وسبعين ميلا ثم يحسر وفيه يقول ابن سفـــر .

شق النسيم عليه جيب قميصه ... فانساب من شطية يطلب ثاره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها ... هزءاً فضم من الحياء ازاره ..

←

مـع طارق وتحصنوا وراء سوار المدينة واستعدوا للحرب فنزل موسى بجيشه وحصرهم وعزل المدينة واستمر الحصار فترة طويلة تزيد على الشهر ، وعندما اشتد امـــر الحصار وعرف المدافعون عن المدينة تصميم المسلمين على فتحها ، ضعفت مقاومتهم وافاد موسى من ذلك فاخترق الحصار ونجح في اسقاط المدينة وابادة المقاومة وهرب عدد من المقاومين الى « باجة »[1] فضم موسى يهودها ووضع فيها حامية صغيرة واستأنف تقدمه في اتجاه ماردة .

٣ – التوقف عند ماردة :[2]

اخترق موسى بن نصير اثناء تقدمة مدينة « لقنت »[3] وعندما اقترب مسافة تزيد على الميل من ماردة اصطدمت قواته بالحامية المدافعة عن المدينة

....

– وقال ابن رشد في المناظرة بين قرطبة واشبيلية في نفح الطيب ١ - ١٥٥
(.. اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيـع كتبه حملت الى قرطبة حتى تبـاع فيها ، وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيـع آلاته حملت الى اشبيلية ..).
وقيل عن اشبيلية (.. هذه المدينة من أحسن مدن الدنيا وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة وانتهاز فرصة الزمان الساعة بعد الساعة ويعينهم على ذلك واديها الفرج وناديها البهج ..) .

(١) باجة BEJA في البرتغال . وكانت تضم كورة واسعة ، بها ولد المعتمد بن عبـــاد ، بها معدن فضة اشتهرت بالدباغة وصناعة الكتان نفح الطيب ١ - ١٥٩ وباجة من اقدم مدائن الاندلس وارضها ارض زرع وضرع ونوارها يحسن للنحل ويكثر عنـــه العسل ..) المغرب في حلى المغرب ١ - ٤٠٣ .

(٢) ماردة MERIDA هي احدى القواعد التي بنتهاملوك العجم للقرار واتخذهاسلاطين الاندلس قبل الاسلام سريراً لسلطنة الاندلس بينها وبين قرطبة ستة ايام وهي كورة واسعة لها حصون وقرى ، المغرب في حلى المغرب ١-٣٦١ ونفح الطيب ١-٢٧٠ واخبار مجموعة١٦ .

(٣) لقنت FUENTE-DE-CANTOS ، في جنـوب الشاطىء الشرقي من الاندلس وهي حصان من اعمال ماردة لقنت الكبرى ولقنت الصغرى ، نفح الطيب ١ - ٢٧٠ ومعجـــم البلدان ٦ - ٣٣٦ وقد اتبع موسى في طريقه بين اشبيليا وماردة طريقاً رومانية قديمة كانت تصل بين البلدين ، وكان ظهور قوات المسلمين مباغتاً للحامية المدافعة عن لقنـت فاستسلمت دونما مقاومة وسمي ذلك الفج باسم « فج موسى » او « وادي موسى » .

وجرت معركة قاسية قاتل فيها اهل الأندلس معركة عنيدة ولم يتمكن المسلمون من احراز نصر حاسم .

ـ عمل موسى بن نصير على دراسة الأرض فوجد انها تضم مجموعة كبيرة من الحفر المتناثرة كانت مقاطع للصخر فأقدم على توزيع جزء من قواته واخفائها في الحفر واحسن المقاتلون التمويه بحيث لم ينجح خصمهم في اكتشافهم.

ـ بدأت معركة اليوم الثاني بتصميم وعناد من الطرفين جميعاً . ودارت معركة طاحنة ثم اخذ التحول لمصلحة المسلمين وظهر المقاتلون من حفرهم واخذت قوة الكمين تضرب بقوة مؤخرة الخصم ، وكانت المباغتة كافية لانهيار المقاومة فأخذت فلول الأندلسيين في الانسحاب الى المدينة والافادة من تحصيناتها .

ـ نظم موسى الحصار وعزل المدينة ، لكن الحامية لم تضعف واستمرت في المقاومة اشهراً فاستخدم المسلمون الدبابة ومضوا في داخلها ونقبوا صخرة في السور ولما نزعوا الصخرة امضوا في داخلها الى الصحاء التي يقال لهـا اللاشة ماشة (١) فنبت عنه معاولهم وعدتهم وثار بهم العدو على غفلة فاستشهد بأيديهم قوم من المسلمين تحت تلك الدبابة فسمي ذلك الموضع برج الشهداء .. (٢)

ادركت الحامية المدافعة عن ماردة تصميم المسلمين على فتح المدينة ، وكان الحصار الطويل قد مارس دوره في التأثير على نفسية المقاتلين فارسلوا وفوداً

---

(١) الاشه ـ ماشة ARGAMASSA, اي الاسمنت وتسمى ايضا LAXMAX ، نفح الطيب ١ ـ ٢٧٠ .

(٢) وتذكر المصادر ان الحامية اخذت بالتفاوض مع موسى بعد يوم برج الشهداء وأنهم ارسلوا اليه وفداً فوجدوه ابيض اللحية ، وفي المرة التالية فوجدوه وقد صبغ لحيته بالحناء حتى وكأنها ضرام الغرفج . وفي المرة الثالثة وجدوه بلحية سوداء ، فقالوا ، انا نقاتل انبياء يتخلقون كيف شاؤوا ويتصورون في كل صورة احبوا .. والرأي ان نقاربه ونعطيه ما يسأله ..)وهذه صورة اقرب إلى الخيال منها بالواقع ...

اخبار مجموعة ١٧ ونفح الطيب ١ ـ ٢٧٠ والبيان المغرب ١/ ٢٠ ـ ٢٢ .

لعقد الصلح وعرضوا شروطاً رفضها موسى بن نصير، واخيراً نزلوا على مطالب المسلمين وهي ان تكون جميع اموال القتلى يوم الكمين واموال الهاربين الى جيليقيه للمسلمين ، واموال الكنائس وحليها للمسلمين ايضاً ودخل المسلمين المدينة يوم الفطر ، الأول من شوال سنة ٩٤ هـ [الموافق ٣٠ حزيران ، يونيو ٧١٣ م] (١)

٤ - قمع حركة التمرد في اشبيليا :

كانت فلول الحاميات التي هزمت خلال عمليات موسى قد تجمعت في لبله (٢) وباجة (٣) من مدن الأندلس ، وعندما اصطدم موسى بالمقاومة العنيدة في ماردة اعادت هذه الفلول تنظيمها للمعركة وتحركت نحو اشبيليا ودخلتها وابادت الحامية الصغيرة التي تركها موسى في المدينة وقتل من المسلمين ثمانين رجلاً واستطاع بعضهم الفرار واعلام موسى بالموقف ، وانتظر موسى حتى انتهاء عمليات الحصار وفتح مارده فوجه قوة بقيادة ابنه عبد العزيز بمهمة القضاء على المقاومة وحماية مؤخرة جيشه وتوجه عبد العزيز الى اشبيلية واقتحمها ودمر قوة المقاومة فيها ثم توجه الى لبله وقضى على قوة القوط المتمردة وترك حامية قوية في كل مدينة تستطيع تأمين القاعدة الخليفة لتقدم المسلمين .

٥ - معركة السواقي :

- امضى موسى بن نصير شهراً في مارده ، حيث تم له تحقيق استقرار

---

(١) نفح الطيب ١ / ٢٧٠ واخبار مجموعة ١٧ - تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ٩٨.

(٢) لبله Neibla ، قصبة كورة بالاندلس كبيرة ، شرق اكشونية وغرب قرطبة ، بينها وبين قرطبة على طريق اشبيلية خمسة ايام - اربعة واربعون فرسخاً - وهي جامعة لكل وجه من الفوائد ، جمعت البر والبحر والزرع والضرع والنحل والنتاج واجناس الثمار وكثرة الزيتون والأعناب . المغرب في حلى المغرب ١ / ٣٣٩ ومعجم البلدان ٧ / ٣١٩ .

(٣) باجه Beja في البرتغال ، وتقع على بعد ١٨٠ كم جنوب شرق الاشبونة وكانت تضم كورة واسعة ، وهي على مسافة ٦٦ كم من الحدود الفاصلة بين اسبانيا والبرتغال حالياً .

المجتمع وتنظيمه خلال هذه الفترة واعطاء القوات فترة للاستعداد من اجل متابعة العمليات ، وفي عقب شوال ، توجه بقواته يريد الوصول الى طليطله .

توفرت المعلومات عند موسى بن نصير عن تجمع قوات القوط بقيادة لذريق في الجبال الشمالية لوادي انه [١] ، فقرر استدعاء طارق لملاقاته بقواته ، وكتب اليه ، فتوجه طارق بقواته عبر وادي « الأروكامبو » [٢] وتابع موسى تقدمه فوصل طلبيرة وتوقف فيها فترة قصيره .

سار طارق مسافة قدرها مائة وخمسين كيلو متراً في الطريق من طليطلة في اتجاه طلبيره [٣] وتوقف في انتظار تقدم موسى بن نصير ، ثم انطلق موسى من طلبيره وتم اللقاء في تيتار ، او « تايد » [٤] وترجل طارق وتقدم من مولاه فوضع موسى السوط على رأسه ووبنه « انبه » فيما كان من خلاف رأيه وتجاوزه لما كان طلب اليه ان يتوقف عنده ودخله بغير امره .. وقال موسى له :

[يا طارق ، انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من ان يمنحك الاندلس ، فاستبحه هنيئاً مريئاً ..]

فأجابه طارق :

[انما انا مولاك وهذا الفتح لك .. ووالله لا ارجع عن قصدي هذا ما لم أنته الى البحر المحيط اخوض فيه بفرسي ..]

وقبل موسى اعتذار طارق ، واستعرض قوات المسلمين في الوادي بين التاجه ونهر التيتار وحمل الوادي منذ ذلك الحين اسم المعرض .. [٥]

---

(١) وادي انه ، في سلسلة جبال سيرادي ـ فرانتيا Sierre - de, Francia ويخترق الوادي « نهر انه » الذي تقع عليه مدينة بطليوس . المغرب في حلى المغرب ١ / ٢٩٣ .

(٢) وادي الأروكامبو Valle de Arrocampo يحاذي محور طلبيره – طليطله .

(٣) طلبيره ، Talavera .

(٤) تيتار او تايد Teitar .

(٥) المعرض ، AL Maraz .

– دفع موسى مقدمة له بقيادة طارق بن زياد ، وتابع تقدمه عبر الطريق الروماني القديم من مارده الى سلمنقه [١] وتجاوز ، باب سليت » [٢] ثم وصل مفرق طريق مارده « سلمنقة » ومنها الى « البادو تورس » [٣] ثم الى «ثيوداد » رودريكو [٤] وتابع تقدمه في الوادي الذي حمل فيما بعد اسم «وادي موسى» [٥] حتى وصل سيجويلا دي لوس كور نخيوس [٦] قريباً من بلدة تمامس [٧] حيث حدثت المعركة المعروفة باسم معركة السواقي .

ـ كان رودريك قد حشد قواته عند نهر باربا لوس [٨] مستفيداً من صعوبه الأرض ، وعندما وصل المسلمون انقض عليهم وكانت معركة ضارية قاتل فيها المسلمون بتصميم وعناد حتى استطاعوا انتزاع النصر ، ونجح مروان بن موسى بقتل رودريك ، وتمزقت قوات القوط شر ممزق ، وكانت هذه المعركة هي آخر مقاومة منظمة استطاع رودريك وضعها في طريق زحف المسلمين . [٩]

---

(١) سلمنقه Salamanca .

(٢) باب سليت Puerto de Slete Carraras .

(٣) ألبادو تورمس Alba de Tormes .

(٤) ثيوداد رودريكو Gludad Rodrico .

(٥) وادي موسى Valmuza .

(٦) سيجويلا دي لوس كورنيخوس Segoyuela, de Los cornejos .

(٧) تمامس Tamamee .

(٨) بارباوس Barbalos .

(٩) تاريخ الاسلام الذهبي ٣ / ٣٢٤ – ٣٢٥ . اخبار مجموعة ١٨ . نفح الطيب ١ / ٢٤٢ و ٢٧١ . تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ٩٨ . قادة فتح المغرب العربي ٢٦٢ .

– هناك بعض المصادر العربية التي تذكر مقتل رودريك واختفاؤه في معركة الارك لكن مؤرخي الاندلس وبعض المصادر العربية تثبت ان مقتل رودريك كان في معركة السواقي وهو الأرجح .

٦ – معاودة فتح طليطلة :

اعاد موسى تنظيم قواته بعد المعركة ودفع مقدمة لقواته بقيادة طارق بن زياد وتوجه الى طليطله .

– كانت بقايا قوات القوط قد افادت من مغادرة جيش طارق لطليطله فأعادت تنظيم مقاومتها ، وتحصنت وراء اسوار المدينة ، لكن انهيار جيش رودريك في معركة السواقي وقوة صدمة العرب المسلمين حطمت مقاومة القوط ودخل موسى طليطلة ظافراً ، واستولى على ما ضمتـــه كنائسها واديرتها من كنوز .

– توقف موسى في طليطلة لاعادة تنظيم المجتمع الجديد ، والاستعداد لمتابعة عملياته .

– لم يكد (موسى) يستقر في (طليطلة) حتى سارع بضرب عملة ذهبية ليدفع منها رواتب الجند الذين كانوا معه [1] .

– وعمل « موسى » على جمع الغنائم ، وإخراج الخمس وإرساله إلى بيت مال المسلمين في دمشق وأرسل وفداً يحمل بشائر الفتح إلى الخليفة وكان في الوفد علي ابن رباح ، ومغيث الرومي واحتفظ موسى بقدر من الغنائم لحملها في المستقبل إلى دمشق ومن بينها تيجان الملوك [2] .

– وعندما أنهى موسى استعداده ، وتحقق له الاستقرار في قاعدة عمليـــاته

---

(١) فجر الاندلس ١٠٠ .

(٢) الحلل السندسية ١ / ١٦٩ . وبغية الملتمس ٩ وفيه :

(... عندما انتهى طارق الى مدينة طليطلة وهي مدينة الملوك وجد فيها بيتاً يقال له بيت الملوك ووجد فيه خمسة وعشرين تاجــاً مكللة بالدر والياقوت وهي على الملوك الذين حكموها كلما مات ملك جعل تاجه في ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وكم أتى عليه من الدهر الى يوم مات وكم عدد من سبقه من ولاة الاندلس منذ افتتحت الى يوم ولايته ..) وفي اخبار مجموعة ٢٨ ، وتاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية ١٤٠ – ١٤١ مزيد من التفاصيل .

« طليطلة » أعاد تنظيم جيشه وانطلق به لمتابعة الفتوح واضعاً هدفـــه الأول الاستيلاء على سرقسطه [١] .

٧ - فتح سرقسطة وفتوح الشمال :

- دفع موسى مقدمه لقواته بقيادة طارق بن زياد ووضع هدفـــه الأول الاستيلاء على سرقسطة « عاصمـة الثغر الأعلى » [٢] ومضى موسى يتتبع المقدمة على محور ، مغام [٣] ، وادي الحجارة [٤] ، مدينـة سالم [٥] ، قلعـة أيوب [٦] ، سرقسطة .

- لم يلق تقدم المسلمين مقاومة كبيرة بعد سقوط طليطـــلة ، وتمزق جيش القوط في معركة « السـواقي » (فقد القى الله الرعب في قلوب العدو فلم يعارضها

---

(١) سرقسطة : مدينة بناها القيصر اغسطس فحملت اسمـــه Ceasar - Augusta عام ٢٣ ق.م فوق انقاض مدينة ايبيريه اسمها سلدوبا Salduba وقيل ان موسى بن نصير شرب من ماء نهر جلق بسرقسطة فاستعذبه وسأل عن اسمه ونظر الى ما عليه من البساتين فشبهها بغوطة جلق الشام ، وتقع سرقسطة على نهر ابره يشتق منـــه نهر جلق Gallego جاريا الى الشمال بينما يسير نهر شالون Jalon وهرفا Huerva الى الجنوب ، وكان استيلاء المسلمين على سرقسطة سنة ٩٤ هـ - ٧١٢ م بعد اخذهم طليطلة بقليل حيث زحف اليهـــا موسى بن نصير ففتحها وفتح القصاب والحصون التي حولها .. معجم البلدان ٥ / ٧١ - الحلل السندسية ١ / ١١٩ و ٢ / ١٩١ . المغرب في حلى المغرب ٢ / ٤٣٤ ونفح الطيب ١/١٥٠ و ١٩٦ .

(٢) قسمت الاندلس بعد الفتح الى ثغور ثلاثة « مناطق عسكرية » :

آ - الثغر الاعلى - أو - الثغر الاقصى ، ويشمل سرقسطة وكورتها .

ب - الثغر الاوسط ، ويشمل مدينتي سالم ويمتد حتي طليطلة .

ح - الثغر الادنى ، ويشمل قويرة والكورة المحيطة بها .

(٣) مغام MAGAM .

(٤) وادي الحجاره GUADALJARA من اعمال طليطلة.

(٥) مدينة سالم MEDINACELI تضم الكورة المسماة بكورة سالم ايضا وقبرّ المنصور ابن أبي عامر في مدينة سالم وهي من المدن الجليلة ويقال ان طارق وجد فيها مائدة سليمان .

(٦) قلعة ايوب KALAT AYOUB والاسبان يقولون CALATAYUE بانيهاايوب ابن حبيب اللخمي ابن اخت موسى بن نصير وهي بقرب مدينة سالم بينها وبين دروقة ١٨ميل.

أحد الا بطلب الصلح وموسى يجيء على اثر طارق في ذلك كله ويكمل ابتداؤه ويوثق للناس ما عاهدوه عليه فلما صفا القطر كله وطامن نفوس من اقام على سلمه ووطأ لاقدام المسلمين في الحلول به أقام لتمييز ذلك وقتاً ...)

– بعد مراحل من المسير والتوقف وصلت طلائع المسلمين حتى مشارف سرقسطة وكان أهلها قد أخذوا في مغادرتها والفرار بعيد عنها حيث الجبال والمناطق المقفرة (واخذ اسقف المدينة « بنسيو » [1] ومن معه من الرهبان في جمع كتبهم المقدسة وذخائرهم الموروثة وقرروا الهجره من البلد والفرار بهذه الذخائر وعلم موسى بذلك فأرسل اليهم رسولاً يؤمنهم ويعطيهم عهده فسكنت مخاوفهم وعدلوا عن مغادرة مدينتهم التي دخلها المسلمون [2] واقاموا حامية فيها واحتفظ فيها حنش بن عبد الله الصنعاني مسجداً حمل اسمه[3] ، ثم تابع موسى تقدمه فاحتل وشقة [4] ولاردة [5] وطركونة [6] .

عندما تجاوزت قوات المسلمين سرقسطة،اخذت بقايا قوات القوط في التجمع في محاولة اخيرة لايقاف زحف المسلمين ، وتمركزت المقاومات في القلاع الشمالية، فتوجه موسى اليها وخاض معارك قاسية والجأها الى الحصون ثم حاصرها بضعاً وعشرين ليلة فلما طال ذلك على موسى . استنفر قواته كلها وحشدها لمعركة حاسمة وجاء في وصف هذه المعركة على لسان احد شهودها حيث قال :

---

(١) الكاهن ، بنسيو BENCIO .
(٢) قجبر الاندلس ١٠٢ ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٠ .
(٣) صفة جزيرة الاندلس ٩٧ .
(٤) وشقة HUESCA ، من مشاهير مدن الثغر شمال سرقسطة .
(٥) لاردة LERIDA ، مدينة مشهورة من مدن الثغر ، تقع الى شرق قرطبة تتصل اعمالها باعمال طركونة .
(٦) TARRAGONA ، مدينة تقع على ساحل البحر الابيض المتوسط بينها وبين لاردة خمسون ميلاً .

[... ظننا ان موسى ، قد بلغه مادة [1] من العدو وقد دنت منا وانه يريد التحول عنهم فاصبحنا على تعبئة فقام فحمدالله ثم قال : ايها الناس ! اني متقدم امام الصفوف فاذا رأيتموني قـــد كبرت وحملت فكبروا واحملوا فقال الناس : سبحان الله .. اترى فقد عقله أم عزب عنه رأيه ؟ يأمرنا نحمل على الحجارة وما لا سبيل اليه ؟ فتقدم بين يدي الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه وأقبل على الدعاء والرغبة فاطال ، ونحن ركوب منتظرون تكبيرة فاستعددنا ثم ان موسى كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس [2] ثم جال المسلمون جولة وهموا بالهزيمة فامر موسى بن نصير بسرادقه فكشف عن ثيابه وحرمه حتى يرون وبرز بين الصفوف ... وكسرت بين يديـه اغماد السيوف ... [3] ثم فتح الله ونزل النصر ...] [4] .

– اندفعت قوات المسلمين بعد هذا النصر الحاسم لاكمال فتح القسم الشرقي من الاندلس وقاد طارق المجموعة المتقدمة وامكن له احتـــلال طرطوشة [5] وبلنسيه [6] وشاطبة [7] ودانية [8] دون مقاومة كبيرة. وبذلك سيطر المسلمون على القسم الأكبر من الأندلس ولم يبق الا بعض المقاومات في الغرب «جيليقيه» وقسم في الشمال فيما وراء جبل البرتات « البيرنيه » .

(١) مادة : مدداً ودعما .
(٢) الامامة والسياسة ٢/٧٩ .
(٣) كسرت بين يديه اغماد السيوف ، كناية عن الاستقتال « والتصميم على الشهادة » .
(٤) تاريخ الاسلام ـ الذهبي ـ ٤ ـ ٥٨ وتاريخ افتتاح الاندلس ، ابن القوطية ١٤٩ .
(٥) طرطوشة ،TORTOSA ، مملكة في شرق بلنسية ، بهـا قلعة اشتهر أمرها في عهـد المسلمين ، من مدن الثغر الاعلى .
(٦) بلنسية ، VALENCE ، من اكبر مدن الساحل الشرقي ازدهارا في العصور الاسلامية الى الشمال من دانية على شاطىء البحر وكانت تسمى مدينة التراب .
(٧) شاطبة SATIVA ، اشتهرت بحصنها ، الى الشمال من لقنت ALICAN .
(٨) دانية DENIA ، مدينة عظيمة تنافس بلنسية ، اكتسبت اهمية خاصة في حكـــم ملوك الطوائف .

– كانت الأندلس عند الفتح تضم اليها مقاطعة روسيلون [١] المسماة بالبيرنية الشرقية والتي كانت «بيربينيان» [٢] قصبتها . بالاضافة الى قسم من اللانغدوك [٣] وهي المقاطعة الواقعة الى الشمال من روسيلون وطلوشة « تولوز » قصبتها وقسم من البروفانس في جنوب فرنسا تضم جبال الالب السفلى ومصاب نهر الدون وبلاد نفار والفوكلوز .

تابعت قوات المسلمين تقدمها في اتجاه شمال شرق الأندلس واخترقت الثغرة بين جبال البيرنيــــه والبحر الأبيض المتوسط – عبر المحور الذي سبق لقوات قرطاجة اختراقه بقيـــادة هانيبال – هانيبعل – حيث خاضت معركة كاني الشهيرة في ايطاليا ٢١٦ ق.م .

– استولت قوات المسلمين في طريق زحفها على برشلونة [٤] ثم انتقلت منها الى جرندة [٥] وتابعت تقدمها حتى وصلت اربونة [٦] واصبح باستطاعتها التوغل فيما وراء جبل البرتات ..

– اتبعت قوات المسلمين في تقدمها محورين محور شمـــالي حيث وادي نهر الرون [٧] « ودونة » ووصلت حتى ليون «لودون» [٨] كما توجهت غرباً فاستولت

....

(١) روسيلون ROUSSILLON .
(٢) بيربينيان PERPIGNAN .
(٣) اللانغدوك LANGUEDOC .
(٤) برشلونة BARCELONA ، مدينة بينها وبين طركونة خمسون ميلا وهـــي الى الشمال منها .
(٥) جرندة GERONA ، عاصمة احدى مقاطعات كاتالونيا CATALUNA في الطرف الشمال الشرقي من الاندلس على بعد ١٠٠ كم الى الشمال الشرقي من برشلونة على مقربـــة من الحدود الفرنسية .
(٦) اربونة NARBONNE وبقيت قاعدة الحدود بين العرب والافرنجـــة طوال نصف قرن . وهي الى الشمال الشرقي من قرقشونة ، على الساحل الجنوبي لفرنسا .
(٧) وادي ردونة، RHONE يخترقه نهر الرون الذي يصب جنوبا في البحر الابيض المتوسط.
(٨) لودون ، او لونون ، ليون LEON .

على قرقشونة [١] « كاركاسون » وجعل المسلمون من أفنيون [٢] وأربونة . قواعد متقدمة لعملياتهم [٣] .

– اوغل المسلمون في تقدمهم حتى انتهوا الى وادي ردونة (فكان اقصى اثر العرب ومنتهى موطئهم من ارض العجم ... (وسيطرت قواهم على اربونة وصخرة ابنيون ، وحصن لودون على وادي ردونه)... فارتاع قارله[٤] ملك الافرنجة بالأرض الكبيرة وانزعج لانبساطهم فحشد لهم وخرج عليهم في جمع عظيم فلما انتهى الى الحصن لودون وعلمت العرب بكثرة جموعه زالت عن وجهه واقبل حتى انتهى الى حصن ابنيون ، فلم يجد بها احداً وقد عسكر المسلمون فيما بين (الجبال) المجاورة لمدينة اربونه .. وقاتل المسلمون قتالاً شديداً استشهد فيه جماعة منهم ، وحمل جمهورهم على صفوفه حتى اخترقوها ودخلوا المدينة ولاذوا بحصانتها .. فنازلهم بها اياماً اصيب له فيها رجال ، وتعذر عليه المقام وخامره ذعر وخوف مدد للمسلمين ، فزال عنهم راحلاً الى بلده وقد نصب في وجوه المسلمين حصوناً على وادي ردونة شكلها بالرجال فصيرها ثغراً بين بلده والمسلمين ..] [٥]

– بعد هذا الفشل [**اجتمعت الافرنج الى ملكها الاعظم قارلة ... وقالت له : ما هذا الخزي الباقي في الأعقاب ؟ كنا نسمع العرب ونخافهم من جهة مطلع الشمس حتى أتوا من مغربها واستولوا على بلاد الاندلس وعظيم ما فيها من العدة والعدد بجمعهم القليل وقلة عدتهم وكونهم لا دروع لهم فقال لهم ما معناه:**

....

(١) قرقشونة « كاركاسون » CARCASSONNE الى الجنوب من تولوز ، على خط طول غرينيتش في جنوب فرنسا وقريبة من الحدود الاسبانية ، حيث جبال البيرينة .

(٢) أفنيون ، AVIGNON .

(٣) تاريخ غزوات العرب ، اوسلان ، ٦٤ .

(٤) قارله CARLUS - CHARLES هو شارل مارتل .

(٥) نفح الطيب ـ المقري /١/٢٧٤ .

الرأي عندي أن لا تعترضوهم في خرجتهم هذه فانهم كالسيل يحمل من يصادره وهم في اقبال أمرهم ، ولهم نيات تغني عن كثرة العدد وقلوب تغني عن حصانة الدروع ولكن أمهلوهم حتى تمتلىء ايديهم من الغنائـــم ويتخذوا المساكن ويتنافسوا في الرياسة ويستعين بعضهم ببعض فحينئذ تتمكنون منهم بأيسر امر ...] [1] .

ـ بدا التذمر بين صفوف المقاتلين واخذوا يتساءلون منذ تجاوزوا سرقسطه [اين يذهب بنا ؟ حسبنا ما بأيدينا ..] [2] .

وعندما او غلت قواتهم فوصلت ما وصلته من ارض اغاليا ، وتجاوزوا قرقشونة وقف التابعي حنش الصنعاني ليذكر موسى بأحاديثه السابقة حول عمليات عقبة بن نافع وقوله :

(لقد غرر ، عقبة ، بنفسه حين وغل حيث وغل والعدو عن يمينه وعن شماله وامامه وخلفه ، وما كان معه رجل رشيد ينصحه ..) .

ثم امسك حنش بعنان موسى وقال له :

(... ايها الأمير اني سمعتك وانت تذكر عقبة بن نافع وتقول لقد غرر بنفسه وبمن معه ، وما كان معه رجل رشيد ، وأنا رشيدك اليوم. اين تذهب؟ تريد ان تخرج من الدنيا او تلتمس اكثر واعظم مما اعطاك الله .. واعرض مما فتح الله عليك ودوخ لك ،اني سمعت من الناس ما لاتسمع وقد ملوا ايديهم.. واحبوا الدعة .. فضحك موسى ثم قال : ارشدك الله ، وكثر في المسلمين مثلك ثم انصرف قافلا الى الاندلس وقال موسى يومئذ : اما والله لو انقادوا الي لقدتهم حتى اوقفتهم على رومه ، ويفتحها الله على يدي ...) [3] .

---

(١) نفح الطيب ١/ ٢٧٥ .

(٢) نفح الطيب ١/٢٦٧ .

(٣) تاريخ افتتاح الاندلس ابن القوطية ١٥٣ وتاريخ غزوات العرب ٦٤ ، ودراسات في تاريخ الاندلس وحضاراتها احمد بدر ٢٨ ، والامامة والسياسة ٢/٨٠ والمقتبس من ابناء اهل الاندلس ٢٣٨ و ٢٤٢ .

ـ رجع موسى بقوته الى طليطلة وذلك بعد ان نظم الثغور واقام حاميات للدفاع عنها ، واخذ في تنظيم المجتمع الجديد ، والاستعداد لتصفية بقية المقاومات في الغرب وانتشر المسلمون في كل مكان من الأندلس .

٨ - فتوح شمال غرب الأندلس « جيليقية » :

ـ أفاد موسى من فصل الشتاء ، فأعاد تنظيم قواته وأرسى قواعد المجتمع الجديد ، ونجح في اثارة حماسة جنده لمتابعة الفتوح ، وبينما كان يستعد لانطلاقته الجديدة كان مغيث الرومي قد نجح في اثارة مخاوف الخليفة الأموي الوليد ، فكلفه بابلاغ موسى ضرورة العودة الى دمشق . لكن موسى نجح في اقناع مغيث بالمسير معه لفتح جيليقية حيث لم يبق في الأندلس بلد لم تدخله العرب الى وقته غيرها ، وقد وهب موسى مغيثاً الموضع الذي ينسب اليه ويعرف باسم « بلاط مغيث » بجميع أرضه ـ من أرض الخمس ـ لقاء مشاركته في أعمال الفتح.

ـ وضع موسى مخططه على أساس احتلال اقليم « القلاع ـ أو ـ قشتالة القديمة »[١] ، فقسم جيشه الى مجموعتين قتاليتين تولى قيادة الأولى طارق بن زياد وتولى هو قيادة المجموعة الثانية .

ـ انطلق طارق في تحركه على محور سرقسطة ـ محور نهر إبره[٢] ـ امايه[٣] ليون[٤] ـ استرقة[٥] ، حيث كان هناك طريق روماني قديم في سفوح جبال

....

(١) قشتاله القديمة Castilla - la Vieja ، اقليم عظيم بالاندلس ، قصبة طليطلة .

(٢) نهر ابره Ebro ، نهر ينبع من جبال كنتبريه ويشرق فيصب في البحر المتوسط ، ومن اشهر المدن عليه سرقسطه وطرطوشه .

(٣) امايه Amaya .

(٤) ليون Leon ، بلد في اقليم جيليقيه .

(٥) استرقه « اشترقه » Astroßa ، من اقليم جيليقيه الى الغرب في اتجاه الشمال من مدينة نبله Neibla .

كنتبريه ، واصطدم طارق بقوات « البشكنس »[١] في غرب نهر إبره ، ووجد زعيم البشكنس واسمه « مُزْتُون » انه لا قبل له بحرب المسلمين فانضم اليهم واعتنق الاسلام فأعفيت منطقته « شيه »[٢] من التخميس . ثم تابع طارق سيره ففتح امايه وليون واسترقة .. وكان ذلك في عام ٩٢ هـ ـ ٧١١ م[٣]..

وبذلك سيطرت قوات المسلمين على السفوح الجنوبية للبيرينه بما فيها بمبلونا[٤].

في الوقت الذي تحرك فيه طارق على المحور الشمالي ، اندفع موسى بتقدمه عبر المحور الجنوبي مستفيداً من حماية طارق لجناحه الأيمن وسيطرة المسلمين على المناطق الجنوبيـــة ، وكان مسيره على محور سرقسطة ـ حصن بارو[٥] ـ بلد الوليد[٦] ـ تارنا[٧] لك[٨] عبر اقليم قشتالة القديمـة ـ وادي نهر النالون[٩] ـ اقليم جيليقيه[١٠].

ـ انطلق موسى بجيشه وسار بسرعة عبر اقليم قشتالة ولقي مقاومة ضعيفة

(١) البشكنس Lies Basques ، قوم كانوا يقطنون جبـــال البيرنيه وتزوج الحكم بن الناصر منهم بالسيدة صبح البشكنسية التي كان لها دور كبير في ادارة الدولة .

(٢) شيه Ejea .

(٣) الرسالة الشريفية في الاقطار الاندلسية ٢٠٠ ـ ٢٠٤ ، اخبـــار مجموعة ١٥ تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٣ .

(٤) بمبلونا Pamplona أو Pampeluna ، عاصمة ولاية نافار Navara كانت من ممالك اسبانيا النصرانية على عهد المسلمين .

(٥) حصن بارو ، او باروز Villa Baruz قلعة قريبة من بلد الوليد .

(٦) بلد الوليد ، Valla - Dolid

(٧) تارنا Tarna .

(٨) لك ، هي Lucus - Asturum ، وتسمى اليوم Santa - maria de Lugo

(٩) نهر النالون ، Nalon .

(١٠) اقليم جيليقيه Galicia ويسميها العرب ايضاً غاليسيه .

عند حصن بارو، ثم قام باستدارة واسعة نحو الشمال حتى وصل لك بأشتوريش[1] حيث توقف فيها ووجه مجموعات قتالية ففتحت أبيط[2] وسار هو الى خيخون[3] ووجه سرية فاحتلت صخرة « بلاي »[4] على المحيط « البحر الأخضر » وعمل موسى على تنظيم المناطق التي فتحها وأقام الحاميات في المراكز الهامة ، وتحقق الأمن والاستقرار ونزل العرب والبربر في كل موضع استحسنوه ، واستقروا في كل مكان من الأندلس .

– وفي هذه المرحلة (وبينما موسى كذلك في اشتداد الظهور وقوة الأمل إذ قدم عليه رسول آخر من الخليفة يكنى أبا نصر أردف به الوليد مغيثاً لما استبطأ موسى في القفول وكتب اليه يوبخه ويأمره بالخروج وألزم رسوله ازعاجه ، فانقلع حينئذ من مدينة لك بجيليقيه وخرج على الفج المعروف بفج موسى ووافاه طارق في الطريق منصرفاً من الثغر الأعلى فأقفله مع نفسه ومضيا جميعاً ومعهما من الناس من اختار القفول ، وأقام من آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا قد اختطوها واستوطنوها وقفل معهم الرسولان مغيث وأبو نصر حتى احتلوا باشبيلية)[5] .

---

(١) اشتوريش Asturias أو اشتريس .

(٢) ابيط Oviedo ويسميها ابن حوقل اوبيط .

(٣) خيخون Gijon .

(٤) صخرة بلاي Pena de Pelayo وهي أقصى نقطة من اشتوريش على المحيط الاطلسي « البحر الاخضر » وتسمى صخرة بلاي نسبة الى مجموعة من المقاومة تزعمها بلاي .

(٥) نفح الطيب ١ / ٢٧٦ ، وأخبار مجموعة ١٩ . وفي نفح الطيب ١ / ٢٧٧ ان المسلمين أوغلوا في بلاد الافرنج حتى وصلوا مفازة كبيرة وارض سهلة ذات آثار فأصاب فيها صنماً قائماً كالسارية مكتوباً فيها بالنقر كتابة عربية قرئت : (يا بني اسماعيل ، انتهيتم فارجعوا ...) فهاله ذلك وقال ما كتب هذا الا لمعنى كبير فشاور أصحابه في الاعراض عنه وجوازه الى ما وراءه فاختلفوا عليه فأخذ برأي جمهورهم وانصرف بالناس وقد أشرفوا على قطع البلاد وتقصي الغاية ... ولا حاجة لدحض هذه الرواية في أسباب توقف موسى عن متابعة الفتح .. فالاحداث في حد ذاتها تدحضها وتسقطها ..

٩ - فتح عبد العزيز بن موسى في الاندلس :

بعد قمع حركة التمرد في اشبيليا ، بقيادة عبد العزيز بن موسى ، ظهرت ضرورة تصفية المقاومات في غرب الأندلس ، فانطلق عبد العزيز لتصفية المقاومات وحماية الجناح الأيسر لتقدم والده وقائده موسى بن نصير . وهناك تناقض في تاريخ تنفيذ عمليات عبد العزيز بن موسى ، لكن الاحتمال الأرجح هو أن سير عمليات عبد العزيز سارت متوافقة مع عمليات موسى بن نصير ، ومما يثبت هذا الاحتمال ورود عدد من النصوص التاريخية التي تجمع على أن الأندلس فتحت بكاملها عندما غادرها موسى بن نصير عائداً الى دمشق .. وان (سائر البلاد خمست وقسمت بحضر التابعين الذين كانوا مع موسى ابن نصير ...) .

انطلق عبد العزيز بن موسى من اشبيليا واتبع في تقدمه محور - لبله - باجه - يابره[1] وعبر نهر تاجه حتى وصل شنترين[2] ثم تابع زحفه شمالاً فاحتل قلمريه[3] ، وتابع مسيرته بهدف الالتقاء مع قوات أبيه في استرقه .

- بعد مطاردة عبد العزيز لفلول المقاومة وتصفيتها في لبله وباجه ، استمرت عمليات فتوح غرب الأندلس دون مقاومة كبرى وأخذت المدن والقلاع تتساقط في أيدي المسلمين وتستسلم لهم ، وقد أمضى عبد العزيز بن موسى عام ٩٣ - ٩٤هـ

....

(١) يابره Evora ، بلد في غرب الاندلس ، من المدن المشهورة في المملكة البطليوسية ، كثيراً ما يذكرها ابن عبدون في شعره .

(٢) شنترين Santarem ، مدينة معدودة في كورة باجه من منطقة الغرب (أي البرتغال) وتبعد ٦٧ كيلومتراً عن الاشبونه - شمالاً - ، تقع على نهر تاجه وقريباً من انصبابه في البحر المحيط .. وهي مدينة حصينة ، وأرضها غابة من الكرم والطيب ، وكانت ولاتها في عهد المسلمين تتردد عليها من أشبونه .

(٣) قلمريه Coimbra .

في فتح الغرب وتنظيمــه وترك الحاميات فيه ، وعندما التقت قواته بالقوات الرئيسية في الشمال كان على موسى بن نصير العودة الى اشبيلية ، فرافقـه عبد العزيز في طريق العودة ، وعندما وصل الجميع الى هدفهم (استخلف موسى ابنه عبد العزيز في اشبيلية ، بعد أن اختارها عاصمة للأندلس ، لاتصالهـا بالبحر ، وترك معه حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري وزيراً له ومعينـاً وترك العساكر ووجوه القبائل من يقوم بحماية البلاد وسد الثغور وجهاد العدو) وانتهت بذلك مرحلة من المراحل الحاسمة في فتح الأندلس[4] ...

—★—

٤ الرسالة الشريفية الى الاقطار الاندلسية ٢٠٠ ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٩ ، تاريخ افتتاح الاندلس ٣٦ .

قراءات

موسى بن نصير اللخمي « أبو عبد الرحمن »

١٩ – ٩٧ هـ – ٦٤٠ – ٧١٨ م

– كان أبوه من سبايا « عين تمر » حيث سباهم خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ وهم صبية . أعتقه بعض بني أمية فرجع الى الشام ثم أصبح من حرس معاوية بن أبي سفيان وأصبح بعد ذلك على حرس معاوية وعلى جيوشه .

– ولد موسى في « كفر مترى » من قرى جبل الخليل في الشام ، ونشأ في بيئة شديدة الصلة بالبيت الأموي ، وفي أسرة امتاز أفرادها بالجرأة والصراحة والتقى .

– كان أول عهد موسى في القيادة توليه قيادة البحر أيام معاوية بن أبي سفيان .

سنة ٦٤ هـ ، كان موسى من أنصار عبد الله بن الزبير واشترك في معركة مرج راهط ، وعندما انتصر مروان بن الحكم هرب موسى الى مصر والتجأ الى عبد العزيز بن مروان الذي توسط له بالصلح عند أبيه .

سنة ٦٥هـ : عمل مروان بن الحكم على تعيين موسى بن نصير وزيراً ومشيراً لابنه عبد العزيز في ولاية مصر .

سنة ٧١ هـ : ولى عبد الملك بن مروان أخاه بشر بن مروان الكوفة ثم ولاه البصرة سنة ٧٣ هـ فاجتمع له المصران الكوفة والبصرة وجعل عبد الملك معه موسى وزيراً ومشيراً .

سنة ٧٥ هـ : توفي بشر بن مروان أمير العراقين بالبصرة وولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي العراق فاتهم موسى بن نصير أنه احتجن الأموال لنفسه فهرب الى مصر حيث أنقذه عبد العزيز بن مروان ـ من جديد ـ .

سنة ٨٥ هـ : وجه غزوة الأشراف لفتح صقلية .

سنة ٨٦ هـ : عين الوليد بن عبد الملك ، موسى بن نصير لولاية افريقية ، فقاد موسى عمليات الفتح ، ووصل حتى المحيط ولم تمتنع سوى « سبتة » فعين موسى قوة لحصارها بقيادة طارق بن زياد ، ونجح في تحقيق الاستقرار .

سنة ٨٩ هـ : وجه قوة بحرية ففتح سردانية ، كما وجه قوة أخرى لفتح ميورقه ومنورقه .

سنة ٩١ هـ : وجه موسى قوة استطلاعية بقيادة يوليان ، ثم طريف ..

سنة ٩٢ هـ : وجه موسى قوة لفتح الاندلس بقيادة طارق بن زياد ، عددها سبعة آلاف مقاتل ثم دعمه بقوة أخرى من خمسة آلاف مقاتل .

سنة ٩٣ هـ : قاد موسى بن نصير قوة ١٨ ألف مقاتل لدعم الفتوحات ، واكمال فتح الأندلس .

سنة ٩٦ هـ : عاد موسى الى دمشق بأمر من الوليد بن عبد الملك ، وقد عومل معاملة سيئة من قبل سليمان بن عبد الملك .

سنة ٩٧ هـ : خرج سليمان بن عبد الملك الى الحج ، وفي ركبه موسى بن نصير حيث توفي موسى في وادي القرى ..

—★—

طـــارق بن زياد [١]

٥٠ – ١٠٢ هـ – ٦٧٠ – ٧٢٠ م

طارق بن زياد ، الليثي بالولاء ، أصله من البربر ونسبه طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاس بن وهاص بن يطوفت بن نفزاو ، أسلم على يد موسى بن نصير ، فكان من أشد رجاله بأساً ..

سنة ٨٩ هـ : وبعـــد أن تم لموسى فتح طنجة ولى عليها طارقاً على رأس حامية مكونة من تسعة عشر ألف مقاتل معظمهم من البربر .

سنة ٩٢ هـ : توجه طارق الى الاندلس بأمر من موسى بن نصير ومعه قوة مكونة من سبعة آلاف مقاتل وخاض معركة حاسمة في وادي لكه انتصر فيها على رودريك ملك القوط ، ثم تابع زحفه فاستولى على اشبيليا واستجه ووجه قوة بقيادة مغيث الرومي فاستولى على قرطبة بينما توجـــه طارق شمالاً حتى استولى على طليطلة ، وجعلها قاعدة انطلق منها لاحتلال وادي الحجـارة [٢]، وفج طارق [٣] ، ومدينة سالم[٤] حيث عثر فيها على المائدة التي اكتسبت شهرة خاصة في التاريخ .

سنة ٩٣ هـ : التقت قوات طارق بقوات موسى بن نصير التي قدمت بطلب دعم من طارق ثم توجه طارق كمقدمة لموسى من أجـــل متابعة الفتوح شمالاً حيث استولت قوات المسلمين على وادي ردونه « وادي الرون » في فرنسا .

سنة ٩٦ هـ : توجه طارق الى دمشق مع موسى بن نصير ومغيث الرومي

---

(١) المرجع : نفح الطيب ١ / ٢٥٠ والبيان المغرب ١ / ٢٣ . الكامل في التاريخ لابن الاثير ٤ / ٢١٢ ، تاريخ ابن عساكر ٧ – ٣٨ .

(٢) وادي الحجارة : Guadalajara .

(٣) فج طارق : Buitroco .

(٤) مدينة سالم : Medinaceli .

وغيرهم ، وشكى ما لقيه من حيف للوليد فأنصفه ، وكان الوليد يعتزم تعيينه لولاية الاندلس لكن وشاية مغيث الطامح لولاية الاندلس، أعاقت الوليد ومنعته من تنفيذ ما قرره .

– لم يذكر المؤرخون شيئاً عن طارق بعد وصوله الى دمشق وأحيطت نهايته بستار من الصمت .

– تميزت قيادته بالجرأة والاندفاع والسيطرة القوية على القوات ، في حين تميزت قيادة موسى بالحكمة والتخطيط السليم والتقدير الجيد للمواقف فكان كل قائد مكمل لدور الآخر ..

– أنشد طارق في الفتح قصيدة جاء فيها :

ركبنا سفيناً بالمجاز مقيراً عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوساً وأموالاً وأهلاً بجنة اذا ما اشتهينا الشيء فيها تيسرا
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا اذا نحن أدركنا الذي كان أجدرا

—★—

مغيث الرومي(١)

... – ١٠٠ هـ = ... – ٧١٨ م

مغيث بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني ، وقع في السبي أثناء معارك المسلمين مع الروم وهو صغير ، فضمه عبد الملك بن مروان اليه وأدبه مع ابنه الوليد . ونشأ مغيث في دمشق فأفصح بالعربية وقال الشعر وتدرب على ركوب الخيل وخوض المعارك ، ووجهه الوليد الى الاندلس غازياً مع طارق ، فدفعه طارق لفتح قرطبة ومعه سبعمائة مقاتل ففتحها سنة ٩٢ هـ وأسر ملكها .

....

(١) الاعلام ٨ – ١٩٧ ونفح الطيب ٣/١٢ ، جذوة المقتبس ٣٣٣ وجاء اسمه في بغية الملتمس طبعة « مجريط » ص ٤٦١ ، معتب عوضاً عن مغيث .

- عرف عن مغيث الخبث والدهاء وسلاطة اللسان ، وكان هو يعرف ذلك عن نفسه ، قال له موسى بن نصير وقد عارضه بكلام في محفـــل من الناس ، فأجابه : لساني كالمقصل ، ما أكفه إلا حيث يقتل ..

- واختلف مع طارق وموسى فقال يتوعدهما :

أعنتكم ولكن مـــا وفيتم فسوف أعيث في غرب ٍ وشرق

ونفذ وعيده وتهديده بالوشاية بهما الى الوليد.. وسأله سليمان يوماً عن طارق وقد رغب في تعيين طارق لولاية الاندلس فقال له :

كيف أمره بالأندلس ؟ فأجابه مغيث :

[لو أمر أهلها بالصلاة الى أي قبلة شاءها لتبعوه ولم يروا انهم كفروا ..]
وكانت هذه المكيدة كافية لإثارة مخاوف سليمان حول امكانات تمرد طارق فصرف النظر عن تعيينه ..

- عاد مغيث الى الاندلس واستقر في قرطبة ، ولم يذكر المؤرخون شيئاً عنه لكن من المعروف انه أنجب ذرية كثيرة ، نجبوا في قرطبة وعرفوا ببني مغيث وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحتهم .. وان الاحتمال الارجح هو ان مغيث قضى آخر أيامه في قرطبة ..

—★—

عبد العزيز بن موسى بن نصير(١)

... - ٩٧ هـ = ... - ٧١٦ م

برز دوره القيادي للمرة الاولى عند اعادة فتح اشبيليا ، ثم قام بفتح غرب الأندلس وانضم الى قيادة والده ..

(١) اخبار مجموعة ١٩ ، ونفح الطيب ١/٢٨١ ، وتاريخ افتتاح الاندلس ابن القوطية ٣٦، الاعلام ٤ / ١٥٤ ، ابن الاثير حوادث سنة ٩٧هـ ، بغية الملتمس ٣٧٣ ، جذوة المقتبس ٢٧١، الحلة السيراء ٣١ .

– ولاه أبوه امارة الاندلس عند عودته الى المشرق سنة ٩٥ هـ ، وافتتـح في ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقي على أبيه موسى منها ، وكان من خير الولاة في الاندلس حيث ضبط سلطانها وضم نشرها وسد ثغورها ، لكن مدة ولايته لم تعمر طويلاً .

– تزوج عبد العزيز بن موسى امرأة لذريق – رودريك – ويقال لهـا أم عاصم وكانت قد صالحت على نفسها وأموالها وقت الفتح ، وباءت بالجزية وأقامت على دينها في ظل نعمتها حتى تزوجها عبد العزيز ، فحظيت عنده ، ويقال انه سكن بها في كنيسة باشبيلية ، فقالت له : ان الملوك اذا لم يتتوجوا فلا ملك لهم ، فهل لك ان أعمل لك مما بقي عندي من الجوهر والذهب تاجاً ، فقال لها : ليس هذا في ديننا ، فقالت له : من أين يعرف أهل دينك ما أنت عليه في خلوتك ، فلم تزل به حتى فعـل ، فبينا هو جالس معها والتاج عليه إذ دخلت امرأة كان قد تزوجها زياد بن النابغة التميمي من بنات ملوكهم فرأته والتاج على رأسـه فقالت لزياد ألا أعمل لك تاجاً ، فقال ليس في ديننا استحلال لباسـه ، فقالت فودين المسيح انه لعلى امامكم فأعلم بذلك زياد ، حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة ابن نافع ثم تحدثا به حتى علمه خيار الجند فلم تكن له همة إلا كشف ذلك حتى رآه عياناً ورآه أهله صدقاً فقالوا تنصر .

– ثم ان زوجة عبد العزيز قالت لزوجها : لم لا يسجد لك أهل مملكتك كما كان يسجد للذريق أهل مملكته ؟ فقال لها : ان هـذا حرام في ديننا ، فلم تقتنع منه بذلك ، وفهم لكثرة شغفه بها ان عدم ذلك مما يزري بقدره عندها ، فاتخذ باباً صغيراً قبالة مجلسه يدخل عليه الناس منه فينحنون ، وأفهمها أن ذلك الفعل منهم تحية له ، فرضيت بذلك ، فنمي الخبر الى الجند فثارت ثائرتهم . واكتملت خيوط المؤامرة التي قادها حبيب بن أبي عبيدة الفهري وزياد بن النابغة التميمي . ولما أصبح عبد العزيز بن موسى وخرج الى المسجد وصار في

المحراب قرأ سورة الفاتحة ـ والواقعة، وعندها رفع القوم سيوفهم عليه وأخذوا رأسه وبعثوا به الى سليمان ، وكان ذلك بمسجد « ربينه » وبقي دمه في المحراب فترة طويلة ..

—★—

نهاية موسى بن نصير

١ - [تمادى موسى في سيره بأرض الاندلس مجاهداً حتى انتهى الى ارض تميد بأهلها فقال له جنده : الى اين تريد ان تذهب بنـــا ، حسبنا ما بأيدينا ، فرجع وقال ، لو اطعتموني لوصلت الى القسطنطينية ...] [١]

[واجمع موسى ان يأتي المشرق من ناحية القسطنطينية ويتجاوز الى الشام دروبه ودروب الاندلس ويخوض اليه ما بينهما من امم الاعاجم النصرانيـة مجاهداً فيهم مستلحماً لهم الى ان يلحق بدار الخلافـة . ونمي الخبر الى الوليـد فاشتد قلقه بمكان المسلمـــين من دار الحرب ورأى ان ما هم به موسى غرر بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف ...] [٢] .

ـ كان الوليد حريصاً على حياة المسلمين ، مثله في ذلك مثل السواد الأعظم من خلفاء المسلمين وقادتهم ، وقد ظهر حرص الوليد منذ البداية عندما طلب من موسى بن نصير استطلاع الاندلس بالسرايا ، وعدم التغرير بالمسلمـين ، ثم عندما علم بما قاله موسى خلال فتوحاته ، فطلب اليه العودة الى دمشق ..

[لما فتح المسلمون الاندلس ، جاءهم رجل فقال : ابعثوا معي ادلكم على كنز ، فبعث معه فقال لهم انزحوا ها هنا فنزحوا فســـال عليهم من الياقوت والزبرجد ما أبهتهم فقالوا لا يصدقنا موسى فأرسلوا اليه فجاءه ونظر وقال الليث: ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب تنظم السلسلة الذهب

---

(١) تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ـ الذهبي ٤ ـ ٦٠

(٢) نفح الطيب ٢٣٤/١ ، الامامة والسياسة ٨٨/٢ .

باللؤلؤ والياقوت فكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيقسمانها ...]

[... رجع موسى الى افريقية ـ بعد غزوته في الاندلس ـ وهو راكب على بغل اسمه كوكب وهو يجر الدنيا بين يديه جرأ ، امر بالعجل تجر أوقار الذهب والجواهر والتيجان والثياب الفاخرة ومائدة سليمان .. ومعه مائة من رؤساء البربر ومائة وعشرين من الملوك واولادهم وقدم مصر في أبهة عظيمة ففرق الاموال ووصل الأشراف والعلماء ..]

ـ [لما قدم موسى توجه الى الوليد ... فلما جلس الوليد يوم الجمعة على المنبر اتى موسى وقد ألبس ثلاثين رجلاً التيجان على كل واحد تاج الملك وثيابه ودخل بهم المسجد في هيئة الملوك فلما رآهم الوليد بهت ثم حمد الله وشكر وهم وقوف تحت المنبر وأجاز موسى بجائزة عظيمة ..](١) .

ـ كان ظهور موسى بهذا المظهر من الترف والبذخ ، مع ما حصل عليه من رصيد معنوي بين جماهير المسلمين كافياً لإثارة تخوف أمراء الأمويين وخلفائهم لا سيما وان عهدهم بتمرد الولاة وقادة الجيوش ممن حصلوا على أقل مما حصل عليه موسى قريباً ، ولعل ثورة عبد الرحمن بن الأشعث كانت ماثلة في الأذهان باقية في الذاكرة ، فأخذ مظهر موسى يحرك من القلق ما هو خافياً وأثار الوليد وسليمان من بعده حتى قال سليمان بن عبد الملك الى يزيد بن المهلب حين جاء يشفع لموسى عنده :

[... انه ـ يعني موسى ـ قد اشتمل رأسه بما تمكن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكم في الاموال والابشار ، بما لا يمحوه الا السيف ، ولكن قد وهبت لك دمه وأنا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتى يرد ما غلّ من مال الله ..](٢)

---

(١) تاريخ الاسلام ، الذهبي ٤ / ٦٢ .

(٢) نفح الطيب ١ / ٢٨٤ .

وقد تأكدت مخاوف الوليد وخلفاء الامويين من خلال تصرفات موسى السابقة .

ـ كانت افريقية عندما وصلها موسى في قحط شديد ، فخرج بالناس فاستسقى وأمر رجلاً يصلي بالناس وخطب فيهم ثم اخذ في الدعاء للوليد فأكثر فأرسل اليه موسى : « انا لم نأت لذلك فأقبل على ما قصدنا اليه وجلسنا من أجله » فلم يلتفت الى كلامه وتمادى في حاله رجاء ان يبلغ ذلك الوليد فينال عنده منزلة ، فأمر به موسى فسحب حتى أخرج من بين الناس ثم قام موسى فأخذ بالدعاء [1] .

ـ وكان عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر قد كتب اليه رسالة يهدده فيها فكتب اليه موسى : [... أما بعد .. فقد قرأت كتابك وفهمت ما وصفت فيه من اركاني الى أبويك وعمك ، ولعمري ان كنت لذلك اهلاً ولو خبرت مني ما خبرا لما صغرت مني ما عظما ولما جهلت من أمرنا ما علما فكيف أتاه الله لك . فأما انتقاصك لهما فهما لك وأنت منهما ولهما منك ناصر لو قال وجد عليك مقالاً وكفاك جزاء العاق . فأما ما نلت من عرضي فذلك موهوب لحق أمير المؤمنين لا لك . وأما تهددك إياي بأنك واضع مني ما رفعا فليس ذلك بيدك ولا إليك فارعد وابرق لغيري . وأما ما ذكرت مما كنت آتي به عمك عبد العزيز ، فلعمري اني ما نسبتني اليه من الكهانة لبعيد واني من غيرها من العلم لقريب فعلى رسلك فكأنك قد أظلك البدر الطالع والسيف القاطع والشهاب الساطع فقد تم لها وتمت له [2] ، ثم بعث اليك الأعرابي الجلف الجافي فلم نشعر به حتى يحل بعقوتك [3] فيسلبك سلطانك فلا يعود اليك ولا تعود اليه

---

(١) رياض النفوس ١ - ٧٨ .

(٢) الضمير للخلافة .

(٣) عقه : الشعر الذي يولد عليه كل مولود .

فيومئذ تعلم أكاهن أم عالم وتوقن أينا النادم السادم [1] والسلام ...] [2] .

- كان موسى بن نصير قوي الشخصية ، ثابت الارادة ، لا يسمح لمرؤوسيه بالتطاول والارتفاع الى المستوى الذي يضر بسمعته او يضعف من سلطته وسيطرته ، ومن هنا كان لا بد من حدوث صدام بينه وبين طارق بن زياد ، ومغيث الرومي الى جانب وجود خلاف آخر بين طارق ومغيث ويظهر ذلك من خلال الأحداث التالية :

[... عندما وجه موسى طارق لفتح الاندلس طلب اليه عدم التوغل في الفتوح والمغامرة بمن معه] [3] .

لكن مسيرة الاحداث واغراءات الفتح دفعت طارق الى اهمال توصية موسى والاندفاع شمالاً حتى طليطلة ... وعندما تجمعت القوى ضده وشعر طارق بتهديد خطوط مواصلاته واحتمال عزلته عن قاعدة عملياته في افريقية كتب الى موسى :

[... ان الامم تداعت علينا من كل ناحية.. فالغوث .. الغوث ..] [4].

فأسرع موسى بحشد قواته والانزال في الاندلس ومتابعة العمليات ، وكانت هذه المخالفة كافية لاثارة موسى وتحريك غضبه ..

- وكان موسى كقائد أعلى يدرك واجباته ومسؤولياته يضع حدوداً لتصرفات مرؤوسيه فعندما تم له فتح طليطلة ودخولها طالب طارق بتسليم ما حصل عليه من غنائم ومنها المائدة التي عرفها المؤرخون باسم «مائدة سليمان»

---

(١) السادم : النادم والحزين .

(٢) الولاة والقضاة ٦٠ .

(٣) الاعلام ٣ - ٣١٣ ، والبيان المغرب ١ - ٤٣ وتهذيب ابن عساكر ٧ - ٣٨ .

(٤) الامامة والسياسة ٢ - ٧٤ ، وتاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية ١٣٨ ، وتاريخ الاسلام للذهبي ٣ - ٣٢٤ .

والتي تضاربت في وصفها الأخبار والروايات ولعل أصدقها وأقربها الى الواقع هي قصة ابن حيان التي جاء فيها :

[... وهذه المائدة المنسوبة الى سليمان النبي عليه الصلاة والسلام لم تكن له فيما يزعم رواة العجم وانما اصلها ان العجم في ايام ملكهم كان اهل الحسنة منهم اذا مات احدهم اوصى بمال للكنائس فاذا اجتمع عندهم ذلك المال صاغوا منه الآلات الضخمة من الموائد والكراسي واشباهها من الذهب والفضة تحمل الشمامسة والقسوس فوقها مصاحف الأناجيل اذا ابرزت في ايام المناسك ويضعونها على المذابح في الاعياد للمباهاة بزينتها ، فكانت تلك المائدة بطليطلة مما صيغ في هذا السبيل وتأنقت الأملاك في تلك الآلات وطار الذكر مطاره عنها وكانت مصوغة من خالص الذهب مرصعة بفاخر الدر والياقوت والزمرد ولم تر الأعين مثلها وبولغ في تفخيمها من اجل دار المملكة وانه لا ينبغي ان تكون بموضع آلة حجال أو متاع مباهاةٍ الا دون ما يكون فيها ، وكانت توضع على منبج كنيسة طليطلة فأصابها المسلمون هناك وطار النبأ الفخم عنها، وقد كان طارق ظن بموسى أميره مثل الذي فعل من غيرته على ما تهيأ له ومطالبته له بتسليم ما في يده اليه ، فاستظهر بانتزاع رجل من أرجل هذه المائدة خبأها عنده فكان من فلجه به على موسى عدوه عند الخليفة اذ تنازعا عنده بعد الأثر في جهادهما ما هو مشهور . وقال بعض المؤرخين ان المائدة كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد ، وكلها مكللة بالجواهر ...] [1] .

– أما الخلاف بين موسى ومغيث فيظهر من الحادثة التالية :

[... كان مغيث يدل بمكان ولائه من الخلافة فبعث اليه موسى : هات

---

(٣) نفح الطيب ١ – ٢٧٢ .

العلج ، فقال : والله لا تأخذه وأنا أقدم به على الخليفة فهجم عليه فنزعه منه ، فقيل له ان سرت به حياً قال مغيث أنا أصبته ولكن اضرب عنقه ففعل ثم مضى حتى قدم على الوليد] [1] .

وكان مغيث الرومي يطمح الى ولاية الاندلس وكان يعترض طموحه وجود موسى بن نصير وطارق بن زياد ، ولهذا أضمر في نفسه الحقد عليهما وأخـذ في العمل لازاحتهما عن طريق هدفه .

[... ويبدو أن مغيثاً كان حانقاً في نفسه او لأنه ساءه ان ينسب فضل الفتح كله الى نفسه مغفلاً بيان ما قام هو وما قام به طارق ، فلم يأل جهـداً في تنقيص موسى وتشويه سمعته ، فكان لكلامه اسوأ الأثر على مصير موسى فيما بعد ...] [2] .

عاد موسى الى دمشق ، وقبل ان يصلها بلغـه ان الوليد في آخر رمق له ، ووصله من لقيه في الطريق من قبل سليمان بن عبد الملك ومعه كتاب يطلب فيه الى موسى التريث والانتظار ريثما تنتهي حياة الوليد ويتولى سليمان الخلافـة فيكون شرف فتح الاندلس مقترناً بقدوم عهده . فكان جواب موسى بن نصير حاسماً حيث قال عن سليمان :

[.. خنت والله وغدرت وما وفيت ...] .

ثم أبلغ موفد سليمان بقوله :

[... والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكني اسير بمسيري فان وافيته حياً لم اتخلف عنه وان عجلت منيته فأمره الى الله] [3] .

وتابع موسى تقدمه فوصل دمشق في حياة الوليد ، وأسلمه الخمس ، ووجد موسى ان الوليد غاضب منه بعد ان سبقته وشاية طارق ومغيث ضده وتأكدت

....

(١) اخبار مجموعة ١٩ ، وتاريخ الاسلام للذهبي ٤ - ٥٨

(٢) فجر الاندلس ١٠١ وتاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٠٠

(٣) نفح الطيب ١ - ٢٨٠

الوليد صحة الشكوى ضد موسى عندما اخرج له طارق « قائمة المائدة » ، ولم يمكث الوليد بعد ذلك سوى اربعين يوماً حيث توفي وانتهت الخلافة الى سليمان ابن عبد الملك الذي كان حانقاً على موسى .. ففرض عليـه من الأموال ما ينوء عن حمله .. [واغرمه غرماً عظيماً حتى سال العرب . فيقال ان لخما حملت عنه في اعطائها سبعين ألفاً ذهباً ...] [1] .

– كان موسى بن نصير قريباً الى نفس يزيد بن المهلب أثيراً لديه ، وكان يزيد ابن المهلب وزيراً لسليمان بن عبـــد الملك ، فتوسط يزيد بن المهلب لدى سليمان وشفع له وكفله ، كما تدخل في هذه الوساطة عمر بن عبد العزيز ممـا خفف من حقد سليمان ضد موسى ، وفي هـــذه الفترة الحرجة من الضيق جلس يزيد بن المهلب الى ابن نصير وقال له :

[اريد ان اسألك فاصغ الي] .. فقال موسى : [سل عمـا بدا لك ..] فقال : [لم ازل اسمع عنك انك من اعقـــل الناس واعرفهم بمكايد الحروب ومداراة الدنيا . فقل لي كيف حصلت في يدي هـذا الرجل ، بعدما ملكت الاندلس ، وألقيت بينك وبين هؤلاء البحار الزخار ، وتيقنت بعـد المرام واستصعابه واستخلصت بلاداً انت اخترعتها واستملكت رجالا لا يعرفون غير خيرك وشرك وحصل في يدك من الذخائر والأموال والمعاقل والرجال ما لو اظهرت به الامتناع ما ألقيت عنقك في يد من لا يرحمك ، ثم انك علمت ان سليمان ولي عهد ، وانه المولى بعد اخيه وقد اشرف على الهلاك لا محـالة ، وبعد ذلك خالفته وألقيت بيدك الى التهلكة وأحقدت مالكك ومملوكك – ويقصد بذلك سليمان وطارق ومغيث – وما رضي هذا الرجل الا بعيـد ولكن لا آلو جهداً ..] فأجابه موسى :

[.. يا ابن الكرام .. ليس هذا وقت تعديد .. اما سمعت اذا جـاء الحين

---

(١) نفح الطيب يجعلها تسعين الفاً ١ – ٢٨٠ ويجعلها المقري تسعين الفاً .

غطى على العين ..] فقال يزيد : [ما قصدت بما قلت لك تعديداً وتبكيتاً ، وانما قصدت تلقيح العقل وتنبيه الرأي وأن أرى ما عندك !.. فقال موسى : اما رأيت الهدهد يرى الماء تحت الارض عن بعد ، ويقع في الفخ وهو بمرأى عينه] [1] . ثم كلم فيه سليمان فكان من جوابه : (انه قد اشتمل رأسه بما تمكن له من الظهور وانقياد الجمهور والتحكم في الأموال والأبشار على ما لا يمحوه الا السيف ولكن قد وهبت لك دمه وانا بعد ذلك غير رافع عنه العذاب حتي يرد ما غل من مال الله) .

وعاد يزيد بن المهلب الى موسى .. وأخذ في الحديث معه وقال له :

[يا ابا عبد الرحمن في كم تعتد من مواليك وأهل بيتك ؟ فقال له موسى : « في كثير . فقال يزيد .. يكونون الفاً .. فقال له موسى : والفاً والفاً الى منقطع النفس . فقال له يزيد : وانت على ما وصفت والقيت بنفسك الى التهلكة ؟ افلا اقمت في قرار عزك وموضع سلطانك وامتنعت بما قدمت به ؟ فان أعطيت الرضى والا كنت على عزك وسلطانك . فقال له : والله لو اردت ذلك لما نالوا من اطرافي طرفاً .. ولكني آثرت الله ورسوله .. ولم نر الخروج عن الطاعة والجماعة [2]] ..

– وامكن بعد ذلك تسوية الخلاف لصالح موسى بن نصير الذي اخذ يتردد على مجلس الخليفة سليمان . وسأل سليمان بن عبد الملك يوماً موسى فقال له :

(.. أي الأمم كانوا أشد قتالاً ؟..) فقال موسى : (انهم يا أمير المؤمنين أكثر مما أصفهم) فقال له : أخبرني عن الروم . فقال : أسود في حصونهم ، عقبان على خيولهم ، نساء في مواكبهم ، ان رأوا فرصة افترصوها ، وانخافوا غلبة فأوعال ترقد في اجبال ، لا يرون عاراً في هزيمة تكون لهم منجاة) .

---

(١) نفح الطيب ١/٢٨٤

(٢)البيان المغرب ١ - ٤٢ و ٢ - ٢٥

فقال سليمان : (فأخبرني عن البربر) فأجابه موسى : (هم يا أمير المؤمنين أشبه العجم بالعرب: لقاء ونجدة وصبراً وفروسية وسماحة وبادية غير أنهم يا أمير المؤمنين غدر) . قال : (فأخبرني عن الاشبان) « الاسبان » ، فقال (ملوك مترفون وفرسان لا يجبنون) . فقال : فأخبرني عن الافرنج .. فأجاب موسى: (هناك يا أمير المؤمنين العدد والعدة والجلد والشدة وبين ذلك أمم كثيرة ومنهم العزيز ومنهم الذليل وكلا قد لقيت بشكله فمنهم المصالح ومنهم المحارب المقهور والعزيز البذوخ ..) فقال : (فأخبرني كيف كانت الحروب بينك وبينهم ، أكانت عقباً) بمعنى تناوب بين ونصر وهزيمة ، فأجاب موسى : (يا أمير المؤمنين ، ما هزمت لي راية قط ،ولا فض لي جمع ، ولا نكب المسلمون معي نكبة منذ اقتحمت الأربعين الى ان شارفت الثمانين) . قال سليمان: (فأين الراية التي حملتها يوم « مرج راهط » مع الضحاك ، فأجابه موسى فوراً : تلك يا أمير المؤمنين زبيرية وانما عنيت المروانية ، فقال سليمان : صدقت ، وأعجبه قوله .

وفي يوم آخر جلس الخليفة سليمان بن عبد الملك الى موسى بن نصير وسأله : (ما الذي كنت تفزع اليه في مكان حربك من أمور عدوك ؟) فاجاب موسى : (.. التوكل والدعاء الى الله يا أمير المؤمنين) . وسأل الخليفة من جديد : (هل كنت تمتنع في الحصون والخنادق أو كنت تخندق حولك ؟) وأجاب موسى : (.. كل هذا لم أفعله ... كنت أنزل السهل ، واستشعر الخوف والصبر ، وأتحصن بالسيف والمغفر ، وأستعين بالله وارغب اليه في النصر ...) (١)

— ودخل موسى على سليمان يوماً وعنده الناس فلما رآه سليمان قال: (..ذهب سلطان الشيخ) وأبصره موسى حين تكلم فلم يفهم قال : (يا أمير المؤمنين !

---

(١) الامامة والسياسة ٢ - ١٠٠

رأيتك لما نظرتني داخلا تكلمت بكلام ظننتك عنيتني به) ، قال سليمان (نعم، قلت ذهب سلطان الشيخ ..) فقال له موسى: (... أما والله لئن ذهب سلطان الشيخ ، لقد أثر الله به في دينه أثراً حسناً ، ولقد كنت طويل الجهاد في الله ، حريصاً على اظهار دين الله حتى أظهره الله ، وكنت ممن أتم الله به موعده لنبيه ولئن أدبر معك لقد كان مع آبائك ناضر الغصن ، ميمون الطائر..) فقال سليمان: هو ذاك ؟ فقال موسى : (هو ذاك ..) فلم يزل يرددها سليمان ويرددها موسى حتى سكت سليمان ..

– في السنة التالية لوصول موسى الى دمشق – أي في عام ٩٧ هـ – قتل عبد العزيز بن موسى في الاندلس وحمل رأسه الى دمشق حيث ألقي بين يدي الخليفة سليمان ، فأرسل سليمان الى موسى ، فلما حضر ورأى رأس ابنه وقف وحمد الله ثم قال : (هذا رأس عبد العزيز بين يديك يا أمير المؤمنين فرحمة الله تعالى عليه ، فلعمر الله ما علمته نهاره إلا صواماً وليله إلا قواماً شديد الرأفة بمن وليه من المسلمين ...) [1] .

غضب سليمان لمقتل عبد العزيز بن موسى وشق ذلك عليه ، فولى افريقية عبد الله بن يزيد، وكان أمر الاندلس وطنجة وولايتها تابعة لافريقية ، وأمره سليمان فيما فعله حبيب بن أبي عبيدة وزياد بن النابغة من قتل عبد العزيز بان يتشدد في ذلك ، ثم مات سليمان فسرح عبدالله بن يزيد والي افريقيةعلىالاندلس الحر بن عبد الله الثقفي وأمره بالنظر في شأن قتل عبد العزيز فلم يستقر بالحر القرار حتى ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ، فعزل عبد الله بن يزيد عن افريقية وولاها سهيل بن عبد الله مولى بني مخزوم وولى السمح بن مالك الخولاني الاندلس .. [2] .

---

(١) الامامة والسياسة ٢ ـ ٩٧

(٢) اخبار مجموعة ٢٢ .

– في عام ٩٧ هـ ، حج سليمان ، ومعه موسى بن نصير ، وبينا كان يسير يوماً إذ دعا سليمان بموسى ، فدعاه أحد رجال سليمان ، وكان موسى يساير رجلا فلم يلتفت موسى الى ندائه ، ثم دعا به سليمان ، فناداه ذلك الرجل ايضاً ، فلم يلتفت اليه ، فقال له الرجل : (غفر الله لك ! ألم تسمع دعاء أمير المؤمنين ؟.. إني اخافه وأخاف أن يغضب). فقال موسى: (ذاك لو كان عبد الملك أو الوليد، فاما هذا فانه يرضيه ما يرضي الصبي ويسخطه ما يسخطه وسترى ذلك ..) ثم تقدم موسى حتى لحق ولصق بسليمان، فقال له : (أين كنت يا ابن نصير؟..) فقال له : (.. يا أمير المؤمنين ، أين دوابنا من دوابك ، اني لمنذ دعاني أمير المؤمنين لفي كد حتى لحقت أمير المؤمنين ..) فضحك سليمان وأمر له بثلاثين نجيباً موقورة جهازاً وبحجرة من حجره وجائزة .. وسايره وحادثه ثم انصرف عنه .. فلحق الرجل اليه فقال له موسى (كيف رأيت ؟) فقال : (.. أنت كنت به أعلم ..) [1] .

– وفي أم القرى ، توفي موسى بن نصير ، وأغمض عينيه ، فصلى عليه مسلمة ابن عبد الملك ، ودفن هناك [*] ..

—★—

....

(١) الإمامة والسياسة ٢ - ١٠١

(*) ملاحظة : هناك روايات متناقضة يدحض بعضها بعضا حول نهاية موسى بن نصير ، وسوء معاملته ، وما لقيه في ايامه الاخيرة ، واحيانا يضم المصدر الواحد من التناقضات الكثيرة ما هو مثير للشكوك في صحة روايات هذه المراجع والمصادر ، وقد تم الاخذ هنا بأكثرها صحة وتوافقا مع تحليل شخصيات الخلفاء الامويين - الوليد وسليمان - والظروف التاريخية التي وقعت فيها تلك الاحداث ، واتساق الاحداث بعضها مع بعض بشكل تستقيم فيه المعلومات على اكبر قدر من الصحة ..

قراءات

مصير أولاد غيطشة بعد الحروب ...

وصل طارق بفتوحه حتى طليطلة ، وأسهم أولاد غيطشة بأعمال الفتح ، وعندما انتهت المرحلة الأولى اجتمعوا بطارق وقالوا له [1] :

(أنت أمير نفسك أم فوقك أمير ؟ فقال بل على رأسي أمير وفوق ذلك الأمير أمير عظيم ...) فاستأذنوه باللحاق بموسى بن نصير بافريقية ليؤكد سببهم به ، وسألوه الكتاب اليه بشأنهم معه وما أعطاهم من عهده ففعل وساروا نحو موسى فتلقوه في انحداره الى الاندلس بالقرب من بلاد البربر وعرفوه بشأنهم ، ووقف على ما خاطبه به طارق في ذمتهم وسابقتهم ، فأنفذهم الى أمير المؤمنين الوليد بالشام بدمشق وكتب اليه بما عرفهم به طارق من جميل أثرهم ، فلما وصلوا الى الوليد أكرمهم وأنفذ لهم عهد طارق في ضياع والدهم وعقد لكل واحد منهم سجلا وجعل لهم أن لا يقوموا لداخل عليهم ، فقدموا الأندلس وحازوا ضياع والدهم أجمع واقتسموها على موافقة منهم فصار منها لكبيرهم « ألمند »[2] ألف ضيعة في غرب الأندلس فسكن من أجلها اشبيلية مقترباً منها . وصار « لأرطباش »[3] ألف ضيعة ، وهو تلوه في السن وضياعه في موسطة الأندلس فسكن من أجلها قرطبة. وصار لثالثهم « وقله »[4] ألف ضيعة في شرق الأندلس وجهة الثغر ، فسكن من أجلها مدينة طليطلة ، فكانوا على هذه الحال صدر

....

(١) نفح الطيب ، ١ - ٢٦٥ - ٢٦٦

(٢) ألمند : Olmundo .

(٣) ارطباش : Ardabast .

(٤) وقله ، تعريب اخيلا Aquila .

الدولة العربية الى أن هلك ألمند ـ كبيرهم ـ وتخلف ابنته سارة المعروفة بالقوطية وابنين صغيرين ، فبسط يده أرطباش على ضياعهم وضمها الى ضياعه ، وذلك في خلافة أمـــير المؤمنين هشام بن عبد الملك ، فأنشأت سارة بنت ألمند مركباً باشبيلية حصيناً كامل العدة ، وركبت فيه مع أخويها الصغيرين تريد الشام حتى نزلت بعسقلان من ساحلها ثم قصدت باب الخليفة هشـام بداره بدمشق فأنهت خبرها وشكت ظلامتها من عمها واستعدت عليه ، واحتجت بالعهد المنعقد لأبيها وأخويه على الخليفة الوليد بن عبد الملك فأوصلها هشام الى نفسه وأعجبه صورتها وحزمها ، وكتب الى حنظلة بن صفوان عامله بافريقية بانصافها من عمها أرطباش وإمضائها وأخويها على سنة الميراث فيما كان في يد والدها مما قاسم فيه أخويه ، فأنفذ لها الكتاب بذلك الى عامله بالأندلس أبي الخطار ـ ابن عمه ـ فتم لها ذلك وأنكحها الخليفة هشام من عيسى بن مزاحم فابتنى بها بالشام ثم قدم بهـا إلى الأندلس وقام لها في دفاع عمها أرطباش عن ضياعها فنال بها نعمة عظيمة وولد له منها ولداه ابراهيم واسحاق فأدركا الشرف المؤثل والرياسة باشبيلية وشهرا ونسلهما بالنسبة الى أمهما سارة القوطية .

وكانت أيام وفادتها على الخليفة هشام رأت عنـــده حفيده عبد الرحمن بن معاوية – الداخل بعد الى الأندلس – وعرفها ، فتوسلت بذلك اليه لمـــا ملك الأندلس ووفدت اليـه ، فاعترف بذمامها وأكرمها وأذن لهـا في الدخول الى قصره متى جاءت الى قرطبة فيجدد تكرمتها ولا يحجب عياله عنهـا ، وتوفي زوجها عيسى في السنة التي ملك فيها عبد الرحمن الأندلس ، فزوجها عبدالرحمن من عمير بن سعيد .

– وكان لها ولأبيها ألمند وعمها أرطباش في صدر الدولة العربيـــة بالأندلس أخبار ملوكية : فمنها ما حكاه الفقيه محمد بن عمر بن لبابة المالكي انه قصـــد أرطباش يوماً الى منزله عشرة من رؤساء رجـال الشاميين فيهم الصميل وابن

الطفيل وأبو عبده وغيرهم فأجلسهم على الكراسي وبالغ في تكريمهم ودخل على أثرهم ميمون العابد جد بني حزم وكان في عداد الشاميين إلا أنه كان شديد الانقباض عنهم لزهده وورعه ، فلما بصر بـــه أرطباش قام اليه دونهم اعظاماً ورقاه الى كرسيـــه الذي كان يجلس عليه وكان ملبساً صفائح الذهب وجذبه ليجلسه مكانه ، فامتنع عليه ميمون وقعد على الأرض ، فقعـد أرطباش معـه عليها وأقبل عليه قبلهم ، فقال له يا سيدي ، ما الذي جاء بك الى مثلي ؟ فقال له : ما تسمعه ، انا قدمنا الى هذا البلد غزاة نحسب أن مقامنا فيه لا يطول فلم نستعد للمقام ولا كثرنا من العده، ثم حدث بعدنا على موالينا وفي أجنادنا ما قد أيسنا معه من الرجوع الى أوطاننا ، وقد وسع الله عليك ، فأحب أن تدفع إلي ضياعاً من ضياعك أعتمرها بيدي ، وأؤدي اليك الحق منها وآخـذ الفضل لي طيباً أتعيش منه ، فقال : لا أرضى لك بالمساهمة ، بل أهب لك هبة مسوغة ، ثم دعا بوكيل له فقال له : سلم إليه المجشر « المرعى » الذي لنا على وادي شوش بما لنا فيه من العبيد والدواب والبقر وغير ذلك،وادفع اليه الضيعة التي بحيان ، فتسلم ميمون الضيعتين وورثها ولده وإليهم نسبت قلعة حزم ، فشكره ميمون وأثنى عليه وقام عنه . وقد أنف الصميل من قيامه اليه ، فأقبـل على أرطباش وقال له : كنت أظنك أرجح وزناً ، أدخلُ عليك وأنا سيد العرب بالأندلس في أصحابي هؤلاء وهم سادة الموالي فلا تزيدنا من الكرامة على الإقعاد على أعوادك هذه ، ويدخل هذا الصعلوك فتصير من اكرامه الى حيث صرت ؟.. فقال له : يا أبا جوشن ، ان أهل دينك يخبروننا أن أدبهم لم يرهفك ، ولو كان لم تنكر علي ما فعلته ، انكم اكرمكم الله انما تكرمون لدنياكم وسلطانكم وهـــذا انما أكرمته لله تعالى ، فقد روينا عن المسيح ، عليه السلام ، انه قال : من أكرمه الله تعالى من عباده بالطاعة له وجبت كرامته على خلقه ، فكأنما ألقمه حجراً،

وكان الصميل أمياً ، فلذلك عرض به ، فقال له القوم : دعنا من هـذا ، وانظر فيما قصدنا له فحاجتنا حاجة الرجل الذي قصدك فاكرمته فانظر في شأننـا ، فقال له : أنتم ملوك الناس ، وليس يرضيكم إلا الكثير ، وها أنا أهب لكم مائة ضيعة تقتسمونها عشراً عشراً وكتب لهم بها وأمر وكلاءه بتسليمها اليهم ، فكان القوم يرونها من أطيب أملاكهم [1] .

***

(١) نفح الطيب ١ / ٢٦٧ - ٢٦٨

القسم الثالث

الفصل الثالث

الفتوح في عهد الولاة

١ ـ فرنسا « بلاد الغال » عند فتح العرب للأندلس .
٢ ـ يوم التروية .
٣ ـ مأساة عنبسة بن سحيم الكلبي .
٤ ـ معركة بواتييه ... بلاط الشهداء .
٥ ـ معركة بواتييه في التاريخ .
٦ ـ المحور الخامس، والقاعدة المتقدمة في ايطاليا وسويسرا وجنوب فرنسا .
٧ ـ حول عمليات المحور البحري .

قراءات

ـ السمح بن مالك الخولاني .
ـ عنبسة بن سحيم الكلبي .
ـ عبد الرحمن الغافقي .

الفتوح في عهـــد الولاة

٩٦ - ١٣٨ هـ = ٧١٤ - ٧٥٥ م

تعاقب على حكم الاندلس ما بين عامي ٩٦ هـ ، حيث ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير و ١٣٨ هـ ، حيث استقر الحكم لبني أمية عدد من الولاة وصل عددهم الى عشرين واليـاً ، طالت ولاية بعضهم سنوات عديدة واقتصرت ولاية البعض الآخر على شهور قليلة ، وقد حاول بعض هؤلاء الولاة متابعة الفتوح في في بلاد غاليا « فرنسا » فاصطدمت محاولاتهم بمقاومات عنيفة وحدثت معارك حاسمة . أما في المجال الداخلي فقد تميز عهـد الولاة بالاستقرار ، والتركيز على بناء المجتمع واقامة علاقات عامة جديدة [١] .

- كانت اسبانيا عند الفتح تمتـد الى ما وراء جبـــل البرتات او البرانس « البيرنيه » فكان يتبعها من أرض فرنسا مقاطعة روسيون ،وهي المقاطعة المسماة اليوم بالبيرنيــه الشرقية [٢] وقسم من اللانغدوك [٣] بالاضافـــة الى قسم من البروفانس [٤] ، وقد توغل موسى بن نصير في هجومه الاول على محور واحـد هو محور « ندبون حتى ليون » تاركاً لخلفائـه من بعده متابعة التقـدم على المحاور الأخرى ..

---

(١) يمكن مطالعة تسلسل حكم الامراء في الجداول الملحقه .

(٢) روسيون Rousillon استولت عليهـــا فرنسا سنة ١٦٥٩م وقاعدتها بربينيان Perpignan

(٣) اللانغدوك Languedoc ، وهي المقاطعة الواقعة الى الشمال من روسيون وقاعدتها تولوز، وكان استيلاء فرنسا عليها عام ١٢٧١م .

(٤) البروفانس Provence ، في جنوب فرنسا تضم جبال الألب السفلى ومصب نهر الرون وبلاد الغال والفوكلوز .

– تركز الجهد في عهد الولاة على محاولات فتح ما وراء جبل البيرنيه ، وقد جوب العرب المسلمون التوغل على محاور مختلفة لكن الفشل كان من نصيب هذه التجارب التي لم تحقق نتائج هامة ولهذا يمكن اعتبارها عمليات وقائية – دفاعية أكثر منها عمليات هجومية . وكان الولاة هم الذين يقودون هذه العمليات بانفسهم نظراً لما كانت تتميز به من أهمية . وبرز من خلال أعمال القتال أسماء عدد من القادة الذين قضوا فوق أرض « غاليا » فرنسا وسطروا ملاحم رائعة ..

– احتلت معارك عهد الولاة وفتوحاتهم فيما وراء « البيرنيه » أهمية خاصة عند الغربيين ، وتعرضت للتحليل والنقد ورسمت هالة حولها وبصورة خاصة منها معركة « بلاط الشهداء » ، بينما لم يعط المؤرخون العرب لها من الأهمية اكثر مما تستحقه على اعتبار أنها ، مماثلة لغيرها من المعارك الكثيرة التي قادها العرب المسلمون في عهد الفتوحات والتي رافقتها الانتكاسات والانتصارات ، وكانت الدروس التي أفاد العرب من الانتكاسات والانتصارات على مستوى واحد من الأهمية ..

١ – فرنسا « الغال » عند فتح العرب للاندلس ..

– كانت فرنسا عندما فتح العرب الأندلس تحت حكم الافرنج « الميروفنجيون » وان معرفة شكل الحكم فيها يفرض بالضرورة العودة الى نهاية القرن الخامس حيث كانت غاليا مقسمة الى ست مناطق كبرى ، ففي الشمال كانت مملكة الافرنج ، وفي الشمال الشرقي الآلامان ، وفي الجنوب الشرقي مملكة بورغونيا ، وفي الجنوب الغربي الفيزغوطيون أو القوط الغربيون ، وحول لوتيس « باريس » كانت المملكة الغالية الرومانية ويحكمها الملك سياجر يوس الذي كان يحافظ على شكل من أشكال الوحدة مع الشعوب المتحدة مع الرومان ، أما في غرب فرنسا فكان « البريتون » ثم فصمت عرى الوحدة مع الامبراطورية الرومانية عام ٤٠٧ م .

– كانت مملكة الافرنج « الميروفنجيون » من أقوى هذه الممالك ، فقد بدأ مؤسس هذه المملكة « ميروفي »[١] ٤٤٨ – ٤٥٧ م بقيادة الفرنج لمجابهة الهون في حقول كاتالونيه وأسهم في دحر الهون وأعطى اسمه للأسرة المالكة «الميروفنجية التي حكمت بلاد الغال » « فرنسه القديمة » حتى ٧٥١ م .

وقد جاء كلوفيس الأول[٢] ٤٨١ – ٥١١ م حفيد ميروفي فانتصر على سياغريوس ملك المملكة الغالية – الرومانية في معركة سواسون ٤٨٦ م وعلى الآلامان قرب تولونيه ٤٩٦ م وعلى البورغونديين قرب ديجون ٥٠٠ م وعلى الفيزيقوط في فوييه ٥٠٧ م ، وأسس الملكية الفرنجية وأصبح ملكاً أوحداً لبلاد الغال بعد مقتل زعماء كولونيه الفرنج وزعماء كامبري وتيروان .. وقد جعل كلوفيس من مدينة « باريس » عاصمة له ..

– لم تلبث هذه المملكة القوية ان قسمت الى اربعة ممالك حكمها ورثة كلوفيس وهم : تييري و كلودومير وشيلدبير و كلوتير ، وبقي الأمر كذلك حتى جاء داغوبير ٦٢٨ – ٦٣٨ م فاعاد توحيد المملكة ، لكن الآلامان والبريتون والاكيتانيون أعلنوا استقلالهم بعد ممات داغوبير .

– لم يكن خلفاء الملك داغوبير على مستوى الحكم ، فولوا شؤون الدولة الى وزراء القصر ، ولم يبق لهم من الحكم شيئاً حتى عرفوا باسم « الملوك الكسالى » ونتيجة لذلك نشأت في كل ممالك الافرنج « أسر متوازية » تتنازع مركز الصدارة ، فوزير قصر مملكة « اوسترازيه » – بيبان الهيريستالي – دحر جيش نوسترازيه في تريستري ، وأعاد تنظيم المملكة لزمن ما ، وشارل مارتل ابن بيبان أخضع مملكة نوسترازيه ، ومقاطعة أليتانيه وهزم البافاريين والساكسون والآلامان .. ثم ورث شارل مارتل ابن بيبان مجمل مملكة الافرنج وقام

---

(١) ميروفي Mérovée
(٢) كلوفيس الأول Clovis-1

بمحاصرة ديديه ملك اللومبارديين في بافيه واغتصب منه التاج ، واصبح ملك الافرنج واللومبارديين ودفع حدود مملكته حتى نهر « غاريغليانو » في ايطاليا ، كما أوصل حدود مملكته فيما وراء الراين حتى وصل « الايلب » ، وقد جاء « بيبان الحاسم » ابن شارل مارتل ، فجمع « الأوفياء »[1] في سواسون وجعلهم ينتخبونه ملكاً وقد باركه البابا اتيان الثاني عام ٧٥٤ م ، وهكذا خلفت « أسرة الكارولنجيين » في حكم فرنسا اسرة « الميروفيين » او الافرنج ، واستمر حكم الكارولنجيين طوال الفترة بين ٧٥١ – ٩٨٧ م .[2]

– اكتسب الافرنج « الميروفنجيون » ومن بعدهم « الكارولنجيون » خبرات واسعة في مجال الحرب ، نتيجة لصراعهم المستمر مع خصومهم في الداخل والخارج ، وعندما جاء شارل مارتل ، طور اساليب القتال فحصن شواطىء الأطلسي وبحر المانش وبحر الشمال اتقاء لكل هجمات مباغتة وقاد حملات ضد الساكسون طوال ثلاثين عاماً من حكمه ، وأدخل شارل مارتل تطورات جديدة على « الفالانج » القديم فجعله كثير العمق حتى اصبح كالجدار الصلب الذي لا يمكن اختراقه ، كما اعتمد على سلاح الفرسان فزاد من قوته وعدده ، وقد عمل على استبدال نظام النفرة الجماعية بتجنيد شامل في البلاد ، لا يقتصر تعبئة المناطق المهددة فقط ، مما وفر امكانات بشرية ضخمة للحرب ..

—★—

(١) الأوفياء ـ تروست ـ Truste قوة دائمة ـ هي نواة الجيش الذي ينضم اليه المتطوعون والمستنفرون اثناء الحرب .

(٢) تاريخ جيوش العالم ، ترجمة يوسف يازجي ، الفصل الثالث عشر المجلة العسكرية ، العدد ٩ ـ السنة الرابعة والعشرين .

٢ - يوم الترويه

١٠٢ هـ = ٧٢٠ م

الوضع العام :

في عام ٩٦ هـ ، وبعد مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير ، ولي الاندلس ايوب بن حبيب اللخمي ، ابن اخت موسى بن نصير ، وذلك بعد ان اجتمعت كلمة اهل اشبيليا على توليته ، لكن فترة ولايته لم تدم اكثر من ستة اشهر حيث تولى حكم الاندلس من قبل الامويين ، الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، وقد استمر الحر في ولاية الاندلس سنتين وثمانية اشهر ، وانصرف الحر بن عبد الرحمن الثقفي لبناء الاندلس وتنظيم أموره واقامة الحاميات في الثغور .

في عام ٩٩ هـ ، تولى الخلافة في دمشق الخليفة عمر بن عبد العزيز وقد اظهر اهتماماً خاصاً بالاندلس ، ففكر في تعيين وال لها مستقل عن افريقية واختار لذلك السمح بن مالك الخولاني[1] ، فوصل السمح الى الاندلس عام

---

(١) جاء في اخبار مجموعة ، ص ٢٣ حول تعيين السمح بن مالك الخولاني :

(... كان في الخلفاء اذا جاءتهم جبايات الامصار والآفاق يأتيهم مع كل جباية عشرة رجال من وجوه الناس واجنادها فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم الا أخذ بحقه وحتى يحلف الوفد بالله الذي لا اله الا هو ما فيها دينار ولا درهم الا من فضل اعطيات أهل البلد من المقاتلة والذرية ، والا بعد أن أخذ كل ذي حق حقه ، فأتى وفد افريقية بخراجها وذلك انها لم تكن يومئذ ثغراً فكان ما فضل بعد أعطيات الاجناد وفرائض الناس ينقل الى الخليفة، فلما وفدوا بخراج افريقية في زمان سليمان ، أمروا أن يحلفوا فحلف الثمانية ونكل سهيل بن عبيد الله مولى بنى مخزوم ونكل بنكوله السمح بن مالك الخولاني فأعجب ذلك عمر بن عبد العزيز من فعلهما ثم ضمهما الى نفسه ، فلما ولي عمر ، ولى سهيل افريقية وولى السمح بن مالك الاندلس وأمره أن يخمس أرضها وعقارها ويقر القرى في يدي غنامها بعد أن يأخذ الخمس وأن يكتب اليه بصفة الاندلس وانهارها وكان رأيه انتقال اهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين .. فقدمها السمح .. فوضع يداً في السؤال عن العنوة ليميزه عن الصلح وفي اخراج البعوث ، وبني قنطرة قرطبة ..)

« نفح الطيب ٣/١٤ ، وأخبار مجموعه ٢٣» .

١٠٠ هـ - ٧١٨ م فانصرف الى البناء الداخلي وتنظيم المجتمع واقامة العلاقات الجديدة ، وعندما شعر ان البناء الداخلي قد اصبح على درجة كافيــة من القوة توجه الى متابعة اعمال الفتوح .

ناربون « أربونه » قاعدة الانطلاق (١)

- في نهاية عام ١٠١ هـ ، ٧١٨ هـ - انطلق السمح بن مالك الى الشمال يقود جيش المسلمين واخترق جبال البيرنيه ، ووصل « ناربون » وكان الفرنج قد استعادوها خلال فترة الاضطراب التي أعقبت مقتل عبد العزيز بن موسى ، فنظم حصارها ،

---

(١) أربونة Narbonne ، كانت أربونة بمجاورتها للبحر وسهولة الوصول اليها بالسفن من اسبانيا . ثم بمنعتها الطبيعية من جهة البر تصلح أن تكون مسلحة للعرب في ارض الافرنــج ، فزاد السمح Zama ، في تحكيم حصونها ووضع الحاميات في المدن المجاورة لها وبذلك تمكـن العرب من صد غارة شارل مارتل الذي حاصر أربونة عام ٧٣٢ م بعد أن هــزم العرب في معركة بواتيه ، ثم ان بيبان القصير ، ابن وزير القصر « شارل مارتل » والذي عاش تقريباً بين ٧٢٥-٧٦٨م وكان دوق نوسترية وبورغونية والبروفاسن عام ٧٤١م مع أخيه، شارلمان ، نودي به ملكاً على الفرنج عام ٧٥١ م بموافقة البابا زكريا .

- وقد فكر بيبان هذا بفتح اربونة وانتزاعها من العرب المسلمين ، لكنه نكص عنها ولـم يتمكن منها سوى شارلمان سنة ٧٥٩ م ، وذلك بعد أن حاصرها مدة سبع سنوات ، وقــد أدى هذا الحصار إلى ثورة الاهالي الذين ملوا الحصار فاندفعوا الى ذبح الحامية العربية ، ثم عـاد العرب سنة ٧٩٢ م ، فحاصروا أربونة ، فبعث شارلمان لنجدتها بعثاً عدته عشرون الف مقاتل عقد لواءه للفارس المشهور غليوم، وتلاقى الجمعان بقرب أربونة، فاستأصل العرب جيش الافرنج ولم يبق من هؤلاء الا غليوم وثلاثة عشر من رفاقه ، وصلم أنف غليوم في المعركة ولقب من ذلك اليوم بذي الانف القصير Guillaume Au Court Nez لكن العرب لـم يتمكنوا من فتحها رغم هذا النصر حتى جاء هشام بن عبد الرحمن الداخل فأعاد فتحها غام ٧٥٧م . تاريخ غزوات العرب ، ارسلان ، ٦٥ ، تاريخ جيوش العالم ، العدد ٩ ، السنة الرابعـة والعشرون ، المجلة العسكرية .

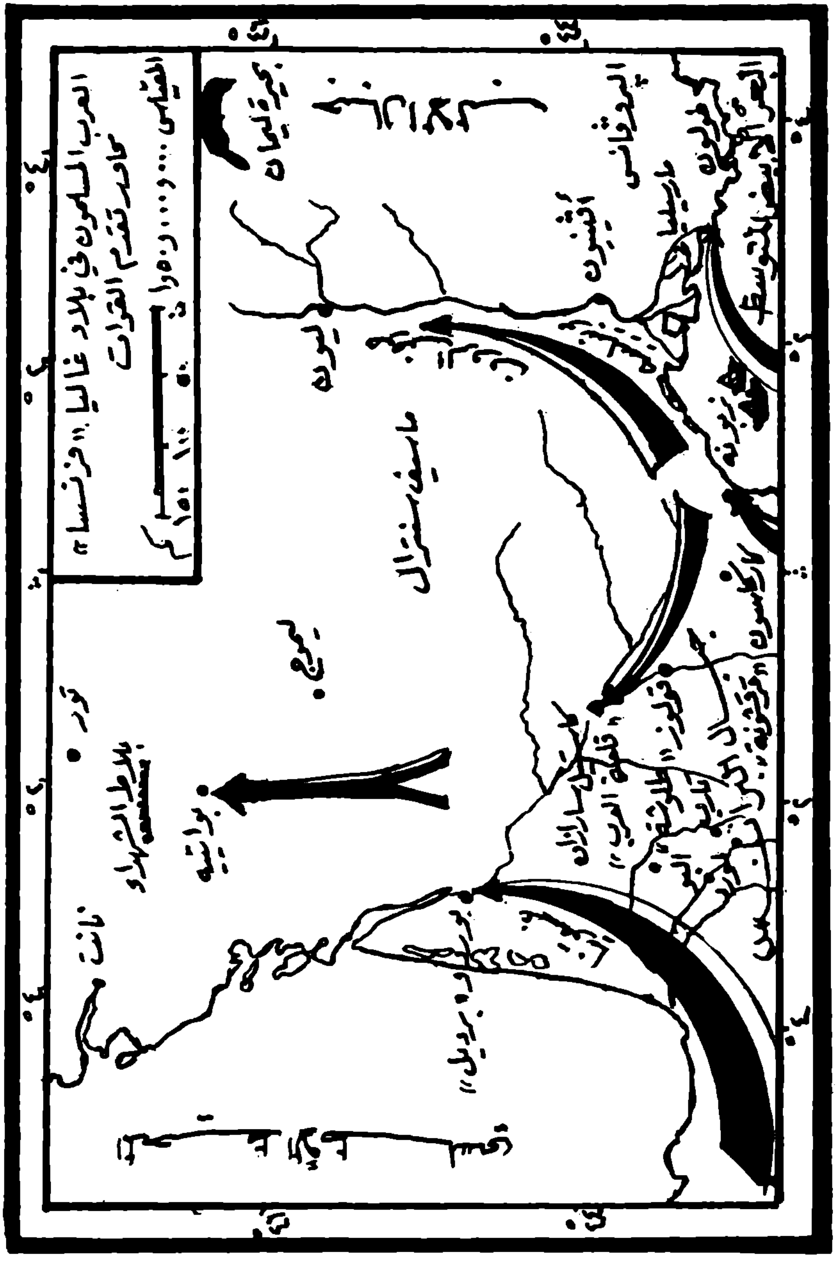
واستمر في تشديد قبضة الحصار طوال ثمانية وعشرين يوماً حتى خضعت له ، وقدر السمح اهمية ناربون كقاعدة لانطلاق الهجوم داخل بلاد الغال ، فركز جهده من اجل تحصين المدينة وتقوية الدفاع عنها وجعلها مستودعاً للمواد التموينية والاعتدة الضرورية واصبح بامكانه بعد ذلك التوغل في هجومه الى العمق ..

محور جديد للعمليات « وادي غارون » ..

لم يتابع السمح بن مالك تقدمه نحو المحور السابق الذي سلكه موسى بن نصير وطارق بن زياد ،وانما اختار محوراً جديداً لعملياته هو محور « تارن ـ و ـ غارون » فتوجه نحو الشمال الغربي واوغل في تقدمه حتى وصل تولوز « طلوشه » بعد ان اخضع سبتمانيا و بروفانس .

ـ توقف السمح بن مالك امام « تولوز » وحاصرها ، فصمدت المدينة ثم اسرع دوق اكيتانيا لإنقاذ مدينته ، وزج قواته في معركة حاسمة قاتل فيها المسلمون بعناد لكن قوات اكيتانيا تفوقت عليها وانتهى يوم ٩ حزيران ٧٢١م ـ ذي الحجة ١٠٢ هـ بمقتل السمح بن مالك وتمزق جيشه فتولى عبد الرحمن الغافقي مهمة حماية الانسحاب ، وتراجع جيش المسلمين حتى قاعدة الانطلاق « اربونة » وسميت المعركة باسم« يوم التروية » او « معركة التروية » وكان السبب الرئيسي للهزيمة هو تفوق قوات الافرنج تفوقاً ساحقاً على جيش العرب المسلمين .

—★—



العرب المسلمون في بلاد غاليا "فرنسا"
محاور تقدم القوات
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ كم
نانت
تور
بلاط الشهداء
بواتييه
ليموج
ليون
بحيرة ليمان
جبال الألب
ماسيف سنترال
أفينيون
البروفانس
مارسيليا
طولون
البحر الأبيض المتوسط
نربونه
كاركاسون
"قرقشونة"
جبال البرانس
تولوز
"طلوشة"
"قلعة العرب"
كابستيل سارازان
بوردو "برديل"
المحيط الأطلسي

مأساة « عنبسه بن سحيم الكلبي»

ـ تولى عبد الرحمن الغافقي أمر حماية الانسحاب بعد مقتل السمح بن مالك ونظراً لعدم تعيين والي للأندلس فقد تولى عبد الرحمن الولاية لفترة شهرين ريثما وصل الوالي الجديد عنبسة بن سحيم الكلبي في عام ١٠٣ هـ — ٧٢١ م .

— أمضى عنبسة السنوات الاولى من حكمه في ترسيخ دعائم المسلمين في الأندلس والاستعداد للقتال ، والحرب ودعم الثغور وفي عام ١٠٧ هـ — ٧٢٥م توجه عنبسه بقوة ثمانية آلاف مقاتل حتى وصل القاعدة المتقدمة « ناربون » .

— قام عنبسة بدراسة المنطقة خلال توقفه في « ناربون » وقرر التوجه بقواته في محور جديد ، فاستولى مرة اخرى على اقليم سبتمانيا ثم توجه الى حوض الرون وتابع تقدمه في اقليم « برغنديا » فاستولى على مدينة « قرقشونه » وانطلق منها شمالاً فاحتل ماكون ، وشالون وتذكر بعض المصادر ان عنبسه وصل في تقدمه حتى سانس على بعد ثلاثين كيلو متراً من « باريز » — .

— شعر عنبسه أن توغله بعيداً عن قاعدة انطلاقه لا يتناسب مع حجم قوته فقررالعودة ، والتوقف عن متابعة الفتوح ، وفي طريق العودة تصدت له مقاومات الفرنج ثم التحم معهم في معركة حاسمه اصيب خلالها بجراح قاتلة توفي على اثرها في شعبان ١٠٧ هـ ـ ٧٢٥ م ، وكانت مدة ولايته اربع سنوات ونيف .

—★—

٤ – معركة بواتييه « بلاط الشهداء »

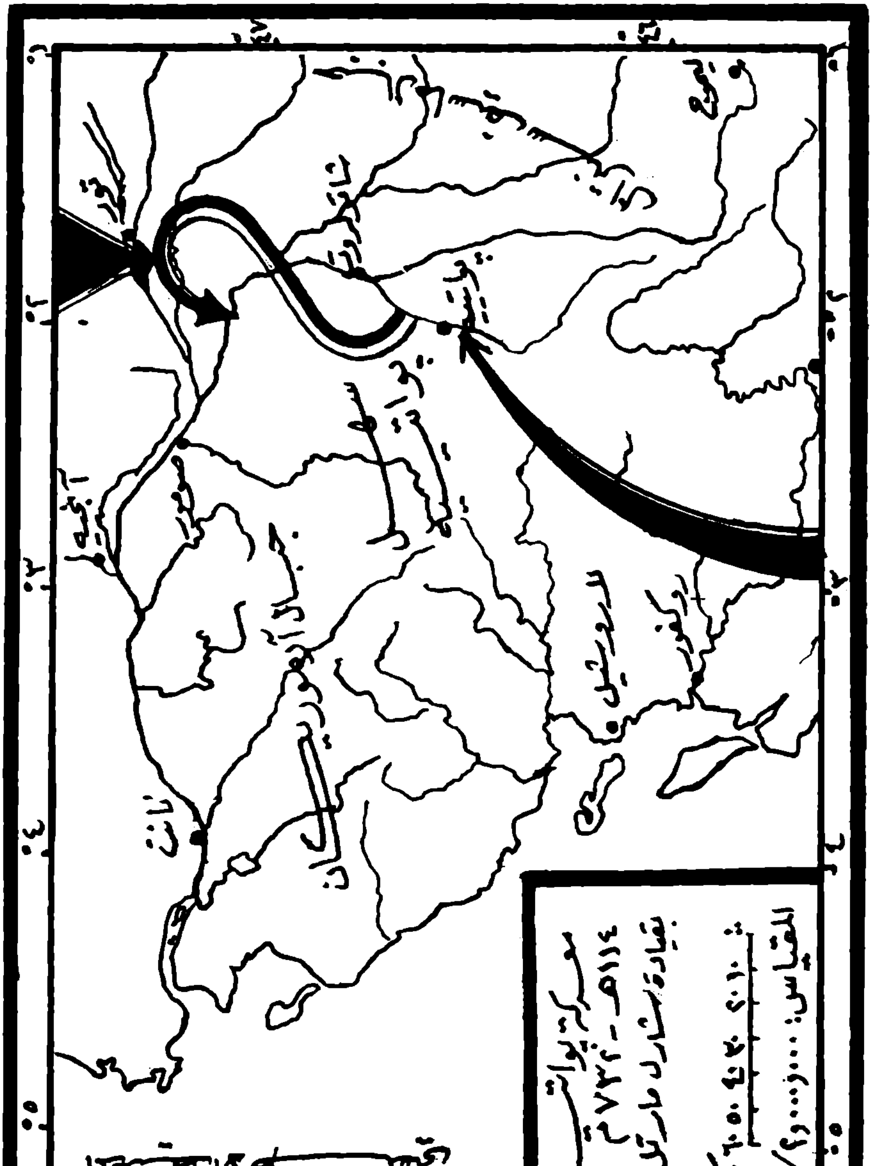
رمضان ١١٤ هـ = ١٧ تشرين الأول ـ اكتوبر ٧٣٢ م

جدول توقيت الاحداث

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
١٠٧ هـ	٧٢٥ م	**مقتل عنبسة بن سحيم الكلبي في فرنسا .**
١٠٨ هـ	٧٢٦ م	غزو اسد بن عبد الله الختل والغور في خراسان وغزو مسلمة بن عبد الملك الروم وفتح قيسارية ومجموعة حصون .
١٠٩ هـ	٧٢٧ م	ظهور دعاة بني العباس في خراسان وتصاعد قوتهم .
١١٤ هـ	٧٣٢ م	**موقعة « بلاط الشهداء » ومقتل عبد الرحمن الغافقي .**
١١٥ هـ	٧٣٣ م	وقوع طاعون بالشام وقحط شديد في خراسان.
١١٧ هـ	٧٣٥ م	حدوث حركات تمرد في خراسان وافريقية .
١٢٥ هـ	٧٤٢ م	وفاة هشام بن عبد الملك وبيعة الوليد بن يزيد ابن عبد الملك .
١٢٦ هـ	٧٤٣ م	اضطراب أمر بني أمية وتمرد حمص وفلسطين .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
١٢٧ هـ	٧٤٤ م	بيعة مروان بن محمد بن مروان ، وتمرد حمص والشام .
١٢٧ هـ	٧٤٤ م	تمرد الأندلس وخلع أبي الخطار .
١٢٩ هـ	٧٤٦ م	تعاقد خراسان على نصرة أبو مسلم الخراساني .
١٣٠ هـ	٧٤٧ م	دخول أبو مسلم مرو ، وهروب نصر بن سيار والي الأمويين .
١٣١ هـ	٧٤٨ م	موت نصر بن سيار ومسير قحطبة الى ابن هبيرة في العراق .
١٣٢ هـ	٧٤٩ م	قيام الدولة العباسية ومقتل مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم .
١٣٨ هـ	٧٥٥ م	دخول عبد الرحمن الأندلس ..

—★—


معركة بواتييه
١١٤هـ - ٧٣٢م
بقيادة شارل مارتل
١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠ ٦٠ كم
المقياس: ١/٢٠٠٠،٠٠٠
المحيط الأطلسي
نانت
آنجيه
تور
صومور
جبال آرموريكان
سهل بواتييه
شاتلرو
بواتييه
لاروشيل
روكفور
جبال ماسيف سنترال
ليموج

معركة بواتييه

الوضع العام :

تعاقب على حكم الاندلس بعد مقتل عنبسه بن سحيم الكلبي ستة من الولاة واذا استثنينا منهم يحيى بن سلمة الكلبي الذي تجاوزت مدة ولايته السنتين فإن البقية لم تتجاوز مدة ولايتهم الأشهر القليلة مما لم يسمح لهؤلاء الولاة بوضع مخططات لاستئناف اعمال الغزو في فرنسا وبقي الأمر كذلك حتى تم تعيين عبد الرحمن الغافقي للمرة الثانية ، فركز جهده لتحقيق الاستقرار وحشد الطاقات ـ وغزا الافرنج فكانت له فيهم وقائع جمه، وكانت هذه الغزوات الاستطلاعيه ذات هدف وقائي ـ دفاعي ، ومن اجل جمع المعلومات الكافية .

ـ وفي الوقت ذاته كان « شارل مارتل » من الأسرة الكارولنجيه يعيد تنظيم قواته ويعمل على توسيع حدود مملكته .

ـ عندما عرف عبد الرحمن الغافقي انه انهى اصلاح الادارة واعاد تنظيم الجيش انطلق بجيشه الذي لم يتجاوز ثمانية آلاف مقاتل .

طبيعة ميدان المعركة :[1]

ـ اختار عبد الرحمن الغافقي محوراً جديداً لعملياته عبر « اقليم غرب فرنسا ، وعلى محور اكيتانيا، سهل تور » وتقسم الطبيعة الجغرافيه للاقليم الى اقسام اربعة .

١ ـ اقليم غرب فرنسا ، « الغال » وهو مكون من برزخ من الأراضي الحديثة التكوين بين الكتل الجبلية القديمة « في بريتانيا وليموزين » وهي تشكل اقليماً من السهول المتموجة التي تخترقها خطوط المواصلات بين حوض

---

(١) أطلس القرن العشرين Atlas. Du XX Siecle .

باريس وحوض اكيتانيا عبر سهول «بواتييه» الخصبة والغنية بمواردها الزراعية كالحبوب والذرة والاخشاب ونظراً لوقوع بواتييه في وسط هذا السهل فقد احتلت اهمية كبرى عبر التاريخ كمحور للعبور وكمركز للصراع بين قوى العالم القديم .

٢ ـ اما حوض اكيتانيا فيقع بين جبال البيرنيه والمحيط الأطلسي والجبال المركزية « ماسين سنترال » وهذا السهل لا يأخذ شكل تقعر كما هو حوض باريس وانما يأخذ شكل مسطح محدب ينفتح بصورة واسعة في اتجاه المحيط ويخترقه نهر الغارون ومناخ هذا السهل رطب وبارد وموارده الزراعية تحتل المرتبة الأولى في موارد الاقليم وتكثر فيه الغابات ومن اشهر المراكز الحضارية العريقة في هذا الاقليم مدينتي : برديل « بوردو » وطلوشه « تولوز » ..

٣ ـ **سلسلة جبال البيرنيه** : وهي كتلة من الجبال الحديثة تمتد بين المتوسط والمحيط الاطلسي بصورة عرضانيه فتشكل حاجزاً طبيعياً منيعاً بين الاندلس ، وفرنسا وترتفع جبال البيرنيه حتى ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف متر ، وهي مرتفعة وحادة في اتجاه فرنسا مشكلة منحدرات كلسية تخترقها الأودية القائمة وتعتبر الممرات الشرقية والغربية هي محاور الاتصال الطبيعية بين فرنسا واسبانيا .

٤ ـ **وادي الرون** : ينفتح كطريق واسع بين اوروبا البحر الابيض المتوسط واوروبا الشمالية وتسيطر عليه من الشمال الهضاب الكلسية ، وتحده جبال الألب شرقاً وجبال الكتلة المركزية غرباً ، ويضم الوادي سهولاً زراعية لها مناخ حوض البحر الابيض المتوسط ، وقد أصبحت ليون ، عقدة مواصلات للطرق الجبلية المخترقة للألب ، نتيجة لوقوعها في وسط السهل ، ويمتد هذا السهل بشكل طولاني مواز لأحواض بواتييه واكيتانيا الواقعة الى غربها ..

التقدم في اتجاه « تور » :

– جعل عبد الرحمن الغافقي من « بامبلونا »[1] قاعدة له ، وحشد فيها قواته وذلك في صيف ١١٤ هـ – ٧٣٢ م ، ثم اخترق بقواته سلسلة جبال البيرنيه من منطقة « باب – شزروا » ، ممرات رونسيسفال[2] ، ثم توجه الى برديل « بوردو » على نهر الغارون ، وذلك قبل التقاء الغارون بنهر « دوردونيا » في منطقة غير بعيدة عن مصبه ، وهناك التقى « بدوق اكيتانيا » اودو حيث دارت معركة قصيرة وحاسمة انتصر فيها عبد الرحمن الغافقي على خصمه ، ودخل مدينة بوردو ، بعد ذلك ، فنهبها جنده وحصلوا على غنائم كبيرة أثقلت الجيش وأخذت تعيق تحركه وأفقدته مرونته[3] .

– تابع عبد الرحمن تقدمه في اتجاه « تور » دون أن يلتقي بمقاومات تذكر .

– لجأ دوق اكيتانيا الى « شارل مارتل » طالباً دعمه لمجابهة تقدم العرب المسلمين فأسرع شارل مارتل الى حشد قواته وتوجه بها نحو تور فوصلها قبل وصول عبد الرحمن اليها ثم تابع زحفه جنوباً حيث التقى بطلائع المسلمين وقواتهم المتقدمة عند طريق روماني قديم يبعد مسافة عشرين كيلو متراً الى الشمال الشرقي من بواتييه .

– اصطدمت قوات العرب المسلمين بقوات الافرنج وكان شارل مارتل قد نظم قواته على شكل فالانج عميق [... **فكان قوم الشمال كالجدار الساكن المتجلد** ...][4] الذي لم تؤثر فيه سهام العرب أو مزاريقهم وهكذا لم يتمكن عبد الرحمن الغافقي من احراز نصر حاسم ، منذ بداية المعركة ، واستمرت

---

(١) بنبلونة: Pam - Peluna

(٢) باب شزروا : Roncesvalles

(٣) كان محور مسير عبد الرحمن هو بيغور Bigorre وبيارن Bearn ، تارب Tarb وآير Aire وبازاس Basas واوليرون Oleron .

(٤) تاريخ جيوش العالم ٩ / السنة ٢٤ المجلة العسكرية .

أعمال القتال ستة أيام دون تحقيق نصر لصالح طرف من الطرفين المتحاربين .

– وفي اليوم السابع لبداية القتال ، أعاد عبد الرحمن الغافقي تنظيم قواته وانطلق بهجوم قوي حاسم ونجح في احراز بعض النجاح وتحطمت قوة المشاة « الفالانج » وبدأت بواكير النصر تلوح في الأفق ، وفي هذه اللحظة الحاسمة حدثت المأساة ..

كان شارل مارتل، قد دفع قوة فرسانه للقيام بحركة التفاف عميقة ونجحت قوة الفرسان في الوصول الىمؤخرة جيش العرب المسلمين . وكان ظهور « فرسان الافرنج » مباغتاً مما أوقع الفزع في قلب المقاتلين وبصورة خاصة أولئك الذين خافوا على غنائمهم من الضياع فتركوا مواقعهم وأسرعوا الى منطقة الشؤون الادارية لحمايتها والحفاظ على الغنائم ، وأفاد مشاة « الفرنج » فانطلقوا بهجوم مضاد ، وتصدى عبد الرحمن الغافقي للهجوم وحاول ايقاف زحف « الافرنج» واعادة تنظيم قواته ، لكن سهماً أصابه فوقع أرضاً وسقط في المعركة وانطلق جند الفرنج يدمرون خصومهم فسقط آلاف القتلى في ساحة المعركة التي حملت اسم [**بلاط الشهداء**] ..

– عرف شارل مارتل كيف يستثمر ظفره ، فأعاد تنظيم قواته وانطلق مباشرة لمطاردة فلول القوات المنسحبة ووصل في هذه المطاردة حتى « أربونة » في سفوح جبال البيرنيه ، وقد تمكنت الحامية المدافعة عن المدينة من ايقاف تقدم « شارل مارتل » وردعه عن متابعة التقدم ، وتذكر بعض المصادر العربية أن شارل مارتل لم ينجح في اصابة جيش المسلمين أثناء انسحابه نظراً لانسحاب فلول الجيش تحت جنح الظلام في ليلة المعركة ذاتها مما فوت الفرصة على شارل مارتل وأعاقه عن تحقيق هدفه في تدمير جيش المسلمين وابادته ابادة تامة [1] .

(١) نفح الطيب ٣/١٥ ، تاريخ جيوش العالم ٩/ السنة ٢٤ من المجلة العسكرية الغزوات الاسلامية ، دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ٢٨ ، تاريخ الاسلام ، الدكتور حسن ابراهيم حسن ١/٣٢٠ .

كما تذكر بعض المصادر أن شارل مارتل لم يطارد فلول القوات المنسحبة مباشرة خشية ان يكون ذلك خطة مدبرة .

٥ ـ معركة بواتييه في التاريخ :

هناك تناقض كبير واختلاف واسع في تقييم معركة « بلاط الشهداء » ونتائجها بين المؤرخين قديمهم وحديثهم على حد سواء .

فبينما نجد مؤرخي العرب ، كابن الأثير ، والمقري ، وابن خلدون واضرابهم يذكرون احداث هذه المعركة بايجاز وبخطوطها العامة ، مثلها في ذلك مثل جميع المعارك التي خاضها العرب المسلمون .. نجد أن مؤرخو الغرب بصورة خاصة اعتبروها من معارك التاريخ الحاسمة التي أحاطت قائدها ، شارل مارتل ، بهالة كبيرة من التمجيد الذي يصل حتى درجة « التقديس » ..

وقد حذا المؤرخون المحدثون حذو القدامى ، فاعتبرها بعضهم من معارك التاريخ الحاسمة على اعتبار انها أوقفت تقدم المد العربي ـ الاسلامي في بلاد « الافرنج » ، بينما يعتبرها البعض الآخر مماثلة لغيرها في مقدمتها ومسيرتها ونتائجها .

ولكل من الطرفين ـ في الواقع ـ مبرراته ووجهات نظره ، وقد يكون كل طرف من الطرفين مخطئاً في تحليله لهذه الحادثة التاريخية وذلك لأنه يفصلها عن اطارها العام وعن مسيرة الأحداث التالية ..

ولإيضاح ذلك ، يفضل العودة الى الجدول الزمني لمسيرة الاحداث وطرح المعطيات التالية :

١ ـ ان معركة « بلاط الشهداء » وما رافقها من هزيمة لا تختلف عن هزيمة عقبة بن نافع ومقتله في « تهوذه » او مأساة ابو عبيد الثقفي في يوم النهر او مقتل مصقلة بن هبيرة في فارس او غيرها من المعارك الفاشلة الكثيرة التي رافقت فتوح العرب المسلمين ، وقد تمرس العرب المسلمين بالقتال

وفن الحرب فلم تعد الهزيمة تصيبهم باليأس ولم يعد النصر يصيبهم بالغرور واكتسبوا مناعة ضد الانفعالات الطارئة واصبح تقييمهم للنصر والهزيمة موضوعياً ،ولهذا فان معالجتهم لها وكتابتهم عنها اتصفت بالوضوح والايجاز والذكر كحادثة تاريخية فقط تتوافق مع غيرها سواء بسواء ، وان مراجعة معارك افريقية الشمالية وحدها وما رافقها من انتصارات وهزائم كاف لايضاح هذه الحقيقة ، كما ان معاودة محاولات غزو فرنسا بعد وقوع مجموعة من الانتكاسات ومقتل عدد من الولاة وكبار القادة يثبت هذه الحقيقة ذاتها .

٢ ـ لقد اصيبت الدولة الأموية ، بعد معركة بلاط الشهداء ، بعدد من النكبات والمصاعب حاولت الصمود لها ومجابهتها ، فقد كانت الحرب مع بيزنطة مستمرة وفي تصاعد مما تطلب تكريس جهد خاص لمجابهة خطر الشمال. وفي الجبهة الشرقية كانت أعمال التمرد في خراسان مستمرة ، ثم اضيف الى ذلك ظهور ـ دعاة بني العباس ـ واستفحال أمرهم مما فرض تكريس جهد آخر اضافي وكان هذا المسرح يحتل المرتبة الأولى في سلم الأفضليات بسبب اتصال خراسان وفارس البري ومتاخمتها لحدود دولة الشام . وإذا أضيف الى ذلك ، متطلبات الجهد البحري وأعمال الغزو في بحر الشام « البحر الابيض المتوسط » يظهر بوضوح عجز الدولة عن دعم الاندلس بجهد اضافي لمتابعة الفتوحات عبر اوروبا ، بداية من مجابهة بلاد الغال « فرنسا » ..

٣ – وحدثت خلال الفترة أوبئة،كالطاعون في الشام سنة ١٠٩ ه و ١١٥ه و ١٢٧ ه – والمجاعة والقحط في فارس ، مما اعاق الدولة الاموية عن دعم قواتها في الجبهات المختلفة ، ويجب ان يضاف الى ذلك الجهد الذي تطلبه قمع حركات التمرد في الاقاليم المختلفة علاوة على الجهد الذي استنزفته الانقسامات الداخلية والخلافات بين افراد الاسرة الاموية ذاتها ، مما جعل الدولة في حالة عجز عن دعم جبهة الاندلس بالقوات ودفعها لمتابعة الفتوح ومجابهة « الافرنج » في بلاد الغال . –

٤ – وجاء بعد ذلك انهيار دولة بني أمية في الشام ، ثم استقلال الاندلس عن الدولة العباسية وقيام الحكم الاموي ليضعف من القدرة القتاليـــة لدولة « الامويين » ، ويضع حداً حاسماً للتوسع في شمال الأندلس .

– لقد كانت وحدة الدولة – في زمن بني أمية – من العوامـل الأساسية في حشد الطاقات البشرية الضخمة ، والتوسع في أعمال الفتوح على مختلف الجبهات ومجابهة التحديات بتحديات أكبر ، وعندما فصمت عرى « وحـــدة الدولة الاسلامية » لم يعد لدى الأمويين في الاندلس من طاقات يستطيعون بهـا القيام بأعمال الفتوح على نحو ما كانوا يمارسونه خلال حكمهم في الشام ..

٥ – وعلى الرغم من هزيمة « معركة بلاط الشهداء » فان المسلمين لم يتوقفوا عن متابعة الفتوح والقيام بعمليات محدودة تتناسب وامكاناتهم . فقد اقدم يوسف بن عبد الرحمن حاكم « اربونة » في عام ١١٦ هـ – ٧٣٤ م وبعد الهزيمة بسنتين فقط ، اقـــدم على التوغل في حوض الـرون واحتل آرل [١] ، وابينيون [٢] وتجاوزهما في اتجاه الشمال، وقام البحارة المسلمون بالسيطرة على اقليم « البروفانس » متبعين في ذلك محوراً جديداً للغزو واستمر حكمهم لمنطقة البروفانس مائة عام تقريباً ٢٧٧ – ٣٦٥ هـ – ٨٩٠ – ٩٧٥ م ، وهذا برهان على ان فكرة التوسع لم تتوقف نتيجة لهزيمة « بلاط الشهداء » وانما توقفت بسبب « القصور في الامكانات الذاتية وضعف الطاقة البشرية . –

٦ – اكتسب شارل « مارتل » شهرته ، كواحـــد من مؤسسي الأسرة الكارولنجية لا بسبب انتصاره على العرب المسلمين في معركة « بلاط الشهداء » وإنما بسبب الانتصارات المتتالية والمعارك الكثيرة التي خاضها وأخضع مملكة

....

(١) آرل : Arles
(٢)ابينيون : Avignon

نوسترازيه ومقاطعة اكيتانية وهزم البافاريين والساكسون والآلامان وانتصر على لومبارديا وضمها الى مملكته وقاد جيوشه طوال ثلاثين عاماً ضد الساكسون كما قاتل السلافيين والأفار ووحـد مملكة الكارولنجيين . وبذلك اكتسب شهرته الواسعة ..

ـ ان ما سبق ذكره هو بعض الشواهد التي يمكن وضعها لاجراء تقييم صحيح ، لنتائج معركة بلاط الشهداء ـ .

ـ ويمكن القول ان معركة بلاط الشهداء لا تختلف عن معركة يوم التروية او توغل عنبسة بن سحيم الكلبي او حتى توغل موسى بن نصير وطارق ابن زياد في وادي الرون ، والاختلاف الوحيد هو ان اطارها الزمني يختلف بعض الشيء ، نظراً لما اصاب الدولة الاموية بعدها بحيث لم يعد باستطاعتها دعم فكرة متابعة الفتوح ولهذا فان تاريخ ١١٤ هـ ـ ٧٣٢ م هو مجرد تسجيل لأقصى ما وصله العرب المسلمون في بلاد غاليا ولا يحمل معنى أعمق من ذلك .

٦ ـ المحور الخامس
والقاعدة المتقدمة في ايطاليا وسويسرا وجنوب فرنسا

بقي هناك محور خامس ، وهو محور التقدم البحري الى جنوب فرنسا ، ولقد جاء التحرك عن طريق هذا المحور متأخراً ، وتم بواسطته تكوين قاعدة متقدمة أسهمت الى حد كبير في تخفيف الضغط عن الاندلس وحمل عبء في الدفاع عنها .. ويمكن ايجاز ظهور هذه القاعدة حتى زوالها بما يلي :

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحـداث
١	٢٧٦	٨٨٩	كان حاكم اقليمي بروفانس ودوفيني خـلال هذه الفترة غير خاضـع للأسرة الكارولنجية ، وكان يحكمها أمـير اسمه « بوزون[1] » أطلق على نفسه اسم « ملك آرل » . وكان موقفه ضعيفاً بسبب قربه من الأندلس جنوباً ومناهضة الدولة الكارولنجية له شمالاً .
٢	٢٧٨	٨٩١	قذفت أمواج البحر الابيض المتوسط زورقاً صغيراً إلى عين الطيب « آنتيب » ونزل من هذا الزورق عشرون ملاحاً عربيـاً في خليـج « غريماد »[2] المعروف باسم « سانت تروبيز »[3] وتسلل هؤلاء بعيداً عن كل رقابة عـبر الغابات وأمكن لهم التسلق صعداً في سلسلة الجبـال الواقعة الى شمال الخليج وأمكن لهم العثور على موضع جيد تتوفر فيه الميزات التالية : ١ – القرب من البحر – حيث الامـداد – والاتصال بقاعدة الاندلس . ٢ – السهول والقرى المحيطة ، حيث الوسط المحيط الملائم للغزو والتعـايش والاستقرار

(١) بوزون : Boson .
(٢) غرياد : Grimad .
(٣) سانت تروبيز : Saint - Tropes .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الأحداث
			ومحاور الاتصال بين الغرب والشرق « ايطاليا وفرنسا » وبين شمال اوروبا وجنوبها .. ٣ – غابات « الألب » ومسالكها الوعرة مع ما تقدمه من وسائل طبيعية للدفاع ضد التهديدات الخارجية .. وبدأ هؤلاء فوراً في العمل على إنشاء قاعدة قوية أطلقوا عليها اسم فريكسيناتوم(١) وأرسلوا الى الاندلس وافريقية طالبين الانضمام اليهم ودعمهم ..
٣	٢٧٩	٨٩٢	وصلت قوة جديدة من العرب المسلمين – من الأندلس وافريقية – وانضمت الى القوة السابقة وتابعت بناء الحصون التي أطلق على مجموعها اسم فراكسينيت ، وأخذ هؤلاء في التوسع ، ونظراً لشدة بأس هؤلاء المقاتلين فقد أخذ السكان وأمراء المقاطعات يستعينون بهم بعضهم على

(١) فريكسيناتوم : Fraxinetum . وهو اسم مشتق من شجر الدرداو ، ويظهر ان شجر الدرداو كان منتشراً في عهد فتح العرب المسلمين لها ويعتقد ان فريكسيناتوم هذه في موقع « غارد فرينيه الحالي Garde - Frainet » في سفح جبل الالب حيث تحيط بها غابة « المور » او « العرب » ، وقد شيد العرب مجموعة من القلاع اطلق على كل واحد منها اسم « Fraxinet » لكن « الفراكسينيت » الأول على ما يعتقده بعض علماء الآثار هو ذلك القائم على انقاض مدينة رومانية اسمها « فراكسينيت » وان الحصن العربي لم يكن له من الطول اكثر من ثلاثمائة قدم ولا يتسع لأكثر من مائة مقاتل تحيط به الخنادق ، مما يدل على ان هذه المواقع كانت مخافر مراقبة ومراكز مقاومة لا اكثر أنشئت بهدف دفاعي ، وان الفراكسينيت الاول المشار اليه يقع في ذروة جبل يحمل اليوم اسم سيدة ميرامار Notre Dame de Miramar

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
			بعض وقد انضم اليهم اعداد من المغامرين فقوي بذلك أمرهم وارتفع شأنهم.. ووصلوا في توسعهم حتى قمم الألب وسيطروا على أقاليم دوفيني وسافوا وبيجونت .
			– أفاد العرب المسلمون خلال هذه الفترة من التناقضات والأوضاع الداخلية لفرض سلطانهم على الأقاليم التي سيطروا عليها .
			– فقد أصبحت مملكة آرل تحت حكم لويس ابن بوزون ، وكان لويس هذا قد سار بجيشه الى ايطاليا لقتال بيرانجه ملك ايطالية ، فترك بلاده خالية من الحاميات القوية ..
			– وتعرضت فرنسا لغزو النورمان والسلاف في الشمال وقد استطاع هؤلاء توجيه تهديد خطير للدولة الكارولنجية حتى كادوا يطرقون أبواب باريس في احدى مراحل تقدمهم .
٤	٢٩٦	٩٠٨	– قامت قوة من العرب – المسلمين بالانزال من جديد عند سواحل « لنغدوك » قرب ايغمورط .
٥	٢٩٩	٩١١	أصبحت سيطرة العرب المسلمين كاملة على محاور المرور وطرق المواصلات ومضائق جبال

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
			الألب ، ولم يكن باستطاعة أحد المرور دون التعرض لخطر مجابهة قوة العرب المسلمين .
٦	٣٠٠	٩ ٢	**تولى حكم الاندلس ، عبد الرحمن « الثالث » وامكن له توحيد قوة الاندلس في قبضته ، وتحالف حنشو غرسيه ملك نابار وأردونه ملك ليون والثائر ابن حفصون .**
٧	٣٠٨	٩٢٠	وجه عبد الرحمن جيشاً كبيراً بقيادة عمه (عبد الرحمن) تجاوز جبال البيرنيه واكتسح قسماً من غسكونيا حتى وصل قريباً من تولوز ، وفي الوقت ذاته عملت قوة العرب المسلمين في القاعدة المتقدمة على تصعيد عملياتها مما حمل الأغنياء ، ورجال الكنيسة على استثارة القوى المختلفة وحشدها في قوة واحدة ضد العرب المسلمين .
٨	٣٣١	٩٤٢	أعلن الكونت « هوغ »[١] ملك بروفانس عزمه على طرد المسلمين وطلب من امبراطور القسطنطينية دعمه ، فأرسل اليه أسطولاً فزحف هوغ على حصن فراكسينيت بجيش كبير ، وفي الوقت ذاته كانت القطع البحرية ، قاذفة النار

(١) هوغ Hugues ، كان مصاهراً لامبراطور بيزنطة .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
			اليونانية ، تحرق القطع البحرية للمسلمين ، ونجح هوغ في الاستيلاء على الحصن ، والتجأ العرب المسلمون الى الجبال ، وتزايد الخطر عليهم ، وفي هذه الفترة الحرجة وصلت أخبار فرار « بيرانجه »[1] الذي كان ينازع هوغ في عرش مملكة ايطالية . فعقد هوغ مع العرب صلحاً بشرط أن يساعده العرب في الامساك بمحاور الطرق عبر الألب ومنع كل قوة معادية من قوات خصمه « بيرانجه » في المرور عبر هذه المحاور ، وتم الاتفاق على ذلك[2] .
٩	٣٣٩	٩٥٤	**شعر العرب المسلمون بعد هذا الاتفاق بالاستقرار فانطلقوا الى التعايش مع السكان ، وتزاوجوا معهم ، وسكن بعضهم المدن فكانت لهم احياء في نيس «نيقه» وغرونوبل وعرفت**

(١) بيرانجه Berenger .

(٢) استقبل بعض رجال الكنيسة هذا الاتفاق بالنقمة والسخط وقد عبر عن ذلك المؤرخ ليوفبراند بقوله (لقد قام بعمل لا سبيل للغدر فيه ، ثم قال ما معناه : انه سهل بعمله هذا هلاك الاتقياء وجعل من نفسه حصناً واقياً للطغاة الذين يقال لهم « المور » ، ثم يخاطب هوغ بقوله : (ألا تخجل من نفسك ايها التعس وانت تبسط ظلك على اناس يسفكون الدماء ويعيشون من قطع الطريق ؟. وماذا اقول لك ، لعمري جدير بك ان تنقض عليك صاعقة، او ان تكسر تكسيراً او ان تفنى فناء ابدياً ...) .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
			هذه الاحياء السكنية بعد ذلك باسم معسكرات المسلمين[١] . – وانصرف العرب الى الزراعة ، وأصبحوا يسيطرون سيطرة تامة على معبر سان برنارد الكبير «جبل المشتري» المحور الرئيسي للاتصال بين سويسرا وايطاليــة ، عبر فاليه [٢] ووادي اوسط[٣] .
١٠	٣٤١	٩٥٢	اكتسح السلاف « المجر » الالزاس،وسيطروا على جبال جورا فوضع امير بورغونيا وسويسرة ودوفيني « **الكونت كونراد** » مخططه لتدمير القوتين ، ووجه المجر ضد العرب فخاضوا معهم معارك ضارية ، وفي اللحظة الحاسمة انقض كونراد بجيش كبير على فلول قوات الطرفين ونجح في ابادتها ابادة شبه تامة ، ولجأ من بقي من العرب الى المعاقل والجبال في حين تعرض من بقي من المجر لمذبحة جديدة أعدها « أوتون » ملك المانيا ..

....

(١) معسكرات المسلمين ترجمة لاصطلاح Canton des, Sarrazins وقد اخذ الافرنج يطلقون هذا الاسم على جميع المسلمين كما يطلقون عليهم اسم « المور » وكان بالاصل خاصة لأبناء المغرب، ثم عمم على كل العرب المسلمين وهناك عدد غير محدود من القلاع والاماكن التي تحمل اليوم في اوروبا اسماء قلاع العرب Castle Sarrazins .

(٢) فاليه : Valais .

(٣) وادي اوسط Aoste .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحـداث
١١	٣٤٥	٩٥٦	قام الاسقف « ايزاردون» بقيادة قوة كبيرة واخرج العرب المسلمين من غرونويل .
١٢	٣٤٩	٩٦٠	قام الاسقف « برنار دو منتون »[١]بقيادة قوات كبيرة ونجح في اخراج العرب المسلمين من مضائق « سان برنارد » .
١٣	٣٥٠	٩٦١	مات عبد الرحمن الثالث (الناصر) وخلفه ابنه الحكم الثاني .
١٤	٣٥٨	٩٦٨	أعلن الامبراطور « اوتون» عن عزمه لطرد العرب المسلمين من البروفانس ..
١٥	٣٦٢	٩٧٢	وقع عدوان من المسلمين على«القس مايول»[٢] واستثمر أحد النبلاء في « نوايبه »[٣] هـذا الحادث ، فحشـد قوة كبيرة زحف بها الى

....

(١) برنار دومنتون Dementhone .

(٢) مايول Mayeul كان قساً يتمتع بشعبية واسعة وكان قسيس بلدة كلوني Cluny في بورغونية ، وقد ذهب الى رومة لزيارة كنائسها كما هي عادة القديسين ، ولما وصل مايول كان في انتظاره جمهور كبير من المستقبلين له، وعند وصول القافلة اطراف الوادي باغتهم العرب المسلمون بقوة الف مقاتل ، واعتقلوهم ، واقتادوهم اسرى وطلبوا منهم فدية كبـيرة ، ويذكر القسيس مايول -الذي جعلوه بعد ذلك قديساً - عن فترة الاعتقال فيقول:

(كان اذا اشتهى الطعام جاء احدهم وغسل يديه واصلح له طعاماً شهياً ووضعه بين يديه بأدب جم ، وكان مع القسيس نسخة من التوراة ، فجاء احد المسلمين ومد يده اليها دون احترام ، فلامه رفاقه وقالوا له : ان هذا كتاب مقدس ونحن معاشر المسلمين نقدس جميع الكتب السماوية ..)

(٣) نوايبه : Noyers قرية تقع في نواحي سيسترون Sisteron واسم النبيل «بوبون».

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
			« سيسترون » وشيد حصناً مقابل حصن المسلمين في «بيترا ـ امبيا»[1] وأفادوا من بعض الظروف فانقضوا على المسلمين وذبحوهم ..
١٦	٣٦٥	٩٧٥	استنفر « غليوم » كونت بروفانس أهالي بروفانس ودوفيني السفلى وتوجه بقوات كبرى لقتال العرب المسلمين ، فنزل هؤلاء من معاقلهم الجبلية ونظموا صفوفهم ووقعت بينهم وبين أهالي بروفانس معركة كبيرة في « تورتور » قريباً من « دراغينفهان » ولقيت قوات المسلمين هزيمة منكرة فالتجأت فلول قواتهم الى حصن معين لكن قوات غليوم طاردتهم وأحاطت بالمعقل فتسلل العرب المسلمون ليلاً ، وهربوا إلى الحراج المجاورة وطاردهم غليوم قتلاً وأسراً واستسلمت أعداد منهم «للرق» وسقط حصن «فراكسينيت» ولم يبق من المسلمين سوى مجموعات قليلة متفرقة اندمجت في مجتمعها ودانت بدينه .
١٧	٣٦٦	٩٧٦	مات الخليفة ، الحكم الثاني في قرطبة ، واستولى العامريون « بني عامر » على السلطة فيها بقيادة « المنصور » .
١٨	٣٩٣	١٠٠٢	توفي المنصور ، وعرف التمزق الداخلي طريقه الى قرطبة ، وبدأ بعد ذلك استقلال الامارات ، وعصر انحطاط الاندلس[2] .

(١) بيترا ـ امبيا Petra - Empia .

(٢) المراجع : غزوات العرب ـ ارسلان ـ ١٦٠ ـ ١٩٠ .

٧ – حول عمليات المحور البحري :

– يشابه دور احتلال العرب المسلمين لجنوب فرنسا ومنطقة جبال الألب وشمال ايطاليا ذلك الدور الذي مارسته القواعد المتقدمة والمستقلة خلال الحرب العالمية الثانية وبصورة خاصة ما كان منها على مسرح آسيا ، في شمال الهند والصين[١] ولقد وجد العرب المسلمون في الاندلس حماية مستقلة وفرتها لهم هذه القاعدة ، ولهذا فقد حظيت باهتمام امير قرطبة ونالت دعمه . وفي الوقت ذاته وفرت هذه القاعدة حماية نسبية للعمليات البحرية في حوض البحر الابيض المتوسط .

– ومما يؤخذ على عمليات هذه القوات انها دمرت كثيراً من الكنائس ، وأبادت عدداً من القسس ، ولإيضاح هذه النقطة يجدر الانطلاق من المعطيات التالية :

١ً – لقد تزعم القسس حركات المقاومة – والحرب هي الحرب – في كل زمان ومكان صراع بين ارادتين ، لا مجال للتهاون فيها ، والاسرع فيها والاكثر تصميماً هو الذي يحرز النصر ويضمن لنفسه البقاء ..

٢ً – لقد كتب تاريخ هذه العمليات وسجلها القسس ذاتهم ، ولهذا كان فيها الكثير من التجني والمبالغة في وصف الوقائع والاضطهادات ، وان هذه الشهادات قد سجلت بعد مضي وقت على مرور احداثها فهي مطعون بها من ناحيتين ، من ناحية صدق وقائعها ، ومن ناحية حقيقة حدوثها .

٣ً – لقد توافق حدوث غزوات العرب مع حدوث هجمات النورمان والسلاف . وعرف عن غزوات السلافيين والنورمان من القسوة والوحشية ما يفوق كثيراً على ما كان يفعله العرب في حروبهم التي تميزت – بالفروسية –

....

(١) كان اول من نظم هذه القواعد ، « فرقة وينغيت » الذي عمل على تدريب العصابات الصهيونية في اسرائيل ومارس دوراً كبيراً في حرب الحبشة واعادة امبراطورها اليها بعد ان أخرجته القوات الايطاليه .

وبالتزامها لقواعد اخلاقية في سلوكها وفي أسلوبها ، وكان أهل فرنسا يعتبرون الغزاة جميعهم من الوثنيين وليس من المستبعد الصاق ما فعله النورمان والسلاف – المجر – بالعرب المسلمين ..

٤ً – وبينما يبرز كثير من مؤرخي الغرب ما قام بـــه العرب من غزوات همجية نراهم يطبقون بصمت أو ينوهون بشكل عابر الى ما قام به برابرة الشمال، نظراً لنجاح الكنيسة في ادخالهم دين المسيحية واعتمادهم بعد ذلك في الحروب الصليبية ضد الاندلس وضد المسلمين في حروب الشرق الصليبية .. وهذه النقطة تثبت صحة المعطيات السابقة .

٥ً – توافق تاريخ عمليات هذا المحور مـــع مضي مرحلة من قيام الدولة الأموية في الأندلس . وفي هذه الفترة ، كانت قوات العرب المسلـمين تضم اليها أعداداً غير قليلة من غير المسلمين ، بل ومن غير العرب كالصقالبة والمتطوعين من اوروبا ذاتها . وقد سجل بعض المؤرخين أو بعض من عاصر تلك الأحداث وعايشها .. ان بعض هؤلاء لم يكونوا من المسلمين ، ولم يكونوا يتحدثون باللغة العربية ، ومعنى ذلك ، إما قيام النورمان ببعض هذه الغزوات وقـــد حدث ذلك فعلاً ، وإما قيام العناصر غير المسلمة بأعمــال مسيئة ، ألصقت بالعرب المسلمين عن عمد أو غير عمد ..

– وفي كل الأحوال ، فان هذه المعطيات والحقائق التاريخية قد أصبحت في سجلات الماضي السحيق وليست هناك ضرورة لاثباتها أو نفيها لولا وجود بعض العناصر التي تحاول بين فترة وأخرى إثارة بعض سلبيات الماضي ان وجـــدت والتلويح بها ، فنلجأ نحن الى الدفاع ، وان الأسلوب الصحيح للرد على مثل هؤلاء من كتاب أو مؤرخين هو :

ماذا فعلتم في مرحلة الاستعمار ، والمـد الاستعماري ؟ وخـلال أيام الحروب الصليبية ذاتها منذ بدايتها ؟.

ثم كم هو عدد الكنائس التي دمرها المسلمون، وما هو العدد المقابل للمساجد التي دمرها الصليبيون في الاندلس ، وجزر البحر الأبيض المتوسط ؟

– وللانصاف يجب القول ان عدداً من المؤرخين المحدثين قد انصفوا العرب المسلمين . واعترفوا ان من بعض ما ترك العرب من أثر ، تعليم الغرب روح الفروسية والنبل وهما الصفات التي سادت اوروبا في عصر نهضتها وعاشت اوروبا عليها حتى الآن ..

– ومن بعض ما أدخله العرب أيضاً التطوير في فن الحرب، وكان الاحتكاك الدائم والصراع المستمر مدرسة اقتبس منها الغرب الأسس الصحيحة والمتطورة لفن الحرب ثم عملوا على تطبيقها واستخدامها ضد العرب المسلمين ذاتهم ، في الأندلس ، وفي الشرق وفي كل مكان ..

—★—

قراءات

السمح بن مالك الخولاني

... - ١٠٢هـ = ... - ٧٢١ م

- السمح بن مالك الخولاني أمير من خولان من قضاعة ، استعمله عمر بن عبد العزيز على الأندلس لمّا لمس فيه من الأمانة والاستقامة ، وأوصاه أن يخمس الأرض ما كان عنوة ويكتب اليه بصفتها وأنهارها وبحارها ، وكان من رأيه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن أهل كلمتهم ..

- سنة ١٠٠ هـ : وصل السمح بن مالك الأندلس ، ونظم أمورها وبدأ ببناء قنطرة قرطبة ثم أعاد تنظيم قواته وتقدم حتى ناربون « اربونه » فجعلها قاعدة متقدمة وزاد من تحصينها ، وهناك شارع فيها لا يزال يحمل اسمه (١) .

- سنة ١٠٢ : تابع السمح بعد ذلك غزواته في اكيتانيا وقتل في موقعة « يوم التروية » ..

- من ذريته في الأندلس حفيده « اسحاق بن قاسم بن سمره بن نهشل بن مالك بن السمح بن مالك الخولاني »(٢) .

....

(١) Rue de Zama .

(٢) غزوات العرب ٦٦ ، الاعلام ٣ - ٢٠٣ ، البيان المغرب ٢ - ٢٦ ، نفح الطيب ٣ - ١٤ ، جذوة المقتبس ٢٢٠ .

عنبسة بن سحيم الكلبي

... – ١٠٧ هـ = ... – ٧٢٥ م

– عنبسة بن سحيم الكلبي ، عامل الأندلس أيام هشام بن عبد الملك ، تولى الاندلس بعد مقتل السمح بن مالك ، واستقر في قرطبة وأعاد تنظيم جيشه لمتابعة الغزو ، ثم انطلق الى الشمال فاستولى على سبتمانية .

– سنة ١٠٧ هـ : توغل السمح بقواته في غاليا « فرنسا » وافتتح كاركاسون « قرقشونه » وعبر الرون شرقاً وأوغل في اقليم برغنديه حتى بلغ مدينة ليون واستولى عليها .

وصف اسقف « باجه » فتوحات عنبسة [**بأنها فتوحات حنق ومهارة اكثر من فتوحات بطش وقوة**] .

أصيب خلال معاركه الأخيرة بجراحات توفي على اثرها [١] .

كانت مدة ولايته أربعة أعوام وأربعة أشهر ..

– وفي أيام عنبسة ظهر بجيليقيه « شمال شرق الاندلس » علج خبيث يدعى « بلاي » فعاب على قومه طول الفرار ، وأذكى قرائحهم حتى سما بهم الى طلب الثأر ، ودافع عن أرضه وعندما امتدت سيطرة المسلمين الى منطقة جيليقيه كلها قاد « بلاي » أنصاره الى منطقة حصينة حملت اسم « صخرة بلاي » فحاصرهم المسلمون حتى لم يبق معه سوى ثلاثين رجلا ونحو عشرة نسوة ، وكان هؤلاء يوفرون غذاءهم من عسل النحل في خروق الصخرة ، فاستهان المسلمون بهم وقالوا [ثلاثون علجاً ، ما عسى أن يجيء منهم] فبلغ أمرهم بعد ذلك في القوة والكثرة ان سيطروا على الاندلس واحتلوا قرطبة ، وكان «بلاي» وصحبه نواة عملية « الغزو المضاد » [٢] La ReconQuista .

---

(١) غزوات العرب ٧٣ و ٨٥ ، نفح الطيب ٣ – ١٦ ، ابن الأثير حوادث سنة ١٠٧ ، البيان المغرب ٢ – ٢٧ ، الاعلام ٥ – ٢٦٩ ، تاريخ الاسلام الدكتور حسن ابراهيم حسن ١ – ٣٢٠ ، تاريخ الاسلام الذهبي ٢ – ٢٤٣ ، جمهرة الانساب ١٠٢ .

(٢) بلاي Pelayo أو Pelagius باللاتينية ، فجر الاندلس الدكتور مؤنس ٣١٣ .

عبد الرحمن الغافقي

... - ١١٤ هـ - ... - ٧٣٢ م

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن بشر بن الصارم الغافقي ولقبه أبو سعيد .. وعرفه بالعكي نسبة الى بني عك وغافق بطن منهم في اليمن ..

- ذهب الى افريقية وعاد الى دمشق حيث وفد على الخليفة سليمان بن عبد الملك وذهب الى الاندلس فالتقى فيها بموسى بن نصير وابنه عبد العزيز .

- سنة ١٠٢ هـ : كان في القوة التي قادها السمح بن مالك الخولاني وعندما استشهد السمح تولى عبد الرحمن قيادة القوات حتى « ناربون » ، وبقي على ولاية الاندلس فترة قصيرة ريثما التحق الوالي الجديد عنبسة بن سحيم الكلبي .

استمر عبد الرحمن في غزو بلاد الافرنج .

سنة ١١٢ هـ : عينه هشام بن عبد الملك والياً على الأندلس ، فقام بجولة على اقاليم الاندلس « كورها » وحشد الامكانات لغزو بلاد الغال - فرنسا .

سنه ١١٤ هـ : عبر بقواته جبال البيرنيه «البرتات» من منطقة « البشكنس - الباسك » واستولى على بوردو بعد حصاره لها، وهرب من وجهه ملك اكيتانيا، الذي طلب دعم شارل مارتل فتقدم هذا بجيشه المكون من الغاليين والجرمانيين.. ووقعت معركة في سهل بواتييه جنوب تور استمرت ثمانية أيام ، ثم قتل عبد الرحمن فوق أرض المعركة ، وسميت المعركة باسم[1] « بلاط الشهداء » .

(١) نفح الطيب ٣ - ١٥ ، غزوات العرب ٨٧ - ١٠٢ ، الكامل لابن الأثير حوادث سنة ١١٤ هـ ، البيان المغرب ٢ - ٢٦ ، الاعلام ٤ - ٨٥ ، جذوة المقتبس ٢٥٣ .

القسم الرابع

الفصل الأول

الدولة الاموية في الاندلس

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء في أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر ، قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون » صدق الله العظيم .
آل عمران - ١١٨ -

١ ـ الوضع العام .

٢ ـ الوضع على الجبهة الشمالية .

٣ ـ الوضع الداخلي .

٤ ـ عبد الرحمن الداخل في الاندلس .

آ ـ الاصلاحات ، واعادة التنظيم - تشكيل الجيش المحترف .

ب ـ استراتيجية الردع - تنظيم الصوائف وحماية الثغور .

حـ ـ سياسة الاحلاف .

د ـ عبد الرحمن الداخل وبناء الدولة .

٥ ـ هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الهجمات الوقائية .

آ ـ العمليات في جيليقيه .

ب ـ العمليات في ناربون ، واكيتانيا .

حـ ـ معاودة نقل محور ثقل العمليات الى جيليقيه ـ موقعة الصخرة .

٦ ـ الحكم بن هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الردع .

جدول توقيت الأحداث

آ ـ الوضع العـــام .

ب ـ الوضع الخـاص .

حـ ـ مسيرة الاعمال القتالية :

١ً ـ الهجوم الوقائي الأول .

٢ً ـ سقوط برشلونه .

٣ً ـ استعادة تطيله .

٤ً ـ هجوم وقائي جديد .

٥ً ـ استراتيجية الردع ـ معركة وادي الحجارة .

٦ً ـ اخضاع التمرد في طليطله .

٧ً ـ تطوير عمليات الردع .

الدولة الأموية في الأندلس

الوضع العام

توالى على حكم الاندلس بعد مقتل عبد الرحمن الغافقي في معركة بلاط الشهداء ١١٤ هـ – ٧٣٢ م ستة من الولاة ، اولهم عبد الملك بن قطن الفهري ١١٤ – ١١٦هـ –٧٣٢ – ٧٣٤م وآخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري ١٢٩– ١٣٨ هـ – ٧٤٦ – ٧٥٦ م.(١)

– حاول هؤلاء الولاة متابعة الفتوحات ومقاومة الحركات المناوئة والثورات المضادة ، فعمل عبد الملك بن قطن على غزو اقليم البشكنس « منطقة الباسك جنوب غرب فرنسا حالياً » بعد ان جعلت المقاومة من هذا الاقليم مستقراً لنشاطها ومنطلقاً لعملياتها ونجح الفهري في القضاء على المقاومة لكنه اضطر للقسوة واستخدام العنف في اخضاع حركات «الثورة المضادة» مما جعله مكروهاً ، وعندما جاء بعــــده عقبة بن الحجاج السلولي ١١٧– ١٢٣ هـ – ٧٣٥– ٧٤١م ، ركز جهده على الفتوحات الخارجية وتحصين الثغور [**.. حتى بلغ سكنى المسلمين أربونة «ناربون» وصار رباطهم على نهر ردونة « الرون »...**](٢) ، وكان من بين ما حصنه المسلمون اقليم اللانغدوك(٣) حتى ضفاف الرون ، واقاموا الحاميات في الحصون والقلاع ، كما نظم عقبة الهجمات على دوفينيه(٤) وهو الاقليم

....

(١) انظر الملحق ففيه جدول يضم اسماء الولاة وتسلسلهم .
(٢) نفح الطيب ١ – ٢٣٧ و ٣ – ٢٦ ، وغزوات العرب ١١١ .
(٣) اللانغدوك Languedoc .
(٤) دوفينيه Dauphine .

الواقع شمال البروفانس وغرب سافوا وشرق ليون ، ودمر المسلمون بلدة سان بول[١] بسبب مقاومتها واحتلوا فالانس[٢] الواقعة على الرون ..

ـ وفي الوقت ذاته دعم عقبة اعمال الهجوم على امتداد ساحـل البروفانس وهي الأعمال التي فرضت وجود المسلمين في ليرين[٣] وعـين الطيب [٤] التي كان القسس والرهبان قد جعلوها مستقراً لهم، وعندما هاجمهم المسلمون عام ١٢٢هـ ـ ٧٣٩ م كان هناك خمسمائة راهب يتزعمهم الراهب « بورسير »[٥] الذي ضم اليه رجال الكنيسة من ايطاليا وفرنسا وسائر اوروبا . وقد طالبهم المسلمون كما هي عادتهم بالجزية او الدخول في الاسلام او الحرب،ورفض القسس فاضطر المقاتلون المسلمون لاعدامهم .

ـ خلال هذه الفترة من حكم الولاة أخذت الخلافات الداخلية تظهر على شكل ثورات مضادة ، فقام البربر ضد العرب بثورة كانت استمراراً لثورتهم في شمال افريقيا ، ونهض أهل الاندلس فأعادوا لحكمهم عبد الملك بن قطن ، وبقي فيها فترة قصيرة واستمر الاضطراب حتى جاء أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي ومعه أهل الشام فاستقر له الوضع في بداية أمره ، وانصرف الى تنظيم الأمور الداخلية ، وفي فترة ولايته أصبحت قرطبة تضيق بأهل الشام فعمل على توزيعهم في الأقاليم .

(١) سان بول : المعروفة بالثلاثة قصور ودونزير
Saint Paul et Trois Chateaux et Donzère .
(٢) فالانس Valence في منتصف المسافة تقريباً بين ليون وافينيون على نهر الرون .
(٣) ليرين Lerin .
(٤) عين الطيب : هي مدينة انتيب Antibes الواقعة على البحر الابيض المتوسط جنوب فرنسا في مقاطعة « الالب ـ ماريتيم » التي مركزها « غراس » ومدينة انتيب الى الشرق من نيس على الشاطىء اللازوردي Cote d'Azur .
(٥) الراهب بورسير : جعلوه قديساً بعد موته وهو Saint Porcair .

[.. فانزل أهل دمشق البيره لشبهها بها وسماها دمشق وانزل اهل حمص اشبيليا وسماها حمص واهل قنسرين بجيان وسماها قنسرين واهل الاردن ريه ومالقة وسماها الاردن واهل فلسطين شنونة وهي شريش وسماها فلسطين واهل مصر تدمير وسماها مصر ..] [1]

لكن أبو الخطار حسام أظهر تحيزاً لأهل اليمن فتصدى له الصميل بن حاتم ـ زعيم المضرية ـ وخلعه وأسره وولى على الاندلس ثعلبة بن سلامة العاملي ، ثم توفي ثعلبة ، وتفاقم الأمر وبقيت الاندلس اربعة اشهر دون وال يضبط أمورها فاجتمع أهل الأندلس على تعيين يوسف بن عبد الرحمن الفهري والياً لمدة سنة (وهو مضري) على أن يخلفه في السنة التالية وال « يمني » وعندما جاء أهل اليمن في السنة التالية تصدى لهم يوسف واستأثر بالأمر دونهم وقتل منهم خلقاً كثيراً فركن اليمنيون الى الهدوء انتظاراً لفرصة مناسبة يحققون فيها انتقامهم .. وهكذا كان الوضع الداخلي خلال حكم الولاة وضع تمزق بين عرب وبربر ، وبين مضرية ويمنية ، وبين شامية وبلدية « عرب الحجاز » مما ترك لأعداء المسلمين المتربصين بهم فرصة للتجمع وإعادة التنظيم وبدء المقاومة .

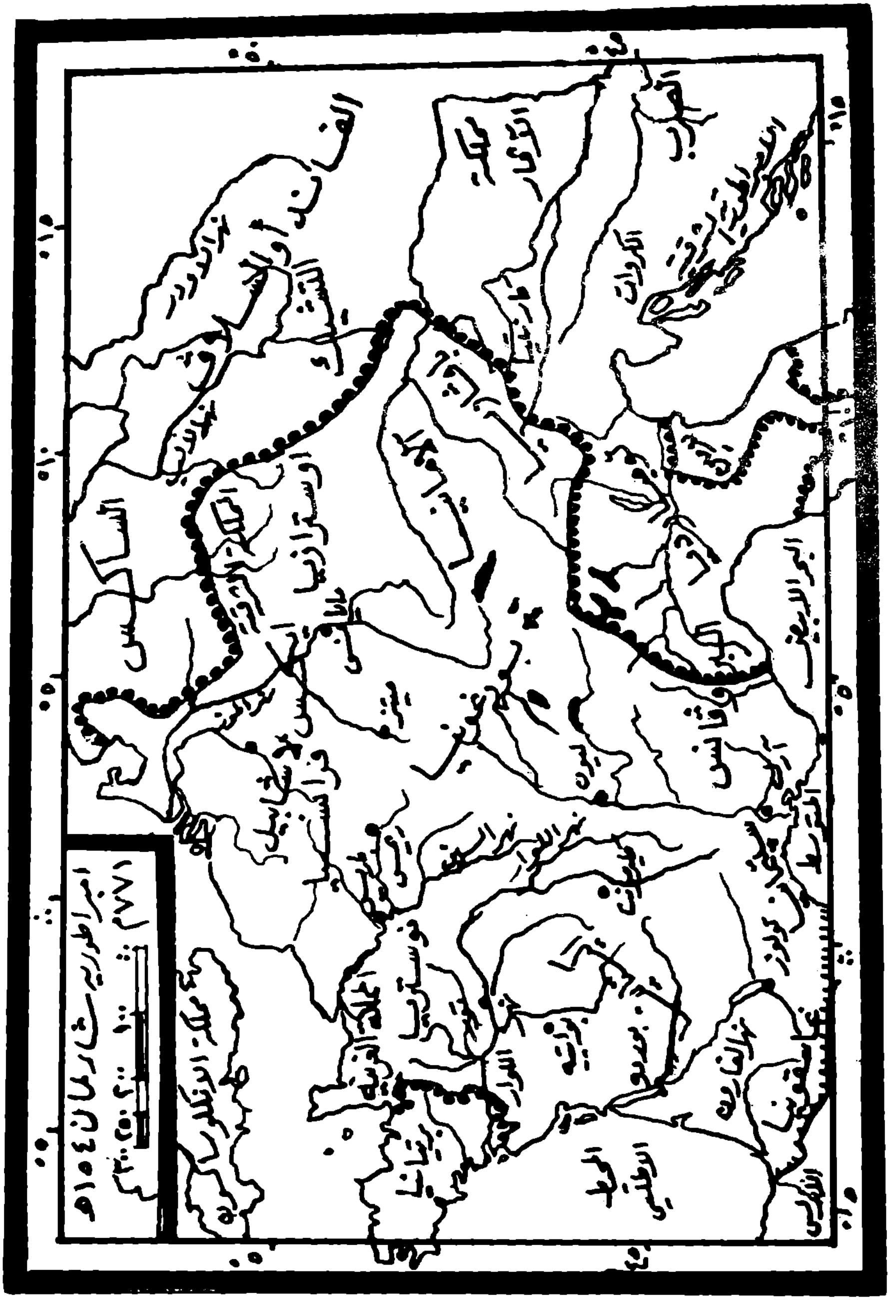
٢ – الوضع على الجبهة الشمالية –

– كان الملوك الكسالى من الميروفنجيين [2] **قد تركوا السلطة لوزرائهم في الفترة الاخيرة من حكمهم ، فنشأت أسر متوازية تتنازع مركز الصدارة ، واستطاع بيبان الهيريستالي وزير قصر مملكة اوسترازية ان يسحق جيش**

---

(١) نفح الطيب ١ ـ ٢٣٧ و ٣ ـ ٢٦ .

(٢) الميروفنجيين نسبة الى Mérovée : ملك الفرنج ٤٤٨ ـ ٤٥٧ م . قاد الفرنج في معركة « حقول كاتالونيه » Champ Catalauniques الممتدة بين شالون على المارن وتروا ، واعطى اسمه للاسرة المالكة الميروفنجية التي حكمت بلاد الغال « فرنسا » القديمة حتى ٧٥١ م ، وتلتها الاسرة الكارولنجية التي أسسها بيبان الاول وزير القصر ومن بعده ابنه شارل مارتل وحكمت هذه الاسرة من ٧٥١ – ٩٨٧ م .


امبراطورية شارلمان

نوسترازية واعاد تنظيم المملكة ، واستطاع شارل مارتل ابن بيبان اخضاع مملكة اوسترازية ومقاطعة اكيتانيا وهزم البافاريين والساكسون والآلامان - وورث شارل مارتل مجمل مملكة الافرنج وتابع جهده لتوسيع حدود مملكته - .

بدأت الأسرة الكارولنجية عهدها بإصلاح عام في البلاد ، بعد أن عملت على توحيدها ففرضت نظام الجندية ، وقامت بإصلاحات عسكرية ، وأخذت تزيد من اهتمامها بقوة الفرسان مع إنشاء مراكز إدارية لتموين الجيوش على محاور الطرق المختلفة وأفادت من أموال الكنيسة للقيام باصلاحاتها ، ونظراً لتطبيق نظام التجنيد الشامل فقد أصبح باستطاعة شارل مارتل[1] ومن بعده ابنه بيبان[2] ثم شارلمان[3] زج قوات غير محدودة من جميع الاقاليم ..

كان شعور الافرنج ، رغم انتصارهم في يوم الترويه - وبلاط الشهداء -

(١) شارل مارتل Charles Martel وزير القصر وابن بيبان دو هيرستال Pèpin de Héristal عاش تقريباً بين ٦٨٨ - ٧٤١ م . وجاء في اللاروس المصور للقرن العشرين ان انتصار شارل مارتل في بواتيه هو الذي انقذ الحضارة المسيحية .

(٢) بيبان الحاسم Pepin le Bref ولد عام ٧١٤ في جوبيل Jupille «بلجيكا» وهو ابن شارل مارتل ، وفي عام ٧٤١ عينه والده دوقاً على نستريا وبورغونيا والبروفانس مع اخيه كارلمان ، وقام بقيادة القتال ضد اكيتانيا والآلامان وبافاريا والساكسون والعرب ، توجه البابا زكريا عام ٧٥١ ملكاً على الافرنج بعد ان جمع الاوفياء « Troste » في سواسون ، وارغم لومبارديا على اعطاء ايتين للبابا مقابل تتويج البابا له ، فاعتبر اول ملوك الاسرة الكارولنجية وتوفي عام ٧٦٨ تقريباً .

(٣) شارلمان Charlemagne ، كان ملك نوستريه ، ثم اصبح ملك الافرنج ٧٧١ - ٨١٤ م وامبراطور الغرب ٨٠٠ - ٨١٤ م خلف اباه بيبان وحكم مع اخيه كارلومان حتى موت هذا الأخير عام ٧٧١ م حارب الاكيتانيين واللومبارديين وقاد حملة ضد العرب في اسبانيا حيث هزمت مؤخرة جيشه في رونسفو وقتل رولان ٧٧٨ م . قام بحروب كبيرة وتوجه البابا امبراطوراً عام ٨٠٠ م ، اشتهر بالقوانين التنظيمية التي عرفت بقوانين شارلمان ، اصلح القضاء ، ونظام التفتيش .

يتلخص في أن المسلمون قوة لا تقهر ، وانهم على امتداد دولتهم يستطيعون زج طاقات بشرية غير محدودة، ولعل قصيدة الشاعر الانجليزي « روبرت سوزى » تصور هذا الشعور ، حيث قال :

جمع لا يحصى
من عرب وبربر وشآم وروم .
وفرس وقبط وتتار عصبة واحدة
يفيض شبابها ايماناً فتياً وطيد الدعائم
وتستعر حماسة برائع ماضيها
تتوق الى سلب مدن النصرانية واثقة من هول بأسها
ولم يك الزعماء
اقل ثقة بالنصر ، وقد اخلصوا في محالفتهم .
يتيهون كثيراً بتلك القوة الجارفة
التي وثقوا من انها حيث اندفعت
تستمر ظافرة ، دون منازع ، الى الأمام
حتى يصبح الغرب مقهوراً كالشرق .
يطأطىء الرأس اجلالاً لمحمد .
وينهض الحجاج من أقاصي المتجمد .
ليطؤوا باقدام التوبة والاخلاص ، الرمال المحرقة
المتناثرة فوق صحارى العرب وأرض مكة الصخرية (١)

لكن الانقسامات الداخلية تركت بعض الأمل في نفوس عناصر المقاومة الداخلية والأعداء الخارجيين . ثم جاء انهيار الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م فترك باب الأمل مفتوحاً على مصراعيه، وبدأ العمل بخطوات جديدة أكثر حزماً وأكثر تصميماً .

---

(١) تاريخ العرب في اسبانيا ، عبد الله عنان طبعة ١ عام ١٩٢٤ ص ٣٥ .

– شعرت الامارات في البروفانس وسبتمانيا بضعف قبضة العرب المسلمين فأخذ الأمراء المحليون « كونتات » في نيم والمدن المجاورة وفي بيزيه وماغلون في تنظيم ادارة محلية مستقلة مع بقاء الاعتراف بسيادة المسلمين .

وفي عام ١٣٠ هـ – ٧٤٧ م ، وجه يوسف بن عبد الرحمن الفهري قوة الى البيرنيه بمهمة متابعة الفتوح لكن القوات المسيحية جابهت المسلمين بقوة ، وقاوموهم بعناد ، ونظراً لصعوبة الاتصال بين العاصمة « قرطبة » وبين ناربون وبصورة خاصة في فصل الشتاء فقد اضطر المسلمون للتراجع وبدأت حركات التمرد ضد المسلمين ، لكن النزاع بين بيبان ابن شارل مارتل وبين فيفر[1] ابن دوق اكيتانيا حول حكم البلاد السبعة السابق ذكرها ، وضع حداً مرحلياً للانتقاض ضد المسلمين ..

– في عام ١٣٥ هـ – ٧٥٢ م ، سار بيبان بجيش كبير ، فاستولى على نيم واوقت وماغلون وبيزيه وسيطر على اللانغدوك ثم تابع تقدمه حتى وصل ناربون ، فتصدت له المدينة وقاومته ، فضرب حصاراً حولها وطال أمد الحصار حتى يئس بيبان من فتحها فترك حامية صغيرة بقيادة أمير من أمراء القوط هو انسينوندوس[2] بمهمة متابعة الحصار وعاد بجيشه ..

– استمرت مقاومة العرب للحصار المضروب عليهم ، ونصبوا كميناً قتلوا فيه قائد قوة الحصار « انسينوندوس » لكنهم لم ينجحوا في ارغام الخصم على رفع قبضة الحصار ..

– طال أمد الحصار حتى وصل الى عامه السابع وكانت الاتصالات الخفية مستمرة بين الملك بيبان وبين الأمراء المحليين المتعاونين مع المسلمين ، وأمكن من خلال هذه الاتصالات عقد اتفاق للغدر بالمسلمين وابادتهم لقاء ترك

---

(٢) فيفر Vaifre .

(٣) انسينوندوس Anseniundus .

الحرية للبلدة في اقامة حكم محلي تدار فيه الامور حسب عادات القوط وتقاليدهم[1]..

في عام ١٤٢ هـ ـ ٧٥٩ م ، وبينما كانت الحامية العربية في ناربون منصرفة لمتابعة مجابهة عدو الخارج ، بوغتت بالسكان المحليين وهم ينقضون بهجومهم ، وأبيدت الحامية المسلمة ، ووقعت ناربون بقبضة بيبان ولم يبق فيما وراء البيرنيه سوى أعداد قليلة من المسلمين الذين انتشروا في مقاطعات دوفينيه ونيس أو ـ نيقيه ـ وأعاد بيبان تنظيم الأقاليم فرمم الحصون وشحنها بالمقاتلين وأقام الحاميات على امتداد الرون وفي اكيتانيا وعلى امتداد الحدود ..

ـ نتيجة لهذه الانتصارات الموضعية ، وبعد أن تم للكارولنجيين توحيد « الافرنج » تحت قيادة واحدة ، لم يعد هناك خطر يتهدد فرنسا ، واصبح باستطاعة بيبان وابنه شارلمان من بعده الانطلاق من مواقع القوة والاستعانة عند الضرورة بجيوش من بلجيكا وآلامانيا وايطاليا لدعم الجيوش المحلية . وتحول بيبان من خنادق الدفاع إلى خنادق الهجوم ، وأخذ باجراء الاتصالات السرية مع زعماء كاتالونيا وآراغون ونافار ليوحدوا جهدهم ضد المسلمين وليشكلوا معه حلفاً دفاعياً ، ولم يقف نشاط بيبان وابنه شارلمان من بعده عند هذا الحد بل أخذ في اثارة الفرقة بين أمراء المسلمين وتحريض بعضهم على بعض .

ـ كان بيبان « الحاسم » يعتبر سلسلة جبال البيرنيه هي الحد الطبيعي الفاصل بين مملكته وبين « اندلس المسلمين » ، وعندما تم له الاستيلاء على « ناربون » واجلاء المسلمين من جنوب فرنسا ، انصرف لمعالجة هجمات الشمال ومتابعة فتوحاته في اتجاه الشرق وتوافق ذلك مع دخول « عبد الرحمن ـ صقر قريش »

(١) تاريخ جيوش العالم الاعداد ٥ و ٦ و ٧ و ٩ من المجلة العسكرية ترجمة يوسف يازجي وتاريخ غزوات العرب ـ ارسلان ١١١ وما بعدها .

الى الاندلس وتركيز جهـده لاعادة تنظيم الدولة ، فشهدت الحدود فترة من الهدوء النسبي ..

٣ - الوضع الداخلي :

- كانت عناصر المقاومة المحلية قد نزحت الى الشمال وتمركزت في جيليقية شمال غرب الأندلس معتصمة بجبالها المنيعة وقلاعها الحصينة وقد نجح المسلمون في تمزيق كل مقاومة حتى لم يبق إلا فئة صغيرة يتزعمها « بلاي » لا تزيد في عددها على ثلاثين رجلاً .. وكانت عناصر المقاومة هذه تتابع مسيرة الأحداث وتجمع الانصار ، وتتلقى الدعم من البشكنش والافرنج فاشتد ساعدها وقوي أمرها ، وأفادت هذه المقاومة من تمزق الجبهة الداخلية للمسلمين وتفرقهم فقامت بهجوم مضاد كبير سنة ١٣٤ هـ - ٧٥١ م بقيادة الفونسو « صهر بلاي» ونجحت في القضاء على وجود المسلمين في جيليقية واحتلت براغه [١] وبورتو [٢] وفيزو [٣] وسيطرت قواتهم على الساحل حتى مصب نهر دورو ، وأصبح الاقليم بين الساحل والوادي الجوفي [٤] خالياً من المسلمين ..

٤ - عبد الرحمن « الداخل » في الاندلس

وصل عبد الرحمن الداخل الى الاندلس ، ووجد نفسه في موقف صعب ، ففي الجنوب «عدوة المغرب» تناصبه العداء ، وفي الشرق تقف له الدولة العباسية بالمرصاد وتلاحق خطواته وتحاول تدميره ، وفي الشمال - حيث مركز الجهد

---

(١) براغـه Braga .

(٢) بورتو Porto .

(٣) فيزو Viseu .

(٤) دورو ، أو الوادي الجوفي Duero .

وجاء في نفح الطيب ١ - ٣٣٠ ان الجلالقة استولوا خلال هذه الفترة على لك Luco وبرتقال Porto وشلمنقه Salamanca وقشتاله Castillos وشقوبيه Segovia .

الرئيسي ، أصبحت هناك دولة قوية ، موحدة ، ترغب في القضاء على دولته ، وتمزق داخلي ، وولايات مستقلة ، وثورات مضادة متلاحقة . وقد وصف ابن حيان هذا الوضع بقوله :

الفى الداخل الاندلس ثغراً قاصياً غفلاً من حلية الملك عاطلاً، فأرهف اهلها بالطاعة السلطانية ، وحنكهم بالسيرة الملوكية، واخذهم بالآداب فأكسبهم عما قليل المروءة واقامهم على الطريقة ..] وبدأ فدون الدواوين ورفع الأواوين وفرض الأعطية وعقد الألوية وجند الاجناد ورفع العماد وأوثق الاوتاد فأقام للملك آلته واخذ للسلطان عدته فاعترف له بذلك اكابر الملوك وحذروا جانبه وتحاموا حوزته ولم يلبث ان دانت له بلاد الاندلس ، واستقل له الأمر فيها ..] (١)

ـ وانصرف عبد الرحمن الداخل الى البناء الداخلي،واقامة الدولة على قواعد ثابتة بحيث يستطيع الانطلاق من قاعدة قوية ومأمونة ..

الاصلاحات ، واعادة التنظيم :

آ ـ تشكيل الجيش المحترف ..

ـ بدأ عبد الرحمن الداخل أعماله باعادة اصلاح الجيش ، ووجد ان القوة البشرية ـ من العرب وحدهم ـ لا تكفي لمجابهة أعداء دولته المتربصين به ، فكون نواة جيش من المتطوعين الصقالبة والموالي والبربر ، ليكون هذا الجيش نواة القوة الضاربة ـ المستعدة دائماً للحرب ـ ولم يعد واجب القتال مفروضاً على العرب والبربر وحدهم . وقد يكون الدافع لذلك أيضاً كثرة الشكوك التي تولدت في نفس عبد الرحمن من اعتماده على العرب وحدهم بسبب الثورات المتلاحقة التي كان يقودها العرب ضده أحياناً بتأثير النوازع الفردية والطموح إلى

---

(١) نفح الطيب ١ - ٢٣١ .

المنافسة في الحكم وأحياناً بتحريض من الخلفاء العباسيين في بغداد وولاتهم في المغرب .

ويرى بعض المؤرخين كابن خلدون مثلاً ان سبب اعتماد الأمير عبد الرحمن في حروبه على الصقالبة والموالي وصرفها عن العرب هو كثرة ثورات العرب وتكررها . لكن مراجعة أسلوب حكم الأمويين وطريقتهم في الادارة وماورثوه من الخبرات والتجارب تدحض هذا الزعم ، فلقد جابهت دولة الأمويين في الشام من الثورات أقواها ومن الاضطرابات أخطرها ومع ذلك لم تتزعزع ثقة الخلفاء الأمويين بالعنصر العربي ولم تتغير نظرتهم اليه واعتمادهم عليه، لكن العزلة المضروبة على الأندلس ، دفعت عبد الرحمن الداخل الى زج قوات اضافية والاعتماد على عناصر أخرى بهدف بناء قوته الذاتية ، وكان من نتيجة ذلك تناقص أهمية العنصر العربي وانحسار دوره القيادي ، مما كان له أخطر النتائج في المستقبل ، ويقول ابن خلدون في ذلك وهو قول لا يحتاج الى دحض بعدما سبق ذكره :

[.. كثرت ثورة رؤساء العرب بالاندلس على عبد الرحمن الداخل ونافسوه ملكه ، ولقي منهم خطوباً عظيمة وكانت العاقبة له ، واستراب في آخر امره بالعرب لكثرة من قام عليه منهم فرجع الى اصطناع القبائل من سواهم واتخاذ الموالي ...] (١)

ـ ولقد تطلبت عملية اعادة تنظيم الجيش أموالاً كثيرة ، ففرض الأمير عبد الرحمن ضريبة على العرب لقاء اعفائهم من الخدمة في الجيش ، ثم كرس ثلث موازنة دولته لبناء « القوات المسلحة » وبذلك استطاع تكوين جيش قوي ، وقد بلغت موازنة الدولة في عهد الأمير عبد الرحمن ثلاثمائة الف دينار .

[.. فكانوا يعطون جندهم ورجالهم الثلث من ذلك مائة الف دينار ،

---

(١) نفح الطيب ٢ ـ ٣٣٣ .

وينفقون في امورهم ونوائبهم ومؤن اهلهم مائة الف دينار ، ويدخرون لحادث ايامهم مائة الف دينار ..] [١]

-. اعتمد الامير عبد الرحمن في تنظيم الجيش على تقسيمه الى أسلحة رئيسية ثلاثة وضع على كل سلاح قائداً مستقلا ، وولى الجميع قائداً عاماً .. وكان في كثير من الأحيان يقود الجيش بنفسه وكانت تقسيمات أسلحة الجيش هي : ١ ـ الفرسان ٢ ـ المشاة أو الرجالة . ٣ ـ الهندسة « المجانيق وأدوات الحصار » ويظهر ذلك بوضوح من تصرف الأمير عبد الرحمن عندما أراد قمع حركة تمرد عبيد بن ابان:

[.. فدعا صاحب خيله وقال له امض فيمن امكنك من اصحابك ... ثم دعا عبد الحميد بن غانم صاحب الرجالة..] [.. وفي حصار سرقسطه.. خرج الامير غازياً فعند ذلك نصب عليها المجانيق من كل جانب فيقال انه حفها بستة وثلاثين منجنيقاً ...] [٢]

ـ واعتمد في التسليح على مصانع « بوردو ـ برديل » حيث اكتسبت شهرة خاصة بصناعة السيوف، ثم طورت هذه الصناعات بعد ذلك وأصبح الاعتماد في توفير الحاجة منها على ما تنتجه طليطله ..

ب ـ استراتيجية « الردع في الحروب » [٣]

ـ تنظيم الصوائف ، وحماية الثغور :

ـ كان العدو الاول الذي يتهدد الاندلس هو عدو الشمال ممثلا بالدولة

(١) نفح الطيب ١ ـ ١٤٦؛

(٢) اخبار مجموعة : ١٠٣ و ١٠٤ .

(٣) ترجمة للاصطلاح الانكليزي Deterrence Intrawar ، والفرنسي Strategie de Dissuasion on Stratigie de Cuerre وهو اصطلاح جديد في لفظه حديث في مفهومه قديم في تطبيقه كأسلوب قتالي ويقصد منه (الردع الذي يمارس أثناء حرب محدودة او محلية بهدف ارغام الخصم على التقيد ببعض الحدود في الحاق الضرر والتخلي عن تصعيد النزاع) .

« الكارولنجيه » وقد عرف الامويون في الشام عدو الشمال ممثلاً ببيزنطة واتبعوا معه اساليب استراتجية مختلفة، ومارسوا ضده عمليات متنوعة فكونت لديهم خبرة طويلة في اسلوب الدفاع الثابت الممثل في الثغور والدفاع المتحرك[1] المتمثل بعمليات الصوائف والشواتي، وكان هدف العمليات الاول هو ردع العدو عن القيام بهجمات ضد دولة المسلمين سواء في الشام او الاندلس –

[.. لقد عرف الامير عبد الرحمن انه لا يستطيع تصعيد عملياته للقيام بهجمات واسعة تستطيع تهديد الدولة الكارولنجيه، ولهذا ركز جهده على تنظيم عملياته الدفاعية، وتطويرها بما يحقق له المحافظة على كيان دولته والدفاع عنها ضد كل تهديد ..] .

– ومن هنا يظهر بوضوح ايضاً ان اعتماد عبد الرحمن الداخل على الصقالبة والموالي قد جاء لدعم « المقاتل العربي » وليس، بديلا له . ولا أدل على ذلك من اسقاط « البدل النقدي » عند اعلان التعبئة العامة، وحشد كل الامكانات وزجها في المعركة على نحو ما فعله هشام بن عبد الرحمن فيما بعد ..

– انطلاقاً من هذا المفهوم، وضمن مفهوم « استراتيجية الردع في الحروب » نظم الامير عبد الرحمن، الصوائف – جمع صائفة، وهي مشتقة من الصيف، **[.. وهي الحملات التي جرت عادة بني امية وحلفائها على توجيهها الى دار الحرب خلال فصل الصيف، وقد استقر تقليد هذه الحملات حتى اصبحت وظيفة ثابتة يعهد بها الى احد القواد الكبار أو الى واحد من افراد الاسرة المالكة، وكثيراً ما كان الأمير او الخليفة نفسه هو الذي يضطلع بقيادتها، وكان الاستعداد لها يبدأ في شهر « يونيو » وكانت قيادة الجيش تتكتم دائماً اخبار الطريق الذي ستنتهجه حملة الصائفة حتى تكون ضرائبها**

(١) ترجمة للاصطلاح Defense - Mobile ، ويقصد من الدفاع المتحرك (... العمل الدفاعي الذي يتم تنفيذه ضمن منطقة معينة، ويعتمد بصورة رئيسية على قدرة القوات المدافعة على الحركة ...)

مفاجئة للعدو ، وقد وافتنا المراجع الاندلسية بكثير من التفاصيل حول هذه الحملات .. التي اصبحت على طوال ايام الدولة الأموية وفي ظل العامريين بعدهم تقليداً محترماً سنوياً (١) .

– وقد عمل الأمير عبد الرحمن على تنظيم « البدل » والتناوب بين حملات الصوائف نظراً لما قد تتعرض له من الخسائر ، وحتى يستطيع المحافظة باستمرار على قوة زخم الهجوم .. [وقطع الامير المبعوث على الأجناد وجعلها بينهم دَوَلاً في كل ستة أشهر ، فاذا انقضت دولة ندب اخرى ..] (٢) .

جـ – سياسة الاحلاف :

– أدرك الأمير عبد الرحمن نتيجة لمجابهة المواقف التي يتعرض لها ان العدو الأكبر والخصم الأول في مقاومته هو « الملك بيبان ملك الافرنج » فقد برز كيان اشتورية ، وكيان نافار ، في شمال الاندلس في الوقت الذي استقلت فيه جيليقية مما جعل الأمير عبد الرحمن يفكر في أسلوب درء خطر هذا العدو ، وتجسدت هذه الضرورة بصورة أكثر وضوحاً في ثورة سليمان الكلبي أمير برشلونه (٣) ..

– كان أسلوب عبد الرحمن في الحكم ، ومركزيته الشديدة ، وبطشه بكل من ينازعه السلطة من الأسباب التي ادخلت الذعر في قلوب حكام الأقاليم

....

(١) المقتبس ٢٦٧ وقد بقي لفظ الصائفة بعد ان انتقل اليها من العربية في صورة Aceifa .

(٢) اخبار مجموعة ١٠٣ .

(٣) كان سليمان الكلبي امير برشلونة ، وكانت بينه وبين شارلمان علاقات منذ كان اميراً بسرقسطة ، ثم ثار سليمان بسرقسطة وثار معه حسين بن يحيى الانصاري فبعث اليه الامير عبد الرحمن جيشاً بقيادة ثعلبة بن عبد ، واستطاع سليمان نصب كمين لثعلبة فاعتقله وأرسله الى شارلمان مع رسالة يستنجده بها ، فتقدم شارلمان عام ١٦٢هـ – ٧٧٨ م ، وتصدى له المسلمون في سرقسطة ودارت معارك طاحنة ، ثم علم شارلمان بزحف الساكسون في الشمال فانسحب وتراجع نحو الشمال ونظم المسلمون قوات للاغارة على مؤخرته في رونسفو Roncevaux ، وأبيدت مؤخرة شارلمان ومعها رولان Roland ، البطل الشعبي للافرنج .

وأمرائها ، وعندما سقطت « أربونه ـ ناربون » وجد حكام المسلمين في المملكة الكارولنجية ، قوة كبيرة على تخوم بلادهم ، وقام بيبان ومن بعـــده شارلمان باجراء الاتصالات مع أمراء مقاطعات الشمال فاستجاب سليمان الكلبي ودخل في علاقات مع بيبان ثم أصبح هذا الأسلوب تقليداً متبعاً لدى أمراء الشمال ، فإذا حاول أمير المسلمين في قرطبة ممارســـة ضغط عليهم هربوا الى فرنسا أو استعانوا بها، وإذا لمسوا خطراً فيها أو لمسوا مطامعها عادوا الى أمير قرطبة وقد ساعدتهم طبيعة الاقليم الوعرة على هذا « الاستقلال الذاتي ». وقام « الكارولنجيون بدور كبير في تعزيز هذه النزعة وانمائها .

وكان الامير عبدالرحمن في حاجة الى فترة من الهدوء النسبي حتى يستطيع اكمال بنيانه الداخلي ، فتظاهر بالرغبة في العيش بسلام مع جواره ، وتذكر بعض المصادر العربية ان الامير عبد الرحمن اتصل بقارله « شارلمان » [... فاصابه صلب المكسر تام الرجولية فمال معه الى المداراة ودعاه الى المصاهرة والسلم ... فاجابه للسلم ولم تتم المصاهرة ..] [1]

وقد تجاهلت المصادر العربية ، وحتى الشرقية موضوع المصاهرة ، ولكنها جاءت على ذكر السلم ..

– وجد بيبان ملك « الكارولنجيين » في انقسام الدولة الاسلامية فرصة مناسبة لضرب المسلمين بعضهم ببعض فأرسل في عام ١٤٨ هـ – ٧٦٥ م وفداً إلى بغداد لعقد أواصر الصداقة ، ومكث هذا الوفد في بغداد ثلاث سنين ثم رجع الى فرنسا وبرفقته وفد من المسلمين « رسل الخليفة المنصور » وقد لقي الوفـد رعاية كبيرة فتم انزاله في متز[1] باللورين ثم نقل الى قصر سلس[2] على ضفاف اللوار .. واستمرت اقامته في فرنسا ثلاثة أعوام .

– كانت الدولة العباسية ، تحاول باستمرار تحطيم الكيان الأموي بالأندلس

....

(١) متز Metz .   (٢) سلس Sels .

ولم تتمكن عملية القضاء على ثورة العلاء بن مغيث اليحصبي سنة ١٤٦ هـ وارسال رؤوس زعماء الثورة الى القيروان ومكه ، ان تنتزع من رؤوس العباسيين فكرة الاقلاع عن التآمر ضد الأمويين ، وفي الوقت ذاته كان عبد الرحمن الداخل يطمح لاستعادة حكم الأمويين في الشام وقد عمل لهذا الهدف بصورة جدية عام ١٦٣ هـ . واستمر النزاع بين أمراء قرطبة وخلفاء بغداد ، فانصرفوا عن الفتوحات .

وبينما كان خلفاء المشرق يعقدون معاهدات مع ملوك « كارولنجيا » الذين كانوا في حرب مستمرة مع أمراء قرطبة، كان أمراء قرطبة يعقدون معاهدات مماثلة مع ملوك القسطنطينية الذين كانوا بدورهم في حرب مستمرة مع أمراء بغداد ، وهكذا انتهى الصراع الى نشوء محورين متضادين بغداد – كارولنجيا ، ضد القسطنطينية – قرطبة .. كل ذلك والعلاقات التجارية مستمرة في النمو والازدهار بحيث كانت سفن المسلمين وأساطيلهم تنقل البضائع من الهند والصين الى بغداد ، ففرنسا « مرسيليه وفريجوس » عبر موانىء سوريا ومصر ..[١]

– جاء شارلمان وخلفاؤه من بعده فاستمروا في تنفيذ «استراتيجية الاحلاف» وفي الوقت ذاته عمل الامبراطور البيزنطي « قوميلس » الذي جابه المعتصم في زبطره وعموريه ، على ارسال وفد الى قرطبة محمل بالهدايا ويطلب اليه تنسيق التعاون معه ، ويرغبه في ملك سلفه بالمشرق من أجل ما ضيق عليه المأمون والمعتصم ، فأرسل الأمير عبد الرحمن بن الحكم وفداً محملاً بالهدايا وبعث معه يحيى الغزال سنة ٢٢٥ هـ – ٨٣٩ م من كبار أهل الدولة وكان مشهوراً في الشعر والحكمة ، فاستطاع يحيى الغزال ان يوطد الصلة بين الدولتين ، وارتفع ذكر عبد الرحمن عند منافسيه العباسيين ..

لقد كانت سياسة الاحلاف او استراتيجية المحاور المتعارضة من أهم

....

(١) غزوات العرب – ارسلان ١٢٥ .

الاسباب التي أضعفت مقاومة المسلمين ، وجعلتهم ينتقلون الى مواقع الدفاع، بينما حفزت خصومهم على الانتقال من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم ..

- وهناك كثير من المؤرخين - الشرقيين منهم والغربيين على حد سواء - يناقشون هذه السياسة بصورة عرضية ولا يضعون لها قيمتها الحقيقية على اعتبار ان هذه « الاحلاف » لم تقدم دعماً حقيقياً وفعالا لأطراف الحلف ، وان هذه التناقضات كانت موجودة فعلا ولم تكن سياسة الاحلاف الا تكريساً لهذا الواقع ..

- ومع هـــذا الطرح ، ومع الاعتراف ان بيزنطه والكارولنجيين كانوا يقومون بأعمال هجومية اثناء قيام الدولة الاموية ، لكن هذه الاعمال الهجومية كانت في اطار « الهجمات الوقائية »[1] في حين ان وجود هذه الاحلاف قد حمـــل بيزنطة والدولة الكارولنجية على تطبيق استراتيجية « الهجمات الاستفزازية »[2] و « الردع الممتد »[3] ، بينما اصبحت استراتيجية المسلمين في المشرق والمغرب في اطار « الهجمات الوقائية » وكانت سياسة الاحلاف من اهم العوامل في تبادل الادوار والمواقف ..

- ان سياسة الاحلاف لم تقدم للاطراف المتنازعة دعماً مادياً حقيقياً ، ولكنها حققت تحولاً كبيراً في مسيرة الاحداث وأسلوب العمل العسكري ،

(١) الهجمات الوقائية، ترجمة للاصطلاح الانكليزي Attack Preemptive والمصطلحات الفرنسية Attaquc Par Anticipation aù Attaque Preemptive ويقصد منه القيام بالهجوم عندما تتكون قناعة تامة ان العدو على وشك القيام بهجومه، أو انه مقبل عليه.

(٢) الهجمات الاستفزازية : ترجمة للاصطلاح الانكليزي Attack Catalytic أو المصطلح الفرنسي Attaque Catalytique ويقصد منه : الهجوم الذي يهدف الى ايقاع حرب بين قوتين متخاصمتين من خلال الهجوم او المكيدة التي تدبرها دولة ثالثة ضد احداهما .

(٣) الردع الممتد: ترجمة للاصطلاح الانكليزي Deterrence' Extended أو الفرنسي Dissuassion Étendue ويقصد منه التهديد الذي يحمل في مضمونه ان القوة الرادعة لدولة ما تتجاوزها حتى تشمل حلفاءها او قواتها المتمركزة على ارض اجنبية .

حتى يمكن القول ان زوال الوحدة السياسية ، التي كانت للأمويين ، وما تبع ذلك من انقسام في مسارح العمليات ، وتجزئة في الطاقات البشرية والامكانات المادية في طليعة العوامل التي أسهمت في تغيير أسس الاستراتيجية الاسلامية ..

د - عبد الرحمن الداخل ، وبناء الدولة [1] :

- أمضى عبد الرحمن الداخل الفترة ما بين عام ١٣٨ هـ - ٧٥٥ م تاريخ دخوله الاندلس وعام ١٧٢ هـ - ٧٨٨ م ، في بنـــاء الدولة ورسم سياستها الخارجية ، وتنظيم جيشها ، وردع الطامعين بها والقضاء على الثورات المتلاحقة التي حفل بها عهده ، وقد استنزفت هذه الأعمال جهد الدولة طوال فترة حكمه وقد دفع عبد الرحمن الداخل قواته لغزو بلاد « الافرنج » ومحاربة البشكنش « سكان الباسك » وحققت هذه الاعمال التعرضية انتصارات رائعة وغنم المقاتلون غنائم كبيرة ، واستطاع « الداخل » ان يقنع خصومه بقوة دولته ، لكن هذه العمليات لا تتجاوز في واقعها وحقيقتها اطار « الهجمات الوقائية » .

وعندما توفي الأمير عبد الرحمن الداخل ترك لخلفه كيان دولة ، وطيـــد الأركان ، قوي البنيان ، واصبح باستطاعة هـذا الخلف الانطلاق من قاعدة « قوية ومأمونة » .

٥ - هشام بن عبد الرحمن
١٧٢ - ١٨٠هـ - ٧٨٨ - ٧٩٦ م
واستراتيجية « الهجمات الوقائية »

تسلم هشام بن عبد الرحمن مقاليد حكم الاندلس بعد وفاة أبيه ١٧٢ هـ ، وتابع تنفيذ سياسته الداخلية ، وبصورة خاصة منها تنظيم الجيش ، وأقام قوة احتياطية من الفرسان تابعة له واهتم ببناء الاسطول ..

كان بناء دولة الاندلس قـــد وصل الى مرحلة من الاستقرار النسبي ، على الرغم من ظهور بعض حركات التمرد والثورات المضادة كخروج سليمان وعبد الله ابني عبد الرحمن على أخيهما هشام سنة ١٧٢ هـ . ولهذا وجه الأمير هشام جهده

(١) حياة عبد الرحمن الداخل « في قراءات » مع نهاية هذا الفصل ..

لحماية الثغور ، ووجد ان الاعتماد على الجيش المحترف والحاميات الثابتة في الاقاليم لا يحقق له اهدافه الهجومية فأعلن « الجهاد » لغزو منطقـــة البيرينه ، وحث الناس على دعم المجهود الحربي [فمن لم يقـدر على الجهاد بنفسه وجب ان يجاهد بماله ..] ووزع اعلان الامير على المساجد وفيه الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد ، فأقبل الناس ، وتدفقت جموع المقاتلين من كل مكان للجهاد في سبيل الله ، ورغم ان أبواب افريقية والشام وجزيرة العرب كانت موصـــدة دون المتطوعين للحرب في الاندلس فقـد تجمع في جيش هشام قوة تقـارب المائة ألف مقاتل ..

– كانت ثغور المسلمين في بداية عهد الامير هشام قد انحسرت نحو الجنوب بعد أن ابعد المسلمون الى ما وراء جبال البيرنيه وانتزعت منهم ناربون ، وبعد ان استقلت جيليقية بأمورها واعلنت تمردها واخرجت المسلمين من أرضها ، فأصبحت الثغور الجديدة هي قويمره وطلبيره وطليطله وبنبلونه .. وكان ضغط الشمال يتزايد خطورة ، فقرر الأمير هشام تنفيذ عملياته واعطاء الأفضلية لمحور عمليات الشمال الغربي «جيليقيه» نظراً لأن هذا الاقليم يقع داخل الاندلس ذاتها.

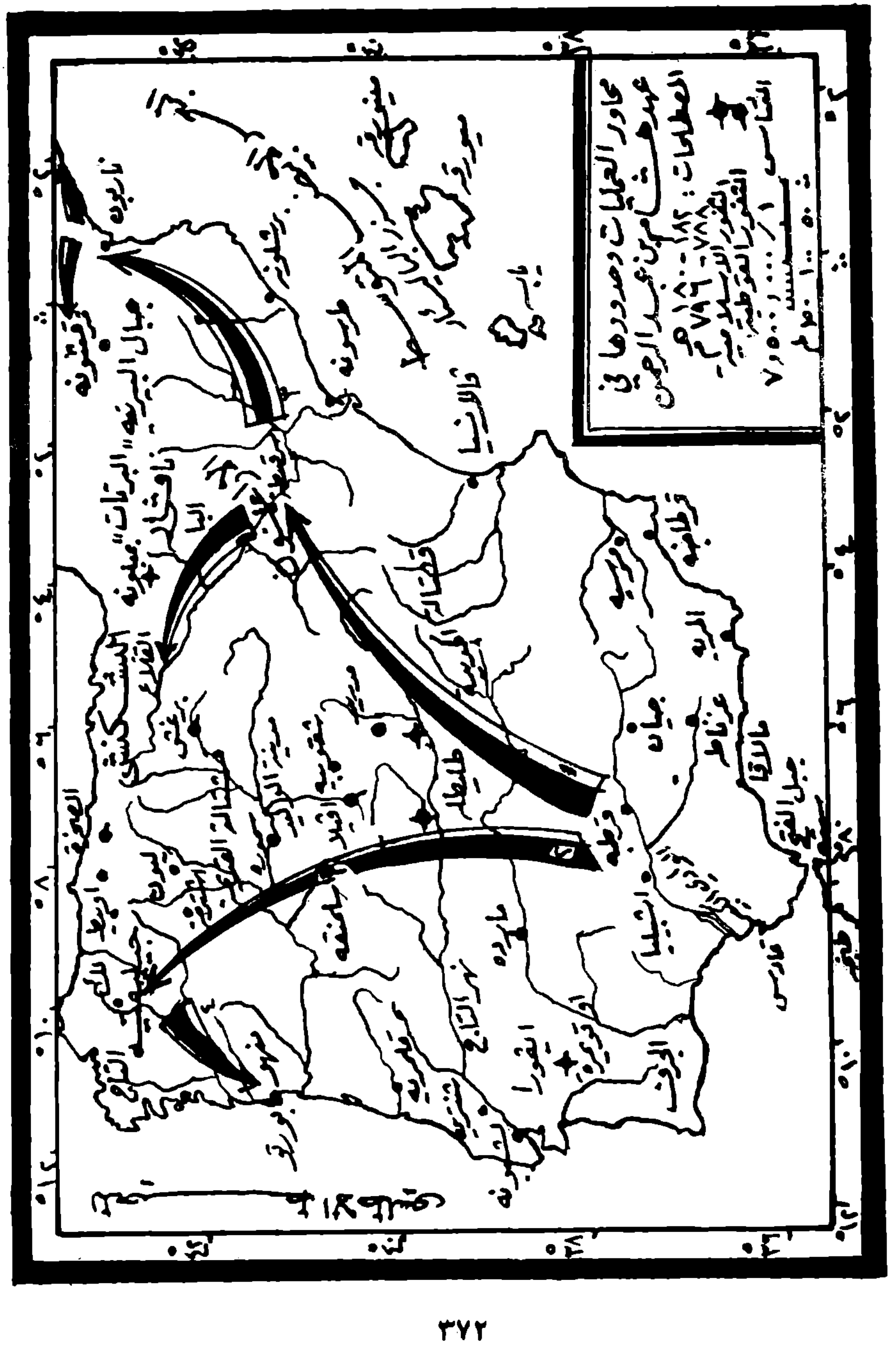
أ – العمليات في جيليقية (١٧٥ هـ - ٧٩١ م) :

وجه الامير هشام قواته بعد أن قسمها الى جيشين :

١ً – الجيش الاول بقيادة ابا عثمان عبيد الله بن عثمان بمهمة القضاء على حركة تمرد اخويه سليمان وعبد الله ونصيرهما «مطروح بن سليمان بن يقظان» في سرقسطة ثم التوجه غرباً لدعم عمليات جيليقية .

٢ً – الجيش الثاني بقيادة يوسف بن بخت لتنفيذ عمليات اخضاع جيليقية .

– انطلق الجيش الاول الى هدفه، ووصل سرقسطه وضرب حصاراً حولها، ولما طال الحصار دون الوصول الى نتيجة حاسمة ، انسحب الجيش الى « حصن طرسونه » وترك أمر الحصار لحامية صغيرة مع تنظيم أعمال الاغارة على الاقليم بقوات صغيرة وبصورة مستمرة بهـــدف التضييق على سرقسطه وحرمانها من المواد الحياتية ، وعندما اشتد الحصار ، تآمر اثنان من أصحاب « مطروح »


محاور الحملات وحدودها في

وقتلاه وانتهت الفتنة ، ثم تابع الجيش الاول تقدمه فاحتـل « البه[1] والقلاع المجاورة » وقضى على الحاميات المدافعة عن الاقليم، وانطلقت مجموعات فرسان المسلمين لمطاردة فلول القوات المنسحبة وملاحقتها في السهول والجبـال الوعرة حتى أمكن ابادة جيش العدو ،وبلغ عدد قتلى العدو أكثر من تسعة آلاف قتيل.

– وتوجه الجيش الثاني الى جيليقيه مباشرة ، وعندما وصلها وجـد قائد الجيش يوسف بن بخت أن خصمه « برمند[2] » ملك جيليقيا قد استعد للحرب وحشد قواته ، وبدأت المعركة بـين الطرفين ، ووقعت مجازر داميـة انتهت بانتصار المسلمين ، وخسر العدو ما يقارب العشرة آلاف قتيل .

ب – العمليات في « ناربون » واكيتانيا ۱۷٦ ﻫ – ۷۹۲ م :

– لم يكد الامير هشام ينهي عمليات « جيليقيه » حتى وجه جيشاً جديداً بقيادة عبد الملك بن عبد الواحـد بن مغيث بمهـة القيام بهجوم « وقائي » على المحور الشمالي – الشرقي .. فانطلق عبد الملك بجيشه شمالاً حتى وصـل امارة « نافار » فحاصر المقاومة فيها ، واستخدم المجانيق فثلم اسوارها ودمر القلاع ، وتابع تقدمه حتى أشرف على معـابر البيرنيه وبقي شهوراً وهو يدمر حصون العدو ومراكز مقاومته ثم تابع تقدمه شمالاً ، في اتجاه « ناربون » ..

كان شارلمان « امبراطور الكارولنجيين » خلال هذه الفترة ، يخوض معارك ضارية ضد الآفاريين الذين وصلوا الدانوب وأخذوا في تهديـد امبراطوريته ، بينما كان جنود اكيتانيا يخوضون معارك مماثلة في ايطاليا بقيادة « لويس » ابن شارلمان ، وكان لويس ملك اكيتانيا قد كلف « كونت تولوز غليوم » بمهـة ادارة شؤون المملكة ..

---

(۱) البه Alava أو Alba : احدى مقاطعات شمال الاندلس ، تقع جنوب البيرنيه ، سكانها من البشكنش « الباسك » .

(۲) في البيان برمود « Vermudo » وابن منده في غزوات العرب ولعله تحريف من Bermude .

– عندما وصلت أنباء زحف المسلمين وحصارهم قاعدة « ناربون » أرسل شارلمان جيشاً قوته ٢٠٠٠٠ مقاتل ، وتوجه غليوم نحو الجنوب واصطدم بقوات المسلمين في فيلدانيا [١] على ضفاف نهر « أوربيو »[٢] ، ودارت رحى معركة طاحنة أظهر فيها « الافرنج » من العناد بقدر ما أظهر المسلمون من التصميم لانتزاع النصر . واستطاع المسلمون في النهاية سحق جيش غليوم حتى لم يبق معه سوى ثلاثة عشر رجلاً ، وصلم أنف غليوم ذاته فأصبح يطلق عليه منذ ذلك اليوم « غليوم ، ذو الأنف المصلوم »[٣] ..

خلال هذه المعارك كانت قوات المسلمين تشدد قبضة الحصار على « ناربون » وقد نجحت قوات المسلمين أخيراً في فتحها ، وكانت قوات الجيش الثاني تحقق انتصارات مماثلة في جيليقيه ، ونظراً لكثرة تمرد هذا الاقليم وفتكه بالمسلمين ، اشترط عليهم نقل احمال التراب من ناربون الى قرطبة من أجل بناء المسجد واكماله ..[٤]

كانت غنائم المسلمين في هذه المعارك كثيرة ، وتذكر مصادر عديدة أن غنائم الذهب وحدها بلغت خمسة وأربعين الف مثقال ..

---

(١) فيلدانيا Villedaigne : تقع بين كاركاسون « قرقشونة » وناربون « اربونه » .

(٢) اوربيو Orbieux .

(٣) غليوم ذو الانف المصلوم Guillaume, au Court nez

(٤) نفح الطيب ١ - ٣٣٧ وفيه : (وفي ايامه فتحت اربونة الشهيرة واشترط على المعاهدين من أهل جيليقية من صعاب شروطه انتقال عدد منه أحمال التراب من سور اربونة المفتتحة يحملونها الى باب قصره بقرطبة ، وبنى من المسجد الذي « قدام » باب الجنان ، وفضلت منه بقية مكومة ..) انتهى . وهناك مصادر تدحض هذا الزعم وتدعي ان اعادة فتحها لم يتحقق الا في عهد الحكم بن هشام وتبرر ذلك معاودة غزو ناربون في السنة التالية ، ولكن الاحتمال الأرجح هو فتحها في هذا التاريخ ، ثم انها أعادت التمرد فأعيد فتحها على نحو ما كان يحدث في جيليقية ، وعلى نحو ما حدث أيضاً في معارك الفتوح في الشرق والغرب لا سيما وان عدد مقاتلي المسلمين وامكاناتهم البشرية أصبحت هنا محدودة بحيث يصعب ترك حاميات كبرى في جميع الحصون والمواقع الشمالية الكثيرة .

– وفي عام ١٧٧ هـ – ٧٩٣ م ، تابع عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث تصعيد عملياته بعد أن وصله جيش جديد أمده به الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، وقد ركز عبد الملك – قائد الجيش – جهده الرئيسي لتدمير المقاومات المتفرقة في جرنده[١] والقضاء على أنصار « الكارولنجيين » وحقق انتصارات رائعة ودمر القلاع والحصون والأسوار ثم تابع زحفه فعبر جبال البيرنيه ، وتجاوز « ناربون »، وأوغل في بلاد الغال [وجاس البلاد شهوراً يخرب الحصون ويحرق ويفتح وقد أجفل العدو من بين يديه هاربا وأوغل في بلادهم ورجع سالماً .. وهي من أشهر مغازي المسلمين بالأندلس ..][٢]..

ج – معاودة نقل محور ثقل العمليات الى جيليقية ..

موقعة الصخرة – ١٧٩ هـ – ٧٩٥ م :

– في نهاية عام ١٧٨ هـ – ٧٩٤ م ، توفرت المعلومات عند الامير هشام بن عبد الرحمن عن تجمع قوات جيليقيه وعزمها على استئناف القتال بعد أن وصلتها قوات دعم كبيرة من منطقة الباسك « بشكنش » ومن مملكة الافرنج « كارولنجيا » فوجه الامير هشام جيشاً بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد الى البه والقلاع ووجه جيشاً آخر بقيادة أخيه عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث الى جيليقيه ، ووصلت طلائع قوات المسلمين الى « أسترقه » .

– كان الفونس « اذفونش » ملك جيليقيه قد حشد قواته والقوات التي وصلته من كل النواحي في المنطقة بين جيليقيه والصخره ، وعمل على اخراج السكان من السهول وطلب اليهم الاعتصام « بشواهق جبال السواحل » .

....

(١) جرنده Gerona واسمها الروماني القديم Gerunda انتزعها شارلمان قبل ذلك بثمانيه أعوام (٧٨٥ م) ثم استعادها العرب عام ٧٩٣ م ، ثم أخذت منهم عام ٧٩٧ م ، ثم عاودوا فتحها ، وانتزعت منهم نهائياً عام ٨٠٠ م . غزوات العرب ٦٧ .

(٢) الكامل ، لابن الأثير ٥ – ٩٤ .

– انسحب « الفونسو » ملك جيليقيه في اتجاه المنطقة التي اختارها مسرحاً لعملياته فعمل عبد الكريم بن عبد الواحد على دفع مجموعة قتالية مكونـــة من أربعة آلاف فارس للعمل « كمقدمة » وانطلق ببقية الجيش في اثر « مقدمته »..

– اصطدمت قوات المسلمين بجيش الفونسو ، ودارت رحى معركة طاحنة قاتل فيها الطرفان بتصميم وعنـــاد واستطاع المسلمون في النهاية احراز النصر حيث انطلقت مجموعات الفرسان في مطاردة فلول القوات المنسحبـة التي كان يقود تراجعها الفونسو ، ذاته .. ووقعت خـلال مرحلة المطاردة مجموعات من الأسرى في قبضة المسلمين الذين انطلقوا إلى مراكز المقاومـــة المتناثرة والقرى فأعملوا فيها حرقاً وتدميراً حتى تم لهم إبادة كل مقاومة .. وتابع عبد الكريم قيادة جيشه في اتجاه « ساره » حيث كان حاكمها قـد حشد قوة ثلاثة آلاف مقاتل لمجابهة تقدم المسلمين .

– زج عبد الكريم جيشه في المعركة بعد أن أعاد تنظيمه ، وكانت معركة قاسية انتهت بنصر المسلمين وحصولهم على أعداد كبيرة من الأسرى في مقدمتهم « حاكم ساره » .

– أفاد الفونسو من أعمال الاعاقة التي اضطلعت بهـا قوات « ساره »[1] فنظم قواته ووزعها في القلاع الجبلية الحصينة المشرفة على وادي « بيونه »[2] وتمركز هو في أكثر هذه القلاع منعة وتحصيناً ، وتقدمت قوات المسلمين في اتجاه القلعة ، وعندما وصلتها ، انسحب الفونسو الى حصن قريب آخر ، ودخل المسلمون القلعة فوجدوا فيها كميات كبرى من [.. **الاطعمة وضروب الذخر..**] فاستولوا عليها ، ووجه عبد الكريم في اليوم التالي قوة من عشرة آلاف مقاتل بقيادة فرج بن كنانه ، وعندما اقترب فرج من الحصن تخلى عنه الفونسو ، وأسلم عدته وذخره فغنم المسلمون جميع ذلك .

(١) ساره : Sarria ، جنوب لك Luco من اقليم جيليقية ، تحتل موقعـاً حصيناً على نهر يرفد نهر مينيه الذي يصب في الاطلسي .

(٢) بيونه : مدينة حصينه على الاطلسي ، اكتسبت منعتها من موقعها في الجبل وعلى المحيط.

- تكللت عمليات المسلمين بالنجاح ، وأمكن تحقيق انتصارات رائعة ،وغنم المسلمون غنائم ضخمة وبدؤوا في الانسحاب من الاقليم ، وكان « الفونسو » قد نظم مفارز صغيرة لضرب مؤخرة الجيش خلال انسحابه ، وأمكن لهذه المفارز إلحاق بعض الضرر وإنزال بعض الخسائر بقوات المسلمين ..

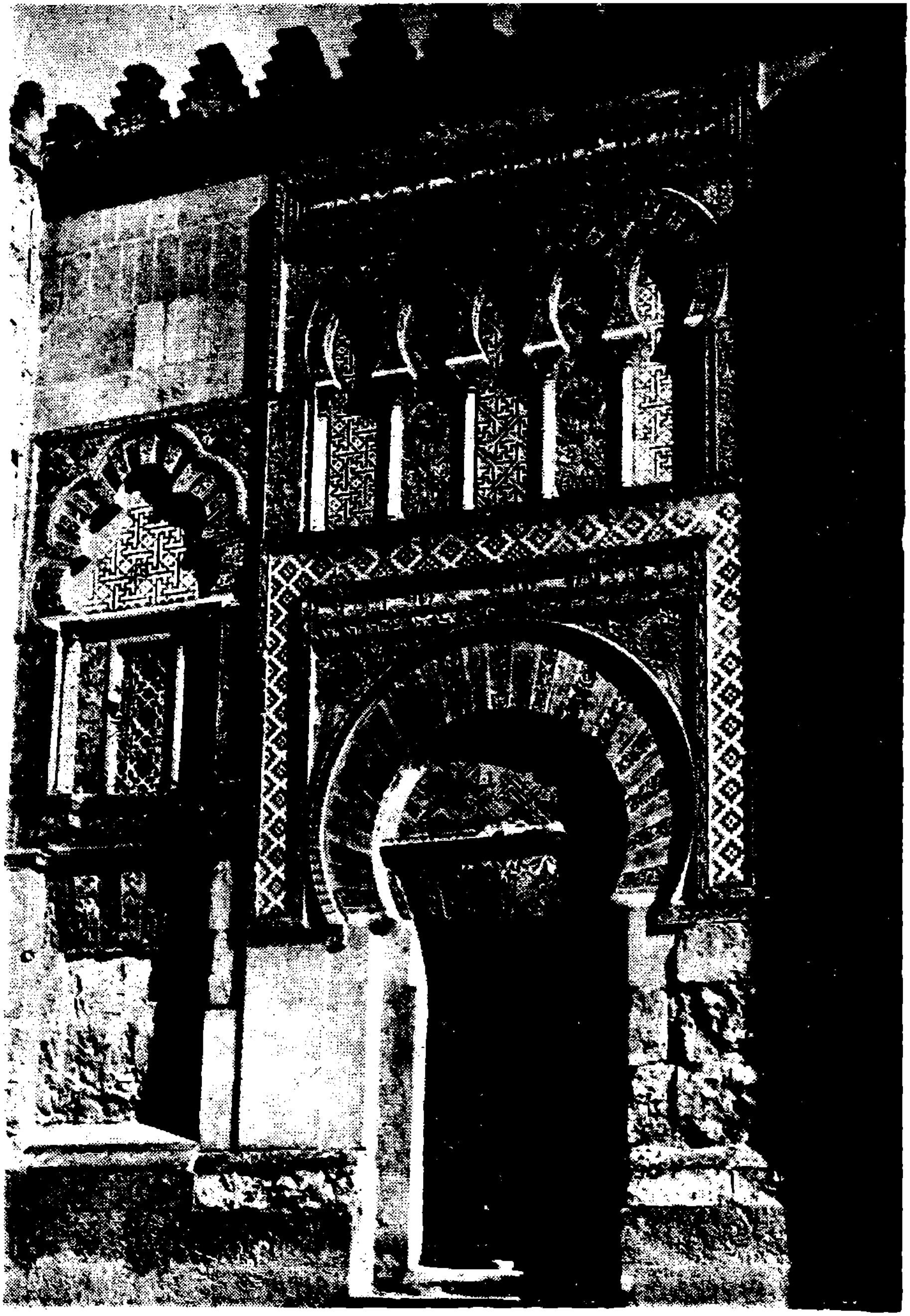
- كانت معركة « الصخرة »[1] من المعارك الكبرى التي زج فيها الجلالقة والمسلمون قوات كبرى ، وخاضوا فيها معارك طاحنة ، ويضعها المؤرخون الغربيون في طليعة المعارك الحاسمة التي أمكن فيها الحاق الهزيمة بالمسلمين في الاندلس . وان استعراض مسيرة الاحداث ونتائجها يظهر ان هذه المعارك بمجموعها قد انتهت في صالح المسلمين، لكن الاعمال القتالية لم تنجح في استئصال المقاومة والقضاء على تمرد « جيليقيه » بصورة نهائية بحيث يمكن القول ان المعارك العسكرية الناجحة لم تحقق هدفاً استراتيجياً يكسبها أهمية خاصة ..

لقد خاض المسلمون قبل هذه المعركة ، ثم اشتبكوا بعدها أيضاً بقوات جيليقيه وقوات الامارات التي استحدثت نوعاً من الحكم الذاتي في ظل أمويي الاندلس . ولعل فشل المسلمين في تحقيق الهدف الاستراتيجي والقضاء على وجود « كيان الفونسو » هو الذي يحمل الكتاب الغربيين ومؤرخيهم على اعتبار معركة الصخرة في طليعة معارك « الغزو المضاد » الذي انتهى باخراج المسلمين من الاندلس[2] ..

---

(١) معركة الصخرة : ويسميها الغربيون معركة « كوفادونقا » Cavadonga نسبة الى « صخرة بلاي » حسبما يسميها العرب حيث تمركزت نواة المقاومة في مغاور هذا الجبل وكهوفه ثم أخذت في التوسع وتحريض السكان على متابعة الصراع والاستمرار في النضال ، وقد خلف بلاي قائد هذه المقاومة أبناءه وأقاربه في قيادة الثورة المضادة وامكن لهم خلال سنوات حشد قوات كبيرة واستعانوا بالبشكنش وبالدعم الذي كان يوفره لهم بيبان وشارلمان والكارولنجيين علاوة على المتطوعين والمأجورين من كل مكان ، وأفاد الجلالقة من الظروف المحيطة بهم ومن نزاع المسلمين فصعدوا عملياتهم وأمكن لهم اقامة كيان ذاتي لم يلبث حتى تطور الى دولة قوية تحتل في حدودها « البرتغال حالياً » .

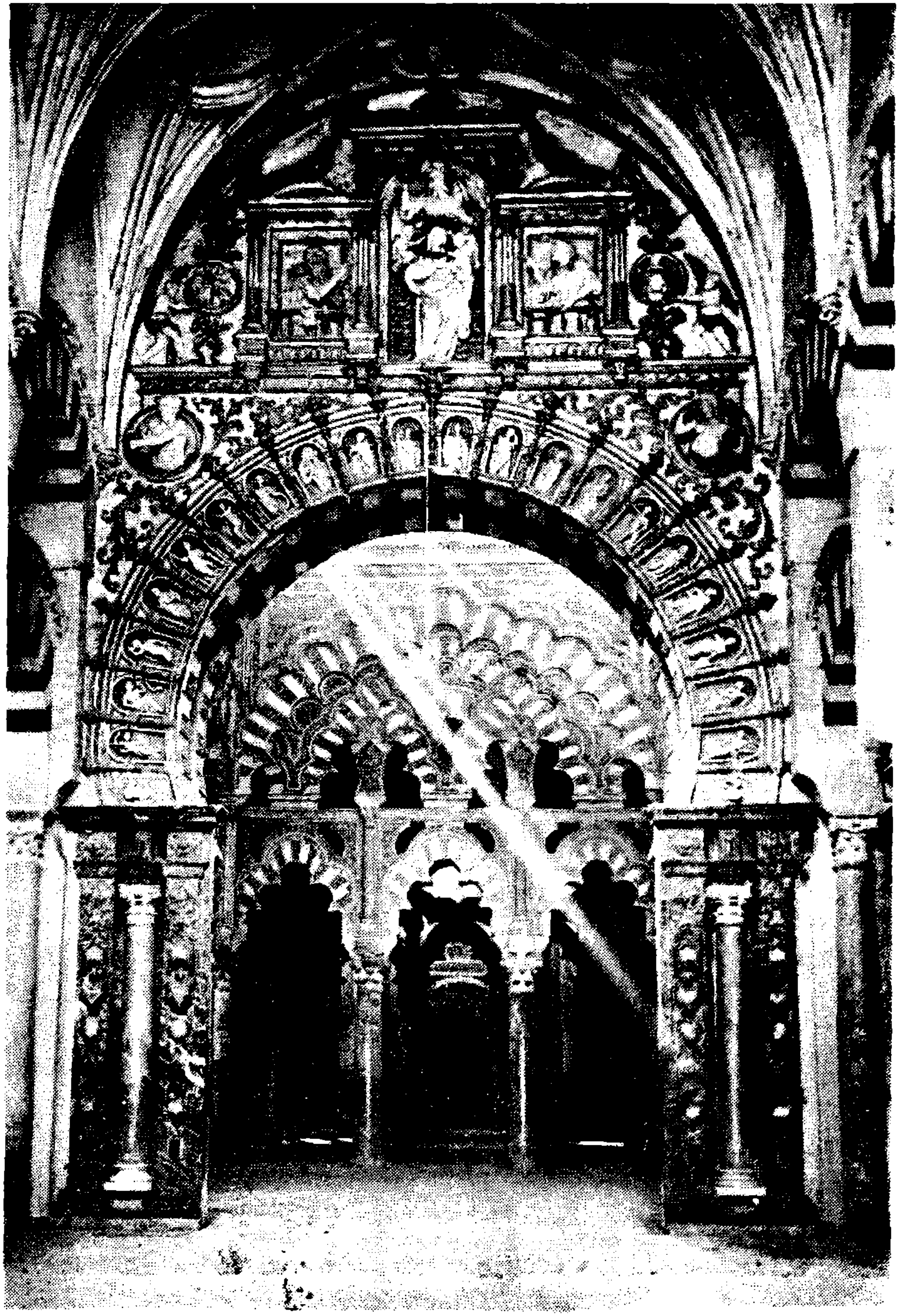
(٢) حياة هشام بن عبد الرحمن - في قراءات - مع نهاية هذا الفصل ..



قرطبة – الباب الخارجي للمسجد

يا للمساجد عادت للعدا بيعاً وللنداء غدا أثناءها جرسا

« نفح الطيب ٤ / ٤٥٧ »



قرطبة « صحن الجامع وقد تحول الى كنيسة »

حيث المساجد قد صارت كنائس ما   فيهن الا نواقيس وصلبان

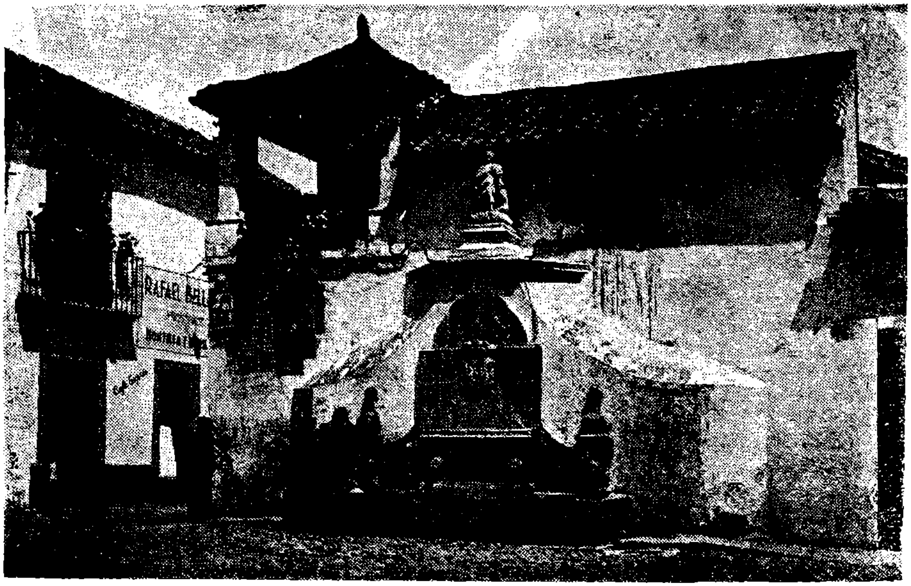
« الرندي » من نفح الطيب ٤ / ٤٨٧



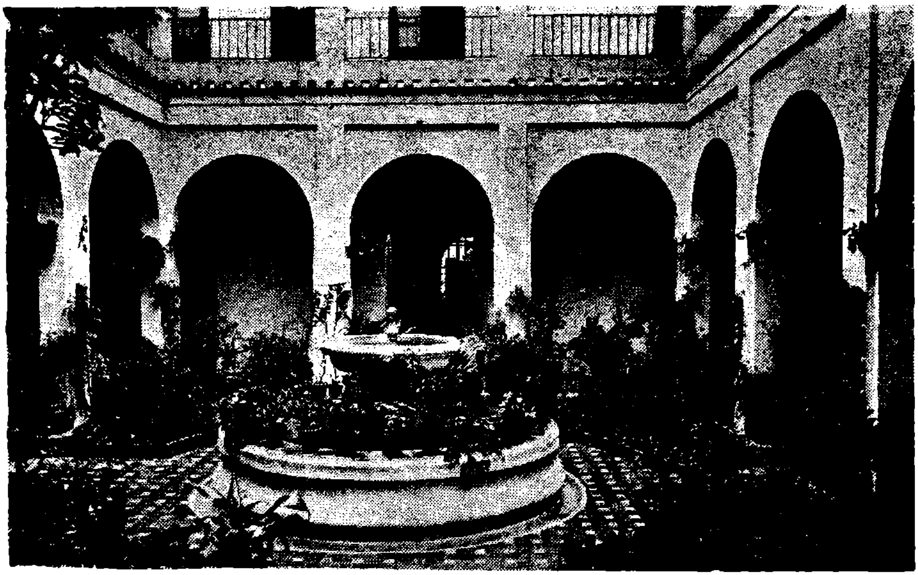
قرطبـــة : مئذنة الجامع وقد وضعت بها النواقيس

مساجدها كنائس أي قلب على هـــذا يقر ولا يطير!

نفح الطيب في رثاء طليطله - ٤ / ٤٨٤



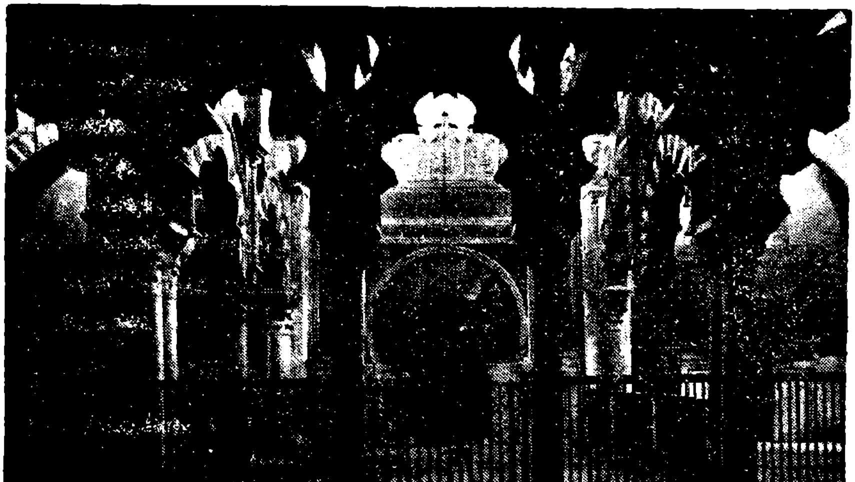
السبيل – في قرطبه – بعض ما تركه العرب من عادات وتقاليد .



فناء بيت من بيوت قرطبة .. ما أشبهه ببيوتات الشام التي أخذت تندثر تحت ثقل الأبنية الحديثة ..



قرطبــة – نموذج البناء – بإيوانه وسقفه وأقواسه وأعمدته ، وأصص الزرع في صحن الدار ، والفرنكات الغرف العلوية ، كل ذلك وكأنه منزل دمشقي أصيل



مسجد قرطبــة

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة   حتى المنــابر ترثي وهي عيدان

٦ - الحكم بن هشام بن عبد الرحمن واستراتيجية الردع

١٨٠ - ٢٠٦ هـ = ٧٩٦ - ٨٢٢ م

جدول توقيت الاحداث

السنة الهجرية	السنة الميلادية	الاحداث
١٣٢	٧٥٠	سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية .
١٣٨	٧٥٦	قيام الدولة الأموية في الأندلس .
١٣٨-١٧٢	٧٥٦ - ٧٨٨	حكم عبد الرحمن الداخل « صقر قريش ».
١٧٢-١٨٠	٧٨٨ - ٧٩٦	هشام بن عبد الرحمن .
١٨٠-٢٠٦	٧٩٦ - ٨٢٢	الحكم بن هشام بن عبد الرحمن .
١٧٠-١٩٣	٧٨٦ - ٨٠٨	خلافة هارون الرشيد - العباسي -
١٨٦	٨٠١	وفد شارلمان في بغداد والقيروان .
١٨٦	٨٠١	استيلاء « الافرنج » على برشلونه .
١٩٤	٨١٠	معركة وادي الحجاره ..
١٢٤-١٥١	٧٤١ - ٧٦٨	بيبان ابن شارل مارتل ، أول ملوك الدولة الكارولنجية وامبراطور الغرب .
١٥١-١٩٩	٧٦٨ - ٨١٤	شارلمان ابن بيبان ، ملك فرنسا وامبراطور الغرب.
١٩٩-٢٢٦	٨١٤ - ٨٤٠	لويس الحليم - أو لويس الاول - امبراطور الغرب.
٢١٨-٢٢٧	٨٣٣ - ٨٤٢	خلافة المعتصم ببغداد .
٢٢٣	٨٣٨	غزوة عموريه ، في بيزنطه .
٢٢٣	٨٣٨	فتح طليطله ، واخضاع تمردها .

« استراتيجية الردع »

١٨٠ - ٢٠٦ = ٧٩٦ - ٨٢٢ م

أ - الوضع العام :

- تولى الحكم بن هشام بن عبد الرحمن امارة الاندلس خلال هذه الفترة ، وتوافق ذلك مع حكم هارون الرشيد ببغداد وشارلمان وبداية عهد لويس الحليم في فرنسا وولاية عبد الله بن الاغاب (١٨٠ - ٢٠١ هـ) في افريقية ، ثم زيادة الله ابن ابراهيم بن الاغلب من بعده ..

- بدأ شارلمان في وضع مخططه لتطوير عملياته في الاندلس ، فأرسل الى بغداد وفداً للصداقة . وفعل مثل ذلك مع افريقية حيث أرسل وفداً إلى قرطجنه بمبرر طلب الاذن لنقل رفات القديس فبريانس المدفون بقرطجنه وغيره من القديسين المدفونين هناك ، فأذن لهم ابراهيم بن الاغلب بذلك وأرسل في اثرهم موفداً خاصاً لمقابلة شارلمان والتقرب منه .

- لقد كان « الاغالبه » يطمحون لفرض سيطرتهم على افريقية والاستقلال بأمورها ، وكان وجود « أندلس قوية » مصدر قلق لهم وخطر عليهم ،ووجدوا في قوة شارلمان عوناً لهم بحيث ينصرف حكام الاندلس عنهم لمجابهة خطر أكبر ، وفي الوقت ذاته فقد كان هدف شارلمان من مد يد الصداقة للاغالبة هو ضمان عدم تقديم دعم - على الاقل - لمساعدة مسلمي الاندلس ،وعندما وثق شارلمان من نجاح مخططه ، وفي السنة التي تم فيها ارسال الوفود الى بغداد وافريقية ، انطلقت جيوش - الغرب - فتجاوزت البيرنيه واندفعت في اتجاه « برشلونه » واستولت عليها ..

ب - الوضع الخاص :

- جابهت الحكم منذ بداية امارته مجموعة من الثورات المضادة والحركات الاستقلالية التي استمرت طوال مدة إمارته ،وكان القسم الأكبر من هذه الثورات

على اتصال وثيق بالمخططات التوسعية التي ينفذها شارلمان بالتعاون مع الأمراء الاندلسيين .

– وكان على الحكم تقوية جيشه – [فكان اول من جند الاجناد واتخذ العدة ... واستعد بالمماليك حتى بلغوا خمسة آلاف ، منهم ثلاثة آلاف فارس وألفا راجل . وقد سمي هؤلاء بالخرس لعجمتهم .. كما اتخذ من أسراه حرساً خاصاً له ، وجمع الاسلحة والعدد واستكثر من الحشم ... وكان للحكم ألفا فرس مرتبطة بباب قصره على جانب النهر عليها عشرة من العرفاء ، تحت يد كل عريف مائة فرس ..] [1]

– ونظراً لما يتطلبه تطوير الجيش من موارد فقـد عمل الحكم على فرض الضرائب ، وعدم تركها طواعية واختياراً ..

[.. وكان مما نعوه عليه ان جعل العشر ضريبة على الناس بعد ان كان مصروفاً الى أمانتهم ..] .

ثم قسم البلاد الى « مناطق عسكرية » وأقام بها روابط مستقلة لمجابهة كل عدوان فكانت هذه المناطق تزج قواتها كنسق أول ثم تدعم هذه القوات بالجيش المتمركز في قرطبة ..

ج – مسيرة الاعمال القتالية ..

١ – الهجوم الوقائي الاول .. « غزوة الصائفة »[2] :

– وجه الامير الحكم منذ تسلمه السلطة جيشاً الى الشمال بقيادة عبدالكريم ابن عبد الواحد ، بمهمة حماية الثغور ..

– كان الامـير الحكم يعرف ان « الدولة الكارولنجية » ستقوم بعملية

---

(١) البيان المغرب ٢ – ١١٨ ، الكامل في التاريخ ٥ – ٢٠٣ ، نفح الطيب ١ – ٣٤٢ ، المغرب في حلى المغرب ١ – ٤٤ ، غزوات العرب ١٣٢ .

(٢) البيان المغرب ٢–١٠٢ ، الكامل احداث سنة ١٨١ ، المغرب في حلى المغرب ١–٤٠ .

« سبر »[1] منذ اللحظات الاولى لتوليه الامارة ، فأراد القيام بعملية ردع قبل أن تتمكن من تنظيم هجوم قوي ضده ، وتوجه عبد الكريم الى الشمال وتجاوز سرقسطة « ثغر الشمال » وتوافت عليه الجيوش ، ثم تابع تقدمه حتى وصل البحر شمال برشلونة فقسم الجيش الى ثلاثة مجموعات قتالية وعين قائداً لكل مجموعة ، وحدد له هدفاً بالاغارة على محاور المرور بجبال البيرنيه .. وانطلقت المجموعات الى أهدافها فلم تلق مقاومة كبيرة ، وتم خلال هذه العملية تدمير المقاومات والحصون وغنمت القوات غنائم كبيرة ، ثم رجعت الى قاعدة انطلاقها.

٢ - سقوط برشلونه - ١٨٤ - ١٨٦ هـ = ٧٩٩ - ٨٠١ م :

- حول المسلمون مدينة برشلونه الى قاعدة متقدمة ، وعملوا على تحصينها ، وكان فرسانهم ينطلقون منها في اغاراتهم المحدودة وهجماتهم الكبرى الى ماوراء البيرنيه ونظراً للخطورة التي اصبحت تمثلها هذه المدينة فقد وضع شارلمان خطته للاستيلاء عليها في اول فرصة تمكنه من ذلك .

- توفرت المعلومات عند الحكم عن عزم شارلمان للقيام بغزو برشلونه ، ووصلته اخبار اتصاله ببعض قادة المسلمين وعلى الرغم من انصراف الحكم الى قمع الثورات المضادة والحركات الاستقلالية في الاقاليم وبصورة خاصة في الاقاليم الشمالية والشمالية الغربية ، فقد قرر الحكم توجيه جيش قوي لمجابهة العدوان واحباطه . وقد تمت عملية استيلاء « الافرنج » على برشلونه ، وفق مراحل ثلاثة ..

المرحلة الاولى : احباط هجوم جيش شارلمان - ١٨٤ هـ - ٧٩٩م ..

كان شارلمان يتابع اخبار الصراع بين الحكم وبين عمه سليمان في بلنسيه ، وهو الصراع الذي استمر ثلاثة أعوام ، فاتصل ببعض أمراء المسلمين في الشمال ،

---

(١) سبر Sondage ، مصطلح يقصد منه القيام بأعمال تعرضية وعمليات هجومية محدودة هدفها معرفة نوايا العدو واستعداده القتالي ومستوى تسليحه وتدريبه ، وتنظيم مواقعه القتالية وهي عمليات استطلاع بالقوة ولكنها على نطاق أوسع وهدف أكبر .

وأظهر له هؤلاء الطاعة ، وظن ان الفرصة مواتية بهجومه ، وخلال هذه الفترة تم الصلح بين الحكم وبين عمه عبد الله ، فوجه الحكم جيشه بقيادة عمه عبد الله « البلنسي » بمهمة القضاء على هجوم « الافرنج » واحباطه ، ووصـل عبد الله وتواقت يوم وصوله الى برشلونه مع يوم وصول جيش شارلمان اليها ، فعقد عبد الله مؤتمراً ، اقترح فيه قادة المسلمون البدء بالهجوم فوراً ، لكنه قرر تأجيل الهجوم الى اليوم التالي ، وهو يوم الجمعة .

– انصرف عبد الله منـذ الصباح المبكر لاجراء التنظيم للمعركة [**فأمر بتعبئة الكتائب ونصب الردود « المجانيق » ، وصلى ركعتي الجمعة .. ثم نادى في الناس ، وركب هو ومن معه ..**] [1] وبدأت الحرب ..

– كان شارلمان يتوقع الوصول الى برشلونه واحتلالها دون مقاومة ، ولكنه بوغت بمقاومة الامراء الذين اظهروا له الطاعة ، ثم اصطدم جيشه بجيش المسلمين أمام برشلونه فكانت المباغتة الثانية ، وعلى الرغم من ذلك فقـد خاضت قوات الافرنج معركة ضارية ، وقاتل المسلمون بتصميم وعناد حتى استطاعوا انتزاع النصر من أعدائهم وعندما انتهت المعركة وتوقف القتال [**نصب الحكم قنـاة طويلة فأثبتت في الارض وأمر بالرؤوس فجمعت وطرحت حواليهـا حتى غابت القناة فيها ..**] [2] .

المرحلة الثانية : الحصار الطويل ١٨٤ - ١٨٦ هـ – ٧٩٩ - ٨٠١ م ..

– كان لويس – ملك اكيتانيا – هو الذي يقود عمليات الهجوم على الاندلس وعندما لحق به الفشل ووجد ان الاستيلاء على برشلونه يتطلب جهداً أكبر ،

....

(١) و (٢) البيان المغرب ٢ - ١١٠ وهو يجعلها في احداث سنة ١٩٩ ، لكن هناك شبه اجماع بين مؤرخي الشرق والغرب ان سقوط برشلونة قد حدث عام ١٨٦ هـ – ٨٠١ م وان هذه المعركة حدثت قبل سنتين من سقوط برشلونة ، ولهذا فان الاحتمال الاقرب للصحـة هو حدوث المعركه عام ١٨٤ وليس ١٩٩ هـ ، أما المغرب في حلى المغرب فيذكرها في احـداث ١٩٧ هـ ، ونفح الطيب ١٨٥ .

قرر الدخول بحرب استنزاف طويلة الأمد فاتفق مع غليوم كونت « تولوز » وعقد مجمعاً من أمراء البلاد بهدف تنسيق التعاون للاستيلاء على برشلونه وفرض حصار حولها .. وزحفت القوات المشتركة وأحاطت بالمدينة وضربت نطاقاً محكماً حولها ووجهت الاغارات لتدمير المرافق الهامة حولها وحرمانها من الموارد الحياتية ، ورغم ذلك فقد صمدت برشلونه للحصار وقاومت بعناد محاولات الافرنج ..

– في عام ١٨٥ هـ – ٨٠٠ م : كان شارلمان في رومة مشغولاً بقضية تتويجه امبراطوراً على الغرب . واستمر الحصار على برشلونه ، دون ان تظهر ولو بادرة ضعف واحدة تشير الى احتمال الاستسلام أو الخضوع للافرنج ، وكان أمراء سرقسطه وطرطوشه رغم مناوأتهم للحكم يتفقون معه على ضرورة الصمود واحباط مخططات « الافرنج » ..

– في عام ١٨٦ هـ – ٨٠١ م : أرسل شارلمان وفداً الى بغداد للتهنئة وتوثيق عرى الصداقة ، والتحريض ضمناً ضد « أموبي الاندلس » وأرسل في الوقت ذاته وفداً آخر الى افريقية بمهمة مماثلة للاتصال بابراهيم بن الاغلب .

– في هذه الفترة أرسل ملك اشتوريه الى شارلمان طلباً للنجدة والعون من أجل غزو المسلمين ، ووجه شارلمان قوات ضخمة بقيادة ابنه لويس ملك اكيتانيا (١) ، وانضم بهلول بن أبي الحجاج الى الافرنج بعد أن استمر في ثورته طوال السنين الماضية (٢) .

....

(١) لويس الأول ، أو ، لويس الحليم Louis 1er le Débonnaire où Le Pieux ابن شارلمان وهيلديغارد Hildegard ، ولد في كاسونوي عام ٧٧٨ م ، ثم اصبح ملك اكيتانيا ، ثم ملك فرنسا ، وأصبح امبراطوراً للغرب وملكاً لفرنسا خلال الفترة بين ٨١٤ – ٨٤٠ م ، قضى على ثورة حفيده برنارد ملك ايطاليا عام ٨١٨ ، تزوج ايرمينغارد ثم جوديت دوبا فيير عام ٨١٩ ، وقضى خلال حكمه على الثورات التي قادها ابناؤه ضده وهم لوثر ولويس وبيبان وذلك بسبب غيرتهم من اخيهم شارل الذي أراد أبوه ايثاره بقسم من ميراثه ومات أثناء حملته ضد واحد من هؤلاء الأبناء .

(٢) غزوات العرب ١٣٧ .

المرحلة الثالثة : سقوط برشلونه ١٨٦ هـ – ٨٠١ م ..

عندما وصلت جيوش « الافرنج » أعيد تنظيمها وتحديد الواجبات لها فكانت على النحو التالي :

١ – القسم الاول بقيادة الملك لويس – ملك اكيتانيا – ومهمته السيطرة على محاور المرور في البيرنيه ، والقيام بهجمات على المناطق القريبة ..

٢ – القسم الثاني بقيادة غليوم كونت تولوز ومهمته السيطرة على محاور الاقتراب بين قرطبة وبرشلونه بهدف عزلها عن كل دعم ..

٣ – القسم الثالث ، بقيادة ملك اشتوريه ، ومهمته حصار المدينة والاستيلاء عليها ..

توجه الحكم بجيشه لمجابهة العدوان ، ومعه عمروس أمير طليطله وسرقسطة ومحمد بن مفرج قائد الفرسان، وعندما وصل سرقسطة وصلته أخبار تمرد طليطله واعلان الثورة فيها فوجه قوة بقيادة عمروس للقضاء على التمرد .

– لم يتمكن الحكم من الوصول الى برشلونه نتيجة للمقاومات المنظمة على محاور الطرق والمواقع الحصينة ، فحول الحكم الى « اشتورية » لتخفيف الضغط عن برشلونة ولحمل ملكها على الانسحاب من قوة التحالف والتوجه للدفاع عن اقليمه ، ولكن الحكم لم يلق مقاومة في اشتورية فتابع تقدمه الى نافار ووصل بنبلونه ووشته . وعندما لم ينجح مخطط الحكم في اجتذاب جيش التحالف وحمله على التحول عن هدفه ، تحول في مسيرته نحو الغرب ، ووصلته أخبار عن تقدم بهلول بن أبي الحجاج الى طركونه ، فتوجه الحكم لقتاله ولكن بهلول تقدم خلال ذلك فوصل طرطوشه ، فلحق به واستطاع القضاء عليه وحمل رأسه الى قرطبة في محاولة لردع كل من يفكر في التعاون مع قوات الشمال واقناعه بالمصير الذي ينتظره لقاء خيانته أمته والتعاون مع أعدائها ..

– مضى على حصار « برشلونة » عامان كاملان ، وفي النهاية اشتد الحصار عليها ، فقرر أميرها القيام بهجوم يائس ، فنظم قواته واندفع في هجوم مباغت،

لكن هذا الهجوم لم ينجح في تحقيق هدفه وفشل أمام تفوق العـدو الساحق ، ووقع أمير برشلونة أسيراً في قبضة العدو ، وقام الافرنج بتنظيم هجوم كبير أعدوا له كل ما هو ضروري من أعمال ، كحفر الانفاق واعداد أعتـدة تسلق الأسوار وتوفير الامدادات الضرورية وأمكن بذلك اختراق تحصينات المدينـة واسقاط موانعها ووصلت قوات العدو الى المدينة وأزالت كل مقاومة فيهـا ، وخرجت برشلونة من قبضة المسلمين بعد أن بقيت تحت حكمهم تسعين سنة ، وأصبحت فرنسا تسيطر على دولتين في شمال الاندلس احداهما كتالونيا وقاعدتها برشلونة ، والثانية غاسقونيا ، ومنها نافار وآراغون ..

٣ – استعادة تطيله ١٨٧ هـ – ٨٠٢ م :

كان عمروس بن يوسف أمير ثغور الشمال يرافق الحكم أثناء تحركه في محاولة دعم حامية برشلونة ، وعندما ظهر التمرد في طليطلة توجه اليها وأرسـل قوة بقيادة ابنه يوسف الى تطيله [١] .

– وكانت هناك قوات من الاندلس قد انضمت الى الافرنـج والتحقت بهم خوفاً من بطش الحكم وفي محاولة لتقوية مركزهم عند الافرنج للاستقلال بثغور الشمال وسيطر هؤلاء بقواتهم على تطيله ، وتمركزوا فيها ، وعندما قدمها يوسف أمكن لهم نصب كمين أوقعوه فيـه ، وأخذوه سجيناً الى « صخرة متيس » .

– استقر عمروس بن يوسف بمدينة « سرقسطه » وجعلهـا مقراً له نظراً لموقعها المتوسط من ثغور الشمال ، وبسبب ما تتميز به من المنعة والقوة ، ثم تابـع مهمته في اخضاع حركات التمرد ، ووجه جيشاً بقيادة ابن عمه للقاء الافرنج ، وتمكن هذا الجيش من تمزيق قوة الافرنج بعـد أن كبدهم فادح الخسائر في معركة حاسمة ، وتابـع المسلمون تقدمهم فاستولوا على تطيله ، ولم يعد باستطاعة

(١) تطيله Tudela على نهر ابره « Ebro » غرب سرقسطة وجنوب بمبلونا .

أنصار الإفرنج الصمود في وجـــه تقدم جيش عمروس ، فأخذوا في التفرق ، واستطاع هذا الجيش تحرير يوسف بن عمروس من قبضة الأسر[1] .

٤ً – هجوم وقائي جديد ١٩٢ هـ – ٨٠٧ م [2] :

– اكتسب « الافرنج » بعد سقوط « برشلونه » مزيداً من الثقـة بقدرتهم على تطوير هجماتهم ، وتابعوا عملياتهم التخريبية وهجماتهم على ثغور المسلمين ، وفي عام ١٩٢هـ توفرت المعلومات لدى الحكم عن تصميم « رودريك ـ لذريق » لتوجيه جيش بمهمة الاستيلاء على طرطوشه[3] مستفيداً من تركيز جهد الحكم على « مارده » للقضاء على التمرد فيها ، فوجه الحكم جيشاً كبيراً بقيادة ابنـه عبد الرحمن وطلب الى ولاته في الثغور « عمروس ، وعبدون » ان يعمـلا على زج قواتهما والالتحاق بجيش ابنه عبد الرحمن ..

وصل عبد الرحمن بن الحكم الى الشمال ، وانضمت اليـــه قوات الثغور والتحقت بـه قوات كبيرة من المتطوعين . وتواقت وصول عبد الرحمن مـع وصول جيش رودريك الى مضائق البيرنيه ، ودارت رحى معركة طاحنـة ، ثبت فيهـا المسلمون حتى استطاعوا احراز النصر وأبادوا جيش « رودريك » ابادة شبه تامة ، وأمكن بذلك احباط هجوم العدو في مهده ..

٥ً – استراتيجية الردع ..

معركة وادي الحجاره ـ ١٩٤ هـ – ٨١٠ م :

– تابع الافرنج أعمالهـــم التخريبية ، واغاراتهم الاستفزازية في المناطق الشمالية ، وأفادوا في ذلك من انصراف الحكم لقمع الثورات المضادة والحركات

---

(١) الكامل في التاريخ ، ابن الاثير ، احداث ١٨٧ .

(٢) في البيان المغرب احداث ١٩٣ ، وفي نفح الطيب جعلها من أحـــداث سنة ١٩٦ هـ وجعل قيادتها للحكم نفسه ، وفي الكامل لابن الاثير أحداث سنة ١٩١ هـ .

(٣) طرطوشة Tortosa .

المناوئة ، وذات يوم وبينما كان الشاعر العربي عباس بن ناصح ، في وادي الحجارة[1] وصل سمعه صوت استغاثة امرأة عربية وهي تقول :

[.. واغوثاه بك يا حكم .. لقد اهملتنا حتى كلب العدو علينا ، فأيمنا وأيتمنا ..] وتقدم عباس بن ناصح من المرأة مستوضحاً أمرها ، فقالت له : [.. كنت مقبلة من البادية في رفقة ، فخرجت علينا خيل العدو .. فقتلت وأسرت ..]

ورجع الشاعر عباس بن ناصح الى قرطبة ، ودخل مجلس الحكم فأنشده :

تململت في وادي الحجارة مسهراً　　أراعي نجوماً ما يرون ثغورا
اليك أبا العاصي نضيت مطيتي　　تسير بهم سارياً ومهاجرا
تدارك نساء المسلمين بنصرة　　فانك أحرى ان تغيث وتنصرا

واستوضح الحاكم من الشاعر عباس عن حقيقة الموقف وما سمعه وما رآه ، فوقف الحكم من فوره وأعلن الجهاد والاستعداد وزحف بقواته بعد أيام ثلاثة نحو الشمال[2] ..

– وصلت قوات المسلمين الى « وادي الحجارة » وانطلقت الى الحصون تدمرها والمواقع تزيلها والمقاومات تبيدها ، وأمكن خلال ذلك الحصول على اعداد كبيرة من أسرى العدو ، وتابع الحكم دفع القوات حتى لم تبق مقاومة تعترض سبيل تقدمهم ، ورجع الى وادي الحجارة وتوقف فاستدعى المرأة المستغيثة وتوافد أهل الناحية ، فأمر الحكم لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم يصلحون به أحوالهم ويفدون به سباياهم وخص المرأة وآثرها ووزع عدداً من

(١) وادي الحجارة Guadaljara . واد يمتد بين طليطلة ومدريد يخترقه رافد من روافد نهر التاج وهو واد كثير الوعورة ، به فج يحمل اسم فج طارق ، نسبة الى طارق بن زياد عندما اخترقه الى الشمال لاحتلال سرقسطة .

(٢) الكامل ، احداث ١٩٤ هـ .

الأسرى على من أسر احد من أقربائهم وأمر بضرب اعناق البقية ، ثم التفت الامير الحكم الى الشاعر ـ عباس ـ وقال له :

[.. سلها .. هل اغاثها الحكم ؟.] فأجابت المرأة وكانت عربية نبيلة :

[.. والله لقد شفى الصدور وأنكى في العدو ، وما غفل عنا إذ بلغه امرنا ، فاغاثه الله وأعز نصره ..]

ثم خاطب الحكم الشاعر عباس بقوله :

ألم تر يا عباس أني اجبتها — على البعد اقتاد الخميس المظفرا

فادركت أوطاراً وبردت غلة — ونفست مكروباً واغنيت معسرا

فأجاب عباس : نعم ، جزاك الله خيراً عن المسلمين[1] .

– ورجع الحكم ظافراً الى قرطبة ..

٦ - اخضاع التمرد في طليطلة ١٩٩ هـ – ٨١٤ م :

على الرغم من الجهود المبذولة لاخضاع طليطلة، وعلى الرغم من اخفاق حركات التمرد المرة بعد المرة ، فقد تابعت هذه المدينة سيرتها في الثورة والتمرد حتى أصبحت بؤرة لأستنزاف قوة الدولة وقدراتها ، فصمم الحكم على اخضاعها بنفسه، ونظم جيشه وانطلق الى الشرق متظاهراً بالتوجه الى « مرسيه » مركز اقليم « تدمير » .

– وصل الحكم اقليم تدمير شرقاً ونزل بعض حصونها وكتب الى عمال الثغور بنزوله فيها ، واطمأن أهل طليطلة وتابعوا ممارسة حياتهم العادية ، وكان الحكم قد أرسل عناصر استخباراته « عيونه » لموافاته بأخبار طليطلة وهو يقترب منها شيئاً فشيئاً، وعندما وجد الفرصة المناسبة تحرك بسرعة نحو الشمال وسار ليلاً حتى وصلها بعد أن دفع أمامه بعض العناصر الخفيفة والافراد

---

(١) البيان المغرب ٢ – ١٠٩ ، ونفح الطيب ١ – ٣٤٣ .

(٢) اخبار مجموعة ١٢٩ والمغرب في حلى المغرب ١ – ٤١ والبيان المغرب ٢ – ١١٠ .

المتفرقين الذين دخلوا المدينة في غفلة من أهلها . ووصل الحكم ودخل طليطلة دون أن يعرف أحد أمر دخوله ، ثم استمر تدفق الجيش ، وقام الحكم بعزل المدينة وعندما شعر أهلها انهم عاجزون عن القيام بأي محاولة للمقاومة استسلموا وعمل الحكم على اعتقال قادة التمرد ، ونقلهم الى « ترجله » من اقليم بطليوس ، ثم أمر سكان المناطق الجبلية والمواقع المنعزلة بمغادرة مراكزهم فعمل على احراقها وتدميرها ، وبذلك أمكن اخضاع طليطلة والقضاء على مراكز المقاومة المحيطة بها ، وعاد الهدوء اليها ، لكن إلى حين ..

٧ً – تطوير عملية الردع ٢٠٠ هـ – ٨١٥ م :

استطاع الحكم أخيراً ، اخضاع حركات التمرد ، وقمع الثورات المضادة ، فوجه جيشاً كبيراً بقيادة عبد الكريم بن مغيث لتطوير عمليات الردع ، فوجه عبد الكريم بجيشه شمالاً حتى وصل وادي الرون [١] ، وبذلك تجاوزت قوات المسلمين وللمرة الاولى في عهد الحكم حدود « الأندلس » ووصلت أرض فرنسا « غاليا » .

– انطلقت قوات المسلمين في وادي الرون تدميراً للقلاع وابادة للمقاومات وخلال ذلك كان أمير الاقليم يطلب قوات الدعم من المقاطعات ، ووصلته قوات دعم كبيرة ودارت معارك طاحنة حقق فيها المسلمون انتصارات رائعة وأرغموا قوات « الافرنج على البقاء عند الضفة الاخرى من نهر الرون ، وعندما

(١) البيان المغرب ٢ – ١١٨ ، والكامل في التاريخ حوادث سنة ٢٠٠ هـ .. ولم يذكر بوضوح موقع المعركة ، ولكن المصادر الغربية تنوه اليها ، وقد جاء في المصادر العربية :
(.. فدخلها وتوسطها وأهلك معايشها .. حتى استوفى جميع قرى وادي اردون .. وانجلت النصرانية من كل مكان وأقبلت الجموع ونزلت بعدوة نهر اردون ..) ، ولم يذكر ابن الاثير اسم النهر او مكان الموقعة بدقة وتجاهلها المغرب في حلى المغرب وأسقطها المقري .. وكل ما ذكره في نفح الطيب ١ – ٣٤٠ (.. وأقبل عليه « البط » ملك الجلالقة في جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه اياماً ونال المسلمون منهم أعظم النيل وأقاموا كذلك ثلاث عشرة ليلة ..) .

وضع عبد الكريم مخططه للعبور ولقاء قوات عدوه عند الطرف الآخر من النهر هطلت الأمطار الغزيرة وتدفقت السيول مما جعل عملية العبور مستحيلة، فاضطر عبد الكريم بن مغيث الى الانسحاب بعد معارك ضارية استمرت طوال ثلاثة عشر يوماً تكبد فيها « الافرنج » خسائر كبيرة في الارواح والممتلكات ورجع عبد الكريم بجيشه وهو مثقل بالغنائم ..

– وقد يكون من الغريب ألا يحاول الحكم استعادة برشلونه ، وتركها كموقع في جانب المسلمين ، وقد يكون السبب في ذلك :

١ – وجود امارات مستقلة في الشمال خاضعة اسمياً للخلافة قرطبة مثل امارة آراغون ونافار ..

٢ – استقلال شمال غرب الاندلس – اقليم جيليقية – .

٣ – تصاعد حركات المقاومة ، وتكرر حدوث الثورات المضادة ..

٤ – عدم توفر الامكانات المادية والطاقات البشرية الكافية لتكريس قوات خاصة لحصار المدينة والبقاء فيها حتى اخضاعها مع احتمال ضرورة زج قوات اضافية لمجابهة كل دعم قد يصل لدعم قوات الافرنج في برشلونه .

—★—

القسم الرابع

الفصل الثاني

عهود الفتنة والاضطراب

١ - عبد الرحمن بن الحكم بن هشام « الاوسط » :

١ - عملية الردع الأولى .

٢ - استعادة السيطرة على اراغون .

٣ - عمليات الردع لحماية الثغور .

٤ - العمليات في جيليقيه .

٥ - انزال النورمان في الأندلس .

٦ - عمليات الردع ضد جزر مينورقه - ميورقه - يابسه
« جزر الباليئار »

٧ - ثورة مارده .

٨ - الفتنة الطائفية .

٢ ـ محمد بن عبد الرحمن وحروب الاستنزاف .

احباط عملية السير .

١ ـ عمليات الردع الخارجية :

آ ـ معركة وادي سليط .

ب ـ مجابهة غزو النورمان .

حـ ـ عمليات الردع في الشمال .

د ـ الثورات المضادة في عهد الامير محمد بن عبد الرحمن .

هـ ـ ثورة عمر بن حفصون .

٢ ـ حروب الاستنزاف واستمرار الثورات المضادة

في عهدي المنذر وعبد الله ابني محمد بن عبد الرحمن

آ ـ عناصر الثورات المضادة .

ب ـ نشوء مملكة نافار ، أو البشكنش .

حـ ـ نشوء مملكة جيليقيه ـ اشتوريش ، ثم ليون .

—★—

١ – عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
والهجمات الوقائية واستراتيجية الردع
٢٠٦ – ٢٣٨ هـ – ٨٢٢ – ٨٥٢ م

– تولى حكم الاندلس في الفترة بين عام ٢٠٦ - و - ٢٣٨ هـ الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام رابع امراء الاندلس . وقد توطدت سيطرة الدولة في عهده ، وظهرت بوضوح الاسس الاستراتيجية لعملياته القتالية التي كانت ضمن احدى مجموعتين اما هجمات وقائية لاحباط نوايا العدو ، واما عمليات ردع هدفها اقناع خصومه بقوتة وعجزهم عن مواجهته بتحدياتهم .

– وتواقت حكم عبدالرحمن الاوسط مع حكم لويس الحليم في « كارولنجيا » ، ونظراً لما تميز به هذا الحكم من الضعف والتمزق الداخلي فقد توفرت الفرصة أمام الامير عبد الرحمن لاعادة تنظيم الجبهة الداخلية بعيداً عن كل تدخل خارجي وتطوير العمليات لنقل مسرح العمليات حتى قلب بلاد الغال « فرنسا » عوضاً عن ممارسة عمليات الردع فوق أرض الاندلس ذاتها .

١ – عملية الردع الاولى ٢٠٨ هـ – ٨٤٣ م :

– انطلق الفونسو الثاني – أمير ليون – بهجوم كبير فور علمه بوفاة الحكم وتسلم عبد الرحمن مقاليد السلطة ، ووصل بهجومه حتى مدينة « سالم » من أعمال الثغر الأعلى ، وفي الوقت ذاته تحركت بعض القبائل المسيحية الثائرة في الشمال فأغارت على ثغور المسلمين وأعملت فيها حرقاً وتدميراً وسبياً ، وعلى اثر ذلك وجه الامير عبد الرحمن جيشاً كبيراً بقيادة حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد الى البه ، والقلاع وهزم الثوار في مجموعة من المعارك المتتالية ، وعندما وصل « ليون » عاصمة اقليم جيليقية ، أمر باحراقها وتدمير حصونها ، وطلب

الثوار الصلح فاشترط عليهم شروطاً قاسية منها دفع غرامة كبيرة وتسليم بعض زعمائهم كرهائن يتم الاحتفاظ بهم في قرطبة لضمان عدم معاودة التمرد ، مع اطلاق سراح أسرى المسلمين .

– وفي الوقت الذي كان فيـــه عبد الكريم يمارس عملياته في جيليقيه كان الأمير عبد الرحمن قـد وجه جيشاً ثانياً بقيادة ابنه محمـد للقضاء على التمرد في كاتالونيا فزحف الأمير محمد بن عبد الرحمن الى بنبلونا عاصمة نافار ، واستولى عليها وقتل ملك نافار ، ودمر حصونه وقصوره ، وهربت فلول الثائرين الى ما وراء البيرنيه ..

– انتهت المرحلة الاولى من هذه العمليات بنجاح ، وأصبح بالامكان تطوير العمليات فعقد عبدالكريم بن عبد الواحد اجتماعاً للقادة لمناقشة موضوع اختراق البيرنيه ، لا سيما وقد أصبح جيش عبد الكريم قادراً على متابعة هجومه بفضـل ما وصله من قوات دعم ، وما لحق به من متطوعين ..

عندما اجتمع القادة لمناقشة الموقف وقع اختلاف حول المحور الذي يجـب اتباعه وبعد حوار أمكنِ الاتفاق على أن يكون محور التقدم هو «باب البه» (١) وكان سبب اختيارهم لهذا المحور هو أنه :

[... أنكى للعدو وأحسم لدائه فاقتحموا من فج يقـال له « جرنيـق » وكان وراءه بسيط للعدو فيه خزائنه وذخره ، فوضع أهـــل العسكر على

....

(١) عرف العرب أربعة محاور للمرور من الاندلس الى الارض الكبيرة « فرنسا » عـــبر جبال البيرنيه « البرانس أو البرتات » وأطلق العرب على هذه المحاور اسم الأبواب وهي :

١ – محور برشلونة – بيربينيان Perpignan – ناربون، وبيربينيان هي مركز مقاطعة روسيليون – أو – البيرنيه الشرقية .

٢ – محور بويـسودا – سردانه Cerdagna .

٣ – محور بنبلونه – سان جان بييه دوبورت Saint Jean Pied de Port .

٤ – محور طولوزا « الاسبانية » بايون Toloza - Bayonne

ارسلان – عن غزوات العرب ١١٨ .

تلك البسائط فاستصفوها وعلى ذخر تلك الخزائن فانتهبوها واستوعبوا خراب كل ما مروا به عليه من العمران والقرى وأقفروها وانصرف المسلمون غانمين ظافرين ..] [1] .

٢ – استعادة السيطرة على اراغون ٢٠٩ هـ – ٨٢٤ م :

في عام ٨٠٩ م ، توفي الكونت « اوريول » قائد الجيوش الفرنسية في اقليم اراغون ، ووجد « عمروس » امير سرقسطة ، وهو من المولدين أن الفرصة سانحة للانتقام من الافرنج لقاء ما ألحقوه به من الذل خلال وقوعه بالأسر في عملية استعادة طليطلة خلال فترة حكم «الحكم بن هشام» ولهذا تقدم بقواته واستولى على المواقع والمراكز التي كان يسيطر عليها الكونت « اوريول » [٢] زاعماً انه سيقوم بتسليم هذه الأماكن عندما يتقدم الفرنسيون ، ولكن عندما وصلت قوات « الافرنج » رفض تسليمهم اياها وبقيت في قبضة المسلمين .

٣ ـ عمليات الردع لحماية الثغور :

استمر عبد الرحمن بن الحكم في تنفيذ استراتيجية الردع بهدف حماية الثغور وابعاد كل خطر عنها ، وكان تنفيذ هذه الاستراتيجية يخضع لمجموعة من العوامل أهمها :

١ً – توفر الاستقرار الداخلي ، وعدم وجود ثورات مضادة ..

٢ً – وجود احتمال بالتهديد الخارجي ..

٣ً – توفر القناعة عند أمير قرطبة بوجود اتصال بين عناصر الثورة المضادة وبين القوى الخارجية ..

وان استعراض أحداث سنوات حكم الأمير عبد الرحمن يبرز بوضوح معالم هذه الاستراتيجية ..

(١) البيان المغرب ٢ ـ ١٢٣ ، ابن الاثير أحداث سنة ٢٠٨ ، نفح الطيب ١ ـ ٣٤٥ ، تاريخ العرب في اسبانيا ـ عنان ٨٨ .

(٢) اوريول Aureole .

ففي عام ٢٠٩ هـ – ٨٢٤ م ، وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً إلى الثغور ، وهو جيش الصائفة ، بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد ، وأصيب عبد الكريم بمرض أعاقه عن متابعة التحرك ، ثم لم يلبث أن توفي ، فخلفه في قيادة الجيش أمية بن معاوية بن هشام ، فتقدم أمية بالصائفة حتى وصل اوريط[١] ونزل بها، وخلال توقفه ألقى القبض على زعماء التمرد وقتلهم وعفا عن الباقين ممن ليس لهم دور قيادي في التحريض على الثورة ، ثم تابع أمية تقدمه إلى « شنت بريه »[٢] للقضاء على التمرد فيها .

– وفي عام ٢١٠ هـ – ٨٢٥ م : وجه الأمير عبدالرحمن مجموعة قتالية كبرى بقيادة عبيد الله « المعروف بابن البلنسي » كما وجه مجموعة قتالية ثانية بقيادة فرج بن مسره عامل جبات وتوجهت هذه القوات الى أهدافها، فأوغلت المجموعة الأولى في التقدم داخل أرض « الافرنج » وأعملت فيها قتلاً للمقاومات واحراقاً للقرى وتدميراً للحصون ثم التقت بقوات العدو ودارت رحى معارك طاحنة انتصر فيها المسلمون وحصلوا على غنائم كبيرة واعداد من الأسرى . أما المجموعة الثانية فقد توجهت الى حصن « القلعة » وأمكن لها الاستيلاء عليه ، وفي الوقت ذاته وقعت ثورة في تدمير « بين اليمانية والمضرية » .

– وفي عام ٢١١ هـ – ٨٢٦ م : حدثت ثورة في تاكرنا فوجه اليها الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة ابن غانم فظفر بقائد الثورة – طويل – .

– وفي عام ٢١٢ هـ – ٨٢٧ م : وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة عبيد الله بن عبد الله « البلنسي » لقيادة عمليات الصائفة ، فركز قائد الجيش عبيد الله عملياته في اقليم برشلونه واستمر في تنفيذ الاغارات والأعمال الهجومية لفترة شهرين كاملين ، وشملت العمليات اقليم « جرنده » .

– وفي عام ٢١٣ هـ – ٨٢٨ م : أمكن القضاء على الفتنة بتدمير ، بعد أن

(١) اوريط Oreto جنوب قلعة رباح .
(٢) شنت بريه أو شنتمريه Santa Maria .

استمرت اربعة اعوام . واستنزل قائد الفتنة أبو الشماخ وغيره من القلاع وعمل الامير عبد الرحمن على تعيين أبو الشماخ والياً من ولاته في الاقاليم [١] .

تابع عبد الرحمن بعد ذلك عملياته لردع الاعداء الخارجيين وقمــع ثورات الاعداء الداخليين . ومن أكثر عمليات الردع الخارجية العمليات التالية :

٤ – العمليات في جيليقية :

١ – عام ٢٢٢ هـ – ٨٣٦ م : وجه الامير عبد الرحمن قوة كبيرة بقيادة أخيه الوليد بن الحكم إلى جيليقية ، ونجح الوليد في عمليات الردع ، وفتح عدداً من الحصون والقلاع .

٢ – وفي عام ٢٢٤ هـ – ٨٣٨ م . وجه الأمير عبد الرحمن قوة بقيادة عبـد الله المعروف بابن البلنسي ، لاخضاع البة والقلاع ، وجابهم جيش جيليقيـة فدارت رحى معارك طاحنة ، وانتهت العمليات بهزيمة جيش جيليقيا وابيدت قوات كبيرة منهم ، وأراد رودريك الافادة من هذه الظروف فانطلق بقـوة كبيرة في محاولة لاحتلال مدينة « سالم » فتصدى له فرتون بن موسى والحق بـه الهزيمة ، وأوقع بجيشه الخسائر الفادحة في الارواح ، ثم تابع فرعون تقدمه في اتجاه الحصن الذي أقامه أهل « البه » لمجابهة تقدم المسلمين فحاصره ثم اقتحمه ودمـــره .

٣ – وفي عام ٢٢٥ هـ – ٨٣٩ م : قاد الأمير عبد الرحمن الجيش بنفسه لتطوير عمليات الردع في جيليقية ، ففتح حصونها وأوغل في تقدمه واستمرت عملياتــه هذه فترة طويلة ، ثم عاد الى قرطبة بعد أن أخضع عدوه.

٤ – وفي عام ٢٢٦ هـ – ٨٤٠ م : وجه الامير عبدالرحمن جيشاً الى جيليقية

(١) المراجع : الكامل لابن الاثير ، أحداث السنوات ، البيان المغرب ٢ – ١٢٣ – ١٢٧ نفح الطيب ١ – ٤٧ – ٥١ ، المغرب في حلى المغرب ١ – ٣٤٤ – ٣٥٠ .

بقيادة القائد عبد الواحد بن يزيد « الاسكندراني ». وقام الجيش بتنفيذ عمليات ناجحة وعاد الجيش في الموعد المحدد لايقاف عمليات الصائفة .

٥ – وفي عام ٢٢٧ هـ – ٨٤١م : خرج عبيد الله بن عبد الله قائد الصوائف بقواته حتى وصل منتصف المسافة بين أربونة وسرطانية ، وباغته الأعداء بقوة كمين كبيرة وأحاطوا به من كل جانب ، ودارت معركة قاسية طوال الليل وعندما أشرق فجر اليوم التالي ، أعاد المسلمون تنظيم قواتهم وانطلقوا بهجوم حاسم دمروا فيه قوات العدو .

٦ – وفي عام ٢٢٨ هـ – ٨٤٢ م قاد الأمير عبد الرحمن الجيش بنفسه بعد أن استخلف في قرطبة ابنه المنذر وعين لقيادة ميمنته ابنه محمد ولقيادة الميسرة ابنه المطرف ، وعندما وصل الجيش الى بنبلونة ، تصدت له قوات العدو ، وخاضت معه معركة طاحنة ، واستطاع المسلمون بصمودهم انتزاع النصر ، وقتل اعداد كبيرة من جيش أعدائهم [1] .

٧ – وفي سنة ٢٣١ هـ – ٨٤٥ م : وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً ، الى جيليقية ، فقام الجيش بضرب الحصار على مدينة ليون ورماها بالمنجنيق ، فتخلى اهلها عنها ونزحوا منها فغنم المسلمون ما فيها وأحرقوها ، وأرادوا هدم سورها فلم يتمكنوا من ذلك ، بسبب قوة بنيانه ، وكان عرضه سبعة عشر ذراعاً ، فثلموا فيه ثلمة ورجعوا في اتجاه برشلونة فقاموا بغزوها وحاصروا جرندة وتقدموا حتى وصلوا البيربينيان .

٨ – وقعة البيضاء – ٢٣٧ هـ – ٨٥١ م [2] :

قاد موسى بن موسى جيش الصائفة حتى وصل إلى البلدة ، أو البيضاء ،

....

(١) الكامل لابن الاثير – احداث السنوات – البيان المغرب ١٢٦ – ١٢٨ ، نفح الطيب ١ – ٣٤٤ – ٣٥٠ ، المغرب في حلى المغرب ١ – ٤٥ – ٥١ .

(٢) المقتبس ، علي مكي ، صفحة ١٥٦ ، وفيه :

البيضاء Albelda : حصن صغير شيده موسى بن موسى القسوي على بعد كيلو مترات ←

وهناك اصطدم بقوة كبيرة منظمة وجيدة التسليح ، من غاسكونيا أو الجاشفيين كما يسميهم العرب ودارت معركة قاسية لقي العرب فيها عناء كبيراً وبذلوا جهداً رائعاً حتى استطاعوا الصمود واصيب موسى بن موسى نفسه بخمسة وثلاثين جرحاً . وفي اليوم التالي وعلى الرغم مما نزل بجيش المسلمين وقائدهم ، أعاد موسى تنظيم جيشه وتحامل على نفسه وانطلق بهجوم حاسم استطاع به ان يحرز النصر ، وهزم جيش الغاسكون هزيمة منكرة ، وتكبدوا فادح الخسائر [**حتى فرشت الارض بصرعاهم**] ..

٥ - انزال « النورمان » في الاندلس(١) :

تعرضت اوربا في القرن السابع والثامن الميلادي لغزوات شعوب وثنية

....

قليلة جنوب مدينة لوغرون Logrone وعلى مسافة قريبه من بنبلونة وهي الآن مدينة صغيرة تقع على بعد ٩١ كم الى الشمال الغربي من تطيلة ويتردد ذكر البيضاء في الحوليات المسيحية ، اذ تذكر انه لم يكد موسى بن موسى يتم بناءها حتى حاصره ملك جيليقية واشتوريش « اردون الاول » Ordone 1 ، فخرج موسى للقائه ودارت بين المسلمين والنصارى معركة حامية تعرف في الحوليات المسيحية باسم معركة كلافيجو Clavijo ، وتقول هذه الكتب ان المسلمين اصيبوا فيها بهزيمة منكرة وان موسى أصيب بجراحات شديدة وقتل زوج ابنته غارسيه وتحدد هذه المراجع المسيحية المعركة بسنة ٢٤٥ هـ - ٨٥٩ - ٨٦٠ م ، على ان المصادر الاسلامية لا تذكر شيئاً عن هذه المعركة مما يجعل الشك محيطاً بصحة الرواية المسيحية ، وقد ذكر ابن الاثير معركه البيضاء بكلمات قليلة في احداث سنة ٢٣٧ وقال انها وقعة عظيمة كان الظفر فيها للمسلمين وهي الوقعة المعروفة بوقعة البيضاء وهي مشهورة بالاندلس ..

(١) النورمان أو الفايكنغ ، ويسميهم المؤرخون العرب بالاردمانيين ، وهم قوم من البرابرة الوثنيين ، هبطوا من الشمال ، عن طريق البحر قادمين من النروج والدانمارك على متن زوارق خفيفة، يحمل الزورق منها ستين الى خمسة وستين مقاتلا.. وكان هؤلاء النورمان - أو الفايكنغ - مقاتلون أشداء يقومون بالانزال عند السواحل ، ثم يستخدمون الجياد التي يسطون عليها في غاراتهم متحولين الى فرسان ، وكانت غزواتهم تترك الخراب الرهيب ، وقد صعد النورمان انهار فرنسا بين عام ٨٤١ و ٩١٢ م وامعنوا في المدن الفرنسية ذبحاً ونهباً وظهروا امام باريس في أعوام ٨٤٥ ، ٨٥٦ ، ٨٦١ ، ٨٨٥ ، وقد دافع الكونت أود بنجاح عن موقع

بربرية هبطت من الشمال وهم السلافيين والنورمان ، وكان النورمان والسلافيين أو المجر مقاتلين أشداء ، أدخلوا الدمار والفزع الى اوروبا كلها ، وتميز النورمان بغزواتهم البحرية وسيطرتهم على البحار واسهامهم بدور كبير في نشر أعمـــال القرصنة .. وقد تعرضت الاندلس لغزوتين من غزوات النورمان .

في عام ٢٢٩ هـ — ٨٤٣م : كان الامـــير عبد الرحمن يقودعمليات القتال في تطيلة للقضاء على تمرد موسى بن موسى ، ثم تابع الامير عبد الرحمن تقدمه حتى بنبلونة حيث خاض فيها معارك ضارية ضد قوات « الافرنج » ومعهم موسى بن موسى ، وحقق جيش قرطبة انتصارات رائعة ، وفي هذه الفترة وصـل كتاب الى الأمير عبد الرحمن من عامله في لشبونة « وهب الله بن حزم » يذكر فيه انه ظهر في الساحل المقابل للمدينة أربعـــة وخمسون مركباً من مراكب النورمان « المجوس » ويرافقها أربعة وخمسون قارباً ، فكتب الأمير عبد الرحمن الى عمال السواحل بالتحفظ ، ثم لم تلبث هذه القوات أن قامت بالانزال قرب اشبيلية ، ثم اقتحموها بسبب عدم وجود حامية كبيرة للدفاع عنها ، واستباحوها سبعة أيام ، ووجه الامير عبد الرحمن قوات كبيرة لمجابهة الغزو بقيادة نصر الخصي ، وقد استطاع نصر الحـــاق الخسائر الفادحة في قوات النورمان وأرغموهم على

باريس فانتخب عام ٨٨٧ م ملكا ، ومع ان ملوكاً كارولنجيين جاؤوا بعده الا انه يعتبر أول ملوك الكابيـيين ، وجاء الملك شارل البسيط ـ حفيد شارل الأصلع ـ ليجعل النورمان يقيمون مستقرين نهائياً على مصب نهر السين بموجب معاهــدة سان كلير سور ـ ايبث عام (٩١١ م) واتخـــذ قائد النورمان المدعو رولون اقب دوق نورمانديه ، ولم يلبث هؤلاء أن دخلوا الدين المسيحي وصاروا من أشد الانصار حماسة له .. وقد شملت عمليات النورمان وقرصنتهم بـــلاد اوروبا وانكلترا ، والاندلس والبحر الابيض المتوسط ، وكانت غزواتهم للاندلس عامي ٨٤٣ و ٨٤٤ م .

(٢) تذكر المصادر الغربية ان الغزو وقع عامي ٨٤٤ و ٨٤٩ م وهو مخالف للتواريـــخ العربية التي يعتمد عليها اكثر من المصادر الغربية .

الانسحاب ، بعد أن كبدوهم فادح الخسائر وطاردوهم فألحقوا بمراكبهم بعض الخسائر ، وفي ذلك يقول عثمان بن المثنى :

يقولون إن الاردمانيين أقبلوا فقلت اذا جاؤوا بعثنا اليهم نصرا

ثم اقترح عبد الملك بن حبيب بناء سور في مواجهة البحر لحماية اشبيلية من كل هجوم محتمل وقوعه في المستقبل [١] .

– وفي عام ٢٣٠ هـ – ٨٤٤ م : تقدمت قوة من النورمان على متن ثمانين مركباً وقامت بالانزال عند ساحل لشبونة ، ثم تقدموا حتى قادس وشذونة واستمر تقدمهم ثلاثة عشر يوماً خاضوا خلالها معارك ضارية ضد الحاميات الضعيفة لقوات المسلمين وانتصروا عليها ثم تقدموا حتى وصلوا اشبيليا حيث توقفوا على مسافة « اثني عشر فرسخاً منها » ، وتصدى لهم المسلمون ودارت رحى معارك ضارية انتهت بهزيمة المسلمين ، فتابع النورمان تقدمهم وتوقفوا على مسافة ميلين منها حيث دارت رحى معركة قاسية خاضها أهل اشبيليا ضد النورمان واستطاع هؤلاء تحقيق انتصار حاسم فدخلوا اشبيليا وأعملوا فيها قتلاً وتدميراً وسبياً طوال يوم وليلة وأقاموا بها سبعة أيام وعندما وصلت أنباء هزائم الحاميات المسلمة الى الامير عبد الرحمن وجه جيشاً من الفرسان بقيادة عيسى بن سعيد الحاجب ثم أتبعه بجيش آخر يقود قوة الفرسان فيه عبد الله بن كليب وابن وسيم وغيرهما ، كما كتب الامير عبد الرحمن الى ولاة الاقاليم « الكور » لاستنفار الناس ، وبدأ المتطوعون يتدفقون من كل مكان ، وكان النورمان قد وصلتهم موجة جديدة من قوات الدعم فتقدموا حتى قرطبة وأعملوا فيها فتكاً وقتلا وتدميراً وسبياً طوال ثلاثة عشر يوماً – وفي القلائد سبعة ايام – ووقعت خلال ذلك بينهم وبين المسلمين ملاحم كبيرة ، وقتل من النورمان خمسمائة مقاتل واضطروا الى العودة والالتجاء الى مراكبهم ، وعاود

....

(١) المغرب في حلي المغرب ١ – ٤٩ والبيان المغرب ٢ – ١٢٨ .

النورمان إغاراتهم فوصلوا « قبطيل » حيث أقاموا بها ثلاثة أيام ودخلوا قورة فقتلوا عدداً كبيراً من المسلمين ثم دخلوا الى طلياطه فنزلوها ليلاً وأصبحوا على بعد ميلين من اشبيليا ، ثم ظهروا بموضع يعرف بالفخارين ، ومضوا بعد ذلك بمراكبهم واعتركوا مع المسلمين وألحقوا بهم الهزيمة وقتلوا منهم ما لا يحصى. ثم عادوا الى مراكبهم ليتابعوا تقدمهم حتى شذونة ، ووصلت قوات الامير والامدادات من قرطبة فحاصرت النورمان وقذفتهم بالمجانيق ودمرت أربعة مراكب للنورمانيين ، فأمر ابن وسيم باحراقها وبيع ما فيها من الفيء ، ثم كانت المعركة الحاسمة التي خسر فيها النورمان ثلاثون مركباً ، وصلب عدد كبير منهم على جذوع النخيل وقتل قائد النورمان واستمرت هذه العمليات التخريبية ٤٢ يوماً ..(١)

٦ – عمليات الردع ضد جزر ميورقة ، ومينورقة ويابسة :

– جزر البالينار :

– كان موسى بن نصير قبل انزال الاندلس قد وجه قوات لغزو جزر البالينار . مينورقة وميورقة ويابسة، واخضعها بقواته البحرية .

– وكان اسطول افريقية هو الذي يوفر عمليات الاتصال والامداد بين افريقية والاندلس ويقوم بواجب حماية الشواطىء من كل عدوان .

وعندما استقل الامويون بحكم الاندلس ، وجاء المغيث اليحصبي الى الاندلس وأشعل نيران الثورة ضد عبد الرحمن الداخل ، ظهرت الضرورة الحتمية لانشاء اسطول خاص بالاندلس. ولم يكن الامويون يجهلون دور القوات البحرية في حماية الثغور والدفاع عن حدود الدولة وهم اول من عمل على انشاء القوات البحرية وطوروا أساطيلها وأقاموا دور صناعتها واعتمدوا عليها في

....

(١) الكامل لابن الاثير وهو يجمع أحداث الغزوتين ويجعلها في احداث عام ٢٩٢ هـ ، البيان المغرب ٢ - ١٣٠ - ١٣٢ ، نفح الطيب ١ - ٣٤٥ - ٣٤٦ .

تقليص ظل الدوله البيزنطية وانتزاع مجالها الحيوي من قبضتها ودفعها عن البحر الابيض المتوسط حتى أصبح يعرف باسم « بحر الشام » وقد تابع الامويون وولاتهم في الاقاليم اعتماد السلاح البحري والاهتمام به حتى آخر ايام دولتهم فانتشرت المصانع في مصر ، والقيروان وتكونت ثلاثة اساطيل مستقلةهي اسطول الشام ومركزه طرطوس واسطول مصر ومركزه الاسكندرية واسطول افريقية وقاعدته تونس .

– كان من الطبيعي أن يبذل الامير عبد الرحمن « الداخل » اهتمامه لبناء قوته البحرية في مرحلة اعادة تنظيم الدولة وإرسائها على قواعد ثابتة فأصدر تعليماته لاقامة دور الصناعة ، والعمل على بناء السفن وتعيين « أمير الماء » لتنظيم الأسطول ولم تمض فترة حكم عبد الرحمن الداخل حتى انتهى العمل في اقامة القواعد وأصبحت المصانع تنتج القطع البحرية في موانىء طراكونة وطرطوشة وقرطجنة واشبيليا والمرية وغيرها .. ولم يلبث أسطول الاندلس حتى بدأ في اثبات وجوده وممارسة عملياته .

– كانت جزر الباليئار وسردانيه وكورسيكا عرضة للغزوات البحرية بسبب قربها من شواطىء الاندلس ، وعندما اشتدت وطأة الاغارات على هذه الجزر ، أرسل أصحابها الى شارلمان واضعين أنفسهم تحت حمايته ..

– في عام ١٩١ هـ – ٨٠٦ م : اكتسح المسلمون جزيرة كورسيكا ، وكان بيبان بن شارلمان ملكاً على ايطاليا ، وشعر المسلمون باقتراب أسطول «الافرنج» فانسحبوا ، وظن « آدمر »[١] كونت جنوه انه يستطيع مناهضتهم ، فتوجه بقوة بحرية لمطاردتهم ، فعادت القوات البحرية الاسلامية وخاضت معركة ضد أسطول جنوه ونجحت في إلحاق الهزيمة به وقتل آدمر وأمكن أسر ستين راهباً ، أرسل شارلمان فدية عنهم وفك اسارهم .

---

(١) آدمر : Admer .

– وفي عام ١٩٣ هـ – ٨٠٨ م : توجهت قوة بحرية من الاندلس الى سردينيا، فاصطدموا بمقاومة عنيدة اضطرتهم للانسحاب الى كورسيكا ، حيث جابهتهم مرة أخرى حامية الجزيرة بقيادة بورشارد[١] وأغرقت لهم ثلاثة عشر مركباً وأرغمتهم على الانسحاب ..

– في عام ١٩٤ هـ – ٨٠٩ م : توجهت قوة بحرية من الاندلس الى كورسيكا ووصلت في الوقت ذاته قوة بحرية أخرى من افريقية ، وتم الانزال في الجزيرة وخيم المسلمون في الجهة الشرقية من الجزيرة ، بين أطلال مدينة « آليريه »[٢] ولم يتمكن « الافرنج » من دحرهم إلا بعد جهود كبيرة ..

وفي عام ١٩٨ هـ – ٨١٣ م : قامت قوة بحرية من الاندلس بالانزال في كورسيكا وأغارت عليها ، وفي طريق العودة ، وضع الكونت « امبورياس »[٣] كميناً بالقرب من « بير بينيسان » استولى على ثمانية مراكب للمسلمين كان فيها ما يزيد على خمسمائة أسير ، فانتقم المسلمون لهزيمتهم واجتاحوا سواحل نيس « نيقه » والبروفانس وسيفيته فيشيا[٤] قرب روما ..

في تلك الفترة كانت اعمال القرصنة تتصاعد واصبحت خطورتها تهدد مصالح دولة الاندلس،كما تهدد الدولة الكارولنجية. وكان القرصان يستهدفون بالدرجة الاولى القطع البحرية التجارية بين مصر والشام وبين الغرب والاندلس فارسل شارلمان الى الرشيد يلتمس وقف نشاط اسطول افريقية ، وامر الرشيد ، ولاته الاغالبة ، بالابتعاد عن حدود مملكة شارلمان وتوفي الرشيد عام ٦٩٤ هـ ٨٠٩ م . وعاود الاغالبة اعمال الغزو ، واصبحت موانيء تونس وسوسة من المراكز الاولى لقراصنة البحر . وكانت القطع البحرية

---

(١) بورشارد Burchard .
(٢) آليريه Aleria .
(٣) امبورياس Amporias .
(٤) سيفيته فيشيا Civita Vecchia .

للنورمان تهاجم موانىء بحر الشمال وتتسلل الى البحر الابيض المتوسط فتسهم في تصعيد اعمال القرصنة وزيادة خطورتها .

- أمام هذا الموقف توجه أمير البحر - وهو يحيى بن حكم على الأغلب - الى اكس لاشابيل ، وعقد معاهدة مع شارلمان لمجابهة - أعمال القرصنة - وذلك في عام ١٩٥ هـ - ٨١٠ م ثم جددت هذه المعاهدة بعد سنتين ، ولكن نصوص هذه الاتفاقية لم تحترم وقام أسطول الاندلس بغزو كورسيكا عام ١٩٨هـ - ٨١٣م ، كما تقدم عبد الرحمن بن الحكم بقيادة جيش أبيه الى حدود فرنسا ..

- ولكن هذه الحادثة لم تمنع من متابعة الحوار مع « الافرنج » فتوجه الأمير عبد الرحمن بتعليمات والده في عام ٢٠١ هـ - ٨١٦ م الى مدينة كومبيان [١] مقر الامبراطور ثم انتقل الى اكس ، لاشابيل حيث كان سيعقد مجلس شورى ، بهدف عقد اتفاقية لقمع اعمال القرصنة .

وفي عام ٢٠٥ هـ - ٨٢٠ م : انطلق أسطول الأندلس لغزو سردينيا ، واصطدم بالأسطول المدافع عنها ، وانتصر أسطول الاندلس فأغرق ثمانية مراكب وأحرق عدداً كبيراً من قطع أسطول سردينيا ..

في عام ٢٢٩ و ٢٣٠ هـ : ٨٤٣ و ٨٤٤ م قام النورمان بالانزال في الاندلس واغاروا على عدد من المدن وانزلوا بها الدمار والخراب وقتلوا وسبوا أعداداً من المسلمين . وقدمت جزر الباليئار مساعدة للنورمان مما اثار أمير قرطبة ودفعه الى ارسال قوة لردع هذه الجزر عن تقديم كل مساعدة للسفن الأجنبية والالتزام بنصوص الاتفاقيات المعقودة مع المسلمين والتي يجب بموجبها الامتناع عن تقديم كل دعم أو مساعدة للسفن غير الاسلامية .

في عام ٢٣٤ هـ : ٨٤٨ م : غادرت الموانىء الأندلسية قوة بحرية مكونة من ٣٠٠ سفينة بمهمة غزو جزر الباليئار [... **لنكايتها واذلالها ومجاهرتها بنقض**

(١) كومبيان Compiegne .

العهد واضرارها بمن مر عليها من مراكب المسلمين..] [1].

وقد استطاعت هذه القوة البحرية فتح جزر البليئار والحاق الضرر بها فكتب أهلها الى الامير عبد الرحمن في قرطبة رسالة للمطالبة بايقاف اذى المسلمين. فأجابهم الامير عبد الرحمن :

[.. أما بعد .. فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه أمركم ، واغارة المسلمين الذين وجهناهم اليكم لجهادكم واصابتهم ما أصابوه منكم من ذراريكم واموالكم والمبلغ الذي بلغوه منكم وما أشفيتم عليه من الهلاك ، وسألتم التدارك لأمركم وقبول الجزية منكم وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة والنصيحة للمسلمين والكف عن مكروهكم والوفاء بما تحملونه عن أنفسكم ، ورجونا أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم وتمنعكم عن العود الى مثل الذي كنتم عليه وقد أعطيناكم عهد الله وذمته ...] [2].

ـ وفي الوقت ذاته ، أصدر الأمير عبد الرحمن بتحصين المدن الساحلية ، وشحنها بالمقاتلين ، واقامة حاميات ثابتة للدفاع عنها وكذلك فعل شارلمان وخليفته « لويس الحكيم » فكان ذلك بداية تحصين المدن الساحلية ضد أعمال القرصنة . كما عمل الامويون في الاندلس على تطوير صناعة السفن **[وقد ذكروا انه كان للمسلمين لذلك العهد بارجة متناهية في الكبر يظنها الرائي من بعيد سوراً عالياً سائراً في البحر غزت مرة جزيرة « أوي » في بريطانيا ، عند مصب نهر لوار ...]** [3].

وأما بالنسبة لأحداث الجبهة الداخلية في الاندلس خلال فترة امارة عبد الرحمن الاوسط فيمكن تلخيصها بالصفحات التالية ..

---

(١) و (٢) البيان المغرب ٢ ـ ١٢٢ ـ ١٣٣ ، وغزوات العرب ١٣٩ ـ ١٤٨ .
(٣) اوي Oye . غزوات العرب ١٤٩ .

٧ - ثورة ماردة : ٢١٣ - ٢٢٠ ه : ٨٢٨ - ٨٣٥م :

بدأت الثورة بنهوض الثائرين الى عامل ماردة « حاكمها » وقتله ، فوجه الأمير عبد الرحمن جيشاً حاصر ماردة واخضع الثائرين وأخذ الرهائن منهم ثم انسحب الجيش بعد أن خرب سور المدينة ودمر تحصيناتها ، ثم أرسل الأمير عبد الرحمن طلباً بنقل حجارة السور إلى النهر حتى لا يعود أهل ماردة إلى الثورة والتمرد ، فعاد أهل ماردة إلى التمرد وجددوا بناء السور وأتقنوه . فتوجه الأمير عبد الرحمن عام ٢١٤ ه ، وقاد جيشه لحصار ماردة ومعه رهائن أهلها فلما بارزها راسله أهلها وافتكوا رهائنهم بالعامل الذي اسروه وغيره واستمر الحصار ثم عاد الأمير عبد الرحمن إلى قرطبة دون أن ينجح في إخضاع تمرد المدينة ، ووجه الأمير عبد الرحمن قواته في كل سنة . ونجح زعيم الثائرين محمود ابن عبد الجبار الماردي بالحاق هزائم في اكثر المعارك التي خاضها ضد جيش قرطبة وشهدت الجبال المحيطة بماردة ، ومدن منت ساروط ، وهلقب ومينة معارك ضارية بين الثائرين وجيش قرطبة .

لم تكن ثورة ماردة بعيدة عن الاتصال الخارجي ، فكتب لويس الحليم رسالة الى اهل ماردة جاء فيها :

[باسم ربنا الاله وباسم مخلصنا يسوع المسيح ، من لويس الامبراطور السعيد بالنعمة الالهية الى الأساقفة والشعب في ماردة ، قد اتصل بنا ماتقاسونة من العذاب من جهة الملك عبد الرحمن الذي لا يزال يرهقكم عسراً متبعاً في ذلك طريقة أبيه « ابولاز - الحكم » الذي كان يبتز أموالكم بعد ان جعل اصدقاءه اعداء وجعل الطائع عاصياً ، فاليوم يريدون أن يحرموكم حريتكم وان يثقلوا كاهلكم بالضرائب وان يمسوا كرامتكم وقد علمنا انكم ابيتم تحمل الاهانة ودفعتم عنكم ظلم ملوكهم ووقفتم في وجه طمعهم وغدرهم وقد جاءنا هذا الخبر من مصادر عدة فرأينا ان نكتب هذا الكتاب لتعزيتكم على ما انتم فيه

ولتحريضكم على الثبات في خطتكم هذه ولما كان هذا الملك البربري عدواً لنا ـ كما هو عدو لكم ـ فاننا على استعداد للاشتراك معكم في قتاله ، وسنرسل لكم بعون الله تعالى في هذا الصيف جيشاً يجتاز البيرينة ، ويعمل باشارتكم ، فاذا زحف اليكم عبد الرحمن كانجيشنا بالمرصاد له . كما نعلمكم منذ الآن أنكماذا ما خلعتم طاعة عبد الرحمن واصبحتممن رعايانا فسنعيد لكم حريتكم الاولى، دونِ مساس بها ، ودون مطالبتكم بأدنى مال تؤدونه لنا . ولكم أن تختاروا القانون الذي تريدون السير عليه ، ونحن نعاملكم كاصدقاء يريدون الاشتراك في الدفاع عن سلطتنا ..] [1] .

مضى على الثورة سبعة أعوام، وضاق الأمير عبد الرحمن ذرعاً ، فقاد جيشاً كبيراً ومضى بنفسه ، وشدد قبضته ، ويصور صاحب اخبار مجموعة اللوحة الاخيرة للمقاومة بما يلي :

[... أشفى اهل ماردة على العطب، ونظر الامير عبد الرحمن الى جنده وقد تعلقوا بشرفات السور وتغلبوا عليه وضعف أهل ماردة عن دفاعهم ، فسمع صراخ النساء وعويل الصبيان وعجيج البكاء فامر بالامساك عنهم واوقف الجند عن الاستمرار في قتالهم ، ثم دعا بوزرائه وقواده وقال لهم قد علمتم ما كان من تغلب رجالنا علي هؤلاء ، الظلمة لانفسهم ، ولم يكن رفعنا ما رفعناه عنهم الا قربي لله عز وجل فيهم ورأفةمن قتل اولادهم واطفالهم ومن لا ذنب لهم ممن استكره على نفسه منهم ، ونحن نرى استجلاب النصر من حيث عودنا الله وعرفنا من العفو والصفح ، وقد عزمت علي الانتقالعنهم، فان ابصروا قدر يدنا في الابقاء عليهم ومراقبة الله فيهم والا كان الله من

(١) الكامل لابن الاثير احداث ١١٣ ، تاريخ غزوات العرب ، ارسلان وفيه ان الرسالة كتبت عام ٨٢٦ ، والاحتمال الاكثر صحة هو انها كتبت عام ٨١٦ . وفقاً لسيرة الاحداث عند المؤرخين العرب .

ورائهم محيطاً وعلى الانتقام منهم قديرا ، فهو الذي أيدنا وقهرهم ونصرنا وكبتهم ..] فلم ينتقل من موضعه حتى وافته رسلهم بطاعتهم والالقاء اليه بايديهم ، واخراج اصحاب الفتنة من بينهم [١] .

ـ لم يبق امام قائد الثورة محمود بن عبـد الجبار ، الا الفرار ، فالتجأ الى العدو ووصل إلى جيليقية ، ثم انـه أراد العودة الى بلاد المسلمين ، والخضوع لأمير الاندلس عبد الرحمن ، فحاربه الفونس ملك جيليقية ، وجمح فرس الثائر محمود ، فصدم الفارس بشجرة بلوط قتلته ، وبقي مجدلاً في الارض حيناً عـام ٢٢٥ هـ [٢] .

٨ ـ الفتنة الطائفية :

فتح العرب المسلمون الاندلس ، وتركوا لأهلها حريتهم الدينية ، وكذلك فعلوا عندمـــا اقتحموا بلاد الغال « فرنسا » وانتشرت قواتهم في اللانغدوك والبروفانس وسبتمانيا [٣] .

ـ ثم ظهر تطور جديد بعد معركة بلاط الشهداء ، فبدأت الاغارات تحمل طابع القسوة والعنف وأخذت الهجمات تنتقم من المقاومة بطريقة شرسة فدمر بنتيجة ذلك عدد من الكنائس الواقعة في مدن الثغور مثل : دير جوسل قرب بيزيه ، ودير القديس بوزيل[٤] قرب نيم ، ودير صنجيل[٥] قرب آرل ، ودير

(١) أخبار مجموعة ١٣٩ .
(٢) المغرب في حلى المغرب ١/٤٨ .
(٣) السبتمانية : الاقليم الذي ضم المدن السبعة الآتية : ناربون ، نيم ، واقد ، بيزيه ، لوديف ، كاركاسون ، ماغلون .
Narbonne. Nime. Agde. Beziers, Loodéve. Carcassonne. et Maguelone.
(٤) القديس بوزيل Saint Bausile .
(٥) دير صنجيل Saint Gilles .

الترتيل[1] قرب آغيمورت[2] وسمي هذا الدير بدير الترتيل نتيجـة لتناوب الرهبان في تلاوة الأناشيد الدينية في الليل والنهـار وباستمرار .. لكن معاملة الجيش الاسلامي للأقاليم الخالية من المقاومة لم تتغير ولم تتعرض مدنها للخراب ولا كنائسها للدمار ..

– استمرت بعـد ذلك أقاليم شمال الاندلس والحدود الجنوبية من فرنسا مسرحاً للصراع بين المسلمين و « الافرنج » وأخذ الدمار يستولي على المـدن والقرى والمساكن والكنائس دون تمييز .

ولم يكن وضع هذه المناطق عندما استعادها شارلمان وخلفاؤه أحسن ممـا كان وضعها بين أيدي العرب ، فقد كان من سياسة مؤسسي الدولة الكارولنجية الاستيلاء علىأموال الكنيسة[3] والاستعانة بثرواتها من أجل دعم الجهاز الاداري والقوات المسلحة ، فاذا ما أضيف الى ذلك ان جميع أهـالي جنوب فرنسـا كانوا يعتـبرون جيش الشمال من البرابرة في حـين يجدون أنفسهم بطبيعة احتكاكهم مـع حضارات البحر الابيض المتوسط من رومانية ويونانيـة ، أصحاب حضارة سابقة وأصيلة ، ولهـذا لقي العرب عوناً صادقـاً من سكان الجنوب خلال المرحلة الأولى من الفتوحات .. ومقابل ذلك انضم عدد من القسس والرهبان الى جيش شارل مارتل أمثال « هيثا روس » مطران او كسير وقاتلوا الى جانبـه وهم في ثيـاب الاسقفية ، واعتبروا شارل مارتل منقذاً للمسيحية .

---

(١) دير الترتيل Psalmodie .

(٢) آغيمورت Aiguemortes .

(٣) عندما اخرج شارل مارتل المسلمين من جنوب فرنسا وزع شارل مارتل أموال الكنيسة وأراضيها على الكونتات فوجد اسقف فين ، واسمه فيلكاريوس Wilicarius نفسه بدون ابرشية فتوجـه الى فاليـه Valais حيث عينوه اسقفـاً لكنيسة سانت موريس Saint Maurice .

وعندما انتهى الامر الى الامويين في الاندلس ، تابعوا سياستهم المعروفة باطلاق الحريات الدينية فكان هناك اسقفية في قرطبة واشبيلية وطليطلة وفي كل مدينة كبيرة ، وكان هناك قسيسون في كل مكان وقد افاد هؤلاء من مناخ الحرية فانطلقوا يمارسون اعمالهم واقبلوا على تعلم العربية ، ومراعاة مشاعر السكان المسلمين مثل تجنب أكل لحم الخنزير ، واخذوا يطلقون على ابنائهم الاسماء العربية وفتحت الدولة العربية - الاسلامية صدرها للمخلصين لها من المسيحيين واليهود فتربعوا على أسمى مناصب الدولة واحتلوا مراكز الصدارة في السلطة ..

- خلال هذه المراحل من الصراع بين أندلس المسلمين ، وفرنسا المسيحية أخذت الكنيسة تمارس دورها لاثارة السكان ضد « دولة الاسلام في الاندلس » وتجاوب مع هذه الدعوة في بدايتها عدد ضئيل من القسس يحتل « هارفكتس » مركز الصدارة بينهم وقد برز اسمه بسبب الحادثة التالية :

[ذات يوم وبينما كان القسيس « هارفكتس » يسير في قرطبة ، تعرض له احد المسلمين لاستشارته حول امور زواج المسيحيات بالمسلمين ، ثم تطور الحديث الى مناقب نبي الاسلام ، فكان في بعض اجابات القسيس ما ينال من مكانة النبي العربي ، وانتشر قول القسيس بين المسلمين فاعتقلوه وذهبوا به الى قاضي قرطبة ، فلم ينكر اقواله ، وقذف الاهانات والشتائم ، فأصدر القاضي حكمه باعدامه ، فأعدم مع عدد من انصاره امثال (يولوجيوس) ، و (ألفارو) ، ومن النساء (فلورا)[1] نظراً لما كانوا يقومون به من الدعاية واثارة الحماسة ضد المسلمين] .

- كان لهذا الحدث دور كبير في اشعال نار الحقد الكامن في صدور بعض المسيحيين فانطلقوا يصورونها « بمأساة انسانية » وتطور الوضع الى ما يهدد الانفجار، وخشي قسس الاندلس اضاعة المكاسب التي وفرتها لهم الدولة الاسلامية

(١) فلورا Flora .

فاسرعوا الى عقد اجتماع عام ٢٣٦ ﻫ ـ ٨٥٠ م قرروا فيه منع شتم النبي العربي ، **[وان القذف بنبي الاسلام عمداً ، حباً بالقتل والشهادة ، هو مخالف لروح الانجيل ..]**

وتمت تسوية المشكلة ـ ظاهرياً ـ .

٣ – محمد بن عبد الرحمن وحروب الاستنزاف

٢٣٨ – ٢٧٣ ﻫ = ٨٥٢ – ٨٨٦ م

ولي حكم الاندلس خلال هذه الفترة الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ابو عبد الله .

ـ كانت الاندلس في حرب دائمة ومعارك مستمرة وصراع مرير ، حرب مع اعداء الخارج ، ومعارك مع اعداء الداخل وصراع مع القوى المتنافرة . وكانت هذه الحروب والمعارك تستنزف قدرة الدولة ، فكان أمراً طبيعياً أن يهتم أمراء الاندلس بأمر اعادة التنظيم في اعقاب كل معركة ومع بداية كل عهد . ومن الامور الواضحة في عمليات الاندلس العمل باستمرار لإعادة تنظيم القوات بحيث يتم التناوب لقيادة الصوائف وتوجيه الجيوش مع اعادة تنظيم قوى الحاميات واستبعاد القادة غير الاكفاء وتعيين من هم اكثر قدرة وكفاءة .

تولى الامير محمد بن عبد الرحمن أمور الاندلس ولديه من الخبرات القتالية قدراً كبيراً وكان ممن يهتم بالقتال وقيادة الجيوش فكان أول عمل له اعادة بناء القوات المسلحة والقوات البحرية واعادة تنظيم الحاميات ، وتحديد قوتها مع الاخذ بعين الاعتبار قدرة كل اقليم .

ففي مجال بناء القوات المسلحة ، زج الامير محمد كل الامكانات ، وأسقط ضريبة البعوث والحشود ، وهي تماثل بدل خدمة العلم ، لكنها كانت تدفع في كل سنة لقاء عدم الاشتراك في القتال . ولم يعمل الأمير محمد على اتباع أسلوب

الالزام في خدمة الجيش مقابل اسقاط الضريبة، بل ترك الأمر طواعية لكل قادر على القتال، واستثار حمية العرب المسلمين في قرطبة والأقاليم فأقبل المتطوعون عليه من كل مكان وتدفقت جموعهم فتكون لديه جيش ضخم .

– وعمل الأمير محمد على دعم القوة البحرية وزيادة قدرتها لتحقيق اهداف ثلاثـــة :

١ – ردع كل محاولة للعدوان على المياه الاقليمية مستفيداً في ذلك من تجربة انزال النورمان في عهد والده، واغارتهم على المدن الاندلسية وتخريبهم لهـا .

٢ – القيام بعمليات غزو بحري عند الساحل الشرقي للاندلس .

٣ – القيام بعمليات غزو بحري عند الساحل الغربي للاندلس، والتخطيـط لغزو جيليقية من البحر، بعد أن فشلت كل محاولات الغزو البري في الوصول الى نتيجة حاسمة وتصفية تمرد الاقليم .

– ونظراً للدور الكبير الذي يقوم به الفرسان كقوة ضاربة أساسية فقد عمل الامير محمد على اعادة تنظيم هذا السلاح وزيادة حجمه، وفرض عدد محدود على كل اقليم، فتكون من ذلك سلاح قوي وقادر على الاضطلاع بالاعباء الملقاة على عاتقه في تحقيق الامن والاستقرار الداخلي وردع العدوان الخارجي، وتظهر قوة سلاح الفرسان من خلال الجدول التالي :

قوة الفرسان المستنفرة من كل اقليم لغزو الصائفة
في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن

	المنطقة أو الاقليم «الكورة»	قوة الفرسان	كتابـة	ملاحظات
١	ألبيره	٢٩٠٠	الفان وتسع مائة	
٢	جيان	٢٢٠٠	الفان ومائتان	
٣	قبره	١٨٠٠	الف وثمانمائة	
٤	باغه	٩٠٠	تسع مائة	
٥	تاكرنا	٢٩٩	مائتان وتسع وتسعون	
٦	الجزيره	٢٩٠	مائتان وتسعون	
٧	اسجه	١٢٠٠	الف ومائتان	
٨	قرمونه	١٨٥	مائة وخمسة وثمانون	
٩	شذونه	٦٧٩٠	ستة آلاف وسبعمائة وتسعون	
١٠	ريه	٢٦٠٠	الفان وستمائة	
١١	فحص البلوط	٤٠٠	اربعمائة	
١٢	مورور	١٤٠٠	الف واربعمائة	
١٣	تدمير	١٥٦	مائة وستة وخمسون	
١٤	ربينه	١٠٦	مائة وستة	
١٥	قلعة رباح واوريط	٣٨٧	ثلاثمائة وسبعة وثمانون	
	المجموع	٢١،٦١٣	واحد وعشرون الفاً وستمائة وثلاثة عشر فارس	

* يضاف الى هذه القوة ، المتطوعون من قرطبة ومن الاقاليم الاخرى ، وبذلك يتضاعف العدد اضعافاً ، ولكن ليس هناك احصاء دقيق لها ..

—★—

– تولى الأمير محمد بن عبد الرحمن حكم الاندلس وقد أخذ الاستقرار النسبي والهدوء الظاهري يعرفان طريقهما الى ربوع الجزيرة بعد أن جهد والده الأمير عبد الرحمن حتى استطاع ردع الاعداء الخارجيين ، واخضـــاع تمرد الثوار في الداخل ، وساعده في ذلك تمزق سلطة الكارولنجيين وتواتر غزوات الشمال من نورمان وسلاف « مجر » ، لكن الصعاب والعقبات ظهرت من جديد مـع تسلم الأمير محمد مقاليد السلطة ، حيث استأنف أعداء الأندلس التقليديين استخدام أساليب «السبر» لمعرفة ردود فعل العهد الجديد ، ومتابعة أسلوب «الاستنزاف» لامتصاص قدرة الدولة وارهاقها بالاعباء الثقيلة حتى تصل المرحلة التي يستحيل عليها بعدها متابعة الصمود والاستمرار.. ويمكن تقسيم أعمال حرب الاستنزاف ضمن اطار مجموعتين :

١ – قمع الثورات الداخلية .

٢ – أعمال الردع – الخارجية – والهجمات الدفاعية ..

احباط عملية السبر :

– كان الأمير محمد يعرف ان قوات الشمال ستبدأ عدوانها منذ الايام الاولى لاستلامه الحكم ، فأسرع الى تنظيم قواته وتوجه بها نحو الشمال فوجد العدو وقد حشد قواته ، وزج كل امكاناته [**حتى ضاق بخيله الفضاء الواسع والمكان الداني والشاسع ..**] . وقرر الأمير محمد في البداية الرجوع وعدم مجابهة تفوق العدو ، والاستعداد لمعركة مقبلة ، واستشار الأمير محمد المخلصين له فقال له أحدهم :

[.. ايها الأمير ، قال تعالى : الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ..] [1]

وأخيراً ، قـرر الأمير خوض المعركة . وانصرف الى تنظيم القوات واثارة

---

(١) آل عمران الآية ١٧٣ – ١٧٤ .

الحماسة والاستعداد للقتال ، وبدأت قوات المسلمين معركتها منذ الفجر المبكر ، [ولم يؤذن مؤذن الظهر الا ومن رؤوس الأعداد جملة آلاف مقطوعة لأعداء الله ..]

وانتهت المعركة بتحقيق نصر حاسم . ورجع الأمير محمد الى قرطبة يحمل رايات الظفر [1] .

١ ـ عمليات الردع الخارجية ..

أ ـ معركة وادي سليط .

ردع لقوات جيليقية والبشكنش ، وقمع لثورة طليطلة ..

قد يكون من الصعب فصل عمليات ردع جيليقية والبشكنش عن عمليات قمع ثورة طليطلة بسبب تلاحمها الوثيق ، وان استعراض أحداث هذه الثورة ووقائعها يظهر بوضوح طبيعةالتلاحم العضوي بين اعداء الداخل واعداءالخارج. وكان من الطبيعي مجابهة هذه العمليات بردود فعل مزدوجة .

ـ لم يكد الأمير محمد ينهي عملياته لردع عمليات السبر حتى تحركت طليطلة واعتقل الثائرون فيها عامل أمير قرطبةوطالبوا اطلاق رهائنهم ممن تحتفظ بهم قرطبة ، لقاء اطلاق سراح عامل الامير محمد . فاضطر الأمير أن يستجيب لطلب الثائرين ، ريثما تتوفر فرصة أفضل يكون فيها أكثر استعداداً لقمع حركة التمرد .

(١) البيان المغرب ٢ ـ ١٦٢ ، وفيها قال الشاعر العتبي :

سائل عن الثغر الصوارم تصدق ... واستنطق السمر العوالي تنطق
تركت وقائع في الثغور وقد عدت ... مثلاً بكل مغرب ومشرق
وأداخ ارض المشركين بوقعة ... تركتهم مثل الأشاء المحرق
جادت عليهم حربه بصواعق ... تركتهم مثل الرماد الأزرق

الأشاء : صغار النخل .

– وفي صيف عام ٢٣٩ هـ – ٨٥٣ م : وجـه الأمير محمد ابنه الحكم لقيادة الصائفة ، ووصل الحكم قلعة رباح فوجد ان أهلها قد غادروها بسبب ثقل وطأة ثوار طليطلة عليهم وتخريبهم لحصونهم ، فأمر الحكم باعادة تحصين المدينة، وتشييد أسوارها ، ثم أعاد أهلها اليها ، واستنزلهم من القفر والجبل . وكان الأمير محمد قد وجه في الوقت ذاته جيشاً كبيراً بقيادة قاسم بن العباس وفيه قائد قوة الفرسان تمام بن أبي العطاف، للقيام بمهمة اخضاع طليطلة ، وتوجه الجيش في اتجاه شندلة ، وعندما وصل « اندوجر » وقع جيش قرطبة في الكمائن التي وضعها ثوار طليطلة ، ودارت رحى معركة طاحنة انتهت بهزيمة جيش قرطبة هزيمة منكرة [١] .

– وفي الوقت ذاته كلف الامير محمد ، جيش « تطيلة » بالهجوم على ألبة والقلاع ، وانطلق والي تطيلة موسى بن موسى بجيشه وهاجم اقليم البة والقلاع وفتح بعض حصونها كما وجه قوة أخرى إلى اقليم برشلونة ، فعاثوا فيها وفتحوا حصوناً من برشلونة ورجعت القوة إلى قاعدة انطلاقها في تطيلة بعد أن نجحت في تنفيذ عمليات الردع [٢] .

– وفي محرم سنة ٢٤٠ هـ – يونيو ٨٥٤ م : خرج الامير محمد بنفسه إلى طليطلة بهدف اخضاع تمردها ، وأرسل أهل طليطلة إلى أردون بن الفونس ملك جيليقية ، والى ملك البشكنش ، يستنجدان بها فأرسل أردون قوات كبيرة من جيليقية بقيادة أخيه « غشون » في جمع عظيم من النصارى ، وعلم بذلك الأمير محمد فنظم قواته في « وادي سليط » [٣] ونصب الردود « المجانيق » ، وأقام الكمائن ثم انطلق بقوة صغيرة وعندما وصل إلى طليطلة وشاهد الأعداء هذه القوة الصغيرة، خرجوا لقتالها، وتظاهر الامير محمد بالانسحاب واستطاع قيادة

---

(١) ابن عذارى ٢ – ١٤١ ، وابن الاثير احداث ٢٣٩ هـ .
(٢) نفح الطيب ، احداث سنة ٢٣٩ هـ .
(٣) وادي سليط Auzalete ، نهير يصب في التاجه جنوب طليطلة .

قوات أعدائه حتى وصل بهم إلى مواقع الكمائن . وأحاطت قوات المسلمين بجيوش جيليقية والبشكنش وأهل طليطلة ، وبدأت معركة طاحنة ، أفاد فيها المسلمون من عامل المباغتة وأرغموا خصومهم على الفرار بعيداً عن ميدان القتال بعد أن تركوا في ساحة المعركة ما يزيد على ثمانية آلاف قتيل . في حين وصلت الخسائر الكاملة للعدو حتى عشرين الف قتيل [١] .

– على الرغم من هذا النصر الحاسم ، فان الأمير محمد لم يتمكن من اخضاع طليطلة وتابع المتعصبون أمثال «ايلوج» وصحبه في نفث السموم الحاقدة وتصوير موقف النصارى في حكم المسلمين بأبشع الصور ، وأصبحت طليطلة القاعدة الرئيسية لعمل القسس الحاقدين [٢] .

– أمام هذا الموقف وجه الأمير محمد عام ٢٤١ هـ – ٨٥٥ م ، حاميات ثابتة للدفاع عن قلعة رباح وطلبيرة وعين عليها قائداً حازماً هو الحارث بن بزيع . وفي الوقت ذاته قاد الأمير محمد جيشه إلى البة والقلاع وأوغل في تقدمه حتى وصل آخر حدود نافار والباسك وفتح عدداً كبيراً من الحصون وذلك لردع المملكتين المذكورتين وعدم السماح لهما مرة اخرى بتقديم دعم فعال لثائري طليطلة .

وفي صيف عام ٢٤٢ هـ – ٨٥٦ م : وجه الأمير محمد جيش تطيلة بقيادة موسى بن موسى للقيام مرة أخرى بالاغارة على « برشلونة » فغزا موسى بن موسى برشلونة ، وافتتح حصن طراجة ، وهو من آخر حصون برشلونة كما نجح في أسر بعض امرائها وأرسلهم الى قرطبة .

– في الوقت الذي كان فيه موسى بن موسى يمارس عمليات عزل طليطلة من الشمال ، كان المنذر ابن الأمير محمود يقود جيشاً كبيراً لحصار طليطلة وعزلها عن

(١) البيان المغرب ، ابن عذارى ٢ – ١٤٢ ، والكامل في التاريخ احداث سنة ٢٤٠ هـ .
(٢) لمطالعة تفاصيل دور هؤلاء القسس التخريبي ، يفضل مراجعة كتاب تاريخ المسلمين في الاندلس ، دوزي ٥ – ٣٥٥ ، طبعة باريس ١٩٣٢ .

كل ما يحيط بها وتدمير مرافقها الحيوية ، ولم يحاول أهل طليطلة مجابهة جيش المنذر بعد الكوارث الكبيرة التي نزلت بهم في عمليات السنين السابقة [١] .

وفي عام ٢٤٣ هـ – ٨٥٧ م : غادر أهل طليطلة مواقعهم ، وانطلقوا بهجوم منظم وقوي في محاولة للاستيلاء على طلبيره وتدمير الحامية المدافعة عنهـا ، فتصدى لهم قائـد الحامية « مسعود بن عبد الله العريف » وأوقع بهم فادح الخسائر وقتل منهم مئات أرسلت رؤوس سبعمائة منهم الى قرطبة ..

وفي عام ٢٤٤ هـ – ٨٥٨ م : خرج الامـير محمد بنفسه الى طليطلة ، وعلى الرغم من كل ما أصاب الثائرين من مصائب ، وما توالت عليهم من نكبـات ، فقد تابعوا بعناد تمردهم ، وعندما وصل الأمير محمد الى طليطلة ، اعتصم أهلها بمواقعهم ، فجمع الأمير قادته ، والعرفاء من البنائين والمهندسين ، وطلب اليهم تقويض دعائم الجسر ، ثم تظاهر جيش قرطبة بالانسحاب واندفع أهل طليطلة بعد أن ثبت لهم حقيقة تراجع جيش الأمير محمد ، ووقفت جموع أهل طليطلة على الجسر ــ القنطرة ــ فانهارت بهم وسقطت أعداد كبيرة منهم فماتت غرقاً بالنهر ، ووجد أهل طليطلة استحالة الاستمرار في حرب أمـير قرطبة لا سيما بعد أن توقفت كل مساعداتهم من الشمال فطلبوا الصلح ، ووافق الامير محمد على ذلك . وخمدت ثورة المولدين والنصارى المعاهدين [٢] وكانت معركـة

....

(١) البيان المغرب ٢ - ١٤٣ - ١٤٥ ، وابن الاثير احداث سنوات ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٢) وفي الوقت ذاته عمل الامير محمد على قمع ثورة النصارى المتعصبين في قرطبة وحوكم القس ايلوج ، المحرض الاول على الثورة ، وقضي باعدامه ونفذ الاعدام فيه كما نفذ الاعدام بصاحبته ومعاونته ليوكريسيا ، في آذار ٨٥٩ م ، وبذلك أمكن للامير محمد اخمـاد لهيب الثورة ، وللمطالعة مزيد عن تحريض النصارى ، وما قاموا به من أعمال – للمطالعة – :
Histoire des Musulmans de L'Espagne Paris 1932 V.i P. 355, 356 , 362 .

وادي سليط [١] هي البداية الحاسمة التي انتهت باخضاع هذا التمرد الذي استمر حتى عام ٢٤٥ هـ – ٨٥٩ م .

ب – مجابهة غزو – النورمان –

لم يكد الأمير محمد ينهي عصيان طليطلة حتى جوبه بعدوان جديد قام به النورمان .

ففي عام ٢٤٥ هـ – ٨٥٩ م ظهرت في مياه المحيط ، غرب الاندلس قوة بحرية مكونة من ٦٢ اثني وستين مركباً . وكانت قطع البحرية الاندلسية قد أفادت من العدوان السابق فنظمت عملياتها وأخذت تقوم بجولات مستمرة على امتداد المسافة ما بين جيليقية شمالاً والجرف جنوباً، وحاولت قوات النورمان الاقتراب ودفعت مركبين فاستولى عليها المسلمون بالقرب من « باجة » مع ما عليها من ذهب وفضة وسبي وأعتدة . فتابعت مراكب النورمان تقدمها حتى وصلت قريباً من مصب نهر اشبيليا في البحر ، وأصدر الأمير محمد أوامره الى الأقاليم باستنفار المقاتلين . ووجه قوة كبيرة بقيادة عيسى بن الحسن الحاجب .

– نجحت زوارق ، النورمان في اقتحام الاندلس عند مصب نهر أشبيلية . وتم انزال القوات التي تقدمت حتى الجزيرة الخضراء وخاضت معركة مع

(١) وصف الشاعر عباس بن مرداس معركة « وادي سليط » بقصيدة منها :

ومؤتلف الاصوات مختلف الزحف ... لهوم الفلا عبل القبائل ملتف
اذا أومضت فيه الصوارم خلتها ... بروقاً تراءى في الغمام وتستخفي
كأن ذرى الأعلام في ميلاتها ... قراقير في يم عجزن عن القذف
بكى جبلاً وادي سليط فأعولا ... على النفر العبدان والعصبة الغلف
يقول ابن يوليس لموسى وقد تأتي ... أرى الموت قدامي وتحتي ومن خلفي
قتلنا لهم ألفاً وألفاً ومثلها ... وألفا وألفا بعد ألف إلى ألف
سوى من طواه النهر في مُسْلحَبه ... فأغرق فيه أو تدأدأ من جرف

ابن عذارى ٢ – ١٦٦

المسلمين انتصر فيها النورمان . واعملوا في اشبيليا تدميراً واحراقاً وسبياً . ثم رجعوا الى ريف الاندلس وتجمعت قواتهم عند ساحل « تدمير »،ثم تقدموا منه الى حصن اوريولة ومنها الى افرنجة حيث شتوا بها واستباحوا الأموال والنساء والأطفال . وبعد ذلك رجعوا الى ريف بحر الأندلس ، وكانت البحريةالاسبانية تلاحق مراكب النورمان فاغرقت منها أربعين مركباً . وركب النورمان زوارقهم فطاردتهم قطع البحرية الأندلسية واستولت على مركبين قرب شذونة كانا مثقلين بالغنائم والاموال ، ومضت بقية المراكب ، وأمكن لها الفرار بعد أن تكبدت خسائر فادحة . ثم ظهرت مراكب النورمان في الشمال فقامت بانزال قريباً من بنبلونه ، ونجحت في أسر ، حاكمها غرسيه ، ولم تطلق سراحه الا بعد أن دفع فدية كبيرة . كما أغارت قوات منهم على الجزائر الشرقية « البالئار » وعلى شواطىء بروفانس حيث عبروا وادي اردونة « الرون » ودمروا مدن آرل ، ونيقة « نيس » « وفالانس » [1] .

حـ ـ عمليات الردع في الشمال :

١ ـ أصبح تحالف غرسية اوجارسيا ملك نافار وأردون [2] ملك جيليقية يشكل خطراً على الحدود الشمالية للاندلس . وأفاد الأمير محمد من الضربة التي وجهها النورمان ضد نافار ، فنظم قوات كبيرة ووجهها عام ٢٤٦ هـ ـ ٨٦٩ م . بقيادة حاكم طرطوشة للقيام بمهمة الردع في مملكتي نافار وجيليقية . [**وخرج حاكم طرطوشة بجيشه خروجاً لم يخرج قبله مثله جمعاً وكثرة وكمال عدة وظهور هيبة**] وانطلق في اقاليم بنبلونة متردداً فيها اثنين وثلاثين يوماً يخرب المنازل ويقتحم الحصون وفي طليعتها أهمية حصن « قشتيل » حيث أسر فيه

---

(١) ابن الاثير ، احداث سنة ٢٤٥ هـ ، وابن عذارى ٢ ـ ١٤٦ ، ونفح الطيب ١ ـ ٣٥٠ .

(٢) هو اردن ، أو ، اردون بن الفونس Ordano

فرتون بن غرسية المعروف « بالأنقر » وقدم به الى قرطبة فأقام بهـــا نحواً من عشرين سنة ثم رده الأمير الى بلده .

٢ ـ وفي عام ٢٤٧ هـ ـ ٨٦١ م : أراد الأمير محمد متابعـة أعمال الردع في جيليقية فكتب له عامله موسى بن موسى طالباً تقدم الصائفة عن محور غير محور تطيلة نظراً لما أصاب قوات موسى من إرهاق وخسائر في عملياته السابقة ونظراً لما تعرض له اقليمه من دمار وخراب بسبب وقوع الحرب في اقليمـه فاستجاب الأمير محمد لطلب واليه موسى بن موسى ووجه جيشاً كبيراً بقيادة محمـد بن سليم ، ونجح جيش قرطبة بانزال فادح الخسائر باقليم جيليقية .

٣ ـ وفي عام ٢٤٨ هـ ـ ٨٦٢ م : تقدم موسى بن موسى [1] لمقاتلة ابن سالم

(١) موسى بن موسى بن فرتون بن قسي « القسوي » وكان جدهم الاعلى الكونت قسي Kasi من أشراف القوط ، وكان جدهم الأعلى هذا وقت الفتح من حكام الثغر الأعلـى « أراجون » فاعتنق الاسلام حتى يحتفظ بمكانته وأصبح اولاده من بعده زعمـاء المولدين في الثغر ، وكانت لهم باستمرار علاقات مصاهرة مع جيرانهم من أمراء البشكنش النصارى وغيرهم (المقتبس ، ابن حيان القرطبي ١٦و١٧) . كان موسى بن موسى ، ينـــزع الى الاستقلال باقليمه بحيث لم تكن علاقته بأمير قرطبة تتجاوز حدود الولاء الاسمي وقد رضي الامير عبـد الرحمن ومن بعده الأمير محمد بذلك للافادة منه ، كقاعدة متقدمة في مواجهة الشمال . وكانت علاقات موسى بن موسى بملك ليون ـ اردونيو ـ تتأرجح بين الخصومة والتحالف وفقاً للظروف، ذلك أن اردونيو كان ينظر الى نمو جاره في الغرب ـ موسى ـ بعين القلق . وكان موســـى في الوقت ذاته يحرص على تحصين ثغوره المتاخمة لمملكة ليون . فتوجه عام ٢٤٨ هـ - ٨٦٢ م الى الغرب لتحصين قواعده ومعه صهره جارسيا امير نافار فحاول « اردونيو » ردع، موسى ، وهاجم بعض الحصون التابعة لموسى وفي مقدمتها حصن « البلوة » . ونشبت بـــين الفريقين معركة ضارية قتل فيها جارسيا كما اصيب ذاته بجراح توفي على أثرها .

ـ خسرت قرطبة بوفاة موسى عاملا قوياً ، كان يحفظ لها الشمال الشرقي ، ويقف سداً في وجه كل عدوان فلما توفي أعلن ابنه « لب » خضوعه لاردونيو ملك ليون ، وتحالف معه ضـد ←

في وادي الحجارة ، وخاض معركة ضارية اصيب فيها بجراح لم يلبث أن توفي على أثرها .

٤ – وفي عام ٢٤٩ هـ – ٨٦٣ م ، توجه عبد الرحمن بن الأمير محمد على رأس جيش كبير بقيادة عبد الملك بن العباس ، في اتجاه الشمال ، ووصل إلى اقليم « البه والقلاع » وطبق في عملياته « استراتيجية الأرض المحروقة » فدمر الحصون ، وأحرق المزارع والقرى ومزق كل مقاومة جابهته ، وعندما وصل جيش المسلمين الى « مضيق الفج » وهو محور التقدم إلى قلب جيليقية إصطدم بقوات الجيش الكبير الذي وجهه ملك جيليقية « أردون بن ألفونس » بقيادة أخيه ، ووقعت معركة طاحنة أظهر المسلمون فيها قدراً كبيراً من الصبر والتصميم حتى استطاعوا انتزاع النصر ، ونجح القائد عبد الملك في تمزيق جيش جيليقية وكبده فادح الخسائر وكان من بين قتلى العدو تسعة عشر كونتاً – قومساً – . وأمضى الأمير عبد الرحمن السنة التالية في اعادة تنظيم القوات والاستعداد ، ثم وجه جيشه بقيادة ابنه عبد الرحمن لمتابعة أعمال الردع في الشمال .

٥ – وقعة الخندق – بمركوين – ٢٥١ هـ : ٨٦٥ م :

– أفاد رودريك من الهدوء الذي تميز به عام ٢٥٠ هـ بسبب عدم توجيه جيش من قرطبة إلى جيليقية ، فعمل رودريك على تحصين حدود اقليمه وسخر أهل مملكته لاقتطاع أطراف الجبال عند المضائق وجعلها قائمة يصعب على الفرسان تسلقها ، ثم حفر الخنادق عند محاور الطرق وفي الوقت ذاته ضمن حماية جبهة بلاده باقامة تحالف بين حكام القلاع وتوته وبرجيه ومسانقه .

المسلمين وزحف الى وادي الحجارة بهدف الاستيلاء عليه ، فتصدى له ابن سالم والحق به الهزيمة وأصابه بجراح توفي بعدها فانتهى الأمر لاخوته الثلاثة اسماعيل ، ومطرف وفرتون . واصبحت الولايات الشمالية ، مصدر الاضطرابات مما فرض على امير قرطبة تركيز جهد خاص بها.

ـ في بداية صيف عام ٨٦٥م ، قاد عبد الرحمن بن الأمير محمد قوة الصائفة ووصل بها حتى نهر دوبره ، وانضمت اليه قوات دعم كبيرة من الأقاليم كلها ، فأعاد تنظيم قواته ، ثم تقدم حتى مضيق « برذيش ، او فج برذيش » حيث وقع الصدام الأول مع حاميات الحصون والقلاع ، ونجح عبد الرحمن في الاستيلاء على أربعة منها ودمرها واباد الحاميات المدافعة عنها ، ثم استأنف تقدمه مدمراً، التحصينات التي جابهته حتى لم يبق في الأقاليم الأربعة موضع للمقاومة إلا وأصابه الدمار . وبذلك أصبح الطريق إلى جيليقية مفتوحاً ، فتقدم جيش المسلمين إلى « الملاحة » وكانت من أكثر أقاليم جيليقية أهمية ، فأعمل فيها تدميراً واحراقاً وعندما وصل في تقدمه الى « مضيق المركوين » تصدت له الحامية المدافعة عن محور الطريق ، لكن قوات المسلمين نجحت في ازالة المقاومة بسرعة وارغمتها على ترك مواقعها . وتوقفت قوات المسلمين أمام الخندق .

ـ أرسل عبد الرحمن مفارز الاستطلاع لتحديد مواقع الكمائن المعادية وقوتها عند جانبي الطريق وفي العمق . ثم قام بتنظيم هجومه الحاسم على ضوء المعلومات الدقيقة التي أمكن الحصول عليها ، ودارت معارك قاسية بين قوات الطرفين وقعت خلالها خسائر فادحة من قوات المسلمين وخصومهم على حد سواء ، لكن قوات المسلمين استطاعت في النهاية أن ترغم جيش جيليقية على ترك مواقعه الحصينة والانسحاب حتى التلال الواقعة على مسافة بعيدة خلف الخندق .

ـ أصدر قائد الجيش ، عبد الرحمن ـ أوامره بالتوقف ، واقامة معسكر للمسلمين بهدف اقناع خصمه بعدم جدوى المقاومة ، وتعريفه بتصميمه على البقاء حتى احراز نصر حاسم . وتابع قائد الجيش في الوقت ذاته توجيه الاغارات في الوقت الذي كان يتم فيه ردم الخندق وتسوية المواقع وازالة العقبات ، وعندما

انهى المسلمون استعدادهم ، نظم قائد الجيش هجوماً حاسماً استطاع أن يمزق به قوات خصمه التي أخذت في الفرار بعيداً عن ميدان المعركة دون نظام .

طارد فرسان المسلمين فلول قوات جيش رودريك حتـــى الأهزون ، واقتحموا عليهم نهر ابرة فالقى عدد كبير منهم أنفسهم بالنهر وماتوا غرقاً.

– وفي الوقت ذاته انطلقت مجموعات أخرى من الفرسان لمطاردة الهاربين في الجبال والفياض وأبادوا منهم مجموعات كبيرة .

– كانت معركة الخندق « في مركوين » من المعارك الكبرى بحيث وصل عدد قتلى العدو إلى ٢٠ر٤٧٢ عشرين ألفاً وأربعمائة واثنين وسبعين قتيلاً [١] .

٦ – ٢٥٢ هـ – ٨٦٦ م : وجه الأمير محمد حملة أخرى إلى الشمال بقيادة الحكم بن محمد مغاث في أرض النصارى ، واستولى على بعض الحصون وكانت هذه الغزوات المتوالية قد استنزفت قوة الامارات المستقلة في الشمال فركنوا حيناً إلى السكينة والهدوء وفي هذه السنة ، ٨٦٦ م ، توفي ملكهم اردونيو فخلفه ولده الفونسو الثالث الذي عرف فيما بعد باسم الفونسو الكبير .

– في الوقت الذي كانت قوات الحكم تقوم بعملياتها في جيليقية كان أسطول المسلمين يقلع من موانئه ، غرب الأندلس ، ويسلك محوراً موازياً للساحل عبر المحيط الأطلسي متوجهاً من الجنوب نحو الشمال حتى وصل مصب نهر منهو ، بقيادة أمير الماء « عبد الحميد بن مغيث » ولكن قوات الاسطول لم تنجح في تنفيذ عملياتها بسبب العواصف القوية التي مزقت قطع الأسطول وأغرقت قسماً كبيراً منها في مياه المحيط . ولكن هذه التجربة كانت رائدة في هذا المجال ، فقد استطاع المنصور بن أبي عامر ، اعادة العملية ذاتهـا عام ٣٨٧ هـ – ٩٩٧ م

....

(١) ابن عذارى ٢ – ١٤٩ ووضع ابن الاثير هذه الاحداث في سنة ٢٥١ هـ وذكر الخسائر ٢٤٩٢ قتيلا ، وقد يكون هذا الرقم اقرب الى الدقة .

ونجح بواسطتها في احتلال جيليقية كلها وتدمير المقاومات ، وفتح سنت ياقب [1] .

لم يتمكن الامير محمد من متابعة عملياته بعد ذلك في الشمال بسبب الثورات المضادة التي استمرت طوال عهده واستنزفت قوة الدولة وامكاناتها ، ورغم انه لا علاقه لفن الحرب بهذه الثورات ، لكنها كانت ذات تأثير غير مباشر ، في استنزاف قوة العرب ، المسلمين في الاندلس ولهذا فسيتم ايجازها فيما يلي نظراً لما كان لها من دور خطير ستظهر نتائجة في مستقبل مسيرة العمليات .

***

(١) ذكر ابن عذارى هذه المعركة في احداث سنة ٢٦٦ ه .

د – الثورات المضادة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن

كان من أبرز هذه الثورات ثورة عمر بن حفصون ، ونظراً لامتداد هذه الثورة حقبة طويلة من الزمن فسيتم ايجازها بصورة منفصلة ،في حين سيتم ايجاز بقية الثورات فيما يلي :

التسلسل	تاريخ الثورة	قائدها	مكان تمركزها	الاجراءات	النتيجة
١	٢٥٤هـ – ٨٦٨م	عبد الرحمن بن مروان وابن شاكر وابن مكحول	مارده	قاد الأمير محمد جيشاً بنفسه	القضاء على الثورة وحمل قادتها إلى قرطبة .
٢	٢٥٥هـ – ٨٦٩م	سليمان بن عبدوس	مريه	توجيه مجموعة قتالية بقيادة الحكم ابن الأمير محمد .	القضاء على الثورة وحمل قائدها إلى قرطبة .
٣	٢٥٦هـ – ٨٦٩م	لب بن زكريا بن عمروس	وشقه	توجيه عدة مجموعات قتالية .	القضاء على التمرد وقتل لب بن زكريا بن عمروس
٤	٢٥٧هـ – ٨٧٠م	زكريا بن عمروس	سرقسطه	توجيه عبد الفاخر ابن عبد العزيز حاكم تطيله للقضاء على التمرد .	قتل ابن عمروس وأهله وأنصاره..
٥	٢٥٨هـ – ٨٧١م	مطرف واسماعيل أولاد لب بن زكريا ابن عمروس ومعهم يونس بن زنباط.	سرقسطه وتطيله	قاد الأمير محمد الجيش بنفسه في السنة التالية إلى طليطله وبنبلونه	اخضاع التمرد وقتل عدد من الثائرين وفرار البعض الآخر .

ت	تاريخ الثورة	قائدها	مكان تمركزها	الاجراءات	النتيجة
٦	٢٦٠هـ - ٨٧٣م	ثورات الثغور	سرقسطه وبنبلونه	توجيه المنذر بن محمد والقائد هاشم ابن عبد العزيز	إخضاع الأقاليم الثائرة وتدميرها.
٧	٢٦١هـ - ٨٧٤م	ابن مروان الجليقي	قلعة حنش بمارده	قاد الأمير محمد الجيش بنفسه	اخضع التمرد ووافق على طلب الثائر ابن مروان الاستقرار في بطليوس والاقامة فيها ..
٨	٢٦٢هـ - ٨٧٥م	هرب ابن مروان الجليقي مرة أخرى	بطليوس	أرسل الأمير قوة بقيادة وزيره هاشم ابن عبد العزيز	هزيمة جيش قرطبة ووقوع هاشم بن عبد العزيز أسيراً.
٩	٢٦٣هـ - ٨٧٦م		بطليوس	وجه الأمير قوة بقيادة ابنه المنذر	هرب ابن مروان إلى الشمال والتجأ إلى «بلاد العدو».
١٠	٢٦٤هـ - ٨٧٧م	استمرار تمرد بني موسى في الثغور	سرقسطه وجيليقيه	حارب المنذر بن محمد في سرقسطه ثم انتقل الى تطيله ودخل البراء بن مالك الى جيليقية	تدمير الأقاليم المتمردة .

التسلسل	تاريخ الثورة	قائدها	مكان تمركزها	الاجراءات	النتيجة
١١	٢٦٥هـ – ٨٧٩م	يحيى المعروف بالجزيري	ريا وتاكرنا والجزيره	قام الوزير هاشم ابن عبد العزيز بقيادة الهجوم .	اخضاع التمرد وحمل زعيم الثورة إلى قرطبة .
١٢	٢٦٩هـ – ٨٨٣م	تمرد الثغور	كورة ريا وكورة البيره	قام الوزير محمد بن أمية بن شهيد بقيادة الهجوم .	اخضاع التمرد ونقل قبائل عربية منها بني رفاعه وغيرهم، واستمرت العملية حتى العام التالي[١] .

٥ – ثورة عمر بن حفصون

ينسب عمر بن حفصون إلى أسرة تزعم انها تنحدر من نسل نبيل قوطي يدعى الفونسو ، وكان جعفر والد جد الثائر أول داخل في الاسلام .

وذكر ابن عذارى نسبه كما يلي :

عمر بن حفصون المعروف بحفص بن جعفر بن شيتم بن ذبيان بن فرغلوش بن اذفونش ـ الفونس ـ من مسالمة الذمة ، ومن كورة تاكرنا التابعة لرنده ، وكان الذي اسلم منهم جعفر بن شيتم ففشا نسله في الاسلام[٢] .

(١) لمطالعة تفاصيل حركات الثورة المضادة في البيان المغرب ٢ / ١٤٩ – ١٦٦ ، وتاريخ العرب في الاندلس محمد عبد الله عنان « عهد الفتنة الكبرى » . وتاريخ المسلمين في الاندلس ـ دوزي ـ ٣٥٦ ـ ٣٦٢ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ٢ ـ ١٥٦ .

كان حفص والد الثائر ذا مال ووجاهـة فأضاف الى اسمه « ون » للتأكيد على اصالته فأصبح يعرف باسم حفصون . وترك ثلاثة أولاد أكبرهم عمر الذي تميز عن أخويه بمزاجه الحاد وشراسة طبعه فقتل وهو في حداثة عمره جاراً له مما دفعه إلى الهروب نحو الجبال حيث ألف حياة العصابات ومارس أعمال السلب فقبض عليه وكان عامل الاقليم يجهل ماضيه فأشفق على حداثة سنه ولم يقتله كما كان يفعل مع الخارجين على القانون وانما اكتفى بجلده ثم اطلق سراحه. وخاف عمر بن حفصون افتضاح أمره فهرب الى افريقية ، واستقر بتاهرت وعمل عند خياط من أهل جلدته وتعرف عليه أحد شيوخ المولدين ، وخاف الوشاية فرجع مرة أخرى الى الاندلس ولجأ الى ببشتر ، حيث بدأ ظهوره فيها ..

كان عمر بن حفصون شجاعاً ، كريماً ، شديد البأس على أنصـاره ، يلزمهم بطاعته طاعة عمياء ، ويقتـــل منهم كل خارج على تعاليمه ، فانتشر الأمن في الربوع التي سيطر عليها وكان في ذلك مصدر قوته حيث خضع له الأغنيـــاء لحمايتهم ، وأطاعه المشردون لتأمين موارد حياتهم ، وضم في صفوف أنصاره مجموعات متناقضة يجمعها عامل واحد هو الحقد على « الحكم الأموي » فكان بين المقاتلين من جموعه العرب والبربر والمولدين والمستعربين والنصارى والمسلمين .. ولعل أفضل وصف له : [.. انـــه ، امام الثائرين وقدوتهم ، وهو أعلاهم ذكراً في الباطل ، وأضخمهم بصيرة في الخلاف ، واشدهم سلطانـاً واعظمهم كيداً وأبعدهم قوة ...] (١) .

---

(١) ابن حيان ـ المقتبس ١٩ .

ثورة عمر بن حفصون

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١	ربيع ٢ ٢٣٨	ايلول ٨٥٢	وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم « الاوسط » وخلافة محمد بن عبد الرحمن .
	٢٦٧	٨٨٠	جمع عمر بن حفصون حوله أربعين رجلاً ، وجعل من بربشتر [1] قاعدة له واستقطب حوله العصاة والثائرين فسيطر بهم على المناطق الجبلية الوعرة بين رندة ومالاقا .
٢	٢٧٨	٨٨٠	حاول عامل رية القضاء على الثورة في مهدها فتوجه إلى بربشتر ، لكن ابن حفصون انتصر عليه ، فعزل الامير محمد العامل المهزوم وعين عاملاً جديداً لم يتمكن من اخضاع ابن حفصون فاكتفى بعقد هدنة معه ، وعندما وجه الأمير محمد وزيره ، هاشم بن عبد العزيز على رأس جيش كبير فشدد الوزير هاشم قبضة الحصار على بربشتر وأسر عدداً من أنصار ابن حفصون وارغمه في النهاية على الاستسلام وحمله إلى قرطبة ومعه سائر عصابته فعفى عنه الأمير محمد وضمه إلى جيشه .

....

(١) بربشتر Bobastro ، من أمنع حصون الأندلس، على بعد ٥ كم الى الشمال الغربي من بليش حالياً (Velez de Malaga) على الساحل الجنوبي للاندلس ..

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٣	٢٧٠	٨٨٣	توجه المنذر إلى الثغر الأعلى لقتال محمد بن لب « من بني قس المولدين أيضاً ». وكان ابن حفصون من كبار قادة جيش المنذر، بيد أنه لم يكن راضياً كل الرضى عن منصبه فلم يلبث أن فر تحت جنح الليل ومعه نفر من أصحابه وعاد إلى بربشتر حيث استأنف ثورته، وانضمت اليه جموع الخوارج والمتمردين .
٤	٢٧٣	٨٨٦	خرج المنذر لقتال ابن حفصون وبدأ عملياته بالتوجه إلى الحامة شمال مالاقا حيث الثائر ابن حمدون حليف ابن حفصون فأسرع ابن حفصون لنجدة حليفه وحاصر المنذر « الحامة » مدة شهرين، وعندما أشرفت المدينة على الاستسلام وقد نفذت مؤنها، خرج الحليفان ابن حفصون وابن حمدون للقاء المنذر ودارت معركة طاحنة انتصر فيها المنذر وهزم الثوار وجرح ابن حفصون، وارتد مع فلول أصحابه إلى الحامة واعتصم بحصونها من جديد . وبينما المنذر مقيم على حصار الحامة . علم بوفاة أبيه فاضطر لرفع الحصار والعودة إلى قرطبة .
	٢٩ صفر	اول تموز	**وفاة محمد بن عبد الرحمن وخلافة المنذر :**
	٢٧٣	٨٨٦	أفاد عمر بن حفصون من فترة انتقال الحكم للمنذر،

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			فسيطر على القواعد والحصون الجنوبية كلها . وخضعت له كورة ريةوأرشذونة ومالاقا وجيان واستجةوغيرها واجتمع اليه الخوارج والمغامرون من جميع أنحاء الأندلس ، وأخذ يطمح في الاستيلاء على الاندلس كلها. وأظهر الدعوة لبني العباس ، وكاتب « ابن الأغلب » ، وجعل من بربشتر قاعدة له بعد أن طرد عامل أمير قرطبة منها وسبى جاريته وتزوجها وكانت هذه أم ولده الأكبر سليمان الذي قاد ثورته بعد وفاة أبيه .
٥	٢٧٤	٨٨٧	قاد المنذر بنفسه جيشاً كبيراً ، وأظهر تصميمه على سحق تمرد ابن حفصون فتوجه إلى رية وحاصر أرشذونة الواقعة غرب لَوْشة حتى خضعت له ، وافتتح حصون « باغة »[1] وقبض على عيسون حاكم أرشذونة ، وبني مطروح حلفاء ابن حفصون في باغة وبعث بهم جميعاً إلى قرطبة حيث قتلوا جميعاً وصلب مع عيسون خنزير وكلب امعاناً في التمثيل به ، ثم تابع المنذر تقدمه حتى وصل بربشتر فحاصرها وعزلها عن كل ما يحيط بها وضيق عليها،وعندما اشتدالأمر على ابن حفصون لجأ إلى الحيلة فطلب الصلح وعرض التسليم وأعلن عزمه على السير إلى قرطبة بأهله

(١) باغة ، أو بريجو Priego .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			وولده ، فأجابه المنذر، وأمده بما طلبه من غذاء ودواب ولباس ، فبعث بهـا ابن حفصون إلى قلاعه وقفل المنذر بجيشه يتبعه ابن حفصون الذي استطاع الهرب من جديد والعودة الى بربشتر ، فعاد المنذر وهو أكثر تصميماً على سحق الثائر لخيانتـه وغدره ، وحاصر بربشتر معتزماً ألا يبرحها حتى يقبض على الثائر . واستمر الحصار ثلاثة وأربعين يوماً ، ومرض المنذر ، فاستقدم أخاه عبد الله من قرطبة ليتابع الحصار عوضاً عنه ، وتوفي المنذر تحت أسوار بربشتر ..
٦	منتصف صفر ٢٧٥	حزيران يوليو ٨٨٨	**وفاة المنذر وخلافة اخيه عبد الله ..**
	٢٧٥	٨٨٨	طلب ابن حفصون الصلح من الأمير عبدالله حتى تتاح له فرصة اعادة تنظيم قواته، ووافق الأمير عبد الله في انتظار انهاء استعداده ، ثم لم يلبث ابن حفصون طويلاً حتى نكث بوعده وأخذ في توسيع نطاق عملياته .
٧	٢٧٦	٨٨٩	قاد الأمير عبد الله جيشاً لاخضاع ثورة ابن حفصون، ونجح في تدمير الاقليم ولكنه لم ينجح في اخماد الثورة،مما ضاعف من قوة ابن حفصون حتى أصبح يهدد قرطبة وينازع أميرها سلطته .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٨	٢٧٨	٨٩١	**– معركة بلاي –** كانت بلاي من أمنع حصون قبره ، وقد وجه الأمير عبد الله قوة مكونة من ١٨,٠٠٠ مقاتل بقيادة قائد الفرسان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيدة ، والتقت هذه القوة بجيش ابن حفصون الذي ضم ٣٠,٠٠٠ ثلاثين ألف مقاتل ، وتجاه هذا التفوق ركز قائد الفرسان عبيد الله ثقل هجومه على الجناح الأيسر لقوات ابن حفصون فسحقه ، ثم نقل مركز ثقل الهجوم إلى الجناح الآخر وأمكنله تدمير العدو المتفوق فانسحبت فلول جيش ابن حفصون من بلاي إلى بربشتر ، وتابع عبيد الله تقدمه حتى وصل استجه فأخضعها وأرسل زعماء الثورة إلى قرطبة (١) .
٩	٢٨١	٨٩٤	توجه المطرف ابن الأمير عبد الله الى بربشتر ، وحاصرها ، ودارت معارك طاحنة قتل خلالها حفص بن المره أشجع قادة ابن حفصون ، واستولى على استجه للمرة الثانية ..
١٠	٢٨٤	٨٩٧	– استطاع ابن حفصون اعادة سيطرته مرة أخرى على استجه .

....

(١) كافأ الامير عبيد الله قائد فرسانه بتعيينه وزيراً بعد هذا النصر الحاسم،وهناك قصيدة رائعة تشيد بنصر معركة بلاي في المقتبس ـ ابن حيان ص ٩٧ ـ ١٠٠ .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١١	٢٨٥	٨٩٨	- أرسل الامير عبدالله جيشاً كبيراً بقيادة ابنه ، ومعه أحمد بن أبي عبيدة لقتال ابن حفصون ، وقام هذا الجيش بجولة واسعة في اقليم ريه ومالاقا ، وخاض معارك ثانوية لكنه لم يحقق انتصاراً حاسماً .. - عقد ابن حفصون في هذه الفترة حلفاً مع محمد ابن لب - القسوي - وأرسل محمد بن لب ابنه « لبّا » في بعض قواته الى ابن حفصون بهدف توثيق عرى التعاون بينهما ، ولكن لبا تلقى بعد فترة قصيرة نبأ وفاة أبيه محمد ، أمام أسوار طليطلة فغادر بربشتر ، دون أن يبرم أمراً مع ابن حفصون وفشل التحالف وهو في بدايته[1].
١٢	٢٨٦	٨٩٩	**اعلن ابن حفصون اعتناقه وسائر أفراد أسرته النصرانية واستبدل اسمه باسم « صاموئيل » وفاوض الفونسو الثالث ملك ليون وبنو قسي ، كما فاوض بعض امراء المغرب .** وكان اشهاره النصرانية سبباً في تخلي عدد كبير من المسلمين عن نصرته والامتناع عن تأييدهم له .

(١) المقتبس ١٢٧ .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١٣	٢٨٨	٩٠٠	– تحالف ابن حفصون مع سيد اشبيلية ابراهيم ابن حجاج ، وحاول أمير قرطبة الوصول الى صلح مع ابن حفصون لكن هـــذا امتنع ، ولم تستمر الهدنة بينهما طويلاً ..
١٤	٢٨٩	٩٠١	– وجه الأمير عبد الله جيشاً كبيراً لقتال ابن حفصون ، فأرسل عمر بن حفصون قواته يدعمها فرسان ابراهيم بن حجاج والتقت قوات الطرفين عنـــد مدينة استبه على مقربة من نهر شنيل ودارت رحى معركة رهيبة انتهت بانتصار جند قرطبة ، وأعدم الأمـــير عبد الله رهائن ابن حفصون فخاف ابراهيم بن حجاج أن يعمـل الأمير عبد الله على اعدام ابنه عبد الرحمن الذي كان يحتفظ به أمير قرطبة رهينة عنده ففاوض الامير عبد الله في الصلح ، واستجاب الامـــير لطلبه وأطلق سراح عبد الرحمن وأعاده مكرماً فعـاد ابراهيم الى سابق عهـده وولائه لأمير قرطبة .
١٥	٢٩٥	٩٠٨	– وجه الامير عبد الله جيشه إلى ببشتر، حيث معقل الثائر ابن حفصون ، وعاث جند قرطبة في الاقليم ، لكنهم لم يحققوا انتصاراً حاسماً على خصمهم ..

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١٦	٢٩٧	٩١٠	– توجهت حملة قوية بقيادة أحمد بن أبي عبيدة الى « كورة ريه » واشتبكت مع قوات ابن حفصون في عدد من المعارك الثانوية التي لم تحقق نصراً حاسماً .. **واستمر توجيه الحملات بعد ذلك في كل عام دون الوصول الى نتيجة ..**
	ربيع أول ٣٠٠	تشرين الأول ٩١٢	**– وفاة الأمير عبد الله وخلافة عبد الرحمن الناصر « الثالث » .**
١٧	شعبان ٣٠٠	آذار مارس ٩١٣	– قاد الأمير عبد الرحمن بنفسه الجيش المتوجه لحرب ابن حفصون ،وأنقذ مدينة ريه من الحصار الذي كان قد نظمه ابن حفصون ، ثم انتزع منه حصون منتلون وشمنتان ومنتيشه وغيرها ، وتابع تحرير المدن الموالية لابن حفصون في كورة البيره وتطهيرها من أنصاره ، وتوجه بعد ذلك الى وادي آش ، فاحتل الحصون والقلاع المنتشرة فيه وأوغل في تقدمه عبر شعاب جبل الثلج « سيرانيفادا » وعاد الى قرطبة بعد ثلاثة أشهر من العمليات المستمرة ..
١٨	٣٠١	٩١٤	– تقدم الامير عبد الرحمن في غزوته الثانية لحرب ابن حفصون ، وسلك محور وادي ريه ، ووقعت معركة بينه وبين ابن حفصون أمام

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			قلعـة طرش قتل فيها عدد كبير من جنـد ابن حفصون وحلفائه النصارى ، واستطاع أسطول عبد الرحمن أن يستولي على مجموعـة من السفن المحملة بالمؤن والامـداد من عدوة المغرب لدعم ابن حفصون وعمل على احراقها .. سار الأمير عبد الرحمن بعد ذلك الى شذونه ومنها الى قرمونه وحاصرها حتى استسلمت له.
١٩	٣٠٥	٩١٨	**– وفاة عمر بن حفصون ، وقد خلف أربـع أبناء هم جعفر وعبد الرحمن وسليمان وحفص وابنة هي « أرجنتا » ، فقام جعفر مكان ابيه في بربشتر . واستقـل عبد الرحمن في حصن طرش . بينما تمركز سليمان في ابـده ..**
٢٠	٣٠٥	٩١٨	– وجه الامير عبد الرحمن جنـد الاندلس الى ابده ، فاستولى عليها وأخـذ سليمان أسيراً إلى قرطبة ، فأكرمه الأمير عبد الرحمن وعفا عنه وضمـه الى جيشه ، واستسلم عبد الرحمن بن حفصون دون قتال .
٢١	٣٠٨	٩٢٠	– قتل جعفر في بربشتر ، فقام أخوه سليمان مكانه وأقره عبد الرحمن على ولايته ولكنه نكث عهد الطاعة فسار الأمير عبد الرحمن لحصـاره فامتنع في حصونه ..

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٢٢	٣١١	٩٢٣	– قاد الامير عبد الرحمن جند الاندلس لحصار بربشتر ، لكنه لم ينجح في اخضاعها .
٢٣	٣١٤	٩٢٦	– أرسل الامير عبد الرحمن جند الاندلس بقيادة وزيره عبد الحميد بن سبيل الى بربشتر ، وخرج سليمان بن عمر بن حفصون للقائه ، فهزمت قوات ابن حفصون وقتل سليمان ، وقدم حفص أخاه مكانه ، واستمر على المقاومة ، لكنه اضطر في النهاية الى الاستسلام ، فأخذ أسيراً الى قرطبة فعفى عنه الامير عبد الرحمن وضمه الى جيشه ..
٢٤	٣١٦	٩٢٨	– سار عبد الرحمن الى بربشتر ، وعين والياً لها ، وأمر باخراج رفات عمر بن حفصون وولده سليمان وأرسلهما الى قرطبة لتعليقهما على أبوابها ، وهدم جميع الكنائس والأديرة التي ابتناها الثائر ابن حفصون في تلك المنطقة واستولى على المعاقل والحصون جميعها وطهرها من آثار الثورة الأخيرة.
	٣١٩	٩٣١	– اصدر امير قرطبة ، الخليفة عبد الرحمن الناصر ، أوامره بالقبض على « ارجنتا » ابنة عمر بن حفصون واعدامها لارتدادها عن دين الاسلام . ونفذ الحكم [1] .

(١) البيان المغرب ٢ / ١٩١ – ٢٠٩ ، وابن خلدون ٤ / ١٣٥ .

حروب الاستنزاف
واستمرار الثورات المضادة

تميزت الفترة الأخـــيرة من حكم محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ٢٣٨ – ٢٧٣ هـ – ٨٥٢ – ٨٦٦ م . وفـترة حكم المنذر ٢٧٣ – ٢٧٥ هـ – ٨٨٦ – ٨٨٨ م . وفترة حكم عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ٢٧٥–٣٠٠هـ – ٨٨٨ – ٩١٢ م .

كانت هذه الفترة من حياة الاندلس الاسلامية حافلة بالاضطرابات الكثيرة ، والثورات المضادة والحركات الاستقلاليه مما أضعف الحكم الأموي في قرطبة ، وجعل الحكام في حالة عجز تام عن مجابهة أعداء الشمال ..

ورغم ان عمليات قمع حركات التمرد ومقاومة الثورات قـــد نفذت وفق مخططات عسكرية دقيقة ، لكنها لم تتميز بملامح جديدة ولم تحدث تطوراً جديداً في فن الحرب ولهذا فان دراستها تشكل موضوعاً مستقلاً يمكن وضعه في اطار « الثورات المضادة » وهو ما يخرج عن موضوع الدراسة الحالية .

ولهذا ، ورغم ان هذه الدراسة بعيدة عن موضوع الكتاب فانه قد يكون من الضروري التعرض لبعض ملامحها وذلك :

١ً – لاظهار الصورة العامة للموقف خلال هذه الفترة ..

٢ً – لما كان لها من اثر في استنزاف قوة الدولة وقدرتها ..

٣ً – لما كان لها من اثر في نمو دول الشمال وتعاظم قوتها وانتقالها الى مراحل متطورة ساعدت بالمقابل على تطوير أعمال الردع والهجمات الوقائية خلال المرحلة التالية وهي التي تعاقب فيها ثلاثة من الحكام ، وهم : عبد الرحمن الثالث وابنه الحكم وأبي عامر « المنصور » ..

عناصر الثورات المضادة

أ – مراكز القوى في الشمال ..

ان استعراض مسيرة الأحداث ومطالعة تطورات الثورات المضادة يظهر بوضوح ان حركات التمرد الخطيرة هي تلك التي تمركزت في الشمال واستندت بصورة أساسية الى العناصر غير العربية ، من مولدين ومستعربين وبربر ، وكان القاسم المشترك بين هؤلاء جميعاً حقدهم على العنصر العربي في البداية ثم تطور الحقد – بتأثير الكنيسة – الى كراهية للعرب ودين العرب .

وقد تم في الصفحات السابقة ذكر بعض الاسباب التي دفعت عناصر الثورة المضادة الى التمركز في الشمال ، والتي يمكن ايجازها وجمعها بما يلي :

١ً – وجود طليطلة عاصمة « القوط » في الشمال ، كمركز للاشعاع المضاد ولاستقطاب العناصر الثائرة .

٢ً – استيطان العرب في الجنوب بالدرجة الاولى ، بسبب قربه من عدوة المغرب ، وبسبب طبيعته المماثلة لطبيعة المشرق ، والرغبة في الاستيطان عند المناطق الخصبة والابتعاد عن المناطق الجبلية الوعرة في الشمال وذلك على نحو يشابه تماماً ما فعله العرب المسلمون عند احتلالهم الشام واستيطانهم فيها . وكان لهذا الاستيطان محاسنه ومزاياه أيضاً بالنسبة لتوفير الامكانات الضرورية لتنظيم الدولة وبناء القوات المسلحة وحشد القوات في موقع متوسط ، ولا ريب ان قلة العنصر العربي كان من الاسباب الرئيسية التي حالت دون الاستيطان في الشمال ، وبالتالي السماح للعناصر المضادة بالعمل في مناخ من الحرية المطلقة ..

٣ً – أفادت مراكز القوى في الشمال من بعدها عن العاصمة ومن وعورة محاور التقدم لتدعيم مواقعها وبناء قوتها الذاتية كما أفادت من قوة تحصيناتها وطبيعة مواقعها الصعبة لبناء قوتها الدفاعية ، وبذلك استكملت مراكز القوى هذه كل الضرورات الاساسية للقيام بحركاتها الاستقلالية .

٤ً – وأفادت مراكز القوى من مواقعها القريبة الى الدول النصرانية فيما وراء البيرنيه ومن دول الشمال النصرانية لتلقي الدعم الضروري لنجاح الثورات المضادة واستمرارها ، وقد مر هذا الدعم بمراحل :

أ – اقتصر في البدايات الاولى على تبادل الرسائل ، وتنسيق التعاون بين الهجمات الخارجية والحركات الداخلية .

ب – تطوير التعاون الى دعم كامل بالقوات بين حركات التمرد وبين جيوش دول الشمال .

جـ – الانطلاق من قاعدة قوية وذلك باللجوء الى الدول النصرانية في حال الفشل من أجل الاستمرار في الصراع ضد العرب – المسلمين ..

د – وضع المخططات لتنسيق التعاون بين الحركات المضادة وذلك لتبادل الدعم فيما بينها مع نقل أعمال التمرد حتى الجنوب لاضعاف الدولة وجعلها عاجزة عن مجابهة تطورات الشمال ..

وان خير من يمثل هذا الاتجاه في الواقع ويصوره بوضوح تام ، زعيم حركة التمرد الكبرى – عمر بن حفصون – الذي قاد ثورة استمرت فترة طويلة حتى امكن القضاء عليها في عهد عبد الرحمن الناصر[١] ، وكذلك ثورة بنو قسي في الثغر الأعلى « سرقسطه » الذين كانوا يرتبطون برباط المصاهرة مع حكام مملكة نافار « البشكنش » .

ب – مراكز القوى في الاقاليم الجنوبية والمدن :

– استوطن العرب والبربر في الاندلس وفق نظامهم القبلي ، فكانت لكل قبيلة كبيرة أو عصبية من العصبيات مركزها في مدينة معينة أو اقليم محدد ، وكانت هذه العصبيات في حد ذاتها مراكز للقوى يمكن لها دعم الحكومة المركزية في قرطبة أو اضعافها ، وفقاً للظروف وطبعاً لتطور الاحداث .

....

(١) سيأتي فصل خاص يتم فيه استعراض ثورة عمر بن حفصون وذلك في الصفحات التالية .

– ولم يكن بالمستطاع ، حشد جميع المقاتلين في معسكرات منفصلة ، كما لم يكن بالمستطاع جعل هذه المعسكرات في منطقة واحدة ، فكان لكل اقليم جيشه الصغير الخاص به ، وكان حجم هـذا الجيش يتراوح في زيادة ونقصان حسب طبيعة الاقليم وحسب الكثافة السكانية ودرجة الاستيطان فيه ، ونظراً لطبيعة مسرح العمليات ومتطلبات القتال فقد كان يتم الاعتماد بالدرجة الأولى على قوة الفرسان ، ولهذا كانت مجموعات فرسان الأقاليم هي التي تشكل مجموعة القوة الضاربة الرئيسية لجيش قرطبة . وعندما كان يتم التحرك للصائفة أو لردع العدوان أو للقيام بهجوم وقائي ، كان الخليفة يعمل على تعيين منطقة الحشد وموعد وصول القوات حيث تتم في منطقة الحشد عملية اعادة التنظيم وتبدأ مرحلة الانطلاق الى مسرح العمليات ..

– ونتيجة لوجود روح العصبية المتفجرة بين العرب والبربر على حد سواء ، ونظراً لوجود جيش مستقل في كل مدينة واقليم فقد أصبح بالامكان لزعماء الاقاليم الاستقلال بأقاليمهم ،وكان هذا الاستقلال يتأرجح زيادة ونقصاناً حسب قوة الحكم في قرطبة ، وحسب درجة التعاون والتوافق بين أمير قرطبة وأمراء الأقاليم ، فاذا حدث تنافر ، أو اختلاف ، كان الاقليم مهيئاً لاعلان الثورة والانفصال .. ولكن وفي كل الظروف ، فان مراكز القوى هذه لم تكن في خطورتها تعادل خطورة مراكز قوى الشمال نظراً لرفض العرب – بصورة عامة – فكرة التعاون مع « الافرنج » ضد أبناء عصبيتهم العربية وضد اخوان عصبيتهم الدينية ، ولكنها تبقى في كل الاحوال مصدر استنزاف لقوة العرب المسلمين في الاندلس ..

ولعل خير من يمثل مراكز القوى هذه ابراهيم بن حجاج « حاكم اشبيليا » الذي اصبح في فترة من ايام حكم العرب للاندلس منافساً قوياً لحاكم قرطبة الامير الاموي ،وقد يكون من المناسب ذكر لمحة عنه لاظهار خطورة مراكز القوى هذه واثرها في تمزيق قوة العرب المسلمين واضعافها ..

- كانت زعامة اشبيليا لابراهيم بن حجاج والأخوين كريب بن خلدون وخالد بن خلدون وكان جميعهم على اتصال بالأمير عبد الله ، وشعر ابراهيم بن حجاج بخطورة ابناء خلدون على مركزه وقدرتهم على منافسته فدبر مؤامرة قتل فيها الأخوين كريب وخالد وطلب من أمير قرطبة الاعتراف بسلطته على اشبيليا ، ولم يكن باستطاعة الامير عبد الله وهو يجابه حركات « الثورات المضادة » في كل اقليم إلا الاعتراف واقرار ابراهيم بن حجاج على سلطته ؛ وأصبحت زعامة اشبيليا له دون منازع .. فاجتبى الأموال واصطنع الرجال وارتقى في الأحوال ، وارتفع ذكره وبعد صيته واتخذ لنفسه جنداً ورتب لهم الأرزاق كفعل السلطان ، فكان في مصافه خمس مائة فارس وكان له في بلده اشبيليا قاض يقوم بالحكم وصاحب مدينة يقيم الحدود - محافظ - وكان لابراهيم بن حجاج في بساط السلطان بقرطبة قوم يقفون في حقه ويعلمونه بما عند السلطان من حاله وينصحونه في أمره ..

- وكان ابراهيم بن حجاج - أبا اسحاق - فظاً على أهل الريب ، قاطعاً لأهل الشر ، منتجعاً على البحر والبر ، مقصوداً بالغرائب والطرف ، وكانت له باشبيليا طرز يطرز فيها على اسمه كفعل السلطان إذ ذاك ، وكانت قرمونه تحت مملكته وهو الذي حصنها وحسن بنيان سورها وفيها كانت مرابط خيله المتخذة لركوبه وبينها وبين اشبيليا كان ترداده سائر أوقاته ، وكان جواداً ممدحاً يرتاح للثناء ويعطي الشعراء ويضاهي في فعله كبار الأمراء ويعقد أهل البيوتات والشرف بالعطاء ، وقد امتدحه أبو عمرو أحمد بن عبد ربه ووصف تنقله بين اشبيليا وقرمونه بقصيدة منها الأبيات التالية :

فاشبيلية الزهراء تزهو بوجهه وقرمونة الغراء ذات الفضائل
اذا ما تحللت تلك من نور وجهه غدت هذه للناس في زي عاطل
وان حل هذي فهو يوحش هذه فتهدى برسل نحوه ورسائل

وسمع ابراهيم بن حجاج بجارية بغدادية اسمها قمر[1] فوجه بأموال عظيمة إلى المشرق في ابتياع هـــذه الجارية إلى أن استقرت بدار مملكته اشبيلية .. وبقيت في رغد من العيش طوال اقامتها في اشبيليا . وتوفي ابراهيم بن حجاج في عام ٢٨٨ هـ – ٩٠٠ م وخلفه ابنه عبد الرحمن الذي توفي في بداية عهد الناصر ٣٠١ هـ – ٩١٣ م.

– كانت مراكز القوى هذه منافساً قوياً لأمير قرطبة ، وقد اندلعت فيها الثورات المضادة وحركات التمرد طوال الفترة الأخيرة من حكم محمد بن عبد الرحمن وفترة حكم المنذر وأخيه عبد الله ، ولم يتم اخضاع هذه المراكز إلا في عهد عبد الرحمن الناصر ـ الثالث ـ .

– وقبل الانتقال إلى العمليات القتالية في عهد عبد الرحمن الناصر ، وبهدف ايضاح الصورة العامة للموقف ، قد يكون من المناسب تلخيص بداية ظهور دول الشمال النصرانية ومراحل تطورها وما كان لها من دور كبير في استنزاف قوة العرب في الاندلس .

....

(١) البيان المغرب ، ابن عذارى ٢ / ١٩٠ – ١٩٢ وفيه : كانت قمر كالبـــدر المنير ، ذات بيان وفصاحة ومعرفة بالألحان والغناء ، فوجدها ابراهيم بن حجاج قمراً عند اسمها ، وكان لها شعر يستحسن ويستحلى منه :

قالوا أنت قمر في زي أطمار ... من بعدها هتكت قلبـــاً بأشفار
تمشي على وحل تغدو على سبـل ... تشق امصار أرض بعد أمصار
لا حرة هي من أحرار موضعها ... ولا لها غـــير ترسيـــل وأشعار
لو يعقلون لما عابوا غريبتهم ... لله من أمـــة تزري بأحرار
ما لابن آدم فخر غير همته ... بعد الديانة والاخلاص للباري
دعني من الجهل لا أرضى بصاحبه ... لا يخلص الجهل من سب ومن عار
لو لم تكن جنـــة الا لجاهلة ... رضيت من حكم رب الناس بالنار

ب – نشوء مملكة نافار – أو – « البشكنش »
ثم تحولها الى مملكة اسبانيا ..

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			نشأت مملكة نافار ، في منطقة البشكنش ، غرب البيرنيه ، وكانت عاصمتها – او قاعدتها – بنبلونه . ويحيط الغموض اصل هـذه المملكة النصرانية ..
	١٨٠	٧٩٦	– وفاة هشام بن عبد الرحمن وخلافـة الحكم ابن هشام « الربضي » .
١	١٨٣	٧٩٩	– ظهر في نافار زعيـم قوي يدعى « ازوار » واستقل بامارته وأخذ في بناء قوته الذاتيـة وتنظيم امارته ..
	٢٠٦	٨٢٢	– وفاة الحكم وخلافة عبد الرحمن بن الحكم « الأوسط » .
٢	٢٢٢	٨٣٦	– توفي ازوار وخلفه في الامارة أخوه سانشو ؛ لكن أميراً آخر هو « جارسيا انيجيز بن أنيجو أريستا » انـتزع الامارة من سانشو ، وتذكر المصادر الاسلامية هـذا الأمير باسم « ونقة بن شانجة » ملك البشاكسة ،وارتبطت هذه الامارة في مرحلة نشوئها مع امارة اسلامية مجاورة لهـا يحكمها المولدون وهي امارة « بني قسي » سادة

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	توقيت الاحداث
			الثغر الأعلى ، وجاء هذا الارتباط عن طريق المصاهرة حيث تزوج انيجو اريستا بأرملة موسى بن فرتون بن قسي ، وتزوج موسى ابن موسى من ابنة جارسيا انيجيز ، وتزوج جارسيا واخوته من بنات لب بن موسى بن فرتون ، وتزوج بعض اخوة موسى وأبنائه من بنات أمراء نافار فتوطدت روابط التحالف والمصاهرة بين الأسرة النصرانية والأسرة المسلمة « من المولدين » ..
			– أظهر جارسيا نزعاته العدائية للدولة المسلمة عندما عمل على دعم ثورة عمر بن حفصون ، المولدين ..
			– كما أن العلاقة بين نافار وجارتها الكبيرة « ليون » لم تكن حسنة بسبب مطامع مملكة ليون في ضم مملكة نافار الصغيرة اليها ..
	٢٣٨	٨٥٢	**– وفاة عبد الرحمن بن الحكم وخلافة محمد بن عبد الرحمن .**
٣	٢٤٨	٨٦٢	– ظهر العداء الواضح بين ليون ونافار فزحف أمير نافار – جارسيا انيجيز – ومعه صهره موسى بن موسى لدفع عدوان ليون ووقعت معركة طاحنة في « البلدة » قتل فيها جارسيا

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
			ثم خلفه ابنه فرتون ، الذي بقي فترة طويلة في أسر أمير قرطبة ، ثم خلفه ولده « سانشو جارسيا» وهو أول من تلقب من« أمراء نافار » بلقب الملك وبه تبدأ مملكة نافار الحقيقية .
	٢٧٣	٨٨٦	**– وفاة الامير محمد وخلافة المنذر بن محمد .**
	٢٧٥	٨٨٨	**– وفاة الامير منذر وخلافة اخيه عبد الله ابن محمد ..**
٤	٢٩٥	٩٠٧	– قتل لب بن موسى على أبواب بنبلونه خلال الصراع الطويل والمرير بين سانشو وبين « بنو قسي » ..
	٣٠٠	٩١٢	**– وفاة الامير عبد الله وخلافة عبد الرحمن الناصر « الثالث » .**
٥	٣١٤	٩٢٦	– توفي سانشو ، وقامت بالأمر زوجته«طوطه» وصية على ولده جرسيا وأظهرت ولاءها لأمير قرطبة ..
	٣٢٥	٩٣٦	– نقضت طوطه عهد الناصر ، فغزا الناصر بلادها ، وضرب نواحي بنبلونه فجاءته طوطه بطاعتها وعقد لابنها غرسيه « جرسيا » على بنبلونه .
	٣٥٠	٩٦١	**وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر وخلافة الحكم ابن عبد الرحمن المستنصر بالله ..**

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
	٣٦٦	٩٧٦	**- وفاة الخليفة الحكم بن عبد الرحمن وخلافة هشام بن الحكم في وصاية الدولة العامرية .**
	٣٨٥	٩٩٥	- حكم غرسيه سانشيز .
	٣٩١	١٠٠٠	- وفاة غرسيه سانشيز ، وخلفه ولده سانشو الكبير .
٧	٤٢٧	١٠٣٥	- وفاة سانشو الكبير ملك نافار بعد أن أوصى بتقسيم مملكته على النحو التالي : ١ - فرناندو : ملكاً على قشتاله وليون وجيليقية . ٢ - غرسيه : أكبر أولاده ، ملكاً على نافار ، الوطن الأصلي . وهو يمتد من غرب البيرنيه حتى منابع الايبرو - نهر ابره - . ٣ - راميرو : ابنه غير الشرعي ، ملكاً على اراغون ، التي تمتد في حيز ضيق موازية لنافار بداية من « باب شيزروا » . ٤ - كونزالو : ملكاً على ولايتي سوبراني وريبا جرسا في أواسط البيرنيه .
٨	٤٢٧	١٠٣٥	على أثر وفاة سانشو الكبير - ملك نافار - أو ملك اسبانيا كما أصبح يلقب نفسه ، توجه برمودو الملك الشرعي لمملكة ليون - اشتوريش - الى مملكته واستطاع استرجاع جزء من أملاكه ،

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			وأقام بلاطاً لمملكته ودارت بينه وبين صهره فرناندو ملك قشتاله حرب طويلة استمرت فترة عامين كاملين .
٩	٤٢٩	١٠٣٧	دارت رحى معركة نهائية وحاسمة بين ملك ليون ، وملك قشتاله انتصر فيها فرناندو ، وقتل برمودو في « تامارون» ونظراً لعدم وجود وريث شرعي ، فقد استولى فرناندو على مملكة ليون بحكم المصاهرة والوراثة وأصبح ملكاً على قشتاله وليون الموحدة ..
١٠	٤٣٠	١٠٣٨	قتل كونزالو – غيلة – وهو عائد من رحلة صيد ، ونادى سكان سوبراني وريباجرسا بأخيه « راميرو » ملكاً على الامارتين فضمهما اليه وتوحدت الامارتين والمملكة تحت حكم ملك اراجون ..
١١	٤٣٤	١٠٤٢	وقعت معركة بين راميرو ملك اراغون وأخيه غرسيه ملك نافار بسبب رغبة راميرو في ضم ملك أخيه لمملكته ، لكن المعركة انتهت بهزيمة راميرو ، وفراره ..
١٢	٤٤٦	١٠٥٤	– وقعت معركة بين غرسيه ملك نافار وأخيه راميرو ملك اراغون منجهة ضد أخيهما فرناندو ملك ليون وانتهت المعركة بانتصار فرناندو

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحـداث
			ومقتل غرسيه واختار فرناندو ابن أخيه غرسيه للملك نافار ولم يقتطع من مملكته شيئـــاً سوى تعديل بعض القلاع على الحدود .
١٣	٤٤٩	١٠٥٧	عـبر فرناندو الأول ملك قشتاله وليون نهري دويره وتورمس واجتاح لوزيتانيا،قاصية أراضي المسلمين من الشمال الغربي وكانت تابعـة لمملكة بطليوس ، فاستولى عليها ..
١٤	٤٥٤	١٠٦٢	قام فرناندو الأول بعدوان جديد على بـــلاد المسلمين وأغار على مدينة سالم واوسيدا وطلمنكه ووادي الحجارة وقلعة النهر ، فاستغاث أهلهـا بالمأمون ابن ذي النون صاحب طليطله فجمـــع المأمون مقادير كبيرة من الذهب والفضة وفاخر الأقمشة وسار بنفسه الى معسكر الملك النصراني وقدم اليه الهدايا وأعلن اعترافه بطاعته وتعهد بأداء الجزية – وكانت المرة الأولى التي يدفع فيها حكام المسلمين الجزية لملوك الافرنج في الاندلس .
١٥	٤٥٥	١٠٦٣	عاد فرناندو الأول لتنفيذ عدوان آخر ، فهاجم مملكة اشبيلية وأرغم المعتمد بن عباد على أن يحذو حذو المأمون فيعترف بسيادته ويدفـع له الجزية .
١٦	٤٥٦	١٠٦٤	**سقطت قلمريه في قبضة فرناندو الأول .**

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
	٤٥٧	١٠٦٥	**توفي فرناندو الأول بعد ان قسم مملكته على النحو التالي :** ١ – سانشو – ولده الكبير – ملكاً على قشتاله وحقوق الجزية على سرقسطه . ٢ – الفونسو : ملكاً على ليون ، واشتريش وحقوق الجزية على طليطله . ٣ – غرسيه – ولده الأصغر – ملكاً على جيليقيه والبرتغال وضمهما في مملكة واحدة مع حق الجزية على مملكتي اشبيليا وبطليوس . كما عين لابنتيه قلعتين صغيرتين تحكمانهما بشكل مستقل .
١٧	٤٦٤	١٠٧١	استولى سانشو على ليون وطرد أخاه الفونسو الذي هرب الى طليطله ، وعاش تحت حماية المسلمين .
١٨	٤٦٥	١٠٧٢	استولى سانشو على جيليقية وضمها إلى مملكته .
١٩	٤٦٥	١٠٧٢	دبرت اوراكا مقتل أخيها سانشو ، وساعدت الأخ الثاني الفونسو على استعادة ملكه ، فأصبح الفونسو ملكاً على قشتاله وليون وجيليقيه باسم الفونسو السادس ..
٢٠	٤٧٨	١٠٨٥	استولى الفونسو السادس على طليطله ..
	٥٠٣	١١٠٩	توفي الفونسو السادس .

ج – نشوء مملكة جيليقيه – اشتوريش – ثم ليون

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			بدأ اسم جيليقيه يتردد في التاريخ الاسلامي منذ الفتح حيث التجأ إلى الجبال شـــاب ثائر يدعى – بلاي – رفض الخضوع للعرب المسلمين وطارده المسلمون حتى لم يبق معه سوى ثلاثون رجلاً وامرأة ، ثم أخذ في استقطاب المقاومـة وتنظيم القوات في معاقله الجبلية وأفاد من فترة حكم – الأمراء – وما رافق ذلك من فتن داخلية فأعاد تنظيم أمور الاقليم الذي يحكمه وكان له مع المسلمين معارك مستمرة ، وعندما توفي تابـع صهره ثم أبناؤه دورهم القيادي .
١	١٧٥	٧٩١	تولى حكم جيليقيه الملك العفيف باسم – الفونسو الثاني – وأطلق على مملكته ـ في الشمال الغربي من الجزيرة ـ اسم مملكة جيليقيه أو اشتوريش – استورياس – ونقل عاصمة مملكته من الجبال إلى اوفيدو ، وأصبحت حدود المملكة تمتد من غسكونيا شرقاً الى المحيط الأطلسي غرباً ومن خليج غسكونيا شمالاً حتى نهر دويره جنوباً ، ثم استقلت عنها نافار أو – بلاد البشكنش – .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			في عهد هشام بن عبد الرحمن
٢	١٧٩	٧٩٥	– حدثت معركة الصخرة بين العرب المسلمين وقوات جيليقيه وانتهت بهزيمة الفونسو الثاني هزيمة ساحقة .
			في عهد الحكم بن هشام
٣	١٩٣	٨١٠	– عبر الفونسو الثاني بقواته نهر دويره ، وغزا الأراضي الاسلامية ووصل قلمريه واشبونه ..
٤	١٩٤	٨١١	– رد الحكم بهجوم مضاد ، فتقدم عبر وادي الحجاره ، وأخضع جيليقيه .
			في عهد عبد الرحمن بن الحكم
٥	٢٠٨	٨٢٣	– غزا عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث البه والقلاع وأوقع بقوات جيليقيه هزائم منكرة ..
	٢٢٨	٨٤٢	توفي الفونسو الثاني وخلفه ولده راميرو الأول ، رذمير عند مؤرخي العرب .
	٢٣٦	٨٥٠	توفي راميرو الأول وخلفه اردونيو ملكاً على اشتوريش وبردوليا ـ قشتالة ـ . وعمل أردونيو على بناء وتحصين ثغور بلاده فأقام ـ تودة ، وليون ، واسترقة .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٤	٢٥٢	٨٦٦	توفي أردونيو وخلفه ابنه البكر «الفونسو» الذي عرف باسم الفونسو الثالث «أو» الفونسو الكبير. ودفع الفونسو الثالث حدود مملكته حتى جبال البيرنيه شرقاً كما عبر نهر دويرة مرات كثيرة لغزو بلاد المسلمين .
٥	٢٥٨	٨٧١	عقد مؤتمر كهنوتي في «اوفيدو» لاعادة تنظيم الكنيسة الاسبانية .
٦	٢٩٧	٩١٠	تنازل الفونسو عن الحكم لأبنائه بعد سلسلة من المؤامرات ، فكان توزيع السلطة ونظام الحكم كما يلي : ١ – جارسيا «أو» غرسيه «الإبن الأكبر» وصياً على العرش . ٢ – أردونيو «اردن» ابن الفونسو «ملكاً على جيليقية . ٣ – فرويلة «ملكاً على أشتوريش . – توفي الفونسو الثالث «بعد ذلك بفترة قصيرة . وأجري تعديل على اسم المملكة فأصبحت تعرف مملكة ليون عوضاً عن جيليقية وأشتوريش . ونقل ابنه «جارسيا» قاعدة المملكة من أوفيدو إلى ليون لموقعها المتوسط بين جيليقية واشتوريش.

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٧	٣٠٢	٩١٤	قـــام أردونيو « أرذن » بالاغارة على الحدود الاسلامية ووصل في تقدمه حتى ماردةواستولى على بعض قلاعها . كما احتل أيضـــاً بعض قلاع بطليوس .
٨	٣٠٤	٩١٦	وجـه الخليفة عبد الرحمن الثالث جيشاً بقيادة وزيره أحمـد بن أبي عبدة لغزو مملكة ليون ، فدمر جيش المسلمين الحصون والقلاع وقضى على المقاومات التي جابهته .
٩	٣٠٥	٩١٧	قاد « اردونيو الثاني » قواته وهاجم اقليم طلبيرة تالافيرا » وأحرق مدنه ، فجاء رد الخليفة عبـد الرحمن بارسال جيش قوي ، لكن هذا الجيش لم ينجح في اخضاع ليون ، ولحقت بـه الهزيمة وقتل قائده أحمد بن أبي عبده ومعه مجموعة من أفضل القادة. وتعرف هذه المعركة باسم «موقعة شنت اشتبين أو » سنت استيفان »
١٠	٣٠٦	٩١٨	عاد أردونيو الثاني » ملك جيليقية وحليفـــه سانشو ملك نافار لغزو ثغور المسلمين .
١١	محرم ٣٠٦	أوائل تموز ٩١٨	قاد الخليفة عبد الرحمن بنفسه جيشـاً كبيراً ، فوصل مدينة أوسمة « وخشمة » فأحرقهـا ، وانتقل إلى قلونية ، فدمرها وأحرقها وتابـــع تقدمه ، وسانشو ينسحب بقواته حتى عبرالخليفة

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
		عبد الرحمن نهر ايبرة، ابرة. فقام سانشو بهجوم مباغت ، لكن الخليفة عبد الرحمن احبط هذا الهجوم وهرب جيش ليون إلى الشمال واعتصم بالمواقع المنيعة ، ولجأ سانشو إلى حليفه أردونيو فجمع الملكان قواتهما، وعندما وصل الخليفة عبد الرحمن في تقدمه حتى مضائق جبال البيرنية ، انقضت قوات جيش ليون ونافار وأوقعا بعض الخسائر في مؤخرة جيش المسلمين ، فانسحب الخليفة عبد الرحمن إلى السهل، وأقام معسكره، وتقدمت قوات ليون ونافار ، وخاضت مع المسلمين معركة ضارية انتهت بانتصار المسلمين الذين تابعوا أعمالهم القتالية بتدمير المواقع والمناطق المحصنة .
٣١٣	٩٢٥	توفي أردونيو الثاني ملك ليون وخلفه أخوه فرويلا .
٣١٤	٩٢٦	توفي فرويلا وتنازع الملك ولدا – أردونيو – وهما سانشو والفونسو وشغلت ليون بحرب أهلية استمرت أعواماً .
٣٢٠	٩٣٢	استطاع روميرو انتزاع السلطة وجلس على العرش باسم روميرو الثاني .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٣٣٩	٩٥٠	توفي روميرو الثاني ملك ليون وثارت الحرب بين ولديه ـ أردونيو وسانشو .
٣٧٢	٩٨٢	استولى على حكم ليون برمودو الثاني .
٣٩٠	٩٩٩	توفي برمودو وخلفه ابنه الفونسو بوصاية منديث كونثالث .
٤١٦	١٠٢٥	شكل الفونسو الخامس مجلساً دستورياً لوضع دستور للمملكة ووضعت القوانين التي أصبح بموجبها الحكم وراثياً .
٤١٨	١٠٢٧	توفي الفونسو الخامس فخلفه ولده برمودو الثالث.

* * *

القسم الرابع

الفصل الثالث

عصر القوة في الاندلس

الردع في عهد عبد الرحمن الثالث

١ ـ غزاة موبش :

١ً ـ الوضع العام : آ ـ الموقف في الشمال .

ب ـ الموقف في الدولة العباسية .

ج ـ الموقف في بيزنطه .

د ـ الموقف على الحدود الجنوبية للاندلس .

٢ً ـ الوضع الخاص .

٣ً ـ غزوة موبش ـ مسيرة العمليات .

٢ ـ غزوة بنبلونه :

١ً ـ الوضع الخاص قبل المعركة .

٢ً ـ مسيرة الأعمال القتالية .

٣ ـ معركة الخندق « غزاة القدره » .

ـ موجز الأحداث .

١ً – الوضع العـــام .
٢ً – الوضع الخـاص .
٣ً – مسيرة الأعمال القتالية .
٤ً – نتائج المعركـــة .

الردع في عهد « الحكم المستنصر »

١ – الوضع العـــام .
آ – الموقف في دول الشمال .
ب – الموقف في الجنوب .
٢ – الوضع الخـاص .
٣ – الأعمال الاستفزازية وعمليات الردع المضاد .
٤ – احباط غزو النورمان .
٥ – عملية الردع في غزو « غرماج » .
آ – التحـــدي .
ب – الهجوم الغادر الثاني .
ج – مؤتمر الحرب .
د – العرض والاستعراض .
هـ – الاعداد للمعركة الحاسمة .
و – المعركة الحاسمـــة .
ز – استثمـــار الظفر .
ح – معركة ثانوية على أبواب سرقسطه .

تصعيد استراتيجية الردع في عهد الحاجب المنصور

١ – قتـــال مستمر .
٢ – غزوة شنت ياقب .
آ – الوضع العـــام .

ب - الوضع الخـــاص .

ج - مسـيرة العمليـات .

٣ - منجزات الحاجب المنصور وأسلوب عمله .

الغزو المضاد ما بعد المنصور ، وبداية حركة الاسترجاع

١ - ديركلوني قاعدة تنظيمية في الحرب الصليبية .

٢ - اجتماع كليرمونت واعلان الحرب الصليبية .

٣ - استراتيجية حركة الاسترجاع .

٤ - المنطلقات الأساسية لاستراتيجية الاسترجاع .

٥ - الحرب الصليبية في الشرق والغرب .

قراءات

- عبد الرحمن الداخل .
- هشام بن عبد الرحمن .
- الحكم بن هشـام .
- عبد الرحمن بن الحكم .
- محمد بن عبد الرحمن .
- المنذر بن محمد .
- عبد الله بن محمد .
- عبد الرحمن بن محمد .
- الحكم المستنصر .
- الحاجب المنصور .

الردع في عهد عبد الرحمن الثالث
٣٠٠ - ٣٥٠ هـ = ٩١٢ - ٩٦١ م

١ - غزاة موبش - ٣٠٨ هـ - ٩٢٠ م

أ - الوضع العام :

كان عهد عبد الرحمن الثالث الناصر هو عهد ازدهار الاندلس قوة وعمراناً وعلماً وعرفاناً ، واصبحت قرطبة في عهده عاصمة « الدنيا » يقصدها الملوك والأمراء ، وتحج اليها الوفود ، وينزل بها السفراء فيجدون فيها الحضارة والتطور ، وان معرفة هذه الفترة تتطلب استعراض الوضع العام في الدول المجاورة بالدرجة الاولى والدول الكبرى في تلك الفترة بالدرجة الثانية .

آ- **الموقف في الشمال** : تعاقب على حكم الدولة الكارولنجية خلال فترة الفتح الاسلامي للاندلس : شارل مارتل ٦٩ - ١٢٤ هـ - ٦٨٨ - ٧٤١ م ، وابنه بيبان الحاسم ١٢٤ - ١٥١ هـ = ٧٤١ - ٧٦٨ م ، ثم شارلمان الكبير ١٥٥ - ١٩٩هـ = ٧٧١ - ٨١٤م ، وجاء بعد ذلك لويس التقي١٩٩ - ٢٢٦هـ = ٨١٤ - ٨٤٠ م[١] ، وكان لويس ضعيفاً بحيث أخذت المملكة الكارولنجية تسير في طريق الضعف .. وعندما توفي لويس الضعيف « التقي » خلفه ابنه الأكبر لوثر[٢] فاتفق ضده اخويه لويس الجرماني[٣] وشارل الأصلع وحدثت بين

....

(١) لويس التقي Louis Le Pieux ، ويسمى لويس الأول لتمييزه عن لويس الثاني ٨٢٢ - ٨٧٥م والذي أصبح ملكاً لايطاليا عام٨٤٤م وامبراطوراً للغرب عام ٨٥٠ - ٨٧٥م وهذا ابن لوثر الأول ، ثم لويس الثالث « الأعمى » والذي أصبح امبراطوراً للغرب بين عام ٩٠١ و ٩٠٣م .

(٢) لوثر الأول : Lothaire 1er .

(٣) لويس الجرماني : Louie De Germanie .

الأخوين المتحالفين وأخيهما لوثر الأول معركـة في فونتينوي Fontenoy التي انتهت بانتصـــار الأخوين وارغام لوثر على تقسيم المملكة الكارولنجية بموجب اتفاقية فردان على النحو التالي :

– مملكة الفرنجة الغربية ،تحت حكم شارل الأصلع[1] وتضم حدود فرنسا الحالية باستثناء برجنديا والبروفانس والالزاس واللورين ..

– مملكة الفرنجة الشرقية ، تحت حكم لويس الجرماني وتضم حـدود المانيا الغربية حالياً .

– المملكة الوسطى ، وبقيت تحت حكم لوثر وهي تضم القسم الأكبر من الأراضي المنخفضة واللورين وبرجنديا والنصف الشمالي من ايطاليا ..

– في عام ٢٤٢ هـ – ٨٥٥ م توفي لوثر الأول بعد أن قسم مملكته بـين أبنائه الثلاثة على النحو التالي :

١ – مملكة ايطاليا ، وملكهـا لويس الثاني الذي خلف والده لوثر في الامبراطورية .

٢ – مملكة لوتارنجيا[2] ، وملكها لوثر الثاني .

٣ – مملكة البروفانس وليون ، وملكها شارل (المصاب بالصرع) .

في عام ٢٥٦ هـ – ٨٦٩ م توفي لوثر الثاني ملك لوتارنجيا فقسمت أملاكه بين شارل الاصلع ولويس الجرماني بموجب اتفاقية تقسيم مرسين[3] وتم تنفيذ ذلك في عام ٢٥٧ هـ – ٨٧٠ م ، كما انهما اقتسما أيضاً بالاتفاق فيما بينهما قسماً كبيراً من الاراضي التي كانت من نصيب شارل « المصاب بالصرع » والتي سبق تقسيمها بين لويس الثاني ولوثر الثاني ..

---

(١) شارل الأصلع : Charles Le Chauve أو شارل الثاني .

(٢) لوتارنجيا : Lothairingia .

(٣) مرسين : Partition of Meersen .

في عام ٢٦٢ هـ – ٨٧٥ م توفي لويس التاني ، وحاول كل من شارل ولويس الجرماني الحصول على التاج الامبراطوري ، وقد نجح شارل في هـذه المحاولة .

وفي عام ٢٦٣ هـ – ٨٧٦ م توفي لويس الجرماني فأسرع شارل في محاولتـه للحصول على نصيبه من اقليم لوتارنجيا ، ولكن ابن لويس «لويس الثاني الصغير» هزمه في اندرناخ ، وأحبط له محاولته ..

في عام ٢٦٤ هـ – ٨٧٧ م توفي شارل وخلفه ابنـه الضعيف « لويس الثاني المتلعثم » الذي توفي بعد ذلك بعامين ، ثم لم تمض فترة طويلة حتى توفي لويس الثاني (ولويس الثالث وكارلومان) أبناء لويس الثاني فتم انتخاب شارل البسيط أو شارل البدين وهو أخ لويس الثاني امبراطوراً على كل من مملكتي الفرنجـة الشرقية والغربية ..

في عام ٢٧٤ هـ – ٨٨٧ م ، قامت ثورة عامة في مملكتي الافرنـج انتهت بانتخاب أرنولف الكارنثي ملكاً على المانيا ، وأود ملكاً على شمال فرنسا ، كما أقيمت ممالك مستقلة في كل من بروفانس وبرجنديا وايطاليا [١] .

ان الاستعراض السريع للمراحل السابقة يظهر [**بدايـــة ظهور اوربا ومعاناتها من الانقسام والتجزئة . وبديهي ان هذه التطورات لم تمر دون صدام مسلح بين افراد العائلات المالكة ، مما جعل دول الافرنج اكثر اهتماماً بأمورها الداخلية مما كان يجري حولها . وكانت السلطة الوحيدة التي تتابع التطورات بحذر ويقظة هي السلطات الكنسية . فهي التي كانت تحاول باستمرار ايقاف الصدام ضمن حدود ضيقة ، وتذكر بالاخطار الخارجية ، وتحاول تكتيـــل القوى ضد العرب المسلمين في الاندلس .**]

ب – الموقف في الدولة العباسية :

في عام ١٩٣ هـ : توفي هارون الرشيد ، وكان عهده يمثل الفترة الذهبية في

(١) المصدر : Nouveau-Larousse Illustré-1653 .

حياة الدولة العباسية ، ولم تلبث الامور أن تطورت بعد وفاته الى حرب بين الاخوين المأمون والأمين .

في عام ١٩٨ هـ – ٨١٣ م : قتل الأمين بن هارون الرشيد ، وانتصر المأمون وكان انتصاره نجاح كبير للعنصر الفارسي وهزيمة للعنصر العربي .

– وفي عام ٢١٨ هـ – ٨٣٣ م : توفي المأمون وخلفه المعتصم فاستعاض عن العنصر الفارسي بالعنصر التركي .

– وفي عام ٢٢٧ هـ – ٨٤١ م : توفي المعتصم وخلفه الواثق بالله .

– وفي عام ٢٣٢ هـ – ٨٤٦ م توفي الواثق بالله وخلفه المتوكل على الله .

– وفي عام ٢٤٧ هـ – ٨٦١ م : قتل المتوكل وخلفه المنتصر بالله .

– وفي عام ٢٤٨ هـ – ٨٦٢ م : توفي المنتصر وخلفه المستعين بالله .

ولا حاجة بعد ذلك لمتابعة مسيرة الاحداث في بغداد ، وسامراء . فقد شغلت الدولة العباسية بمتاعبها الداخلية والثورات المضادة التي اشتعلت في كل مكان والتي انتهت بتمزيق الدولة العباسية الى ممالك وامارات مستقلة حتى لم يبق للخليفة العباسي من الخلافة سوى اسمها .

كان من أهم الأحداث التي جابهتها الدولة العباسية في هذه الفترة ، ثورة الزنج طوال الفترة بين ٢٦٢ – ٢٧٠ هـ – ٨٧٥ – ٨٨٣ م .

ثم ظهور القرامطة ٢٧٧ هـ – ٨٩٠ م وتزايد قوتهم بحيث سيطروا على شبه الجزيرة العربية ووصلوا مكة عام ٣١٧ هـ – ٩٢٩ م مع تعاظم نفوذ بيزنطة ، وتصعيد عملياتها في الشام .

نتيجة لذلك فانه لم تعد لدى الدولة العباسية القدرة على تشكيل خطر يتهدد الامويين في الاندلس ..

ج – الموقف في بيزنطة :

استمرت « استراتيجية المحاور » التي وضعها شارلمان سارية المفعول فكانت

الاتصالات تستأنف بين فترة وأخرى تبعاً للظروف ، والمواقف، وحسبما تكون عليه بيزنطة من القوة ، فاذا أصبحت قوة بيزنطة تشكل تهديداً للغرب ، وكان الحكم العباسي قوياً تزايدت روابط الصداقة قوة بين الغرب وبغـداد وتعود لتدعيم محور « حلفها » فتعمل القسطنطينية بالمقابل على تدعيم روابطها بالأندلس لتشكل تهديداً موجهاً ضد جنوب أوربا مع توفير مناخ الحرية للعمل ضد « بلاد الشام » ولتوجيه ضربات قوية في اتجاه الثغور مع تطوير العمليات إذا كان الموقف ملائماً للتوغل الى قلب بلاد الشام والجزيرة .

د – الموقف على الحدود الجنوبية للاندلس :

– كانت افريقية والمغرب الأقصى منها بصورة خاصة مصدر تهديد قوي ضد الاندلس في مرحلة نشوئها وتطورها ولكن هذا الخطر أصبح ضئيلاً بعد أن تكونت قناعة عند الدولة العباسية بفشل محاولاتها ، وبعـد أن شغلت الدولة العباسية بشؤونها الداخلية ومتاعبها الخاصة . ولكن ومع زوال هـذا الخطر ، ظهر خطر جديد هو انتشار الدعوة الشيعية في المغرب وكان خطر هذه الدعوة يتهدد بصورة غير مباشرة الاندلس ممـا سيحمل الأمراء والخلفاء الأمويين في الاندلس على توجيه قسم من مجهودهم نحو الجنوب لضرب حركة الشيعة في المغرب وعدم السماح لها بالوصول إلى الأندلس .

٢ً – الوضع الخاص :

تسلم الأمير عبد الرحمن الثالث حكم الاندلس، والبلاد في حالة من الفوضى، فالتمزق الداخلي قـد جعل من كل مدينة دولة مستقلة ، ومن كل اقليم امارة منفصلة ، وكانت الحروب الداخلية التي استمرت طوال عهـدي المنذر وأخيه عبد الله ٢٧٣ – ٣٠٠هـ = ٨٧٦ – ٩١٢ م قد أرهقت البلاد وأفقرتها واستنزفت كامل قوتها .

وكانت الدول النصرانيـة في الشمال (« ليون – أو – جيليقيه » و « نافار

ـ أو ـ البشكنش ») تتابع مسيرتها نحو بنـــاء قوتها الذاتية مستفيدة من التناقضات الداخلية وعاملة على دعم « الثورات المضادة » ضـد دولة قرطبة .. وكانت دولة ليون ـ أو ـ جيليقيه ، قد أصبحت من أقوى دول الشمال ، بحيث شملت حدودهـا المنطقة الشمالية الغربية من الاندلس بـين المحيط ونهر دويره ، ولهذا فقد أخذت هذه الدولة على عاتقها زعامة الدول الشمالية لممارسة عمليـة الصراع ضد العرب المسلمين ، وكانت أول خطواتها تحرير الثغور والمدن المتاخمة لحدودها بحيث لم يبق في مـدن استورقه وسموره وشلمنقه وشقعوبيه وميرانده وغيرها وجود للعرب المسلمين .

وأقام « الفونسو الثاني » مجموعة من القلاع والتحصينات على امتداد حدود بلاده لمجابهة الأعمال الهجومية للعرب المسلمـين والانطلاق من هـــذه القلاع والتحصينات – في الوقت ذاته – لضم أقاليم جديدة وانتزاع بـلاد أخرى من العرب المسلمين .. وقد اتبع « الفونسو الثاني » ومن بعده « غرسيه » أسلوباً خاصاً لمجابهة المسلمين في الثغور ، وكان هـــذا الأسلوب يعتمد في أساسه على « استراتيجية الأرض المحروقـة » وقتل النساء والأطفـال والشيوخ في اغارات قصيرة وحاسمة ، واخضاع السكان لظروف نفسية قاسية يستحيل عليهم معهـا البقاء على حدود الشمال ، والاستمرار في الاستيطان عند الثغور ..

كان الأمير عبد الرحمن يفضل دونما ريب عدم الدخول في معارك مـع دول الشمال حتى يتفرغ لتصفية أعمال التمرد في الجنوب بحيث يستطيع تركيز جهده بكامله للانطلاق في عمليات حاسمة ضد الشمال ، والدليـل على ذلك هو قيادته بنفسه لبواكير العمليات ضد حركات التمرد ولما يمض على تسلمه السلطـة سوى أشهر قليلة لكن دول الشمال لم تترك له هذه الفرصة ، وبدأت على الفور ممارسة عمليات « السبر » ثم طورت عملياتها فانطلق « اردونيو الثاني » ملك ليون بهجوم كبير في عام ٣٠٢ هـ – ٩١٤ م ، ووصل بهـــذا الهجوم حتى مدينة

« مارده » فاستولى على بعض القلاع وأباد الحاميات المدافعة عنها وسبى النساء والأطفال ثم تابع تقدمه حتى « بطليوس » فأرسل أهلها وفداً محملا « بالفدية » مظهراً الطاعة وعاد « اردونيو » من هجومه مثقل بالغنائم دون أن يصطدم بقوة حقيقية .

– كانت منطقة مارده من المناطق الثائرة باستمرار ، ووجد الأمير عبد الرحمن الفرصة مناسبة لاظهار التلاحم بين المسلمين في الأندلس ضد عدوهم المشترك فوجه جيشاً بقيادة وزيره وقائده أحمد بن أبي عبده مع بداية عام ٣٠٤ هـ – ٩١٦ م وذلك بمهمة « ردع العدوان » والهجوم على مملكة « ليون» .

– انطلق أحمد بن أبي عبده بجيشه الكبير ، واصطدم بجيش ليون في مجموعة من المعارك الثانوية التي نجح في تحقيق انتصارات متتابعة خلالها وغنم غنائم كثيرة وعاد من عملياته بعد أن ألحق أضراراً كبيرة في ممتلكات ليون وأراضيها .

– في عام ٣٠٥ هـ – ٩١٦ م : قاد اردونيو الثاني من جديد جيشاً كبيراً وركز جهده على اقليم « طلبيره – تالفيرا » ولم يغادر الاقليم إلا بعد أن ترك المدن حرائق مشتعلة والقرى ركاماً من الدمار ، وحدثت نتيجة لذلك نقمة عامة ضد قرطبة لعجزها عن القيام بهجوم وقائي ، يوفر للسكان الحماية والأمن . .

– أمام هذا الموقف وجد الأمير عبد الرحمن نفسه مرغماً على تركيز الجهد في عمليات الشمال ، فوجه جيشاً قوياً بقيادة أحمد بن أبي عبده أيضاً ، ولممارسة الواجب ذاته . .

– كانت قلعة « كاسترو موروس ، قاشتر – مورش » أو سنت استيفان من أقوى قلاع الشمال وأكثرها تحصيناً ، ولهذا أراد القائد أحمد بن أبي عبده احراز نصر حاسم في عمليات الردع وذلك باحتلال هذا الثغر ، فتوجه بجيشه وحاصر قلعة سنت استيفان ، ومضت فترة أوشكت فيه الحامية على الاستسلام وفي هذه المرحلة وصلت قوات ليون بقيادة اردونيو ، وكانت تتفوق على قوات

المسلمين تفوقاً ساحقاً .. وانطلق اردونيو بهجومه ، ولم ينجح جيش قرطبة أن يصمد لقوة الصدمة ، فبدأ بالتراجع والانسحاب وصمد القائد أبي عبده ومعه مجموعة من قادته واعداد قليلة من المقاتلين فأبيدوا ابادة تامة ، واستطاعت بقية القوات أن تنسحب بكامل قواتها وعتادها ، في حين تذكر المصادر الأندلسية ان هزيمة المسلمين في هذه المعركة كانت هزيمة منكرة بحيث غطت جثث قتلى المسلمين جميع السهول والتلال والغابات بين دويره و ايتنزا « انيشه »[١]...

كان انتصار اردونيو ملك ليون في « سانت استيفان » حافزاً لدفع سانشو « شانجه » ملك نافار ، للقيام بعمليات مماثلة ، وفي ربيع ٣٠٤ هـ – ٩١٨ م ، انطلقت قوات الحلف المكون من ملكي ليون ونافار ، للقيام بهجوم جديد قبل مضي أشهر قليلة على الهجوم السابق وقبل أن تتمكن قرطبة من تضميد جراحها . ووصلت قوات الشمال الى « ناجره ـ أو ـ ناجيرا » وطليطله فأعملت في أقاليمها هدماً واحراقاً وسبياً واستولى « سانشو » على مدينة «بلتيره ـ أو ـ فالتيرا » فأحرق مسجدها وأذل أهلها قتلاً وسبياً ، وأعمل في بنيانها تدميراً واحراقاً ..

– لم يكن باستطاعة عبد الرحمن الناصر ـ البقاء في مواقع السلبية – فوجه جيشاً كبيراً بقيادة حاجبه « بدر بن أحمد » بمهمة ردع العدوان ، ووجه رسائل الى الأقاليم لتوجيه القوات من أجل دعم الجيش ، وأسرعت حاميات الثغور وقوات الأقاليم في الانضمام الى الجيش .

– كانت مملكة ليون ومملكة نافار على علم بتحرك قوات المسلمين، وكانت قوات المملكتين قد أكملت استعداداتها وزجت بكل امكاناتها في انتظار وصول جيش قرطبة إلى حدود مملكة ليون ..

– اندفعت قوات المسلمين في اجتياز مملكة ليون كالسيل المدمر، فانسحبت

---

(١) البيان المغرب ٢ / ٢٦٠ - ٢٦٦ و
Histoire Des Musulman En Espagne II-P. 117.

مفارز الاستطلاع والمراقبة واعتصمت بالمواقع الجبلية الحصينة ، وأسرع فرسان المسلمين الى هذه القوات فمزقتها وأرغمتها على ترك مواقعها . ثم تقدم المسلمون حتى وصلوا الى مسافة قريبة من « مطونيه » حيث دارت رحى معركتين كبيرتين في يومي الثالث والخامس من ربيع الاول سنة ٣٠٦ هـ - ١٣ - ١٥ آب اغسطس سنة ٩١٨م ، وأظهرت قوات ليون تصميماً كبيراً لكن قوات المسلمين نجحت في احراز النصر وسحق قوات العدو وهزيمتها هزيمة منكرة بحيث لم تتمكن سوى مفارز قليلة في التخلص من ميدان المعركة والانسحاب بعيداً عن مسرح العمليات ، ثم عاد جيش المسلمين الى قرطبة وهو يرفع رايات النصر ..

- على الرغم من هذه الهزيمة ، فقد تابعت قوات ليون ونافار عملياتها العدوانية على الثغور والحدود الشمالية ، كما استمرت أعمال الردع ، ولكن هذه العمليات المحدودة والمستمرة لم تحقق نتيجة حاسمة في اقناع الشمال بايقاف أعماله العدوانية ، فقرر « الناصر » تصعيد عمليات الردع وقيادتها بنفسه ، لا سيما بعد أن وصلته رسائل من اردونيو ، تتهدده باجلائه عن الأندلس [بمواعيد وعدها من نفسه ..] فأظهر عبد الرحمن الناصر ، قبول التهديد ، وأضمر الكيد له ، وأخذ في الاعداد لمعركة حاسمة مع خصمه - ملك ليون - .

٣ - غزوة موبش - مسيرة العمليات - :

- في محرم ٣٠٨ هـ - حزيران ٩٢٠ م ، وبعد اتخاذ اجراءات العمليات ضمن نطاق محكم من السرية ، انطلق الأمير عبد الرحمن على رأس جيش المسلمين حتى وصل مخاضة الفتح بعد أربعة أيام من المسير المتصل .. وفي « مخاضة الفتح » استقبل عبد الرحمن الناصر كتاباً من عامل « مدينة الفرج » للاعلام عن قيام جيش « جيليقيه » بعدوان كبير على ريف « المدينة » وأنه استولى على ما فيه من خيول وماشية ، ثم تابعوا تقدمهم حتى وصلوا « حصن القليعه » الواقع على مسافة قريبة من « مدينة الفرج » ، وعند ذلك تم حشد كل الامكانات المتوفرة واندفع جميع أهل المدينة من فرسان ومشاة « رجاله » لمجابهة العدوان ودارت

معركة قاسية انتهت بانتصار المسلمين انتصاراً حاسماً وبدأ جيش جيليقيه بالانسحاب فاندفع فرسان المدينة لمطاردته واستمرت أعمال المطاردة وابادة قوات الخصم طوال النهار ..

– تابع عبد الرحمن الناصر تقدمه نحو الشمال ، في الوقت الذي كانت فيه الحشود وقوات الدعم تتلاحق بصورة مستمرة من سائر أقطار الاندلس، وتنضم الى جيش الناصر ، حتى وصل الى مدينة طليطلة ، فكان في استقباله لب بن الطربيشة على رأس حامية المدينة ، ثم انضمت قوات طليطلة الى جيش الناصر الذي استمر في تقدمه حتى وصل مدينة الفرج ، حيث توقف فيها لاعادة تنظيم قواته ، وتعبئة جيشه ، واستأنف بعد ذلك مسيرته فوصل مدينة سالم واحتلها وانطلق منها في اتجاه « البه والقلاع » [.. **وطوى من نهاره ثلاث مراحل... حتى احتل بوادي دويره ..**]

– ارهقت هذه المسيرة المديدة جيش قرطبة ، وعلى الرغم من ذلك فقد أسرع عبد الرحمن الناصر لاعادة تنظيم قواته مستفيداً من التوقف الليلي ، ثم وجه مع أول ضوء قوة من الفرسان [**في جرائد الخيل وسرعان الفرسان**] بقيادة وزيره سعيد بن المنذر بمهمة احتلال حصن « وخشمه »[١] .

– كان ظهور قوة فرسان المسلمين في وادي دويره مباغتاً لقوات جيليقية ، وعمل سعيد بن المنذر على توجيه مجموعات صغرى من الفرسان في طرفي الوادي في الوقت الذي كان فيه أهل الوادي والمدافعين عنه على غير استعداد قتالي ودونما حالة انذار مسبق [.. **فغشيتهم الخيل المغيرة على حين غفلة وأصابوا نعمهم وسوامهم ودوابهم وهي مسرحة مهملة، فاكتسحوا جميع ذلك وانصرفوا الى العسكر سالمين غانمين ..**][٢] .

– أفادت بقية قوات جيش قرطبة من نهار التوقف، ومن توفر الحماية بانطلاق

....

(١) وخشمة ، أو ، اكشومة Osma على نهر دويرة شرق شنت اشتبين .
(٢) البيان المغرب ٢/٢٦٤ .

مجموعة الفرسان الى وادي دويره ، فتمت اعادة التنظيم وأخـذ الجميع قسطاً من الراحة وعندما عاد المنذر من عملياته في نهاية نهار يوم الخميس ١١ صفر ، اطلـع الأمير عبد الرحمن الناصر على الموقف ، وفي صباح الجمعة ، انطلق فرسان المسلمين **[.. وهم في أكمل تعبئة وأهـذب ترتيب وأوكد ضبط و ابلغ حزم .. الى حصن وخشمه ..]**

– لم تكن الحامية المدافعة عن حصن وخشمه تتوقع مثل هذا الهجوم المباغت وبمثل هذه القوة ، فعملت على اخلاء الحصن والانسحاب منه **[.. الى الغياض الأشبه والصخور المنقطعة ..]** واقتحم المسلمون الحصن فوجدوه خالياً فغنموا جميع ما فيه ، وأضرموه ناراً ، وانسحبوا منه . .

– توقف الناصر ليلة واحدة عند حصن وخشمه ، وفي صبـاح اليوم التالي انطلق الى « حصن قاشتر ـ مورش »[١] ، وكانت المعلومات قـد تسربت عن سقوط «حصن وخشمه» ، ووجدت الحامية المدافعة عن قاشتر مورش ، انهـا لا تستطيع الصمود لزحف جيش المسلمين فقامت بالجلاء عن الحصن، وتخلوا عنه دون دفاع ، فدخله المسلمون ، وغنموا ما فيـه ، وانطلقت مجموعات الى حصن القبيلة المجاور له ، فدمروه. وفي الوقت ذاته كانت بقية مجموعات الفرسان تنطلق في كل اتجاه لتدمير جميع الحصون والقلاع ، **[حتى لم يترك لأعداء الله في تلك الجهة نعمة يأوون اليها ..]**

– وفي صبيحة اليوم التالي ، انتقل أمير المؤمنين ، عبـد الرحمن الناصر من شرق قلعة «قاشتر ـ مورش» الى غربيها وليس بين الموضعين سوى ميل واحد.. ونظم مجموعات الفرسان لمتابعة أعمال الاستطلاع ، ومطاردة فلول قوات العدو في كل اتجاه . .

---

(١) قاشتر مورش ، و، شنت اشتبين : San-Esteban . كان من الثغور الرئيسية الشمالية، وكانت القوات الشمالية تستخدمه للانطلاق في عملياتها الهجومية ضد ثغور المسلمين ومدنهـم وتعرف أيضاً باسم : Castro-Muros .

– كانت « قلونيه »[1] من أمهـــات المدن التي تستخدمها – مملكة نافار – للاغارة على حدود المسلمين ، فوضع المنصور مخططه للسير اليهـا وتدميرها ، وكانت هذه المدينة تقع على محور تحركه نحو تطيلة التي أراد الناصر دعمهـــا استجابة لطلب الحامية المدافعة عنها بعد أن تعرضت لكثير من هجمات نافار بقيادة « سانشو – شانجه » ملك نافار ..

– توجه عبد الرحمن الناصر بجيشه في اتجاه « قلونيه » ، فلم يصطدم بمقاومة كبيرة وتقدم عبر القرى المتناثرة ، فغنم جميع ما كان فيها ، وعندما وصـــل المسلمون « قلونيه » كان أهلها قد تركوها ،والتجأوا الى الجبال المجاورة،فانطلق الجند الى المنازل والأبنية والكنائس يدمرونها ويحرقونها ويغنمون ما فيهـا ، واستمرت أعمال التدمير طوال أيام ثلاثة [**بهـــدف المطاولة لنكاية المشركين وانتساف نعمهم** ..]

– عرف الناصر ، ان عامل المباغتة قد زال تأثيره بدليل اخلاء المـــدن والقرى التي سار خلالها بجيشه ، وعرف أيضـاً ان المسير المستمر طوال الفترة السابقة قد أرهق جنده ، فأخذ الناصر بالرفق في نهوضه .. وســار على محور مواز لوادي نهر دويره حتى قطع صحراء الشمال في خمسة مراحل وصل بعدها الى اقليم تطيلة حيث كان « محمد بن لب » عامل الاقليم في انتظاره ، فوجه مجموعة قتالية من الفرسان بقيادته للاغارة على حصن قلقره[2] .

– قاد محمد بن لب المجموعة القتالية الى حصن قلقره ، فوجـــد أن الحامية المدافعة عنها قد غادرته ، فاحتله المسلمون ، وفي الوقت ذاته قاد الناصر بقيـة

---

(١) لم تحدد المصادر موقع هذه المدينة بدقة ، ولكن وصف مسيرة العمليات في البيان المغرب ٢٦٦/٢ ، مع تحديد مسافات السير ، يحمل على الاعتقاد بان قلونية هي قلعة النور ، الواقعة شمال شرق « وخشمة ، أو سمة » .

(٢) قلقرة ، أو ، ركلة Ricla في موقع متوسط بين روطة ، وقلعة أيوب على رافـد نهر ابرة .

الجيش الى حصن قلهره[1] ، ولم تحاول الحامية المدافعة عن الحصن مجابهة تقدم المسلمين ، بل عملت على الانسحاب والجلاء عن الحصن الذي دخله المسلمون ، وأخذوا في تدمير منشآته ومراكزه طوال يومين كاملين ..

– كانت العمليات السابقة كلها جنوب وادي « نهر ابره » ، وعندما تم للمسلمين تدمير قلهره ، أمر قواته بعبور النهر .. واندفعت المقدمة لحماية العبور في الوقت الذي استمر فيه تدفق القوات نحو الشمال. وفي هذه الفترة انطلق ملك نافار «شانجه» بهجوم قوي محاولاً تحطيم مقدمة المسلمين فاندفعت قوة الفرسان في المقدمة ، وجابهت الهجوم واستطاعت احباطه بسرعة ، فأخذت قوات « سانشو – شانجه » بالانسحاب ، ولكن قوات المقدمة ألقت بثقلها في المعركة ونجحت في تحويل الانسحاب الى هزيمة وانطلق الفرسان في مطاردة فلول قوات العدو ، ثم عادت عناصر المقدمة عند توقف القوات بعد العبور ، لاعلام الأمير عبد الرحمن بما حدث واطلاعه على الموقف ..

– خلال هذه الفترة توفرت المعلومات عند الناصر ، حول اجتماع قوات مملكتي ليون ونافار ، واسراع « اردونيو الثاني » ملك ليون و « سانشو شانجه » ملك نافار على زج قواتهما ، عبر المضائق الجبلية بهدف تحطيم المقدمة أو المؤخرة « الساقه » .. ونظراً لأن تقدم القوات سيتم في مناطق جبلية صعبة ، فقد أعاد الناصر تنظيم قواته [**وأمر بتعبئة قواته وضبط اطرافها ..**] وبعد أن أكمل الناصر دعم المقدمة ، والاجناب، والمؤخرة، ودفع مفارز الاستطلاع، انطلق في هجومه عبر اقليم نافار ..

– أوغل الأمير عبد الرحمن الناصر في تقدمه ، وكانت قوات ليون ، ونافار تحتل المرتفعات الشاهقة والمواقع المحصنة ، وتتابع تحركات جيش المسلمين ، وحاولت اخضاعهم لحرب نفسية لاضعاف روحهم المعنوية [**وجعلوا يتصايحون..**

---

(١) قلهرة Calahoria غرب تطيلة على نهر « ابرة » . وفي البيان المغرب ٢٦٧/٢ . (وكان شانجة قد اتخذه معقلا ومسكناً) .

ويولولون ليضعفوا من قلوب المسلمين ..] ثم أخـــذت مفارز « الافرنج » تتعرض لأطراف المسلمين « العناصر الوقائية » واستمر الأمر كذلك حتى تجاوز الأمير عبد الرحمن المناطق الجبلية ووصل منطقة سهلية ، فأمر جيشه بالتوقف، واقامة المعسكر . وهنا أخذت القوات المعادية للمسلمين في التدفق عـبر المعابر الجبلية وبدأ القتـال ، ودارت رحى معارك كبيرة انتهت بهزيمـة قوات ليون ونافار [**فهربوا لا يلوون على مكان مضطربهم ، ولا يهتدون لوجه منقلبهم ، والمسلمون على آثارهم يقتلون من ادركوا منهم حتي حجز الظلام بينهم ..]**

- كان « حصن موبش » - القريب من ميدان المعركة - ينفرد بمـيزات دفاعية جيدة ، فهرب ما يزيد عن الألف مقاتل إلى هذا الحصن على أمـل أن يجدوا فيه الحماية اللازمة ، فأمر الناصر بدفع « المجانيق » الى الحصن،واستخدام أجهزة الحصار ، وتم تطويق الحصن من جميع جهاته، ثم اندفع المقاتلون فاقتحموا الحصن وقاتلوا داخله وتم استخراج جميع المقاتلين ، وقدموا الى الناصر ، حيث قتلوا جميعاً وغنم المسلمون ما في الحصن من أمتعة وحلية متقنة وآنيـة كثيرة وألف وثمانمائة فرس .. وتوقف الناصر في « المحلة » المجاورة للحصن فترة أربعة أيام [**.. يغير جميع ما حواليها من نعم المشركين وثمراتهم ومزارعهم ..]**

- كان ملك نافار « سانشو شانجه » قد عمـل على تحصين بقيره[1] ، فعمل الناصر على انهاء عملياته في التقدم الى حصن « بقيره »،ووجد ان الحامية المدافعة عن الحصن قد تركته دون قتال ، فأمر بهدمه ، وازالته ..

- توجه الأمير عبد الرحمن في طريق العودة الى حصون المسلمـين لتفقدها

---

(١) بقيرة : Vigura ، هي الآن تابعة لمدينة لكري أو لوجرونو Logrono ، وتسمى بقيرة أيضاً « فتورية » . وجاء في المقتبس ، ابن حيان ، تحقيق مكي ، ص ٢٠٦ ان موسى ابن موسى القسوي هو مؤسس بقيرة ، وهو الذي عمل على بنائها وتحصينها ثم ضمتها نافار الى بلادها ، وتقع بقيرة على بعد ٩١ كم ، شمال غرب تطيلة.

ودراسة متطلبات أهلها ، وتدعيم حامياتها ، وكلما ألفى بقرب حصون المسلمين معقلاً للمشركين أمر بهدمه واحراق ما يحيط به [.. **حتى لقد اتصل الحريق في بلاد المشركين عشرة اميال في مثلها ..**] واجتمع عند الناس من الأطعمة والخيرات ما عجزوا عن حمله .

– انتهت جولة الناصر في « انتيشه »[1] فتوقف بها يوماً واحداً ، اجتمع فيه الى قادة الثغور ، وأذن لهم بالتفرق والعودة الى قواعدهم بعد أن قدم لهم الهدايا المناسبة ، ثم دخل قرطبة بعد أن استمرت غزوته هذه ثلاثة أشهر ..

٢ – غزو بنبلونه – عاصمة نافار –

٣١٢ هـ – ٩٢٤ م

١ً – الوضع الخاص قبل المعركة :

استطاع « سانشو شانجه » ملك نافار ، أن يعيد تنظيم قواته بسرعة ، ولا ريب في ان مملكة ليون قد قدمت له دعماً قوياً ليتمكن من التغلب بسرعة على الرواسب التي تركتها الهزيمة المنكرة في معركة « موبش» الكبرى .. وكان من بعض ما تركته هذه المعركة هو حدوث انهيار عند سكان الثغور المتاخمة لحدود بلاد المسلمين ، ولهذا فقد عمل « سانشو » على معالجة هذا الانهيار بممارسة أعمال عدوانية من جديد على حدود المسلمين فانطلق في عام ٣١١ هـ – ٩٢٣ م على رأس جيش كبير في اتجاه « بقيره » ..

– كانت الحامية المدافعة عن بقيره بقيادة « ابن لب » وكان مع ابن لب مطرف بن موسى ذي النون ، ومحمد بن محمد – ابن عمه – ووجوه رجالهم ..

---

(١) انتيشة Atienza ، غرب مدينة سالم وفي مدخل وادي الحجارة . ويذكرها بعض المؤرخين العرب باسم « انيجة » الروض المعطار ، (وفيها قتل الحافظ أبو الربيع الكلاعي عام ٦٣٤ هـ : ١٢٣٦ م عند الدفاع عنها قبل أن تسقط في يد الافرنج ، بصورة نهائية). النفح ٤٧٣/٤

– جاء هجوم جيش نافار بقيادة سانشو مباغتاً للحامية المدافعة عن حصن « بقيره » ورغم ذلك فقد استطاعت الحامية الصمود للعدوان لكنها لم تتمكن من الاستمرار في الدفاع ونجح «سانشو» في اقتحام بقيره فعمل على ابادة الحامية وقتل ابن لب وأبناء ذي النون جميعاً ..

– كان عبد الحميد بن بسيل وزير المال في بلاط الامير عبد الرحمن الناصر ، وقد عرف عن ابن بسيل الكفاءة في القيادة ، والقدرة على مجابهـــة العدوان ، فعمل الناصر على تعيين ابن بسيل لقيادة قوات كبيرة ، بمهمـة ردع العدوان .. وقاد ابن بسيل جيشه حتى وصـــل الثغر حيث وصلت قوات الدعم من الثغر الأقصى أو الثغر الأعلى ، فدخل مدينة تطيله ، وجعلهـا قاعدة لعملياته .. ثم أخذ الأمير عبد الرحمن الناصر في الاستعداد لتصعيد عمليات الردع من جديد .

٢ – مسيرة الأعمال القتالية :

كانت عمليات الصوائف تبدأ في شهر حزيران ـ يونيو ـ وأراد الأمـير عبد الرحمن تحقيق المباغتة والاسراع في تنفيذ عملية الردع، والثأر لمقتل بني لب وبني ذي النون في حصن « بقيره » فخرج لغزوته مبكراً عن عادة تحرك الصائفة ، وغادر قرطبة على رأس جيشـــه الكبير في يوم الخميس ٣ ذي الحجة ٣١٢ هـ ، الموافق ١٢ شباط ـ فبراير ٩٢٤م ، وأقام معسكره قريباً من قرطبة وانصرف الى اعادة تنظيم القوات واعدادها للمعركة ، وبعد ٤٣ يوماً من الاستعداد، وفي يوم ١٦ محرم – ٢٧ نيسان – ابريل ، غادر الجيش الكبير منطقـة الحشد في قرطبة وتوجه الى « بالش »[1] حيث توقف فيها يومين .

اكتشف الامير عبد الرحمن الناصر تهاوناً في الاستعداد القتالي وقصوراً في الحماسة ، وأفاد من توقفه في « بالش » لمعالجة هذه الظواهر [.. وتوجيه اللوم

---

(١) بالش ، ابن عذارى ٢/٢٧٨ ، وفي المغرب ونفح الطيب « بليش » Velez-Malaga ، قريباً من مالاقا على البحر الأبيض المتوسط . اشتهرت بثمارها وتينها بصورة خاصة .

الى المجاهدين معه من أجناده ورعيته والمحشورين من أقطار كوره ..]

– لم يكن باستطاعة الناصر الانطلاق الى الشمال وتركيز الجهد على العدو الخارجي ، قبل تطهير الداخل من العصاة والمتمردين ومنهم في تدمير وبلنسيه عبد الرحمن بن وضاح ويعقوب بن أبي خالد التوبري ، وعامر بن أبي جوشن وأمثالهم . فتوجه الناصر بجيشه الى كورة تدمير وانطلق منها الى كورةبلنسيه، فاستنزل العصاة منمعاقلهم ولم يمتنع عليه سوى – محمد بنعبد الرحمنابنالشيخ – الذي أصر على عناده وأظهر تصميمه على الاستمرار في التمرد ، فترك الأمير عبد الرحمن الناصر قوة لحصاره ، وانطلق بجيشه الى « ثغر تطيله » فانضم اليه جيش الثغور والتجيبيون وجميعهم في أكمل استعداد قتالي ، فتكون لديه جيش [كعدد الحصى ..]

– كان حصن « قلقره – أو – ركله » أول حصون دولة نافار ، فتقدم اليه المسلمون فوجدوا أن « سانشو – شانجه » قد أمر باخلائه ، فاحتله المسلمون وأمر الناصر بتدميره واحراق جميع ما فيه ، ثم انتقل منه الى حصن « بيتر – ألبه » وكانت حوله مجموعة من الحصون والقلاع ، فأخلاها جيش نافار ، ويظهر أن حركة الجلاء عن القلاع والحصون قد تمت بسرعة حتى أن الحاميات تركت في السهول جميع المتاع والطعام ففنم المسلمون ذلك كله ، وكان سكان السهول قد جمعوا أهلهم ، وانضم اليهم بعض الجند والتجأوا الى بعض المناطق الصعبة التي تتوفر فيها ينابيع المياه ، فتابع المسلمون تقدمهم حتى النهر – ابره – واشتبكوا مع الجند ، وأرغموهم على القتال ثم قام بعض المقاتلين بحركات التفاف حتى سيطروا على المرتفعات المحيطة بمواقع الجند ، وعملوا على ابادتهم [وسبوا النراري وغنموا الأمتعة،وهدموا الحصون التي كانت في تلك الجهة، ولم يبق منها صخرة قائمة ..] [1]

....

(١) ابن عذارى ٢/٢٧٧ - ٢٨٠ .

– توقف جيش قرطبة في هذه المنطقة – الفيران – يوماً واحداً ، وانتقلوا منه الى حصن « فالجش » حيث أضرموا – أرباضه ناراً – واستقصيت زروعه ونعمه انتسافاً وتغييراً ، وبعد أن تم انجاز عمليات التدمير ،انتقل جيش قرطبه الى حصن بقاليه ، وهو من الحصون المنيعة ،فتكررت عمليات التدمير والاحراق ذاتها بعد الاستيلاء على المواد التموينية التي تركها جيش نافار – سليمة – وتابع الجيش تقدمه الى حصن « قرقستال » على نهر أراغون .

– وضع الناصر مخططه للوصول الى بنبلونه عاصمة « نافار » وكان لزاماً عليه أن يعبر في تقدمه « فج المركوير – أو مضيق المركوير » بين السلاسل الجبلية الشاهقة ، والانتقال بعد ذلك الى وادي « هيفه » الضيق ، حتى الوصول الى بنبلونه ولم يكن هناك محور عمليات تبادلي يمكن اتباعه ..

– أعاد الناصر تنظيم قواته ، للتقدم في المناطق الجبلية ، ودعم المقدمة والمؤخرة والمجنبات بقوات الفرسان **[.. فأخذ في الحزم ، وعهد بضبط مجنبات العسكر ، وتقدم من فج المركوير في أتم تعبية ، وأهذب ترتيب ،وتقدم الجيش لحرق ما يصادفه ويدمر الحصون والمساكن حتى وصل قرية بشكونسه والتي ينسب اليها ملك نافار ، فهدمت مبانيها ، وأحرقت ..]**

– كان ملك نافار « سانشو – شانجه » قد حشد قواته في المرتفعات الجبلية الشاهقة وأخذ يتابع تقدم جيش قرطبة ، ويستطلع تنظيمه للعثور على ثغرة يمكن توجيه ضربة من خلالها .

[.. جمع العلج شانجه – كفرته – واستمد بنصرانيته من كل مكان طمع أن يغاث منه حتى توافى له جمع رجا أن يكافح المسلمين به ..]

– وكان الأمير عبد الرحمن الناصر يتابع تحركات فرسان خصمه على قمم الجبال ، فاتخذ الاجراءات الضرورية لتجنب وقوع أي مباغتة ، ودفع عناصر الاستطلاع في كل اتجاه ، واتخذ تدابير الأمن ، وأمر القادة بالحذر واليقظة ، ثم

استأنف تقدمه منذ الصباح المبكر عبر الوديان السحيقة وبين الجبال الشاهقة ، وعندما وصلت قوات المسلمين الى المضيق الصعب في وادي «هيفه» أخذ فرسان - جيش شانجه - في الهبوط من الجبال لاعاقة تقدم المسلمين ، وحدثت اشتباكات بسيطة فأمر الناصر بالاستعداد للهجوم ، وانطلق المسلمون في هجومهم ، وعبروا النهر اليهم ولم تتمكن الحامية المدافعة عن المضيق الصمود لثقل هجوم المسلمين ، فتراجعوا عن مواقعهم [**واقتلعوهم عن موضعهم ووضعوا سيوفهم ورماحهم حتى اضطروهم إلى مرتقى وعر وجبل منقطع . فتقحم المسلمون عليهم . وبسطت الأرض باجسادهم . واستمرت الخيل المغيره في بسيطهم فاصابت الغنائم والدوائم وضروب النعم ، وانصرفوا سالمين لم يصب منهم غير يعقوب بن ابي خالد التوبري ، ونفر قليل ..**] .

- لم يبق أمام جيش قرطبة ما يعيق انطلاقته بسرعة فتوجه الى « محلة لنبيره » ومنها الى « لفين » ثم الى بنبلونه ، والجيوش لا تمر بموضع إلا دمرته ، ولا بمزارع إلا أحرقتها ولا بقرى إلا هدمتها ، وأزيلت المواقع المحصنة .

- عندما وصل جيش قرطبة الى « بنبلونه » كان أهلها قد غادروها ، كما كانت الحامية المدافعة عنها قد غادرتها ، فدخلها الأمير عبد الرحمن الثالث ، وأمر بتدميرها وتخريب مبانيها ..

- كان ملك نافار « سانشو - شانجه » قد شيد « في صخرة قيس » كنيسة كبيرة ، وبذل كثيراً من تأنيقها ، وحصن المدينة تحصيناً كبيراً ، كما عمل سانشو ، على حشد قوات كبيرة في الجبال والمرتفعات المشرفة على صخرة قيس ونظم جيشه للدفاع عنها ..

بعد انهاء عمليات التدمير في بنبلونه وجه الناصر جيشه نحو « صخرة قيس » فاقتحمها ، وأخذ الجند في تدمير المدينة وتخريبها ، فقاد « سانشو » جيشه للدفاع عن المدينة وتصدت له قوات المسلمين وبعد معركة قصيرة وحاسمة حقق

المسلمون أنتصارهم .. [**وفي لحظة طرف اقتلع ـ المسلمون ـ جيش ـ نافار ـ وصرعوا من فرسانه ووجوه اصحابه من كان عن « سانشو » محامياً ودونه مستهلكاً ،واخربت الكنيسة وما احيط بها ، وعادت القرية ناراً لاهبة ..**].

– انتقل جيش قرطبه الى « محلة اساريه » عبر فج ضيق يسمى « فج هرقلة » واراد جيش « نافار » اغتنام فرصة مرور الجيش بمناطق شديدةالوعورة لتوجيه ضربة اليه .. [**... فأمر الناصر بالتعبئة والاحتراس ونهض على اتم التحفظ والضبط حتى جاوزت العساكر ذلك المضيق وخرجت منه ..**]

واستندت قوات جيش نافار الى الجبال لحماية مؤخراتها وانطلقت في هجوم مباغت لضرب مؤخرة جيش المسلمين فتصدت قوة الفرسان لهجوم جيش نافار والحقت به هزيمة منكرة وكبدته خسائر فادحة ،وارغمته على الفرار .. ثم تابع الجيش مسيرته في اتجاه العودة على محور أساربر – مينير – ذي شره – وهي قلاع صغيرة ، ثم وصل الى « شنت ـ اشتيبين » ، حيث كان ملك نافار قد جعلها مستقراً له ، وموضعاً يلجأ اليها للراحة ، وأمر الناصر بتدميرها ..

كان ملك نافار ـ أثناء هذه العمليات ـ يتابع تنظيم قواته ، وطلب الدعم من ألبه ، والقلاع ، فوصلته قوات الدعم ، وقام بتنظيم هجوم على جيش المسلمين عند الوصول الى « شنت ـ اشتيبين » فتصدى لهم جيش المسلمين ودارت معارك قاسية كانت روح المسلمين فيها عالية جداً بسبب ما حققوه من انتصارات متلاحقة وما ألحقوه بمملكة نافار من تخريب وتدمير ، فاستطاع جيش المسلمين الحاق الهزيمة بجيش « سانشو » وأرغموهم على الفرار الى مرتفعات الجبال [**فتفرقوا في الأرض الكثيرة الشجر وذات الغابات المتصلة**] واستمر فرسان جيش قرطبة في مطاردة خصومهم .

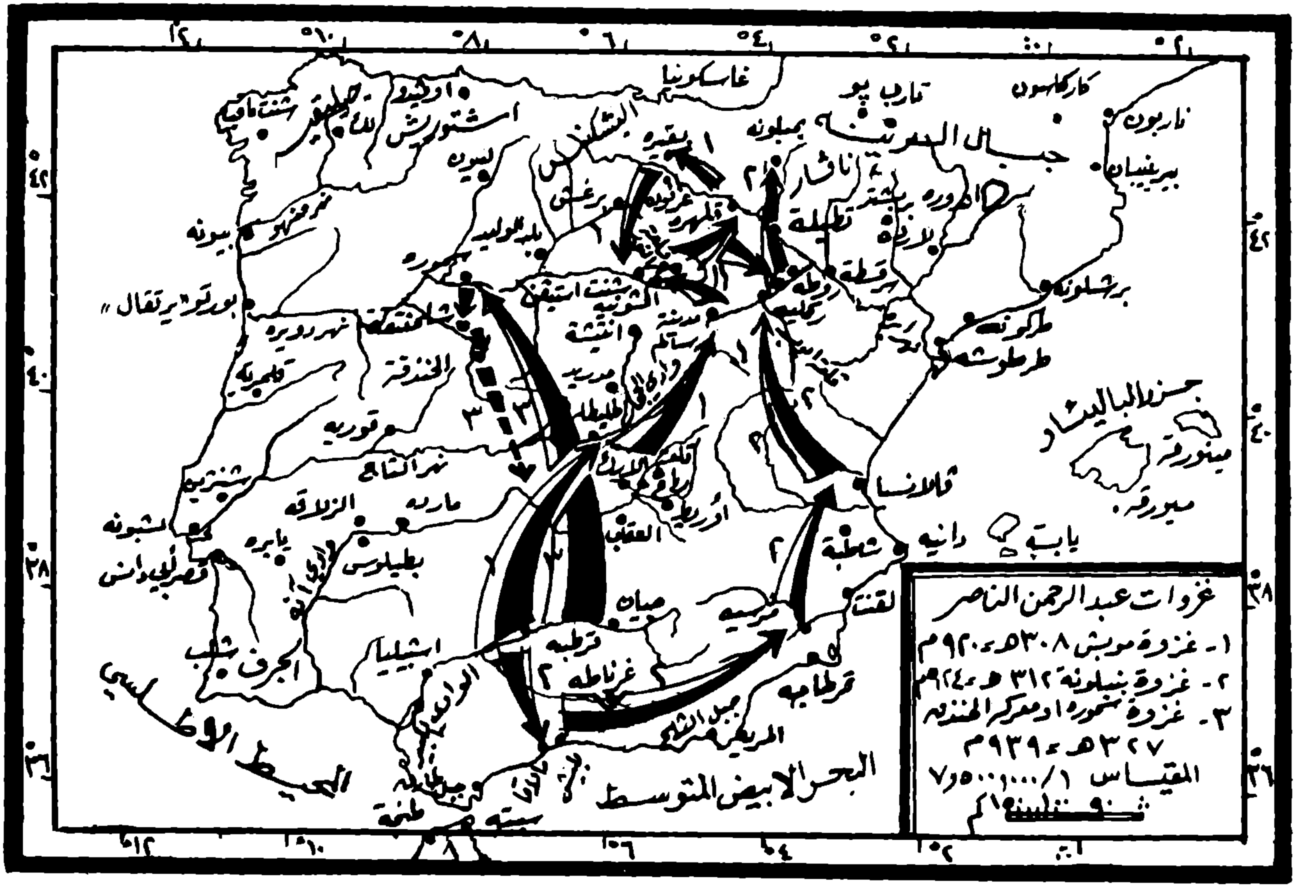
– انتقل الناصر بعد ذلك الى « رابية سريه » في طريقه الى « قلهره » ،

فتصدى سانشو بجيشه لجيش المسلمين ـ مرة ثانية ـ مستفيداً من سيطرته على المرتفعات فأسرعت بجموعات الفرسان الى السباق نحو تسلق المرتفعات وأمكن تدمير بعض قوات جيش نافار وارغامه على الانسحاب .

– وصل جيش قرطبة الى قلهره ، وكانت الحامية المدافعة عنه قد انسحبت فأمر الناصر بهدمه وانتقل منه الى حصن « بلتيريه » وهو من حصون المسلمين المجاورة لحصون ـ المشركين ـ فمهد بادخار الأطعمة عندهم ، وتفريق الأموال فيهم واحتل بمدينة تطيله وأقام بها يوماً واحداً .

– كان لهذه الانتصارات صداها في الاندلس ، وعند مرور الناصر في طريق عودته على بني ذي النون ، استسلموا اليه ، وكان من بينهم يحيى بن موسى ، ويحيى بن أبي الفتح ، وعندما دخل الناصر قرطبة كان قد مضى على غيابه عنها أربعة أشهر ، مرت كلها في مسير متصل ومعارك متلاحقة ، وكان النجاح حليفاً لهذه العمليات كلها بحيث لم تتكبد القوات خسائر تذكر وكان عدد الحصون التي تم فتحها في هذه الغزوة ثلاثون حصناً .

***



غزوات عبد الرحمن الناصر
١- غزوة موبش ٣٠٨هـ - ٩٢٠م
٢- غزوة بنبلونة ٣١٢هـ - ٩٢٤م
٣- غزوة سمورة ومعركة الخندق
٣٢٧هـ - ٩٣٩م
المقياس ١/ ٧٥٠٠٠٠٠
البحر الأبيض المتوسط
المحيط الأطلسي
غاسكونيا
جبال البرتات
جزر البليار
ميورقة
منورقة
يابسة
دانية
شاطبة
لقنت
مرسية
قرطاجنة
المرية
جبل الشلير
غرناطة
قرطبة
اشبيلية
بطليوس
ماردة
الزلاقة
يابرة
لشبونة
طليطلة
الخندق
قورية
نهر التاجه
بنبلونة
برشلونة
طرطوشة
سرقسطة
تطيلة
ناربون
كاركاسون

٣ – معركة الخندق « غزاة القدرة »

٣٢٧ هـ – صيف ٩٣٩ م [١]

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١	٢٩٥–٣٢٢	٩٠٧–٩٣٣	خلافة المقتدر بالله العباسي في بغداد .
٢	٣٠٠–٣٥٠	٩١٢–٩٦١	خلافة عبد الرحمن ـ الناصر ـ « الثالث » .
٣	٣١٣	٩٢٥	وفاة اردونيو الثاني ملك ليون وخلافة أخيه فرويلا .
٤	٣١٤	٩٢٦	وفاة فرويلا ، والنزاع حول العرش بين ولدي اردونيو : سانشو[٢] والفونسو ، ثم استمرار الصراع طوال أعوام حتى وفاة سانشو وتجدد الصراع بعد ذلك بين الفونسو وأخيه راميرو ، وهو الصراع الذي انتهى بانتصار راميرو الذي جلس على العرش في مملكة ليون باسم « راميرو الثاني » عام ٣٢١ هـ -- ٩٣٢ م .
٥	ربيع٢–٣١٨	مايس ٩٣٠	تمردت طليطلة ، فوجه الناصر وفداً من العلماء لاقناع زعمائها بالعدول عن الثورة ، وعندما فشلت المحاولات السلمية وجه الناصر جيشاً لاخضاع طليطله الثائرة ..

(١) نفح الطيب ١ – ٣٦٣ .

(٢) سانشو أو شانجه Sancho .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٦	٣٢٠	صائفة ٩٣٢	معاودة غزو طليطلة ، وقد توجه روميرو بجيشه لدعم ثوار طليطلة وتجاوز مدريد فتصدت له قوات المسلمين شمال طليطلة وأحبطت هجومه ، ووجد أهل طليطلة أنفسهم أمام موقف خطر بعد أن فقدوا كل أمل في الدعم الخارجي فاستسلموا ودخل عبد الرحمن طليطلة ظافراً .
٧	٣٢١	٩٣٣	توجه « راميرو الثاني » الى وخشمه [١] واحتلها وأبعد المسلمين عنها .
٨	٣٢٢	٩٣٤	قاد الخليفة عبد الرحمن الصائفة لاخضاع وخشمه ـ او سمه ـ فتركها أهلها واعتصموا بالجبال وحاول عبد الرحمن دفع خصمه « راميرو الثاني » على ترك مواقعه الجبلية والدخول معه في معركة حاسمة ولكن راميرو تجنب الصدام مع جيش قرطبة .

(١) وخشمه Osma .

٣ – معركة الخندق « غزاة القدرة »

أ – الوضع العـــام :

افاد الخليفة عبد الرحمن الناصر من الحرب الأهلية في مملكة ليون خلال الفترة بين عام ٣١٣ – ٣٢٠ هـ = ٩٢٥ – ٩٣٢ م وذلك التركيز الجهد على البناء الداخلي وقمع الثورات المضاده ، مع العمل في الوقت ذاته على تأمين الجبهة الجنوبية وذلك بالقضاء على الدعوة الفاطميه في المغرب الأقصى. وعندما انتهى الأمر في مملكة ليون الى « راميرو الثاني » بدأت مرحلة صراع جديد في الشمال ، فقد عرف عن راميرو الشجاعه والعناد والتصميم على مناهضة المسلمين . فأخذ في اذكاء عوامل الفتنة الداخليه والافاده من التناقضات لاستنزاف قوة المسلمين في الاندلس مع العمل في الوقت ذاته على تنظيم الاعمال الهجوميه في محاولة لانتزاع بعض الاقاليم الشماليه وتدمير ثغور المسلمين .

– وكانت مملكة نافار .. بلاد البشكنش قد التزمت بالهدوء وعدم الاعتداء على حدود المسلمين خلال الفتره الأولى التي اعقبت وفاة سانشو ملك نافار وقيام أرملته «تيودا » التي تذكرها المصادر الاسلاميه باسم «طوطه»[1] وصيه على ابنها غرسيه « أو جارسيا » – ولكن تيودا لم تلبث ان بدأت في محارسه الاعمال العدوانيه ضد ثغور المسلمين وذلك في عام ٣٢٦ هـ – ٩٣٧ م .

كان عبدالرحمن الناصر يتبع سياسة حازمة وقوية في اخضاع حكام الأقاليم ويعمل على تحطيم « مراكز القوى» بعد ان اثبتت هذه المراكز انها مصدر تهديد دائم لوحدة الدولة ، فخاف حكام الأقاليم التقليديين من زوال سلطتهم ونفوذهم فتظاهر بعضهم بالخضوع والاستسلام بينمـــا اعلن بعض حكام الشمال استقلالهم مستفيدين من قوة مواقعهم وتحصيناتهم ومن قربهم الى

....

(١) طوطة Teoda ، وفي تاريخ بروفنسال ٧٣/٢ : Toda .

بلاد الافرنج ، مما يسمح لهم بالتعاون مع المماليك والامارات النصرانية واللجوء اليها عند الضرورة ـ .

ـ كان يحكم سرقسطه محمد بن هشام التجيبي ، كما كان يحكم قلعة أيوب مطرف بن مندف التجيبي وكلهم من بني هاشم ، وعندما اندلعت نيران الحرب بين « راميرو الثاني » وعبدالرحمن الناصر ، تم عقد اتفاق سري بين راميرو الثاني وبين التجيبيين ـ على اساس اعتراف حاكم سرقسطه محمد بن هشام التجيبي بالولاء لحاكم ليون مقابل دعم هذا لاستقلال سرقسطه وظهرت آثار هذا التحالف عام ٣٢٣ هـ ـ ٩٣٤ م حينما كان عبد الرحمن الناصر يزحف بقواته لتدمير مملكة ليون حيث اعلن بنو هاشم تمردهم ضد قرطبه ودعمهم للملك ليون « راميرو » وحالوا التأثير على حكام بعض الحصون الشمالية لكن هؤلاء رفضوا خيانة قومهم فوجه راميرو الثاني جيشاً لدعم محمد بن هشام التجيبي ونجح جيش ليون وقوات التجيبيين في الاستيلاء على بعض المواقع والحصون وضمها الى سرقسطه ثم تطور هذا الحلف عندما انضمت اليه « طوطه » ملكة نافار « البشكنش » وهكذا توحد الشمال كله ضد قرطبة وكان تحالفاً قوياً يشكل خطورة كبرى ضد الخليفة عبد الرحمن الثالث .

٢ ـ الوضع الخاص :

لم تقف قرطبه موقف المتفرج من تطور احداث الشمال ، فأسرع الخليفة عبد الرحمن الثالث نحو الشمال يقود جيشاً كبيراً في عام ٣٢٦ هـ ـ ربيع عام ٩٣٧ م ، وبدأ الخليفة عبد الرحمن عملياته بحصار قلعة ايوب التي تصمد طويلا للحصار ، فاقتحمها جيش قرطبه ، واعدم الخليفة عبد الرحمن قائد القلعة « مطرف بن مندف التجيبي » وقتل معه قادة قوات الدعم التي ارسلها راميرو الثاني لمساعدة مطرف ، وتابع جيش قرطبه تقدمه حتى وصل اقليم البا « ألفا » واقتحم مجموعة من القلاع والتحصينات ثم وصل الجيش الى سرقسطة

وترك قوة لحصارها بقيادة قريبه قائد الفرسان « احمد بن اسحاق » وعينه حاكماً للثغر .

ـ كان احمد بن اسحاق وزيراً لعبد الرحمن وكان له اتصالات مع الفاطميين في عدوة المغرب للتآمر معهم ضد حكومة قرطبه ، وعندما عينه الخليفه حاكماً للثغور وسرقسطه وجد احمد بن اسحاق الفرصة مناسبة لمتابعة تآمره ، فأظهر تهاوناً في الحصار ، وشعر الخليفة عبد الرحمن بموقفه ثم وقف على جلية أمره ، فأصدر اوامره باعدامه ، وعلم أمية بن اسحاق باعدام اخيه احمد فتابع ثورته في «شنترين » ، « سنتاريم » في غرب الاندلس ، ولكن احد القادة من انصار الخليفة تصدى لمقاومة التمرد ، وأرغم امية بن اسحاق على الفرار فالتجأ الى « راميرو الثاني » .

ـ تابع جيش قرطبة حصاره لسرقسطه ،وأخذت القلاع والحصون تتساقط تباعاً في قبضة جند قرطبة ثم سقطت سرقسطه وأسر فيها محمد بن هشام التجيبي ، كما سقطتأمنع حصون الثغور وأقواها وهو حصن « روطه» وأسر فيه يحيى التجيبي ، وبذلك انهارت ثورة التجيبيين ، وتقدم محمد التجيبي من الناصر بطلب العفو فعفى عنه وأعاده الى منصبه حاكماً لسرقسطه فاستمال اليه « بنو هاشم » وأمن عصبيتهم .

ـ في الوقت الذي كان فيه جند قرطبة يخضعون تمرد سرقسطه ، كان جيش عبد الرحمن الناصر يتابع عملياته في نافار ، ووصل الى عاصمة الاقليم « بنبلونه» مدمراً في طريقه كل الحصون والحاميات المدافعة عنها ، وتمزق جيش البشكنش ووجدت « طوطه » انها عاجزة عن الاستمرار في المقاومة ، فقررت الاستسلام للخليفة الناصر ، وتقدمت اليه بطلب الخضوع والطاعة، فقبل الناصر طلبها وأقر ولدها « غرسيه ـ جارسيا » ملكاً على نافار .

كان من نتيجه سياسة الناصر الداخليه،ظهور طبقة من«الانتهازيين» امثال نجدة الحيري واصحابه – ممن ترك لهم الناصر المجال لتقلد الامور في الدوله

والجيش لضرب زعماء العرب واخضاع اصحاب العصبيه . وتغلب اصحاب الولاء الشخصي على اصحاب النفوذ المتوارث . وكان لذلك اثره في مسيرة الاحداث التاليه[1].

٣ – مسيرة العمليات :

بعد نجاح الخليفة عبدالرحمن الناصر في تمزيق شمل التحالف الثلاثي : ليون – نافار – التجيبيين – واخضاع شمال شرق الاندلس لسيطرته ، لم يبق أمامه سوى شمال – غرب الاندلس حيث خصمه العنيد « راميرو الثاني » ملك ليون ، فأخذ في الاستعداد وحشد القوات للمعركة الحاسمة ونظم جيشاً وصلت قوته حتى مائة الف مقاتل ..

– لكن هذا الجيش على كبره ، وقوته الخارجية ، كان مفكك الأوصال في الداخل ، فقد استولى العجب على الناصر ، فاستمد بغير الكفاة وأغاظ الأحرار باقامة الانذال .. والجأ اكابر الاجناد ووجوه القواد والوزراء من العرب وغيرهم الى الخضوع له والوقوف عند أمره ونهيه ..] ..

وعندما انهى الناصر استعداده انطلق من قرطبة في احتفال كبير ، فسميت الغزوة هذه « بغزاة القدره » لاحتفاله فيها وعظيم مشهدها[2] ، واسند قيادة الجيش الى نجدة الصقلبي .

– كانت سموره[3] هي القاعدة المتقدمة لدولة ليون ، وهي من أقوى الثغور تحصيناً ، وقد أحيطت بسبعة أسوار وبين الأسوار خنادق واسعة وعميقة تغمرها المياه ، وكانت بها حامية قوية للدفاع عنها ، ولهذا جعل الناصر هدفه الأول الاستيلاء على « سموره » ..

---

(١) ابن الأثير ٦/٢٧١ احداث سنة ٣٢٧ ، نفح الطيب ١/٣٥٤ – ٣٥٥ ابن خلدون ٤/١٤٠ – ١٤٢ . تاريخ المسلمين في الأندلس ، دوزي /١٤٨ .
(٢) أخبار مجموعة ١٥٥ .
(٣) سمورة Zamora .

– وصل جيش قرطبة الى هدفه الأول ، وأحاط المسلمون بالمدينة ونجحوا في اقتحام السور الأول والثاني ، وخفت حدة هجوم المسلمين ، وحانت الفرصة المناسبة أمام القادة الذين تنقصهم الحماسة ، فعمدوا الى الاسترخاء والتهاون في متابعة دفع الهجوم .

– أفادت الحامية المدافعة عن المدينة من هذه الفرصة فنظموا هجوماً مضاداً قوياً أمكن لهم بواسطته تحطيم قوة الهجوم ، وانزال الاضطراب بالتنظيم القتالي المسلمين . فبدأت الهزيمة . وأفاد منها راميرو فتحول انسحاب المسلمين إلى هزيمة منكرة .. وكان ذلك في شوال ٣٢٧ هـ – تموز – يوليه ٩٣٩ م .

– توقف الناصر عند شلمنقه[1] وحاول اعادة تنظيم قواته مرة أخرى عند شاطىء نهر دويره . ولكن جيش نافار – البشكنش – بقيادة طوطه وجيش ليون بقيادة « راميرو الثاني » لم يتركا الفرصة الكافية ودارت معركة ثانية في يوم ٥ آب – اغسطس ٩٣٩ م .. وهنا .. (**تواطأ أهل الحفاظ من رجال – جيش عبد الرحمن – ووجوه اجناده على ما كان من انهزامهم**) وانسحب جيش عبد الرحمن مرة أخرى ، وبدأت قوات الشمال أعمال المطاردة ووصل المسلمون الى « الانديجا – أو – الخندق جنوب سلمنقه . وحاول المسلمون تنظيم صفوفهم والانطلاق بهجوم جديد ، ولكن هذا الهجوم لم ينجح ، ولم يتمكن المسلمون من مجابهة قوة صدمة جيش الشمال ، الذي أخذ في تطوير عملياته حتى تحول انسحاب المسلمين الى هزيمة وتحول تقدم جيش الشمال الى مطاردة [.. **بحيث لم يكد ينج منهم الا قوم جمعوا اصحابهم على ألويتهم وتخلصوا من القتال وانسحبوا الى بلدانهم** ..] وخلال هذه العمليات من

---

(١) شلمنقة ، أو ، سلمنقة Salamanca على نهر دويرة .
(٢) الخندق Al Handeca « جنوب شرق شلمنقة وعلى نهر دويرة أيضاً » .

المطاردة قتـــل قائد الجيش « نجدة الصقلبي »[1] وأسر محمـد بن هشام حاكم سرقسطه الذي كان يقاتل الى جانب الناصر وحمل الى ليون ، كما أصيب الخليفة عبد الرحمن بجراح ، فولى شطر قرطبة في ثلة من الفرسان ، ولم ينج من الأسر ، إلا بأعجوبة ..

– حاول راميرو الثاني الاستمرار في المطاردة حتى الوصول الى قرطبـة ، ولكن الدم العربي ثار في قلب « أمية بن اسحاق » فنجـح في خداع « راميرو » وحـــذره من احتمال وجود كمائن في الطريق ورغبه بما حصل لديه من غنائم فتوقفت عملية المطاردة ، ثم ان اميـة بن اسحاق استأمن الناصر « فأمنه وعفا عنه وأكرمه » وعمل الناصر بعد ذلك على افتداء محمد بن هشام حاكم سرقسطه ، فأفرج عنه ملك ليون بعد أن لبث في السجن ثلاثة أعوام تقريباً ..

---

(١) كانت كلمة الصقالبة في الاندلس تعني جميـع الأسرى والخصيان من الأجناس الصقلبية، السلافية ، الجابقية ، ثم أصبحت تطلق على جميـع الأجانب الذين يضمهم القصر ، من جلالقـة وألمان وفرنسيين ولومبارديين وايطاليين ، وكان معظمهم يحملون صغاراً بواسطة «خوارج البحر» القرصان ، وتجار الرقيق . وكانوا يختارون من الجنسين ويربون منذ الحداثة تربية عربية حسنـة ويلقنون مبادىء الاسلام وقد نبـغ بعضهم في النثر والنظم وألفوا الكتب والقصائد ثم تعاظـم نفوذ الصقالبـة في عهد الناصر لسيطرتهم على شؤون الادارة والحكم والقصر ، وصارت اليهـم المناصب الكبرى في الدولة والجيش . وتزايدت أعدادهم ، وامتلكوا الضياع وأصبح لديهـم أموال ضخمة . وكان الناصر يدعم سلطانهم ونفوذهم ويرغم زعماء العرب وأشرافهم على الخضوع لهم ، فكان منهم قائد الجيش نجدة الصقلبي وصاحب الخيل ، قائد سلاح الفرسان - أفلح ، كما كان منهم صاحب الشرطة « ودري » بالاضافة إلى ياسر وتمام صاحبا النظر في الشؤون الخاصة . وهذا ما أضعف الروح المعنوية للجيش وساعد على التمزق الداخلي ، وفقد الحماسة للقتال فكانت كارثة الخندق - الانديجا - .

البيان المغرب ٢/١٢٣ ، نفح الطيب ١/٣٦٣ . أخبار مجموعة ١٥٥ ، دولة الاسلام في الاندلس/ عنان/ ١٠٥ – ١٠٦ وتاريخ المسلمين ، دوزي .
Histoire des Musulmans de l'Espagne Dozi. Paris 1932. II p. 153.

٤ً – نتائج المعركة :

١ – تمزق جيش المسلمين ، وسقط في المعركة الاولى عند حصون سموره اربعين ألف مقاتل ، وتذكر بعض المصادر ان الخسارة وصلت الى خمسين الف قتيل . كما استمرت الخسارة خلال المعارك التالية ، وتذكر بعض المصادر انه لولا نصيحة امية بن اسحاق لايقاف المطاردة لكان الفناء التام مصير الجيش الاسلامي في هذه المعركة .

٢ – كان وقع الهزيمة كبيراً في العالم القديم كله ، وبصورة خاصة في اوربا فقد استقبلت اوربا اخبار الهزيمة بفرحة كبرى وهناك بعض المؤرخين الذين يعتبرون معركة الخندق هي بداية مرحلة الغزو المضاد [١] . في حين يجعل بعض المؤرخين ، فتح طليطلة ٤٧٨ هـ – ١٠٨٥ م ، هو بداية الغزو المضاد ..

٣ – اما على الصعيد المحلي ، فان هذه الهزيمة لم تغير كثيراً من واقع دولة قرطبة ، فقد اسرع الناصر لاعادة تنظيم قواته ، وتطهير جيشه من عوامل الضعف واعاد الثقة الى الاكفاء من قادته ، واعتمد على اهل الخبرة ممن لديهم كفاءة قيادية ، وعلى الرغم من توقف عبد الرحمن عن الغزو بنفسه ، الا أنه تابع ارسال البعوث والغزوات ، فوجه في عام ٣٢٩ هـ – ٩٤١ م ، ولما يمض على كارثة الخندق اكثر من عامين قوة كبيرة استطاعت ان تقتحم حدود مملكة ليون وتعمل فيها تدميراً وتخريباً .

٤ – وفي الوقت ذاته عمل الناصر على زيادة الكفاءة القتالية لحاميات الحدود ، فحصن مدينة سالم « مدينا سالي » وأقام بها حامية قوية للدفاع عنها وجهزها بكل ما هو ضروري للدفاع وكذلك فعل بالنسبة لبقية المراكز الدفاعية المتقدمة – الثغور – .

---

(١) الغزو المضاد أو سياسة الاسترداد ترجمة للاصطلاح الاندلسي : La. Recconquista

الردع في عهد « الحكم المستنصر »

٣٥٠ - ٣٦٦ هـ = ٩٦١ - ٩٧٦ م

١ - الوضع العام :

توفي عبد الرحمن الناصر ، وترك دولة وطيدة الاركان ثابتة البنيان ، فقد استطاع خلال فترة حكمه أن يضع الأسس الثابتة لدولة الامويين في الاندلس حتى وصلت في عهده الى ذروة مجدها ورفعتها ، ونجح الناصر في القضاء على ثورات المولدين وتمرد العرب والمستعربين ، وألزم دول الشمال بالتوقف عن الاعمال العدوانية فعادت الاندلس الاسلامية الى مثل ما كانت عليه أيام الفتح الأولى ، وعاشت الاندلس في حياة الناصر أيام سلم واستقرار وأمن لم تعهدها من قبل. وعندما تولى الحكم المستنصر الخلافة عام ٣٥٠ هـ ، سار على خطوات أبيه ، واتبع طريقته في الحكم والقيادة .

—*—

أ - الموقف في دول الشمال :

كان الناصر قد أعان سانشو الأول - شانجه بن أردونيو الثالث بالمال والجند من أجل استرجاع عرشه وذلك قبيل وفاته بفترة قصيرة ، وهرب ابن عمه ومنافسه أردونيو الرابع الى برغش في عام ٣٤٩ هـ - ٩٦٠ م ، وكانت شروط الناصر مقابل هذا الدعم تتلخص في التزام « سانشو » بهدم القلاع والحصون المتاخمة لحدود المسلمين وتسليم بعضها الآخر اليهم ، وعندما توفي الناصر نكث سانشو العهد ورفض تنفيذ مواعيده .

- كانت قشتاله تابعة لمملكة ليون ، واقليماً من أقاليمها ، وخلال هذه الفترة ظهر في قشتاله زعيم قوي ، طمح في الاستقلال بإقليمه ، والتفت حوله العناصر المتطرفة والمناوئة لسياسة سانشو في التقارب مع دولة قرطبة ، ولم يلبث هذا الزعيم « فرنان كونثالث » حتى أعلن عن استقلاله ، وانطلق في اغاراته على

الثغور والأقاليم المتاخمة لحدود قشتاله . ويظهر أن هـــذه الحركة لم تكن إلا تعبيراً عن الصراع الداخلي بين انصار الهدنة مع دولة قرطبة الاسلامية وبـين أنصار الكفاح المسلح المستمر ضدها .

– أفاد ازدونيو الرابع من هذا الموقف فلجأ الى الحكم المستنصر بهـــدف الحصول على الدعم لاسترداد سلطته والحصول على تأيـيـده في العودة الى عرشه ضـــد ابن عمه « سانشو الأول » « شانجه » ملك ليون ، واستقبلت قرطبة « اردونيو الرابع » استقبالاً رائعـاً ترددت أصداؤه في قلب العاصمـة ليون ، فأسرع سانشو الى ارسال وفد بهدف التقرب من الخليفة الحكم المستنصر، وضم هذا الوفد مجموعة من القسس وذوي السلطة في مملكة ليون . وقد وعد سانشو بتنفيذ ما كان قد قطعه من وعود للخليفة الراحل – الناصر – مـع الاعتراف بالولاء للحكم المستنصر وتجديد العهود والمواثيق ..

– كانت هذه الظواهر السلمية ، تخفي وراءهـا النوايا العدوانية ، ولم تكن هذه النوايا غريبة على قرطبة أو مجهولة بالنسبة لهـا وهي التي تمرست بالصراع الدائم مع دول الشمال، وقد تأكدت هذه النوايا العدوانية بدليل استمرار أعمال « الاستفزاز على الحدود » وهذا ما دفع الحكم المستنصر على اتخاذ تدابير الحذر، واعلان حالة الطوارىء في البلاد وتوجيـه حملات الصوائف باستمرار لمتابعـة « أعمال الردع » . .

في عام ٣٥٦ هـ – ٩٦٦ م توفي « سانشو » ملك ليون مسموماً، وخلفه ولده الطفل « راميرو الثالث » بوصاية عمته الراهبه « البيره »[١] فتجـــدد الصراع الداخلي ووقع التمزق في مملكة ليون، وأعلن عدد من الزعماء تمردهم واستقلالهم .

وفي عام ٣٦٠ هـ – ٩٧٠ م توفي « فرنان ـ كونثالث » ملك قشتاله ، وخلفه

....

(١) البيرة ، أو ، حلويرة : Elvira وصية على راميرو الثالث ، أو ، ردمير بن شانجـــة Ramiro III ملك جيليقية « ليون » .

ابنه غرسيه فرناندز ، وتولى عرش نافار سانشو غرسيه الثاني بعد وفاة أبيه غرسيه فرناندز[1] ، واستمر على سياسة أبيه ولكنه عندما ظن أن الفرصة مواتية للغدر بدولة قرطبة ، بسبب انشغالها في حرب الشيعة في المغرب ، قام بعدوان على الحدود ، ووضع مخطط العدوان بدقة فأوفد إلى قرطبة « وفداً » للصداقة وجعل توقيت بداية العدوان مع مغادرة وفده لقرطبة بحيث يستطيع تحقيق المباغتة ، وقد وصل هذا الوفد فعلاً وأجري له استقبال حافل ، وتقدم رئيس الوفد من الخليفة الحكم بطلب السلم والمهادنة، فأجابهم الحكم إلى ماطلبوا، وما كادوا ينصرفون من قرطبة حتى جاءت الأنباء بوقوع عدوان على الحدود بقيادة غرسيه فرناندز ، فأسرع الحكم بارسال مندوب عنه لاستدعاء الوفد ، فأبوا عليه ، وهموا بقتله ، فرجع المندوب وأخبر الحكم ، الذي أرسل عندها « أفلح » الوكيل في دار الخيل ومعه سرية من وجوه الجند للقبض على سفراء قشتاله ، فهرعت في اثرهم واستطاعت أن تظفر بهم حيث أعيدوا إلى قرطبة وزجوا في سجن المطبق ، وذلك في عام ٣٦٣ هـ - ٩٧٣ م ..

ب - الموقف في الجنوب - المغرب :

ان دراسة الموقف في الجنوب تفرض بالضرورة العودة الى بداية الدعوة الشيعية - الفاطمية - .

- كان عبيد الله المهدي أول من حمل بين زعماء الشيعة في المغرب لقب الخليفة ، وقد استطاع الخليفة عبيد الله المهدي ان ينظم جيشاً قوياً جعل من تونس قاعدة له ، وأخذ في توجيهه نحو المغرب ، ونحو مصر .. وقد اخذت دعوة المهدي تكتسح افريقية بسرعة كبيرة نظراً لعدم وجود مقاومة لها .

- كان هذا النجاح السريع للدعوة الفاطمية مصدر قلق كبير لحكام قرطبة الذين كانوا يعتبرون المغرب هي قاعدة العدوان عليهم وهي الخط الدفاعي الأول

---

(١) غرسية فرناندز Fernandez ، Garcia .

عن جنوب الاندلس . ومما كان يزيد من خطورة الموقف،ظهور الحركات المناوئة والثورات المضادة بصورة مستمرة ، واتصال قادة هـــذه الحركات والثورات بالفاطميين ، والتآمر معهم ضد حكام الاندلس .

– أمام هذا الموقف ، وجه عبد الرحمن الناصر « الثالث » جيشـاً قوياً ، وأسطولاً ضخماً لغزو المغرب وذلك في عام ٣١٩ هـ – ٩٣١ م ، وذلك للسيطرة على ثغر سبته ، وتحريرها من قبضة « بني عصام الموالين للفاطميين » فبادر زعماء البربر من الأدارسة – وزناته الى اظهار ولائهم للحكم الأموي والالتفـاف حوله والقيام بالدعوة له فامتدت سيطرة هؤلاء الزعماء حتى فاس ، وأرسل موسى بن أبي العافية أمير مكناسه الى الخليفة الناصر يطلب دعمـــه والدخول في طاعته فأجابه الناصر ، ووفر له الدعم وبذلك استطاع الصمود في وجه الفاطميين الذين أرسلوا قوات لاخضاعه في عام ٣٢١ هـ – ٩٣٣ م ، فاستطاع الحاق الهزيمة بهم ، وتمزيق جيش عبيد الله الفاطمي ، وفي عام ٣٢٣ هـ – ٩٣٤ م توفي عبيـد الله ، فسير ولده الخليفة القائم ، جيشاً الى المغرب بقيادة « ميسور الصقلبي » واستطاع هذا الجيش ارغام موسى على الفرار حتى الصحراء، واستولى الأدارسة – حلفاء الفاطميين في هذه المرة – على مملكته ، فاضطر عبد الرحمن خليفـة قرطبة الى توجيه حملات متتابعة بمهمة ايقاف نفوذ الفاطميين وتدمير حلفائهم من الأدارسة وغيرهم .. واستمرت أرض المغرب مسرحاً للنزاع الذي وصل ذروته في عهـد المعز – رابع الخلفاء الفاطميين – حيث وصلت الدولة الفاطمية أوج قوتهـــا ، وأخذت أساطيلها في تصعيد عملياتها على جبهة بيزنطه وفي حوض البحر الأبيض المتوسط مما كان ينذر الدولة الأموية في الأندلس بأخطار كبيرة . وفي عام ٣٤٤هـ – ٩٥٥ م تحول هذا الانذار الى حقيقة واقعة ، فهاجم أسطول الفاطميين – ثغر المريه – أكبر الثغور البحرية للدولة الاندلسية الاسلامية ، وأحرقت القطـــع البحرية الراسية في الميناء وألحقت الدمار بمدينة المريه ذاتها فاضطر عبد الرحمن الثالث الخليفة الأموي في الاندلس أن يوجه قواته البحرية والبرية لغزو شواطىء

افريقية بقيادة أمير البحر « غالب » .. وانطلقت جيوش الاندلس الى تونس فوجهت ضربة مضادة للفاطميين . وبعد ذلك بثلاثة أعوام،وجه الخليفة الناصر أسطوله مرة أخرى بقيادة احمد بن يعلى وذلك بمهمة تهديد القوات الفاطمية التي كانت تتقدم على محور مواز للساحل الافريقي بقيادة « جوهر الصقلبي » ، كما قامت بالعبور قوات أخرى فوصلت سبته وتمركزت في المغرب وبقيت فيها حتى تراجع الفاطميون عنها . استمر هذا الوضع في حكم الخليفة الحكم المستنصر.. ثم تصاعد الموقف خطورة في عام ٣٦١ هـ - ٩٧١ م عندما أظهر حسن بن قنون الحسني عداوة للحكم الأموي ومجاهرته الدعوة للفاطميين ، فأرسل الحكم المستنصر محمد بن قاسم الناصر الى سبته ، واستطاع الأسطول فتح طنجة بقيادة أمير البحر عبد الله بن رياحين ثم دارت معركة حاسمة بين قائد جيش قرطبة « محمد بن قاسم الناصر » وبين حاكم المغرب الفاطمي « حسن بن قنون الحسني » انتهت بهزيمة ابن قنون وفراره فطاردته قوات جيش قرطبة الى دلول ومنها الى أصيلا ، ثم قتل محمد بن قاسم عام ٣٦٢ هـ - ٩٧٢ م وهو في محصن مهران وقتل معه خمسمائة جندي اندلسي.. فاستدعى المستنصر بالله - غالب بن عبدالرحمن - كما جمع مستشاريه وأمرهم بالتأهب للغزاة في الأسطولين المجهزين - اسطول اشبيليا وأسطول المريه - .

[.. واقلع غالب بن عبد الرحمن من مدينة الجزيرة .. الى طنجة بعد ان استكمل اهبته فيها وقدم اجازة الاجناد والخيل والأثقال، وآلات الحروب..]

وفي الوقت ذاته وجه الحكم المستنصر ، جيشاً آخر بقيادة صاحب الشرطة وقائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بمهمة دعم غالب بن عبد الرحمن ..

[.. وغطي الحكم المستنصر البحر بينه وبين المغرب بأساطيل الأموال والأسلحة والعدد والاطعمة ..]

[ثم ارسل الحكم المستنصر بالله ، الوزير يحيى بن محمد التجيبي الى المغرب بعسكر مدداً للقائد غالب ..]

بدأ القتال بالمغرب ، وحدثت معارك متلاحقة كان النصر فيها الى جانب جيش قرطبة ، وانتهى الأمر عام ٣٦٤ هـ - ٩٧٤ م بتحقيق انتصار نهائي ، وخضوع حسن بن قنون لحكم قرطبه ، وقدومه وشيعته بنو ادريس ، الى قرطبه مع جيش غالب بن عبد الرحمن حيث أجري لهم استقبال رائع ..

- وضع الخليفة الحاكم المستنصر مخططه الجديد لاعادة الاستقرار في المغرب، فضم فرسانها وجيشها الى جيشه متبعاً في ذلك [**سبيل سلفه بني مروان في احتوائهم ، للرغبة فيهم ... والاستكثار منهم ، فكان ذلك من بعده سبباً لتقلدهم طوائف الجند الأندلسي ..**] [١] .

٢ - الوضع الخاص :

تابع الحكم المستنصر سياسة أبيه في بناء « القوة الذاتية » لدولة الاندلس الاسلامية ، وان مطالعة تقسيم الجند والأسلحة في عهد المستنصر ، تظهر مدى ما وصلته القوات المسلحة من تنظيم قتالي .

- كان التسلسل القيادي في جيش الأندلس يخضع لقيادة القائد الأعلى ، وكانت تتم تسمية هذا القائد لممارسة العمليات في جبهة معينة وخلال فترة محددة، وكثيراً ما كان يضطلع بهذا المنصب الخليفة ذاته أو وزير من وزرائه أو قائد من كبار قادته . وكان يخضع لهذا القائد الأعلى «قائد» يمارس وظائف - قائد ثان - ثم يلي ذلك قائد البحر « قائد الماء » ، الذي يتبعه بدوره قادة الأساطيل ، وكانت الأساطيل الرئيسية هي أسطول اشبيليا وأسطول المريه ..

- كانت الاندلس مقسمة من الناحية العسكرية إلى « مناطق » وكان لكل منطقة جيشها الذي يخضع لأميرها أو واليها . وكانت هذه الجيوش في الحرب أو عند الخروج للصائفة تلتقي في منطقة معينة - منطقة حشد - ثم تقوم

(١) المقتبس ، ابن حيان القرطبي / تحقيق الحجي / ٨١ و ١١٥ و ١٨٩ و ١٩١ وكذلك ابن عذارى ٢/٣٦٤ - ٣٧١ ، ونفح الطيب ١/٣٨٥ و ٣٩٧ :

بعملياتها تحت قيادة القائد الأعلى ، وعند انتهاء العمليات ، تفترق في المنطقة التي يحددها القائد الأعلى حيث تعود بعد ذلك إلى أقاليمها . وإذا ما وقع عدوان مباغت فان واجب الدفاع يقع على عاتق القوات المنتشرة في المناطق ، فتكون هذه القوات بمثابة الخط الدفاعي الاول الذي يحمي الثغور خلال الفترة اللازمة لتقدم قوات الدعم ووصول الجيش الرئيسي .. وهكذا أمكن التمييز بين الجند الزاهريون – المقيمون بالزهراء – والجند القرطبيون – المقيمون بقرطبة – والجند المالقيون – المقيمون في مالاقا – وجند المريه – وجند طليطلة ، الخ ...

– كان الجيش في عهد الحكم المستنصر يضم طبقتين رئيسيتين : الأحرار والعبيد ، وفيهم الخسيين والطنجيين ، وغيرهم ... وهؤلاء هم نواة الجيش العامل وكان ينضم اليهم في حالة العمليات : المرتزقة ، والمطوعة ، والملحقون من المماليك والصقالبة والأسرى ...

– أما التقسيمات داخل الجيش وحسب التوزيع على الأسلحة فقد وصل في عهد المستنصر الى مراعاة الاختصاص ، فكانت الأسلحة الرئيسية هي سلاح الفرسان وسلاح المشاة « الرجالة » .. وكان سلاح الفرسان ذاته يقسم حسب التسليح على النحو التالي :

١ – الفرسان أصحاب التجافيف .

٢ – الفرسان أصحاب الجواشن .

٣ – الفرسان المدرعين .

٤ – الفرسان المدرعين حاملي القنوات الناصلة .

٥ – الفرسان الطنجيين المدرعين .

٦ – الفرسان الخسيين .

٧ – فرسان العبيد .

٨ – فرسان الرياضة .

كما كان سلاح المشاة يقسم أيضاً حسب الاختصاص بحيث امكن التميز بين :

١ – رجالة الرماة .

٢ – رجالة الرماة الأحرار .

٣ – الرماة .

٤ – الرماة الأحرار .

٥ – رجالة فرسان الرياضة .

٦ – رجالة الأرباض .

وقد روعي عند تنظيم الأسلحة – تقسيمات المناطق العسكرية – والتقسيمات القبلية ، فكان سلاح الفرسان مثلاً يضم : فرسان طنجه ، وفرسان قرطبة ، وفرسان الزهراء . وكذلك منهم العرب ، والبربر ، والصقالبة ، الخ ..

وكان يتم التميز بين الأسلحة باللباس والتسليح .

– عندما تولى الحكم المستنصر خلافة قرطبة ، وجه اهتمامه الى الجيش [وأخذ في التأهب للحرب ، وأنفذ الكتب الى سائر الولاة والقادة بوجوب الأهبة والاستعداد للجهاد في سبيل الله ..][1] .

– قامت دول الشمال كعادتها ببداية العدوان ، وقاد فرنان كونثالث ملك قشتاله قوات العدوان فاستولى على قاعدة « غرماج » ثم استردها جيش قرطبة في صائفة عام ٣٥٣ هـ – ٩٦٣ م وعملوا على تحصينها .. واستمرت بعد ذلك أعمال العدوان وأعمال الردع على نطاق محدود ..

وفي عام ٣٥٣ هـ أيضاً ، قصد الحكم المستنصر « ثغر المريه » للاشراف على تحصين المدينة واتخاذ ما هو ضروري لتجديد الأسطول وتعزيزه وتأمين متطلباته من الخشب والزفت والقطران من كورة جيان الى اشبيليا والجزيرة لصناعة السفن ، وكانت السفن الراسية في ميناء المريه يومئذ ثلاثمائة قطعة [2] ..

---

(١) ابن عذارى ٢/٣٥٠ . (٢) الاحاطة ١/٤٨٧ .

– كما اهتم الحكم المستنصر بتحصين الثغور فأوفد أحمد بن نصر لبنيان مدينة بثغر طليطله وتشييدها وتوثيق أمورها وجعل بين يديه أحمال الأموال[1].

شغلت قرطبة بعد ذالك بما أصاب البلاد من قحط وبوقوع غزو النورمان ثم بحروب المغرب ، فعملت دول الشمال على عقد حلف فيما بينها بزعامة مملكة ليون – قشتاله ، لايقاف القوة المتعاظمة لدولة قرطبة فكان الرد هو تصعيد أعمال الردع ، واقناع دول الشمال بعجزها عن متابعة العدوان ..

٣ – الاعمال الاستفزازية وعمليات الردع المضاد ٣٥٢ هـ - ٩٦٢ م :

عمليات الصبر في بداية عهد الحكم المستنصر[2] :

أ – (... لأول وفاة الناصر ، طمع الجلالقة « مملكة ليون » في الثغور ، فغزا الحكم المستنصر بنفسه ، واقتحم بلد فردلند بن غندشلب[3] فنازل شنت اشتبين[4] وفتحها عنوة واستباحها ، فبادروا الى عقد السلم معه وانقبضوا عما كانوا فيه ، ثم ب ـ أغزى غالباً مولاه بلاد جيليقية وسار الى مدينة سالم لدخول دار الحرب، فجمع له الجلالقة ، ولقيهم فهزمهم واستباحهم وأوطأ العساكر بلد فرذلند ودوخها . ج ـ وكان شانجه بن رذمير ملك البشكنس قد انتقض فأغزاه الحكم التجيبي صاحب سرقسطه في العساكر ، وجاء ملك الجلالقة لنصره فهزمهم وامتنعوا بقوريه وعاثوا في نواحيها وقفل . د ـ ثم أغزى الحكم احمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي الى بلاد برشلونه فعاثت العساكر في نواحيها ، وأغزى هذيل بن هاشم ومولاه غالباً الى بلاد

---

(١) ابن عذارى ٢/٣٥٢ .

(٢) ابن خلدون ٤/١٤٤ ، والمقري ، نفح الطيب ١/٣٨٢ .

(٣) فردلند Fernando : Ferdinand وغندشلب، جنثالث Gonzola سبق الكلام عنه ، باسم فرنان كونثالث .

(٢) شنت اشتبين : San-Esteban وقد سبق ذكرها أيضاً .

القومس ، فعاثا فيها وقفلا . وعظمت فتوحات الحكم وقواد الثغور في كل ناحية ، وكان من أعظمها فتح قلهره من بلاد البشكنش على يد غالب فعمرها الحكم واعتنى بها ثم فتح قطوبيه على يد قائد وشقه[1] وغنم فيها من الأموال والسلاح والأقوات والأثاث وفي بسيطهـــا من الغنم والبقر والرمك[2] والأطعمة والسبي ما لا يحصى ..)

ان ما سبق ذكره يوضح المعطيات التالية :

١ – قيام تحالف بـين الجلالقة – مملكة ليون – ومملكة نافار – ومملكة برشلونة .

٢ – توجيه مجموعات قتالية مستقلة لكل اقليم ، وفي توقيت واحـد بهدف عزل قوات التحالف وضربها كل بمعزل عن القوى الأخرى ..

٣ – وجود جيش قوي تحت سلطة الخليفة في قرطبة بحيث يستطيع ممارسة العمليات في أقاليم منفصلة ومتباعدة وعلى محاور مختلفة ..

٤ – تقدير حجم الردع بما يوازي العدوان ويعادله ..

استمرت أعمال الردع بعد ذلك .

ففي عام ٣٥٤ هـ – ٩٦٤ م [سار غالب بن عبد الرحمن الى البه ومعـــه يحيى بن محمـد التجيبي وقاسم بن مطرف بن ذي النون فابتنى حصن غرمـاج ودوخ بلادهم ...][3] .

---

(١) وشقة Huesca .

(٢) الرمك : نوع من البسط « السجاد » .

(٣) نفح الطيب ٣٨٣/١ وتاريخ ابن خلدون ١٤٥/٤ .

وحصن غرماج . Gormaz يقع على نهر دويرة في الشمال ، على مقربة من سنتاستيبين. استولى عليها فرنان كونثالث في عام ٣٥١ ثم استرجعه المسلمون ، وأعادوا تحصينه ، وسيأتـي ذكره في المعارك المقبلة.

ثم تكررت هذه الأعمال ، واستمرت أعمال الصوائف في كل عام تقريباً ، وكان من أبرز الأعمال القتالية :

– احباط غزو النورمان .

– عملية الردع في غزوة « غرماج » ..

٤ - احباط غزو النورمان [١] ٣٥٥ ﻫ - ٩٦٥ م :

– قام النورمان بهجومهم الأول على ثغور الاندلس في عهد عبد الرحمن بن الحكم عام ٢٣٠ ﻫ – ٨٤٥ م ، وقد اتخذت الاجراءات منذ تلك الفترة لتحصين الثغور البحرية وتنظيم عمليات الدفاع الساحلية ..

– وفي عام ٣٥٥ ﻫ – ٩٦٥ م ورد كتاب الى الخليفة الحكم المستنصر من حاكم ثغر « قصر أبي دانس »[٢] الاعلام عن ظهور أسطول المجوس « النورمان» ببحر الغرب ، واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك لتقدم عادتهم بطروق الأندلس من قبله فيما سلف وكانوا في ثمانية وعشرين مركباً ، ثم ترادفت الكتب من تلك السواحل بأخبارهم وانهم قد أضروا بها ووصلوا الى بسيط لشبونه[٣] وكان النورمان في هذه المرة من أهـــل الدانمرك بقيادة ريتشارد الأول دوق نورماندي وحفيد زعيمهم الأكبر – رولو – .

– أصدر الحكم المستنصر أوامره إلى القادة لاتخـاذ تدابير الحيطة واعلان حالة الطوارىء للدفاع عن السـاحـــل . كما أمر قائد البحر « عبد للرحمن بن رماحس » بتعجيل حركة الأسطول،وأمر أيضاً « ابن فطيس » باقامة الأسطول بنهر قرطبة واتخاذ المراكب فيها على هيئة مراكب المجوس – النورمان[٤] .

---

(١) ابن عذارى ٢/٣٥٥ ، ٣٥٦ و ٣٦٠ ، نفح الطيب ١/٣٨٣ – ٣٨٤.وفي ابن خلدون ٤/١٤٥ ، انها كانت عام ٣٥٤ ﻫ .

(٢) قصر أبي دانس : Alcacer de Sal ، ميناء بحري على محيط الاطلسـي جنوب لشبونة .

(٣) ابن عذارى ٢/٣٥٦ .

(٤) نفح الطيب ١/٣٨٤ وابن عذارى ٢/٣٥٦.

– التقت قوات المسلمين بقوات الغزو من النورمان في سهول لشبونه ودارت بين الطرفين معارك طاحنة تكبد فيها الطرفان خسائر فادحة في الأرواح وانتهت بهزيمة قوات النورمان ، الذين عادوا الى سفنهم ، وكان أسطول اشبيليا بقيادة أمير البحر عبدالرحمن بن رماحس قد خرج من اشبيليا عبر الوادي الكبير. وأخذ محوراً موازياً للساحل ، في مياه المحيط الأطلسي .

– كانت زوارق النورمان قد أبحرت ومعها الأسرى والغنائم في اتجاه الجنوب ، واصطدمت بالقوة البحرية للمسلمين عند وادي شلب ، فخسر « النورمان » عدداً من مراكبهم وقتل عدد كبير من جندهم ، وتم انقاذ أسرى المسلمين وانسحب النورمان لكن سفنهم تابعت جولاتها قريباً من الساحل ، « والمسلمون لهم بالمرصاد» بحيث لم ينجحوا في الاغارة ثانية على المدن الاندلسية..

– في عام ٣٦٠ هـ – ٩٧٠ م ، وبعد خمسة أعوام من الغزوة السابقة ، ظهرت زوارق النورمان من جديد في مياه الأطلسي • وأخذت تهدد السواحل الغربية للأندلس ، فأصدر الخليفة الحكم المستنصر أوامره بزج القوى البحرية كلها فاجتمع أسطول المريه وأسطول اشبيليا لمواجهة قوات الغزو ، وعندما شعر النورمان بتفوق أسطول المسلمين الساحق ، انسحبوا دون قتال .

٥ – عملية الردع في غزو « غرماج » :

أ – التحدي :

[في يوم السبت ٨ بقين من ذي الحجة ٣٦٣ هـ – ٩٧٣ م ، ورد الخبر من الثغر الأوسط بفجأة انتكاث الطاغية [غرسيه بن فردلند بن غندشلب صاحب قشتالة – بعد اظهاره الرغبة في السلم والعمل على تحقيقه – وسرعة خروجه إلى بلد المسلمين واغارته الشعواء على حصن « دسه » وما يليه من عمل بني عمر بن تيملت ضحوة يوم الخميس لأحد عشر خلت من ذي الحجة منها ...] [١]

---

(١) ابن حيان – المقتبس – تحقيق الحجي – ١٨٨ .

وهكذا بدأ العدوان بصورة مباغتة فأغار ملك قشتاله فردلند جنثالث على حصن دسه[1] وأحرق المزارع وقتل من تصدى لمقاومته واقتاد الماشية وتراجع محاولاً الوصول الى بلاده بما كسبه من غنائم .

– كانت هذه المنطقة تابعة لولاية أبناء عمريل بن تيمرت ، فعمل زروال ، ومضا ابني عمريل على حشد بعض القوة ومحـــاولة ضرب مؤخرة جيش قشتاله واستعادة الغنائم ، ونجحا في ذلك ولكن جيش قشتاله وضع كميناً لقوة ابني عمريل ، ونجح في قتل زروال مع نخبة من رجـاله على مقربة من حصن مضا وفي موقع يطلق عليه اسم « فحص البركه » ..

– وفي العام التالي وفد على الحكم أبناء زروال بن عمريل الخمســة فأحسن الحكم المستنصر استقبالهم ، وأوصى بتقليدهم عمـــل والدهم فقسمت بينهم المناطق والحصون على رضا منهم وبموافقتهم ، وبعـد استشارة غالب بن عبد الرحمن القائد الأعلى للجيش الذي شهد بكفاءتهم وحزمهم وقدرتهم على حماية الثغور ..

ب – الهجوم الغادر الثاني :

– لم تكن العملية سابقة الذكر سوى عملية سبر، هدفها رفع الروح المعنوية في قوات دول الشمال ، وحفز ملوك هذه الدول وأمرائها للعمل معاً ضـد دولة المسلمين في قرطبة ، وأمكن الافادة من هذا النصر الموضعي لتكوين التحالف الذي ظهرت بواكيره في عملية حصار « حصن غرماج » ..

– في منتصف شهر رجب ٣٦٤ هـ – ٩٧٤ م وصلت الى قصر الخلافة في قرطبة أخبار تفيد ان قوات كبرى من دولتي « ليون – و – نافار ، الجلالقة والبشكنس » قد تقدمت الى حصن « غرماج » – ثغر مدينة سالم – وان هذه

---

(١) دسة : Deza . ومنطقة الحصن حالياً في منطقة سرية Soria على بعد ٥٠ كم شمال شرق مدينة سالم .

القوات تقدمت الحصن ولكنها اصطدمت بجيش الثغر ، وقوات المسلمين في الشمال ووقعت معركة استمرت يومين متتاليين وانتهت بهزيمة جيوش الشمال ، فأخذت في الانسحاب عبر وادي دويره ، وتابعت حصار حصن غرماج ، وطلبت الدعم من قياداتها ، مستفيدة من [... **اشتغال الجند بالحرب مع أهل العدوة - المغرب - وبعد المسافة عليهم في اللحاق بهم .. فحاصروا الحصن ووالوا أهله الحرب ..**] ..

أظهر أهل « حصن غرماج » والحامية المدافعة عنه ارادة صلبة للدفاع عن حصنهم ومواقعهم واستعداداً كبيراً للصمود والمقاومة ، وأخذوا في تنظيم الاغارات ، والهجمات على قوة أعدائهم بحيث لم يمض يوم واحد دون صدام أو مقاومة .

ج - مؤتمر الحرب :

- عندما توفرت الأخبار عن حجم العدوان وقوته أسرع الخليفة الحكم المستنصر الى توجيه قوات الدعم ، واعداد الصائفة للتحرك مع زيادة حجم قوة الصائفة ، وكان الوزير - القائد الأعلى - أبا تمام ، غالب بن عبد الرحمن قد عاد من حروب المغرب منتصراً ، فقرر الحكم تعيينه لقياده الصائفة وعمل على عقد مؤتمر للحرب حضره الوزير صاحب المدينة جعفر بن عثمان وبعض المستشارين وعرض الخليفة الحكم على قائده غالب بن عبد الرحمن، أمر تولي قيادة الصائفة بعد أن شرح له الموقف وضرورة الاسراع بالتحرك ، فتلقى الوزير غالب الأمر بالقبول [فعمل الحكم على تقليده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين حليتا غمديهما أثقل حلية بأغرب صنعة ... كما ضم الى ركابه فرس أشهب رائع من مقربات الخليفة بسرج معرق ، ولجام مفرغ ..] .. وغادر الوزير غالب - ذو السيفين - دار الخليفة ، وأسرع في الاستعداد لتنظيم قواته ومغادرة قرطبة .. وفي الوقت ذاته ، أصدر الخليفة الحكم الى وزرائه ومستشاريه العمل جميعاً لزج كل الامكانات الضرورية وجميع متطلبات قائد الصائفة ، الوزير غالب .. ولم يمض

سوى يومين فقط حتى انتهت الاستعدادات ، وأصبح باستطاعة الصائفة ان تتحرك الى وجهتها نحو ثغر الشمال ..

د - العرض والاستعراض :

وقف الخليفة الحكم المستنصر ، في الموعد المحدد لانطلاق الصائفة فوق المرتفع المشرف على ساحة العرض - في السطح فوق باب السدة - وعندما أنهى الوزير غالب تفقد قواته ، أعطى أوامره ببداية التحرك ، وبدأ العرض حيث كانت تمر القوات أمام الخليفة الحكم ، تعبئة بعد تعبئة ، وترتيب بعد ترتيب من جيوش منتظمة ومقانب متصلة قد طبقت الأفق ، وأغصت الطرق وهي تمر على باب القصر بقرطبة ... والخلق يشيعونه الى أن فارق أبيات قرطبة ..

- توقف جيش قرطبة في نهاية مرحلة مسيره النهارية بوادي شوس أرملاط ، ثم ارتحل في غده ، يطوي المراحل ، ويسرع في تقدمه مع المحافظة على الاتصال بقرطبة ، وفي الوقت ذاته تابع الوزراء والمختصون في الدولة عملية حشد القوات والحاق المتخلفين بالجيش .

- بعد مغادرة الصائفة العاصمة قرطبة ، استدعى الخليفة الحكم صاحب الشرطة الوسطى عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي ، المقيم في قرطبة ، وأمره بالتوجه الى سرقسطه - بلده - بمهمة حشد القوات في الشمال ، ودعم عمليات الصائفة .

- طلب القائد الأعلى ، الوزير غالب ، توجيه قوات الدعم بقيادة « سهل - الفتى الكبير » وقاد سهل هذه القوات ومنهم العبيد الخمسيين ، والرماة ، والتحق بجيش الصائفة .

- وقبل مضي أسبوع واحد على مغادرة الصائفة قرطبة ، أصدر الخليفة الحكم أوامره الى محمد بن احمد بن أمية بن شهيد ، لحمل الأموال الضرورية واللحاق بالجيش وتأمين متطلبات القائد الأعلى غالب ، والانفاق على جند الصائفة .

هـ ـ الاعداد للمعركة الحاسمة :

ـ مضت اسابيع ثلاثة على مغادرة الصائفة للعاصمة قرطبة ، ووصلت قوات المسلمين الى الشمال فاحتلت حصن « برهون » وتقدمت الى « ابرلنقه أو زلنقه » ثم الى « جبل الوسيط » جنوب حصن « غرماج » وأصبح نهر دويره حاجزاً بين قوات المسلمين وقوات خصومهم ، المحاصرين للحصن ..

ـ كانت قوات الشمال ، قد أقامت الحواجز والتحصينات في المناطق الصالحة للعبور من نهر دويره ، ودفعت نقاط الحراسة ومخافر المراقبة الى حافة النهر .. في حين كانت الحشود الكثيفة تحيط بحصن غرماج وتحدق به ..

ـ قام القائد الأعلى بجولة استطلاعية وتبين له صعوبة العبور من الحركة أو الدخول في معركة تصادمية مع قوات الخصم المتفوقة بأعداد كبيرة ، فقرر التوقف عند جنوب نهر دويره في موقع مقابل لقوات الشمال ، ولحصن غرماج ..

ـ استمر تدفق المتطوعين من أهل قرطبة بأعداد كبيرة لدعم جيش الصائفة وامداده وكانت قوات الدعم تصل تباعاً وبشكل مستمر .. وفي الوقت ذاته ، أعلن في قرطبة عن وضع عقوبات بحق المتخلفين من الجند النظاميين لاعذار مختلفة فتسابق هؤلاء نحو الشمال للالتحاق بالجيش .

خلال مرحلة التوقف ، حدثت بعض الاشتباكات الثانوية بين وحدات حراسة النهر « الحافظين للمخائض » ، وقد حاول جند الشمال العبور الى الجنوب والاغارة على جيش المسلمين بصورة مباغتة ، فتصدت لهم مفارز صغيرة من المسلمين وحدثت معارك قاسية ووصلت اخبار بعض الاشتباكات ـ في يوم ٧ رمضان مثلاً ـ الى القائد الأعلى الذي قاد قوة معه واقتحم بها المعركة ونجح في تحويل الموقف وتحقيق النصر ، وابادة العدد الأكبر من قوة العدو التي قامت بالعبور حتى بلغ عدد القوامس ـ الكونت ـ الذين سقطوا فوق أرض المعركة (٢٠ كونتاً) .

– على أثر هذه الاشتباكات ، قرر القائد الأعلى ، نقل المعسكر الى برهون والتوقف على مسافة مناسبة من العدو ، للأسباب التالية :

– اخفاء الاستعدادات للمعركة عن أنظار العدو وعناصر استطلاعه ..

– التوقف في منطقة مناسبة لاستقبال قوات الدعم واعادة تنظيمها .

– انتظار الفرصة المناسبة للقيام بهجوم حاسم وذلك بمتابعة استطلاع العدو .

– الابتعاد عن مواقع كمائن العدو ، لحماية قوات المسلمين ، والحفاظ على استعدادها القتالي وروحها المعنوية .

– انتقل القائد الأعلى بمعسكره الى « برهون» ووصل الفتى الكبير الجعفري من قرطبة ومعه كتائب من بقايا صنف الاجناد والعبيد والرماة والوفود ، بالاضافة الى ارتال متصلة من المواد التموينية والأعتدة والأسلحة والتجهيزات القتالية .

– كان التجاوب بين عمليات جبهة الشمال وبين جماهير الشعب قوياً ، وكانت تستغل كل مناسبة لاثارة الحماسة ودفع المتطوعين للالتحاق بجيش المسلمين حتى أن احد المشيعين لجنازة الزاهد المعروف بالحضرمي ، أفاد من الحشد الكبير الذي خرج لتشييع الراحل فوقف خطيباً وكان مما قاله :

[.. عباد الله ، اخلصوا دعاءكم وارفعوا اليه اصواتكم بالنداء والابتهال في حقن دماء اخوانكم المؤمنين وأوليائكم المسلمين اهل حصن غرماج الذين قد احاط بهم جمع المشركين واخذوا بمخنقهم واستطالوا عليهم بكثرتهم ..](١) .

– وكان من الطبيعي ان تتفاوت درجة الحماسة للمعركة في اوساط اجهزة الحكم ، ولمس الحكم المستنصر قصوراً عند البعض فأصدر أوامره بترفيع عبد العزيز بن حكم التجيبي من منصب قيادة الشرطة الوسطى الى قيادة الشرطة العليا ، كما تم عزل احمد بن سعيد الجعفري عن الشرطة العليا ويعلي بن احمد

....

(١) ابن حيان ـ تحقيق الحجي ـ ٢٢٩ .

ابن يعلي عن الشرطة الوسطى ، وصدرت الأوامر اليهما للالتحاق بجيش الصائفة كمقاتلين عاديين ليس لهمـــا دور قيادي . وصدرت تعيينات اخرى لصالح العمليات في الشمال ..

و – المعركة الحاسمة :

– مضت فترة تزيد على الشهرين منذ بداية العمليات ولم ينجح جيش الشمال في تحقيق نصر حاسم ، واستبطأ ملك ليون الفتح ، فتوجـــه بنفسه لقيادة العمليات ومعه عمته « حلوريه – أو – حلويره » ، ودارت معارك ثانوية ثم عقد اجتماع بين :

– ملك بنبلونه « نافار » شانجه بن غرسيه بن شانجه (ومعـــه صهره « ملك قشتاله ») .
– ملك قشتاله – غرسيه بن فردلند بن غندشلب .
– أمراء البه والقلاع – بنو غومس .
– ملك ليون – رذمير بن شانجه .

وكانت القوات التي تحت قيادتهم ٦٠,٠٠٠ ستون الف مقاتل (وقيل اكثر) وفي هذا الاجتماع، وضعت خطة الهجوم للمعركة الحاسمة وحدد توقيتها لتكون في يوم ١٥ شوال ، أي بعد مضي اربعة وسبعين يوماً على بداية حصار « حصن غرماج » ..

– في الموعد المحدد ، قامت قوات التحالف بهجومها الكبير الذي وضعت فيه جميع الامكانات ، ولكن حصن غرماج والمواقع الدفاعية فيه صمدت لقوة صدمة الهجوم ، واستطاعت تحطيم انقضاض العدو،وامتصاص اندفاعته الأولى، ثم انطلقت الحامية المدافعة عن الحصن بهجوم مضاد على بعض نقاط العدو التي ظهرت ضعيفة ، وامكن تحقيق نصر حاسم في هذه النقاط وتم تصعيد عمليـة الهجوم المضاد حتى تحولت الى هجوم عام اشترك فيه كل قادر على حمل السلاح

في غرماج ، وبدأت قوات العدو في الانسحاب ثم تحول الانسحاب الى هزيمة منكرة ، ولم تتمكن حامية حصن غرماج من مطاردة فلول العدو واستثمار الظفر بسبب :

– التفوق العددي الساحق للعدو .

– الخوف من الكمائن التي يحتمل للعدو تركها لحماية انسحابه .

– الحفاظ على قوة الحامية لمواجهة احتمال « غدر العدو » .

– وجهت الحامية المدافعة عن حصن غرماج مفارز صغيرة من قوتها وذلك للاستيلاء على الأعتدة الثقيلة والمواد التموينية وغيرها مما تركه العدو – تخففاً منه – واستطاعت هذه المفارز الحاق بعض الأذى بمؤخرة العدو – ساقته – وتكبيده بعض الخسائر ..

ز – استثمار الظفر :

– اعلمت الحامية المدافعة عن المدينة ، عن تفاصيل المعركة ، وطلبت الى القائد الأعلى الوزير غالب التقدم الى « حصن غرماج » لمجابهة احتمال قيام العدو بهجوم جديد . وأسرع القائد الأعلى فألقى بثقل قواته في غرماج وكتب الى الخليفة الحكم يعلمه عن عزمه على متابعة التقدم حتى « شنت اشتبين » لمطاردة العدو ، ثم انطلق بجيش الصائفة في اثر العدو .

وصلت قوات المسلمين حتى سهل « برلنقه » قريباً من « شنت اشتبين » فاصطدمت هناك بجيش قشتاله الذي كان يقوده غرسيه بن فرذلند ، ودارت معركة قصيرة وحاسمة انتهت بهزيمة جيش قشتاله وتمزيقه حيث لجأت فلول المنهزمين الى الجبال ، وانطلق المسلمون يدمرون المعاقل ويحرقون المزارع المحيطة بقلعة شنت اشتبين ، وأزالوا كل مقاومة فيها ..

ح – معركة ثانوية ، على مقربة من سرقسطه :

كان ملك ليون – رذمير بن شانجه – يعرف أن قادة الثغور قد حشدوا

قواتهم كلهم في قلعة غرماج ، ولم يكن يتوقع انفصال حاميات الثغور وعودتها بسرعة الى اقاليمها ، وأراد الانتقام لهزيمته ورفع الروح المعنوية لقواته وذلك بتوجيه ضربة الى سرقسطه.. ولكن عبد الرحمن بن يحيى قائد شرطة سرقسطه انفصل بقوته بعد معركة « قلعة غرماج » مباشرة ، وسلك محور التقدم الى الثغر .

– خلال مرحلة التقدم في الشمال ، وجد قائد الشرطة عبد الرحمن بن يحيى ابن محمد بن هاشم التجيبي بعض الشواهد التي تشير الى تقدم العدو نحو سرقسطه ، فاتبع الأثر ، وأرسل الطلائع ، وعناصر الاستطلاع ، الى جبل بردنيه المشرف على نهر ابره ، وتوفرت المعلومات عن وصول العدو الى قرية استركور – أو – اشتركوي ، جنوب مدينة تطيله ، وعلى مسافة ميل واحد فقط على محور سرقسطه – الجنوب .. واصطدمت عناصر الاستطلاع بالعناصر الوقائية لجيش ليون، وبعد معركة قصيرة وصلت القوات الرئيسية للمسلمين واستطاعت تدمير العناصر الوقائية للخصم والحصول على بعض الأسرى ، ولدى استجواب هؤلاء تبين ان رذمير بن شانجه ملك ليون ، خرج من حصن شوش بقوة خمسمائة فارس ، وأنه دفع قوة الاغارة التي دمرتها قوات المسلمين وعددها مائتي مقاتل واحتفظ ببقية القوة في موقع قريب من نهر ابره .. وهنا أسرع قائد الشرطة التجيبي وقاد قواته نحو الموقع المحدد ، وعندما شعر رذمير ، باقتراب قوة المسلمين قام بانقضاض سريع ، وبعد معركة قصيرة وحاسمة ، مزقت قوات رذمير ، وسقط فوق أرض المعركة أفضل قادته مثل فرتون بن لب حاكم حصن شوس من قبل رذمير .. وفرتون محونس والدليل « نيقه بن بلشك » في حين هرب الملك رذمير مع قوة صغيرة من جنده ، وقام فرسان المسلمين بالمطاردة حتى ابتعد كل أثر لقوة ليون ، وعمل قائد الشرطة – التجيبي – على اعلام الخليفة الحكم بتفاصيل العملية .

– بهذه العملية امكن للحكم تمزيق قوة تحالف دول الشمال ، التي لم تلبث ان طلبت عقد الهدنة ، ثم وقعت بها احداث داخلية شغلتها عن الاستمرار في العدوان على ثغور المسلمين .

تصعيد استراتيجية الردع
في عهـــد الحاجب المنصور
٣٦٦ – ٣٩٣ هـ = ٩٧٦ – ١٠٠٢م

١ – قتال مستمر :

أ – توفي الخليفة الحكم المستنصر ، وولى ابنـــه المؤيد هشام وهو غلام لا يزيد عمره عن تسع سنين، وقامت أمه صبح البشكنسية بالاشراف على الحكم وكان اعتمادها على وزيريها الحاجب المصحفي والحاجب ابو عامر محمد بن أبي عامر المعافري المعروف بالمنصور ..

– استقبلت دول الشمال وفاة الحكم المستنصر بالارتياح، وأسرعت كعادتها لاجراء عملية السبر، فتقدمت قوات ليون «جيليقية» حتى وصلت قلعة رباح ، وأحاطت بها ، فأظهر الحاجب المصحفي تخاذلاً في مجابهـــة العدوان.، وأفاد المنصور الحاجب من هذه الظاهرة لاثبات مقدرته القيادية وكفاءته في معالجـة المواقف الخطرة ، واكتساب مزيد من ثقة والدة المؤيد « صبح البشكنسية » . فبينما كانت أوامر الحاجب المصحفي تتلخص بنصح أهل « قلعة رباح » بتدمير قناة المياه التي ترفد المدينة بالحياة – وذلك لحرمان العدو من استثمارها – واذا بالحاجب المنصور يصدر أوامره لحشد القوات وقام بقيادتها لردع قوات العدوان.

....

(١) المغرب في حلى المغرب ١/١٩٥ ، وفيه (.. كانت النصرانية قد جاشت بموت المستنصر وجاء صراخهم الى باب قرطبة . وظهر من المصحفي جبن وأمر أهل قلعة رباح بقطـع سد نهرهم يلتمس بذلك دفاع العدو عن حوزته ، فأنف ابن أبي عامر من ذلك وقام بأمر الجهاد ، ووعـد من نفسه الاستقلال على أن يختار الجهاز ويعان بمائة الف مثقال. فلما قفل ظافراً وقد ملك الجند بما رأوه من حسن كرمه سمت همته وأخذ نفسه بالتغلب على مكان المصحفى ..) .

– لم يعمل الحاجب المنصور على مجابهة قوات العدوان في قلمة رباح بل عمل على نقل المعركة الى قلب بلاد العدو ، فقاد قواته الى حصن الحامه «في جبليقيه» فحاصره وسيطر بقواته على الاقليم كله وعزل الحصن عزلاً تاماً حتى نجح في اخضاعه. وبعد ثلاثة وخمسين يوماً من بداية انطلاق قوة الردع ، عاد الحاجب المنصور بالجيش وهو مثقل بالغنائم والسبي ، وعمل الحاجب المنصور على منح المقاتلين الهبات والهدايا الكثيرة فأحبه الجند والتفوا حوله ، واستعان بالوزير أبي تمام غالب الناصري ، فتم تقسيم قيادة القوات بحيث اصبحت قوات الثغور بقيادة غالب الناصر وقيادة الجيش في قبضة الحاجب المنصور(١) ..

ب – لم يمض على بداية الغزوة الاولى اكثر من ثلاثة اشهر ، وفي عام ٣٦٦ ﻫ – ٩٧٦م ايضاً، قاد الحاجب المنصور جيش الحضرة الى الشمال والتقى بمدريد مع قائد قوات الثغر الوزير غالب ، وانطلقا معا ، وافتتحا عدداً من الحصون بينها « حصن موله » ، وكان اكثر الأثر فيها للوزير غالب الذي عمل على نسب الانتصارات لابن عامر بموجب اتفاق بينهما وذلك لتعزيز مكانة ابن عامر في قرطبة وتوفير الفرصة للتخلص من الحاجب المصحفي ،وعاد ابن عامر الى قرطبة محملاً بالغنائم الكثيرة والسبي الكثير .. ونجحت الخطة فتم اقصاء المصحفي وتولى ابن عامر ولاية الشرطة والجيش ، ولم يلبث ابن عامر حتى تزوج بأسما ابنة الوزير غالب الناصري .

– ومهما كانت طبيعة الحوافز التي دفعت الحاجب المنصور للغزو ، فقدكانت هذه البداية كافية لاشعار دول الشمال باستمرار الاستراتيجية التي طبقت في عهدي

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ٢ - ٣٩٤ ٣٩٥ . وفيه .. (لم يزل ابن أبي عامر يقوم بشأن ، الخليفة هشام ، ويخدمه داخل الدار عند السيدة أم هشام وسائر الحرم حتى تم مراده فيه كي يستعين به على اهلاك المصحفي فانهض غالباً الى خطة الوزارتين وانفذ اليه كتاب الخليفة بذلك وأمره بالاجتماع مع ابن أبي عامر على التدبير على الصوائف ، على أن يدير ابن ابي عامر جيش الحضره ويدير غالب جيش الثغر .

عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر . واقناع ملوك هذه الدول بتوفر قيادة قادرة على ممارسة أعمال الردع ومجابهة كل عدوان .

ج - في عام ٣٦٧ هـ - ٩٧٧م : قـاد الحاجب المنصور للمرة الثالثة جيش الأندلس ووصل طليطلة حيث اجتمع مع صهره الوزير غالب وسارت قواتهما معاً لاحتلال الحصون ، فتم لهما الاستيلاء على حصن المال وحصن رنيق وتابعت قواتهما تقدمها في مملكة ليون ، فسيطرت على اقليم (**شلمنقة** - سلمنقة) واستولت على ما فيه من غنائم وسبي ، واعملت في الحصون تدميراً وفي المزارع احراقاً ثم عاد الحاجب المنصور الى قرطبة بعد أربعة وثلاثين يوماً من خروجه . وكان لما حققه من نصر في ردع دول الشمال وما أنجزه في سياسته الداخلية من سيطرة قوية ونشر للأمن دور كبير في استلامه « خطة الوزارتين » واحتلال مركز السلطة في دولة الأندلس .

[.. انصرف الحاجب المنصور بعد ذلك الى توطيد سلطته والقضاء على منافسيه بضرب بعضهم ببعض وتصفيتهم واحداً بعد الآخر حتى لم يبق من مراكز القوى المناوئة له سوى الوزير غالب الناصري . فأخذ في الاعداد لذلك والاعتماد على البربر وتشجيعهم على الانتقال من عدوة المغرب والانضمام الي قوته ، (فانثالوا على ابن ابي عامر وما زالوا يتلاحقون وفرسانهم يتواترون .) ثم عين الحاجب المنصور وزيراً له من زناته وهو جعفر بن علي ابن حمدون وبذلك أصبحت سيطرة البربر كاملة على الدولة العامرية . واستطاع الحاجب المنصور أن يستعين بهم للقضاء على منافسيه جميعاً . كما اتبع الاسلوب ذاته في تصفية مراكز القوى بين البربر وذلك بضرب زعماء البربر بعضهم ببعض ، والافادة من التناقضات لتدعيم مركزه ، فأصبحت سيطرته قوية على الداخل مما جعله قادراً على الانطلاق في اعمال غزو الشمال من قاعدة قوية ، وزج كل الامكانات والقوى في جبهة واحدة ...] [1] .

---

(١) ابن الأثير ٧- ٢١٧ حوادث سنة ٣٩٣ هـ وابن عذارى ٢ - ٤١٦ ونفـح الطيب ٣٩٧/١ ، وابن خلدون ٤ - ١٤٧ .

د – تابع الحاجب المنصور تنفيذ استراتيجية الردع فكان له في كل عام غزوتين أو أكثر بين صائفة وشاتية .

– ففي عام ٣٧١ هـ – ٩٨١م ، استولى الحاجب المنصور على سمورة،وأعمل فيها احراقاً وتدميراً ، وسبياً .

– وفي عام ٣٧٣ هـ – ٩٨٣م ، انتقل أولاد زيري بن منـاد ، وهم زاوي وجلاله وماكسن اخوة بلكين الى الاندلس فاستقبلهم الحاجب المنصور ، وطلبوا اليه السماح لهم بمشاركته شرف القتال ومما قالوه له : [**انما اخترناك على غيرك ، وأحببنا أن نكون معك نجاهد في سبيل الله ..**] واشترطوا الانفراد بالأعمال القتالية وحدهم ، فعمل الحاجب المنصور على تسليحهم وتزويدهم بالخيل والاموال والأدلاء . فاقتحموا حدود جيليقية ليلا وأقاموا كمائنهم في الحقول القريبة من المدينة وقتلوا كل من بها بهدف تحقيق المباغتة والمحافظة على السر ، فلما اصبحوا خرج جماعة من البلد فضربوا عليهم وأخذوهم وقتلوهم جميعهم فرجعوا ، وتسامع العدو ، فركبوا في أثرهم ، فلما أحسوا بذلك كمنوا وراء ربوة فلما جاوزهم العدو خرجوا عليهم من ورائهم وضربوا في مؤخرتهم – ساقتهم – وكبروا ، فلما سمع العدو تكبيرهم ظنوا أن العدد كثير ، فانهزموا وتبعهم جند صنهاجة فقتلوا خلقاً كثيراً وغنموا دوابهم وسلاحهم وعادوا الى قرطبة . وأثارت هذه الغزوة حماسة العرب وهم ينطلقون بجموعهم الكبيرة التي تم حشدها من جميع الاقطار لغزو ليون .

هـ – غزوة ليون ٣٧٣ هـ – ٩٨٣م، انطلق الحاجب المنصور بجيشه الكثيف الى ليون ، عاصمة مملكة ليون ، وعندما وصلها ضرب حصاراً حولها ، وطلب ملك ليون الدعم من الدول المجاورة ، فأمده الافرنج بجيوش كثيرة . ووقعت معارك ضارية اتصل فيها القتال ليلاً ونهاراً ، وأظهر الافرنج قدراً كبيراً من الصمود ، كما أظهر المسلمون ارادة أقوى على انتزاع النصر ، وخلال مراحل

الصراع استشهد عدد كبير من قادة الروم ، وأخذ الموقف في التحول لصالح المسلمين ..

[... وحمل المسلمون على النصارى فانهزموا الى بلادهم وقتل منهم ما لا يحصى وملك المدينة وغنم ابن أبي عامر غنيمة لم ير مثلها واجتمع من السبي ثلاثون ألفاً، وأمر بالقتلى فنضد بعضها على بعض وأمر مؤذناً فأذن فوق القتلى المغرب .. وخرب مدينة ، قامونة – قد تكون سيمانقة – وعاد جيش الحاجب المنصور الى قرطبة ...] (١) .

و – وفي عام ٣٧٦ هـ – ٩٨٦ م : قاد الحاجب المنصور جيشه ، واستطاع اقتحام أسوار برشلونه واحتلالها وفرض سيطرته عليها بعد أن طال انفصالها عن دولة الأندلس الاسلامية وخضوعها لملوك فرنسا – الكارولنجيين – بصورة اسميـــة .

ز – غزوة البياض ٣٧٩ هـ – ٩٨٩ م : أعلن عبد الله بن الحاجب المنصور تمرده على أبيه واعتصم بشنت اشتيبين « سان استيفان » ، فقاد المنصور الجيش وحاصر « شنت اشتبين » فهرب عبد الله والتجأ الى البشكنس « ووعده ملك البة والقلاع « غرسية بن فرذلند » بالحماية والدعم ، فتحرك الحاجب المنصور في اتجاه منطقة « البشكنس ، الباسك » وطالب غرسيه بتسليم ابنه عبد الله فرفض الملك غرسية ، فأقسم الحاجب المنصور ألا ينسحب أو يعود الى قرطبة قبل أن يتسلم عبد الله ، وتقدم نحو الشمال فاصطدم بمقاومة البشكنس ، ونجح في ازالة المقاومات الصغرى ثم جابه جيش البشكنس فمزقه وتابع تقدمه فاحتل حصن وخشمة « او سمة » وأنزل بها رابطة من المسلمين ، وعندما وصل الموقف الى هذه المرحلة من التدهور وأدرك غرسية أن الحاجب المنصور مصمم على الاستمرار حتى يحقق أهدافه أرسل اليه وفداً للتفاوض وأعلن عن استعداده لقبول شروط الحاجب المنصور جميعها ، ودفع عبد الله وغيره من اللاجئين الى « البشكنس » .

(١) الكامل ، ابن الاثير ٧ – ١٢٠ .

وتم الاتفاق على عقد الصلح وبعث المنصور من تسلم اللاجئين وأصدر أوامره بقتلهم بما فيهم ابنه عبد الله [١].

ج – وعندما رجع جيش الحاجب المنصور ، أفاد « ملك ليون – قشتالة » فحشد قواته واندفع بقواته متجاوزاً الحدود فتصدى حاكم مدينة سالم « الوزير قند » للعدوان ، وتوجه بقواته الى حدود ليون فتجاوزها وأعمل في سهولها احراقاً وفي قلاعها تدميراً وحصل على غنائم كبيرة ثم اكتفى بهذا القدر من الردع وأخذ في الانسحاب والتراجع ، فعمل غرسية ملك ليون على قيادة قطعة مختارة من قواته محاولاً ضرب قوة الثغر التي يقودها الوزير قند . ولكن قوة الثغر جابهت محاولة غرسية بقوة ، وصمدت في القتال ونجحت في انتزاع النصر والحصول على عدد من الأسرى بينهم غرسية ملك ليون ، وكان غرسية جريحاً . فبذل الوزير قند العناية اللازمة ولكنه لم ينجح في انقاذ اسيره من الموت . فعمل على « حز رأسه » ووضعه في تابوت وأرسله الى قرطبة ، واحتفظ بجسده وأعلم الحاجب المنصور بمسيرة الاحداث ونتيجتها . وتولى شانجة بن غرسية الحكم ، فعقد الصلح مع الحاجب المنصور ، وطالب استلام جثة والده ، فتم ارسالها اليه [٢] .

ط – وفي عام ٣٨٥ هـ – ٩٩٥ م: وجه الحاجب المنصور جيشاً كبيراً للغزو في مملكة ليون ، وحقق الجيش انتصارات كبرى ، وأمكن له أسر أعداد كبيرة كان فيهم غرسية بن شانجة بن غرسية ملك ليون ، الذي حمل إلى قرطبة وهو طفل فأقام في قرطبة فترة طويلة ، وتعهده الحاجب المنصور بالرعاية والعناية[٣].

وفي عام ٣٨٧ هـ – ٩٩٧ م : قام المنصور بغزو « شانت ياقب » في جيليقية. ونظراً لأهمية هذه الغزوة ، فسيتم استعراض احداثها ببعض التفصيل .

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ٢ - ٤٢١ .

(٢) ابن بسام - الذخيرة ، القسم الرابع ٣١ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ٧ – ١٧٣ .

٢ – معركة « شنت ياقب »

٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م

١ – الوضع العام :

استطاع الحاجب المنصور ، اخضاع شبه الجزيرة لحكمه ، ونجح في ردع المقاومات الشمالية ، ورغم ذلك فقد استمر الدور التآمري للكنيسة ضد دولة قرطبة ، وكانت مملكة – ليون قشتاله – كعهدها ، المركز الاساسي للتآمر ، بسبب قوتها وبسبب موقعها في مناطق جبلية صعبة ، وقد حاول اكثر من خليفة التوغل في اقاليمها ولكن جميع المحاولات لم تحقق نصراً حاسماً وهذا ما دعم من مكان مملكة ليون وزاد من قوتها حتى أصبحت معقد الآمال عند دول نصارى الشمال لضرب الحكم العربي الاسلامي وممارسة دور قيادي في اضعاف قوة العرب – المسلمين واستنزافها ..

– كانت « شانت ياقب » في جيليقية تحتل مكانة خاصة بسبب وجود قبر القديس يعقوب – احد الحواري الاثني عشر [.. **وكان أخصهم بعيسى عليه السلام .. وهم يسمونه اخاه للزومه اياه .. وكان اسقفاً ببيت المقدس فجعل يستقري الأرضين داعياً لمن فيها حتي انتهى الى هذه القاصيه ، ثم عاد الى ارض الشام ، فمات بها وله مائة وعشرون سنة شمسية ، فاحتمل اصحابه رمته فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى أثره** ...] [1] .

أخذ – موريفانو – بعد ذلك في اضفاء هالة حول مكانة القديس بطرس ، فتحولت مدينة « شانت ياقب »[2] الى مدينة مقدسة يتوافد اليها الحجاج من اوربا كلها وتحتل المرتبة الثالثة بعد القدس ، وروما .. وعندما جاء الفونسو الثاني أعاد بعث أسطورة القديس يعقوب على اعتباره حامي جزيرة ايبيريا وسيدها

....

(١) نفح الطيب ١ – ٤١٤

(٢) شنت ياقب : Santiago de Compostela

وتعلقت الآمــال بحماية القديس لجزيرة الاندلس وتخليصها من المحن المدمرة التي تتعرض لها ، وقد وضعت طقوس خاصة وأناشيد حماسية لتمجيد القديس يعقوب ودفع النصارى الى التضحية والجهاد ضد الكفار - الذين هم المسلمون - .

- ونظــراً لوقوع « شنت ياقب » في أقصى الشمال الشرقي من الاندلس في وسط مناطق صعبة ، فقد استحال على قوات المسلمين فتحها والوصول اليهــا ، وبقيت معقل الثائرين وموئل المتمردين .

٢ - الوضع الخاص :

- وجد الحاجب المنصور ان اقنــاع مملكة ليون « اشتوريش » بالتوقف نهائياً عن ممارسة كل أعمال عدوانية يتطلب القيام بهجوم كبـــير يصل حتى « شنت ياقب » ذاتها ، وكانت الأوضاع الداخلية ، والاستقرار ، وتعاظم قوة جيش الاندلس ، واخماد الفتن في عدوة المغرب من العوامــل المساعدة لاخراج مشروع الهجوم الكبير من « عالم الفكر » الى « واقع التنفيذ » فأصدر الحاجب المنصور أوامره بالاستعداد للعملية ..

- كان قصر أبي دانس[١] ، هو القاعــدة الرئيسية للأسطول على المحيــط الأطلسي فعمل المنصور على انشاء أسطول كبير في هذه القاعدة ووجــــه اليها قوات كبرى من رجال البحرية وقوات المشاة « الرجالة » كما نقل اليها كميات كبرى من الأسلحة والأعتدة والأطعمة .. وأظهر اهتماماً خاصــاً بالوحــدات الهندسية لاقامة الجسور وتسوية الطرق وحفر الانفاق وجهزها بالأعتدة الثقيلة الضرورية للغزو ..

- في الوقت الذي كانت فيه الاستعدادات للتحرك البحري تســير في قصر أبي دانس بخطوات متسارعة ، كانت قرطبة تشهد استعداداً مماثلاً في تجهــيز قوات الفرســـان وحشدها من كافة أقاليم الأندلس ، وعندما انتهت مرحلة

---

(١) قصر ابي دانس : Alcacer - do - Sol ، مرسى الاسطول على ساحـل البرتغال جنوب لشبونه ..

الاستعداد ، أصدر الحاجب المنصور أوامره بالتحرك وبدأت جحافل الفرسان في الانطلاق من قرطبة بينما كانت الوحدات البحرية المحملة بقوات المشاة والمهندسين والشؤون الادارية تغادر ميناء قصر ابي دانس يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثلاثمائة هـ - ٩٩٨ م .

٣ - مسيرة العمليات :

كانت هذه الغزوة هي الثامنة والأربعون في سجل غزوات الحاجب المنصور، وكان الصراع المستمر ، والقتال المتصل قد أكسب المقاتلين خبرات كبيرة ، كما كانت الانتصارات المتلاحقة قد أكسبت الجند روحاً معنوية عالية وثقة بقيادتهم وقدرتهم على انتزاع النصر ومجابهة التحديات جميعها .

- كانت المرحلة الاولى من تقدم القوات الضاربة - الفرسان - تهدف الوصول الى قوريه[1] ، وفي هذه المدينة الواقعة على الحدود الجنوبية لمملكة ليون توقف الحاجب المنصور فترة قصيرة [.. **فوافاه عـــدد عظيم من القوامس « جمع قومس - كونت » المتمسكين بالطاعة في رجالهم ، وعلى أتم احتفالهم فصاروا في عسكر المسلمين .. وركبوا في المغاورة سبيلهم ..**]

- تابعت القوات تقدمها في المرحلة الثانية، وتم الوصول الى ميناء « بورتو - البرتغال »[2] على نهر دويره ، حيث تم وصول القوات البحرية وبدأت عملية انزال القوات ، وقامت وحدات الهندسة بدفع الاسطول في النهر الى الموضع الذي تقرر العبور منه ، وعقد هناك جسر من هذا الاسطول على مسافة قريبة من الحصن الذي يقف بأسواره لحراسة الاقليم في اتجاه المحيط ،وامكن احتلال الحصن بسرعة ، وتمت عملية اعادة تنظيم القوات والامداد بالأغذية والمتطلبات الادارية ثم انطلق الجيش الكبير نحو أهدافه .

---

(١) قوريه Coria : تقع على رافد من روافد التاج ، شمال مارده .

(٢) البرتغال - بورتو - Porto على نهر دويره Duero - Duoro .

تابع جيش المسلمين تقدمه على محور مواز لساحل المحيط الأطلسي، وتجاوز في تقدمه مجموعة من المواقع الطبيعية وعبر مجموعة من الانهار والخلجان المتصلة بالمحيط .. ثم وصلت القوات الى سهول « فرطارش – أو – فلطارش » الواقعة جنوب نهر « منهو »[١] ثم اصطدمت القوات بسلسلة الجبال الواقعة بين السهل وبين مجرى نهر منهو ، وحاولت عناصر الاستطلاع البحث عن محور للمرور ، وعندما لم تعثر الوحدات على الممر ، دفع الحاجب المنصور وحدات الهندسة [.. فتقدم الفعلة بالحديد لتوسعة الشعاب وتسهيل المسالك الجبلية ..] وعبرت الوحدات المضائق الجبلية ثم قامت بعبور نهر منهو ، واندفعت قوات الفرسان بعد ذلك في السهول الشمالية حتى وصلت دير قسطان[٢] وسهل بلنبو[٣] على المحيط الاطلسي وفتحت حصن سانت بلاي[٤] وغنمت ما فيه ، ثم عبر الجند سباحة الى جزيرة قريبة لجأ اليها [.. **خلق عظيم من اهل تلك الناحية .. فسبوا من فيها ممن لجأ اليها ..]**

– وصل جند المسلمين في تقدمهم حتى جبل مراسيه[٥] [المتصل من أكثر جهاته بالبحر المحيط .. فتخللوا أقطاره .. واستخرجوا من كان فيه وحازوا غنائمه ، ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليجاً في معبرين أرشد الأدلاء اليها .. ثم نهر ايله[٦] ، ثم افضوا الى سهول – بسائط – واسعة العمارة ، منها سهول اونبه وقرجيطه ودير شنت بريه ، ثم انتهوا الى موضع من مشاهد صاحب القبر ، تلو مشهد قبره عند النصارى في الفضل ، يقصد نساكهم له من أقاصي بلادهم ومن بلاد القبط والنوبه وغيرهما .. فغادره المسلمون قاعاً ..]

....

(١) نهر منهو أو منيه – ومنيو : Minho - Rio Mino .

(٢) دير قسطان او دير قسان .

(٣) نفح الطيب ١ / ٤٥١ وفي البيان المغرب – بلنبوط و « بيلنوا » .

(٤) وفي نفح الطيب شنت بلايه : San Pelayo .

(٥) جبل مراسيه : M. Morrazo .

(٦) نهر ايله : R. Ulla .

- وصل جيش الحاجب المنصور الى هدفـه النهائي واندفعت القوات نحو « شنت ياقب » واقتحمتها ، وكان أهلها قد غادروها ، فحاز المقاتلون ما ضمته المدينة من غنائم ، وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها ، وكلف الحـاجب المنصور مفرزة بمهمة حماية قبر القديس يعقوب والمحافظة عليه ، واستمرت أعمال التدمير حتى تحولت المدينة الى مجموعة من الانقاض .. واندفعت بعد ذلك الى جزيرة «شنت مانكش» [.. **منقطع هذا الصقع على البحر المحيط،وهي غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ، ولا وطئها لغير أهلها قدم ، فلم يكن بعدها للخيل مجـال ولا وراءها انتقال ..]** ..

- كان نجاح الحاجب المنصور في غزو شنت ياقب رائعاً ، ولم تصطدم قواته بمقاومة تذكر ، فأعاد تنظيم جيشه واختار لطريق العودة محوراً جديداً ، فقد أراد استثمار موقفه لغزو مملكة نافار من الشمال ، فأطلق جيشه يعمل تدميراً واحراقاً حتى وصل حصن بلقيه[1] فعمـل على افتتاحه ، وتوقف قليلاً لوداع القوات التي انضمت اليه في قوريه ، [**فأجاز هنالـك القوامس بجملتهم على اقدارهم ، وكساهم ، وكسا رجالهم وصرفهم الى بلادهم وكتب بالفتح من بلقيه ، وكان مبلغ ما كساه في غزاته هذه لملوك الروم ولمن حسن غناؤه من المسلمين الفين ومائتين وخمساً وثمانين شقة من صنوف الخز الطرازي ..]**

ورجعت القوات الى قرطبة وعلى قيادتها الحاجب المنصور وهي تحمل أكاليل الغار والغنائم الكبيرة دون أن تتكبد في غزوتها شيئاً من الخسائر[2] ..

---

(١) بلقيه وهي عند ابن عذارى مليقه ولعلها لميقه - لاميجو Lamego .

(٢) نفح الطيب ١ / ٤١٣ - ٤١٦ وابن عذارى ٢ / ٤٤٠ - ٤٤٣ .

منجزات الحاجب المنصور
واسلوب عمله

كان الحاجب المنصور يعتمد – وبالدرجة الأولى – على الاستطلاع والجاسوسية وجمع المعلومات الدقيقة عن موقف الصديق والعدو مما كان يساعده على اتخاذ القرارات الصحيحة ، وهناك أكثر من حادثة يمكن الاستشهاد بها لاثبات هذه الحقيقة ومنها ما يلي :

١ – [... كان – الحاجب المنصور – جالساً في بعض الليالي وكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر ، فدعا بأحد الفرسان وقال له : انهض الآن الى فج طليارش وأقم فيه فأول خاطر يخطر عليك سقه إلي ، قال : فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والريح والمطر واقفاً على فرسه ، إذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الحطب ، فقال له الفارس : إلى أين تريد يا شيخ ؟ فقال : وراء حطب ، فقال الفارس في نفسه : هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطباً فما عسى أن يريد المنصور منه ؟ قال : فتركته فسار عني قليلاً ثم فكرت في قول المنصور ، وخفت سطوته فنهضت الى الشيخ وقلت له : ارجع الى مولانا المنصور ، فقال له : وما عسى ان يريد المنصور من شيخ مثلي ؟ سألتك بالله ان تتركني لطلب معيشتي . فقال له الفارس: لا أفعل ، ثم قدم به على المنصور ، ومثله بين يديه وهو جالس لم ينم ليلته تلك ، فقال المنصور للصقالبة : فتشوه ، ففتشوه فلم يجدوا معه شيئاً ، فقال : فتشوا برذعة حماره ، فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى اصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا في احدى النواحي (الموصوفة) . فلما انبلج الصبح أمر باخراج اولئك النصارى الى باب الزاهرة، فضربت اعناقهم ، وضربت رقبة الشيخ معهم ...] [١] .

....

(١) نفح الطيب ١ / ٤١١ وابن عذارى ٢ / ٤٣٤ .

٢ – وكان الحاجب المنصور يتبع اكثر من وسيلة للحصول على المعلومات عن خصومه وكانت بعض وسائله إرسال مندوبين عنه للقيام بجولات في أقاليم ممالك الشمال المعادية له، وقام واحد من هؤلاء المندوبين بجولة في مملكة البشكنس حيث استقبله ملكها « غرسيه » استقبالاً جيداً، ثم انطلق المندوب للقيام بجولة في أنحاء المملكة بحيث لم يترك موقعاً أو مدينة أو قلعة إلا قام بارتيادها، وفي ذات يوم وبينما هو يتجول في احدى الكنائس تقدمت اليه سيدة عربية وقالت له [... بعد ان عرفته بنفسها : أيرضى المنصور أن ينسى بتنعمه بؤسها ويتمتع بلبوس العافية وقد نضت لبوسها، وزعمت أن لها عدة سنين بتلك الكنيسة محبسة وبكل ذل وصغار ملبسه وناشدته الله في انهاء قصتها وابراء غصتها واستحلفته بأغلظ الايمان، واخذت عليه في ذلك أوكد مواثيق الرحمن ..]

عاد الموفد الى قرطبة واجتمع بالمنصور، وعرفه بما يجب تعريفه بهواعلامه، وهو مصغ اليه حتى تم كلامه، فلما فرغ قال له المنصور : هل وقفت هناك على أمر أنكرته، أم لم تقف على غير ما ذكرته ؟.. فأعلمه بقصة المرأة وما خرجت عنه اليه، وبالمواثيق التي أخذت عليه، فعاتبه ولامه على أن لم يبدأ بها كلامه، ثم أخذ للجهاد من فوره، وأصبح غازياً، ووصلت أخبار الهجوم الى ملك البشكنش غرسيه، فأرسل رسالة يستوضح سبب الهجوم المباغت ونقض اتفاق السلم المعقود. فأجابه الحاجب المنصور : ان الاتفاق المعقود ينص على اطلاق سراح جميع الأسرى، وان هناك أسيرة في تلك الكنيسة .. وأقسم الحاجب المنصور أمام الوفد المكلف بنقل رسالة الملك غرسيه انه لن ينسحب بقواته حتى يكتسح أرض البشكنش ويطلق سراح الأسيرة. فأرسل ملك البشكنش الوفد مرة اخرى للاعلام بأن غرسيه لم يكن على علم بأمر هذه الأسيرة وأنه أرسلها على الفور مع اثنتين، وعلاوة على ذلك فانه [بالغ في هدم الكنيسة تحقيقاً لقوله والتزاماً بوعده .. وتضرع اليه في الأخذ فيه بطوله ..] فاستحيا الحاجب

المنصور ، وصرف الجيش،وأوصل المرأة الى نفسه ، والحف توحشها بأنسه، وغير من حالها ... وحملها الى قومها ...] [1] .

٣ - وكان الحاجب المنصور يعتمد اسلوب « الشورى » في اتخاذ قراراته ، ولكنه لم يكن يستسلم لآراء مستشاريه دائماً ، بل كثيراً ما كان يخالفهم معتمداً على ما يحصل عليه من معلومات بوسائله الخاصة ، كما انه كان يرفض في معالجة الأمور بالأساليب الروتينية التي كانت تسير عليها امور الدولة ، وبمعنى اوضح فانه لم يكن يستسلم لطبقة « البيروقراطيين » حسب التعبير العلمي الحديث ..

٤ - وكان الحاجب المنصور ايضاً يعتمد اسلوب تصعيد الردع لاقناع خصومه باستحالة الاستمرار في مقاومته ، كما كان يتبع في حروبه أساليب متنوعة ووسائل مختلفة وبذلك استطاع تحقيق انتصاراته الحاسمة ، ويمكن استقراء أسلوبه المذكور من خلال القراءة التالية :

(أ - ... كان - للحاجب المنصور - في كل غزوة من غزواته المنيفة على الحسين مفخرة من المفاخر الاسلامية،فمنها ان بعض الأجناد نسي رايته مركوزة على جبل بقرب احدى مدائن الروم ، فأقامت عدة أيام لايعرف الروم ما وراءها بعد رحيل العسكر .. وهذا بلا خفاء مما يفتخر به أهل التوحيد على أهل التثليث لأنهم لما أشرب قلوبهم خوف شرذمة المنصور وحزبه ، وعلم كلٌ من ملوكهم أنه لا طاقة له بحربه لجأوا الى الفرار والتحصن بالمعاقل والقلاع ولم يحصل منهم غير الاشراف من بُعدٍ والاطلاع ...) [2] .

(ب - ... ومن مفاخر المنصور في بعض غزواته أنه مر بين جبلين عظيمين في طريق عرض بريد بوسط بلاد الإفرنج،فلما جاوز ذلك المحل - وهو آخذ في التحريق والتخريب والغارات والسبي يميناً وشمالاً - لم يجسر أحد من

---

(١) ابن عذارى ٢ - ٤٤٤ - ٤٥٥ ونفح الطيب ١ - ٤٠٤
(٢) نفح الطيب ١ - ٥٩٥ .

الإفرنج على لقائه ، حتى أقفرت البلاد مسافة أيام ، ثم عاد فوجد الإفرنج قد استجاشوا مَنْ وراءهم ، وضبطوا ذلك المدخل الضيق الذي بين جبلين ، وكان الوقت شتاء ، فلما رأى ما فعلوه رجع واختار منزلاً من بلادهم أناخ به فيمن معه من العساكر وتقدم ببناء الدور والمنازل ، ويجمع آلات الحرث ونحوها ، وبث سراياه فَسَبَتْ وغنمت ، فاسترق الصغار ، وضرب أعناق الكبار ، وألقى جثثهم حتى سَدّ بها المدخل الذي من جهته ، وصارت سراياه تخرج فلا تجد إلا بلداً خراباً فلما طال البلاء على العدو أرسلوا اليه في طلب الصلح، وأن يخرج بغير أسرى ولا غنائم فامتنع من ذلك ، فلم تزل رسلهم تتردد إليه حتى سألوه أن يخرج بغنائمه وأسراه فأجابهم : إن أصحابي أبوا أن يخرجوا وقالوا : إنا لا نكاد نصل إلى بلادنا إلا وقد جاء وقت الغزوة الأخرى فنقعد هنا الى وقت الغزاة فاذا غزونا عُدنا ، فما زال الإفرنج يسألونه إلى أن قرر عليهم ان يحملوا على دوابهم ما معه من الغنائم والسبي وأن يمدوه بالميرة حتى يصل إلى بلاده ، وأن ينحوا جيف القتلى عن طريقه بأنفسهم ففعلوا ذلك كله وانصرف ...)

— في عام ٣٩٣ هـ — ١٠٠٢ م ، وفي الوقت الذي فرض المسلمون سيطرتهم على الاندلس كلها ، وكان من المتوقع العودة الى غزو — غاليا — فرنسا . وبينما كان الحاجب المنصور يتابع أعمال الردع في الشمال، أصيب بالمرض ، فانسحب الى مدينة سالم ، وتوفي فيها وبها دفن .. وبذلك طويت صفحة خالدة من حياة الاندلس الاسلامية ، ولم تلبث ان تمزقت وحدة الاندلس السياسية بظهور ملوك الطوائف ، ثم لم تلبث ان انهارت الدولة الأموية وبدأ عهد جديد من الصراع بين العرب المسلمين وبين دول الشمال النصرانية ثم تطور الصراع الى اعلان الحرب الصليبية في الشرق والغرب ..

ولقد كانت دروس « فن الحرب » قد نضجت بفعل المعارك المتصلة بين العرب المسلمين وأعدائهم الذين أفادوا من هذه الدروس وعملوا على استخدامها ضدهم ..

لقد كان الصراع فوق ارض الاندلس مدرسة قتالية غنية بالدروس ، وان هذه الدروس ستبقى مفخرة من مفاخر العرب المسلمين ومأثرة خالدة في جملة مآثرهم ..

الغزو المضاد

- ما بعد المنصور - وبداية حركة الاسترجاع

أخذ بنيان الدولة الأموية في الانهيار بعد وفاة الحاجب المنصور ، بحيث لم تمر سوى فترة قصيرة هي في حدود العشرين عاماً حتى انتهت الدولة الأموية الى الزوال وتمزقت وحدة الاندلس تحت سيطرة ملوك الطوائف .

- لقد استطاع عبد الرحمن الناصر بناء دولة الأندلس القوية وجاء بعده الحكم المستنصر فعزز من قدرة الدولة وزاد على قوتها ثم استمرت هذه الاستراتيجية في عهد الحاجب المنصور الذي استولى على سموره عام ٣٧١ هـ - ٩٨١ م ، ثم هاجم ليون ذاتها عام ٣٨٦ هـ - ٩٩٦ م ، وفي عام ٣٨٧ هـ - ٩٩٧ م سيطرت قوات المسلمين على شنت ياقب في كومبوستيللا ..

وفي عام ٣٧٦ هـ - ٩٨٦ م استعاد المسلمون سيطرتهم على برشلونه بحيث لم يبق عليهم سوى عبور البيرنيه للعودة بدولة الاسلام في الاندلس الى عهد الفتح الأول ، وبذلك اصبحت الاندلس الاسلامية في القرن العاشر الميلادي مصدر خطر كبير على العالم المسيحيي في أوربا . لكن الاحداث التي أعقبت وفاة الحاجب المنصور جعلت هذا العالم يستعيد أنفاسه ويضع مخططاته ..

- كانت مملكة ليون ، نواة حركة الغزو المضاد ، وزعيمة حركة الاسترداد ، وأكبر دول الشمال في الاندلس . وقد أخذت مملكة ليون في بناء قوتها الذاتية والافادة من خبرة الصراع الطويل مع العرب المسلمين ، واستثمار التناقضات الموجودة بينهم لاستعادة الاندلس واخراج العرب المسلمين منها ..

- في عام ٤٢٢ هـ - ١٠٣٢ م ، انتهى حكم الدولة الاموية في الاندلس ،

وكان ملوك الطوائف قد بدؤوا بالاستقلال منذ عام ٤٠٣ هـ - ١٠١٢ م .

وقد أفاد ملوك ممالك الشمال النصرانية وفي مقدمتهم ملك ليون « الفونس» وتسميه العرب « الأذفونش » من التناقض القائم بين ملوك الممالك وذلك بفرض سيطرته عليهم واحداً بعد الآخر وانتزاع الاقاليم مدينة بعد مدينة وقلعة بعد قلعة . وقد أخذ كثير من المؤرخين على اعتبار المرحلة التي بدأت بسقوط طليطلة عام ٤٧٥ هـ - ١٠٨٣ م هي بداية حركة الاسترجاع ، التي انتهت باخراج العرب المسلمين من الاندلس . وقد حدثت خلال هذه المرحلة معارك كبرى لعل اكثرها شهرة في التاريخ معركتي الزلاقه بقيادة امير المرابطين يوسف بن تاشفين عام ٤٧٨ هـ - ١٠٨٦ م ، وموقعة الارك بقيادة يوسف بن عبد المؤمن ٥٩١ هـ - ١١٩٤ م ، ثم موقعة العقاب التي هزم فيها المسلمون هزيمة منكرة عام ٦٠٩هـ - ١٢١٢ م . ولكن المعارك جميعاً كانت في اطار العمليات الدفاعية أو الهجمات الوقائية . وان تأخر حركة الاسترجاع وامتداد فترة الصراع تعود الى قوة العرب المسلمين في الاندلس من جهة والى انصراف الغرب نحو الشرق للقيام بالحروب الصليبية من نجهة أخرى .. وان هذه المعارك جميعاً خلال فترة الصراع المريرة تقع خارج نطاق بحث هذا الكتاب نظراً لوقوعها « خارج نطاق الدولة الأموية » .. وكل ما يمكن قوله بالنسبة لفن الحرب خلال مرحلة هذا الصراع هو انها كانت استمراراً للمراحل «الأموية» بحيث انها لم تتميز بطابع جديد..

لقد ارتبطت مرحلة « الاسترجاع » بالحروب الصليبية ونشاط الكنيسة « ديركلوني مثلاً واجتماع كليرمونت » ، كما ارتبطت بأحداث الشرق ، وقد يكون من المفيد مطالعة موجزلهذه الاحداث ..

١ - ديركلوني - قاعدة تنظيمية في الحرب الصليبية :

- تعاقب على بطريركية ديركلوني البطريرك اوديلو ٣٨٤ - ٤٤٠ هـ = ٩٩٤ - ١٠٤٨ م ، ثم البطريرك هيو ٤٤٠ - ٥٠٣ هـ = ١٠٤٨ - ١١٠٩ م ..

وقد مارس دير كلوني دوراً قيادياً في الحرب الصليبية ضد مسلمي الاندلس، وكان من مطالبه ، تأمين طرق الحج الى كومبو ستيللا ، والاحتفاظ باسبانيا المسيحية .

كان سانشو الكبير « الثالث » ملك نافار يقود عملية « الغزو المضاد »[1] ضد المسلمين وتحالف مع ملك ليون وقشتاله ووليم دوق غاسكونيا ، وطلب من روبرت ملك فرنسا دعمه ، لكن ملك فرنسا لم يستجب له ، فقام دير كلوني باستقدام روجر توسني[2] من نرمنديا لدعم ملك نافار . كما وجه ايرسلند[3] لدعم كونتيسه برشلونه ، ونجح قسس دير كلوني في اقناع امير غسقونيا – وليم – لدعم سانشو ملك نافار بهدف انتزاع سرقسطه من المسلمين ، وكان لذلك دوره في تشجيع « ريمون برغار الأول » أمير برشلونه على المضي في زحفه نحو الجنوب ومتابعة طرد المسلمين من جنوب الاندلس ..

٢ ـ اجتماع كليرمونت واعلان الحرب الصليبية :

في عام ٤٨١ هـ – ١٠٨٨ م : احتل أودو – دو – لاجيري[4] مركز البابوية في روما وتوج باسم ايربان الثاني ، وبدأ على الفور باجراء اتصالات واسعة لتوحيد جهد الكنيسة وجمع المعلومات الكافية عن الاوضاع في اوربا كلها والشرق ، ثم قام بجولة واسعة لزيارة الأديرة والكنائس للاضطلاع بحل مشاكلها ودراسة قضاياها ومتطلباتها ، وتوحيد جهد الكنيسة في اتجاه واحد ، مع ازالة المنازعات الصغرى في سبيل تحقيق هدف كبير – هو الحرب الصليبية – .
– وفي عام ٤٨٩ هـ – ١٠٩٥ م وجه ايربان الثاني الدعوة لعقد اجتماع في

....

(١) الغزو المضاد : La Reconquesta .
(٢) روجر توسني : Roger of Tosni .
(٣) ايرسلند : Ereslind .
(٤) اودي دو لاجيري Odo de Lagery من مواليد أسرة نبيلة في شاتيون سير مارن Chatillon Sur Marne وكان دمثاً ، قوي الشخصية ، دائم الحركة .

بياكنزا ، تمت فيه دراسة الامور الداخلية ، وحل المشكلات الفردية المتعلقة بملوك اوربا وأمرائها . وفي الفترة بين ١٨ – ٢٨ تشرين الثاني – نوفمبر من السنة ذاتها عقد اجتماع كليرمونت الذي احتل شهرة خاصة في التاريخ بسبب ما انتهى اليه من اعلان الحرب الصليبية ..

– تكونت لدى البابا اربان الثاني القناعة بأن موقف اسبانيا اصبح مقرراً، فقرر توجيه الجهد نحو جبهة أخرى، والانتقال من العمل بالسر الى العمل بالعلن .

– حضر اجتماع كليرمونت ٣٠٠ من رجال الكنائس المنتشرة في اوربا ، وفي نهاية المؤتمر ، وأمام الجماهير المحتشدة ألقى البابا اربان خطابه الذي طالب فيه بذل الجهد لتحرير الاخوان المسيحيين في الشرق ، وأنهى خطابه بالنداء المشهور :

[**فلينطلق المسيحيون بالغرب لنجدة الشرق ..**] وبدأ العمل لاعداد حملات الحرب الصليبية التي كان من اكثر المتحمسين لها بطرس الناسك ووالتر المفلس .

٣ – استراتيجية حركة « الاسترجاع » والغزو المضاد :

هناك اختلاف بين المؤرخين حول تحديد بداية « مرحلة الاسترجاع » فمنهم من يحدد بداية هذه المرحلة بسقوط طليطلة ، ومنهم من يحددها بمعركة العقاب على اعتبار انها كانت آخر محاولة لظهور قوة المسلمين ، لا سيما وقد انتهت هذه المعركة بزوال دولة الموحدين . وهناك من يحددها بنهاية عهد المنصور على أساس « انتهاء الوحدة السياسية للدولة بزوال عهد الحاجب المنصور » ولعل بعض المؤرخين العرب ومنهم المقري كانوا أكثر عمقاً في تحليل احداث التاريخ عندما وصفوا بداية المرحلة مع ظهور بلاي في جيليقيه[1] منذ العهد الأول للفتوح ، وتصاعد شدة المقاومة منذ البداية بحيث اضطر عنبسة بن سحيم الكلبي الى دفع كل القوى للسيطرة على اقليم جيليقيه شمال شرق الجزيرة ، ويمكن في الواقع تقسيم مرحلة الاسترجاع الى فترات توافقاً مع مسيرة الاحداث :

---

(١) لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع في نفح الطيب للمقري ٣-١٧ و ٤-٣٥٠ .

١ – المرحلة الأولى : التي بدأت بانهيار الدولة الأموية في الشام وقيام الدولة الأموية في الأندلس عام ١٣٨ هـ – ٧٥٥ م وانتهائها بوفاة الحاجب المنصور عام ٣٩٣ هـ – ١٠٠٢ م . وفيهـــا ظهرت دول الشمال وتكونت مقاومات منظمة ووضعت مخططات مرحلية ومخططات بعيدة المدى لاخراج العرب المسلمين من الأندلس ..

٢ – المرحلة الثانية :* وهي التي بدأت باعـلان الحروب الصليبية بصورة غير رسمية ضد الاندلس وبصورة رسمية ضد الشرق ، ويمكن تحديد تاريخ لهـا بنهاية الحروب الصليبية في الشرق أي بين عام ٣٩٣ – ٦٩٨ هـ = ١٠٠٢–١٢٩٨م.

٣ – المرحلة الثالثة : تصفية الوجود العربي الاسلامي في الاندلس ويمكن تحديد بداية هذه الفترة مع نهاية الحروب الصليبية في الشرق وضياع مدن الاندلس الرئيسية « مارده – قرطبه – مرسيه – اشبيليا شرق الاندلس » مـع تحديد نهايتها بخروج العرب المسلمين نهائيـــاً من الاندلس والاستيلاء على ما بقي في قبضتهم عام ٨٩٨ هـ – ١٤٩٢ م ..

كانت فترة الصراع في الاندلس طويلة وشاقة استمرت ٧٥٠ سنة تقريبـاً ، واتبعت دول الشمال استراتيجية تتوافق مع المراحل التي مر بها النضال لتنفيذ استراتيجية الاسترجاع ولكن هذه السياسة المرحلية لم تكن لتتناقض مـــع الاستراتيجية العامة للاسترجاع . ويمكن القول ، ان وضع حـد زمني للمراحل لا يعني وجود انفصال بينها، فأحداث التاريخ نسيج متلاحم لا انقطاع فيه وان احداث كل فترة شديدة الاتصال بالفترة التالية لها وبالفترة التي سبقتها ، ولهـذا فانه من المستحيل الأخذ بظواهر احداث معينة ضمن اطار زمني محدد واسقاط ما سبقها من تفاعلات ورواسب واهمال ما تبعها من نتائج لا سيما عندما تحدث هذه التفاعلات في بوتقة واحدة فتأخذ ظواهر واحدة وتنتهي بنهايات متماثلة ، وان استعراض تاريخ الصراع في بوتقة « الأندلس » يظهر بوضوح ان هنـــاك استراتيجية واحدة كانت هي المسيطرة على الاحداث وهي المسيرة لها وقد يكون

من المفيد الرجوع بهذا الصراع الى بداياته الاولى حتى تظهر معالم الاستراتيجية التي طبقت طوال مرحلة الصراع والتي تعتمد في أساسها على دعامتين ثابتتين :

١ - استراتيجية مرحلية تأخذ بعين الاعتبار الظروف الموضوعية ومتطلبات المرحلة الراهنة التي تمر بها قضية « الاسترجاع » .

٢ - استراتيجية بعيدةالمدى تهدف في النهاية الى اخراج العرب من الاندلس.

كان هدف الاستراتيجية المرحلية سـبر قوة العرب المسلمين في كل فترة واستنزاف قدرتهم القتالية وقوتهم في اثارة التناقضات الداخلية واشعال نيران الحروب الخارجية ..

وكان هدف الاستراتيجية بعيدةالمدى انتزاع مدن الاندلس وقلاعها وأقاليمها على مراحل متتالية .

وبقدر ما كانت الاستراتيجية المرحلية مرنة ومتغـيرة كانت الاستراتيجية بعيدة المدى ثابتة وصلبة .. وبدهي القول ان تطبيق الاستراتيجية المرحلية لم تكن موضع اتفاق بين ملوك دول الشمال وحكامها ، بل كانت موضع اختلاف وكثيراً ما انتهى هذا الخلاف الى صراع مسلح .. في حـين كانت الاستراتيجية بعيدة المدى موضع أتفاق تام بين جماهير الشمال وحكامهم وملوكهم .

٤ - المنطلقات الاساسية لاستراتيجية « الاسترجاع » :

على الرغم من الاختلاف الذي كان يحدث بـين ملوك الشمال حول تطبيق الاستراتيجية المرحلية. وعلى الرغم من ضرورة تطبيق استراتيجية خاصة للتمييز بين ما هو مرحلي وبين ما هو خاص للمستقبل . وتغيير الوسائل تبعـاً لذلك ، إلا أن وحدة الهدف فرضت نوعاً معيناً من الوحدة في وسائل العمل وأساليب العمل بحيث اخذت الاستراتيجية المرحلية والاستراتيجية بعيدة المـدى ظواهر واحدة . ويمكن ايجاز المنطلقات الاساسية لاستراتيجية الاسترجاع بنوعيها في عدد من النقاط :

١ – اثارة التناقضات الداخلية واستثمارها ..

– لقد ولدت مملكة اشتوريش – ليون – ومملكة البشكنس – نافار – في قلب التناقضات التي ضمتها عناصر الفتح العربي الاسلامي . وقد أدركت هذه الممالك منذ نشوئها انبقاءها واستمرارها مرتبط والى حد بعيد باثارة التناقضات في المجتمع العربي ـ الاسلامي ، وتمزيقه الى مراكز قوى ثم ضرب هذه المراكز بعضها ببعض وبالتالي استنزاف قوتها واضعافها وتوفير الفرصة المناسبة امام دول الشمال لبناء قوتها الذاتية وتطوير امكاناتها .

٢ – عزل العرب المسلمين عن اهل البلاد الأصليين ..

استطاع الفتح العربي الاسلامي استقطاب أهل البلاد وضمهم اليه والتعاون معهم لبناء أندلس المسلمين . ولم يكن هناك ما يعيق المخلصين من أهل البلاد الى احتلال المراكز الرئيسية في الدولة والجيش فقد ترك العرب المسلمون لأهل البلاد حريتهم الاجتماعية والدينية ، فأقبل أهل الأندلس وأظهروا كل تعاون وأخذت اعداد منهم في تعلم اللغة العربية ، وأطلقوا على أبنائهم أسماء عربيـــة وأصبح بعضهم شعراء وأدباء، وأدرك المتعصبون منهم خطورة هذا التعاون على مستقبل حركة الاسترجاع فأعلنوا التمرد وظهرت ثورات « كنيسة قرطبة » منذ العهود الأولى للفتح وتبع ذلك اثارة حركات المولدين في الشمال ، وتحريض المستعربين ، ثم وضعت المخططات لعزل أهل البلاد عن العرب المسلمين والقضاء على سياسة التعايش ، وقد اصطدمت هذه المخططات في بداياتها بتصميم حكام العرب المسلمين وقوة ارادتهم فلم تتمكن من تحقيق النجاح . ولكن الثبات على تنفيذ مخططات « الاسترجاع » والعمل بشتى الوسائل على انجاح مخططات العزل والقضـاء على سياسة التعايش اخذت كلها في اكتساب الانصار ، والمؤيدين وبأعداد متزايدة يوماً بعد يوم حتى تم الوصول الى الهدف النهائي ..

٣ – اثارة عامل الحقد ..

– اعتمدت دول الشمال في استراتيجيتها على « عامـل الحقد » لاذكاء روح

النضال واثارة الحماسة ضد العرب المسلمين ، وقد أدركت قيادات الشمال منذ البداية ان تسامح العرب المسلمين هو العامل الاساسي في نجاح تنفيذ « سياسة التعايش » وحمل المواطنين الاسبان والمولدين والمستعربين على التعاون مع الحكم العربي . ولهذا وحتى تستطيع دول الشمال دفع العرب المسلمين الى استخدام القسوة والعنف وخلق هوة فاصلة بين العرب المسلمين من جهة وبين أهل البلاد الاصليين من جهة اخرى ، انطلقت قيادات الشمال في ارتكاب الجرائم الوحشية من قتل وتدمير فجاءت استراتيجية الردع موازية لأسلوب الشمال ، فبدأت الثغرة وقد استثمرت دول الشمال كل الظروف للمبالغة وللعمل على توسيع الثغرة وتعميقها .

٤ – تكوين ايديولوجية للحرب ..

– درست الكنيسة أسباب نجاح العرب المسلمين في فتوحاتهم ، فعرفت ان العامل الاول هو عمق ايمان العرب المسلمين واستعدادهم للتضحية باستمرار للمحافظة على دينهم ونشر دعوتهم في كل مكان . ولهذا عمل قادة الشمال على اعادة تمجيد أسطورة القديس يعقوب وخلق هالة حولها ، واعطاء الصفة الدينية للصراع مع العرب المسلمين . وقد وقع تناقض بين رجال الكنيسة حول هذا الموضوع ذلك ان التعاليم المسيحية لا تجيز التضحية وازهاق النفس من أجل نشر الدعوة المسيحية ، فبدأت الكنيسة في تغيير النصوص وايجاد المبررات واصدار الوعود – بالغفران – ومنح الصكوك لمن يقتل أثناء الصراع مع توفير مغريات مادية ، مثل اعطاء الارض التي يتم الاستيلاء عليها وانتزاعها من العرب المسلمين الى اولئك المقاتلين الذين يحققون الانتصارات ويلحقون الهزائم بجند المسلمين ..

٥ – ربط الصراع بالاندلس – بالظروف العامة – .

تابع حكام الشمال ، وملوك اوربا الاحداث الجارية على مستوى الوطن

العربي الاسلامي وأدركوا منذ البداية ان انفصال الوحدة السياسية للعـــالم الاسلامي هي نقطة الضعف الاولى في كيان الامة السياسية .

وعرفوا ايضاً ان حكم الاندلس أصبح في عزلة عن العـالم العربي الاسلامي ، فأخذوا في العمل لتكريس هذا الواقع واستثماره ، وكان شارلمـان هو أول من استثمر هذا الواقع فعقد أواصر الصداقة مع بغداد لضرب قرطبـة ، واستمر العمل بهذه الاستراتيجية طوال مرحلة « الاسترجاع » .. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى عرف النصارى في اوربا اهمية « وحدة الهدف » في الصراع مـع العرب المسلمين فعملوا على ازالة الخلافات الموضعية والطارئة . والعمل على وحدة الصف ووضع «واجب الحرب المقدسة» فوق كل الخلافات الثانوية وقد مارست الكنيسة دوراً كبيراً في هذا المضمار ونجحت في ازالة التناقضات ، والقضاء على الصراع الداخلي من اجل تركيز الجهد للعمل على جبهة واحدة . وهـــذه هي الاستراتيجية التي انتهت باعلان الحروب الصليبية ..

وكان تطبيق الاستراتيجية المرحلية يســير في خطوات متماثلة واجراءات متشابهة بحيث يمكن تمييز أسلوب العمل بوضوح ، وتحديد معالمه بما يلي :

١ً – القيام بعمليات سبر مع بداية كل مرحلة ، وفي كل مناسبة أو ظرف ملائم.

٢ً – تركيز الجهد على قلعة أو مدينة أو اقليم وانتزاعه من العرب المسلمين والتوقف فترة ثم معاودة العمل من جديد في منطقة أخرى ..

٣ً – اظهار الخضوع والاستسلام اذا جاءت استراتيجية الردع قوية أو اذا طور العرب المسلمون أساليبهم وعملوا على تطبيق استراتيجية «الهجمات الوقائية».

٤ً – تنفيذ عمليات السبر – وأعمال الهجوم – بقسوة وعنف لحمل القيادات في قرطبة على استخدام أسـلوب ردع مماثل وخلق هوة بين العرب المسلمين وأصحاب البلاد .

٥ً – العمل في كل الظروف على استنزاف قوة العرب المسلمين ، باثارة المولدين ، في البداية ، وتشجيع مراكز القوى على التمرد والثورة وضرب بعضها ببعض ..

٦ً – استنزاف قوة العرب المسلمين بالحروب المستمرة والصراع المتصل مع دول الشمال .

٧ً – الاستعانة بالمتطوعين ودول « الافرنج » كلما كان ذلك ممكناً ..

– ان هذه الاستراتيجية لم تكن مجهولة أو غائبة عن أنظار جماهير العرب المسلمين وقياداتهم في الأندلس . فقد كانت الرؤيا واضحة ، وكان أسلوب دول الشمال واستراتيجيتهم موضع مناقشة وحوار ، وان ما خلفه كتاب العرب المسلمين وشعراؤهم من قصائد وأقوال تظهر ان العرب المسلمين كانوا يعرفون أبعاد استراتيجية الشمال وخطورتها ، وان ما قيل من قصائد شعرية ومقطوعات في رثاء طليطلة وغيرها يؤكد وضوح الرؤيا عند عرب الأندلس . ولهذا فان الاستعانة بالمرابطين والموحدين قد جاءت تلبية لمتطلبات الصراع بهدف مجابهة التكتل الذي تزعمته دول الشمال ، وان نجاح هذه الاستراتيجية قد جاء نتيجة طبيعية لاختلال ميزان القوى ..

***

٥ – الحرب الصليبية في الشرق والغرب

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١	١٨٣	٧٩٩	تكونت دولة جيليقيه في شمال غرب الاندلس وظهرت دولة نافار وبدأ الصراع ضد المسلمين فوق أرض الاندلس ذاتها ..
٢	١٨٦	٨٠١	سقوط برشلونه في قبضة الافرنج .
٣	٣٠٣	٩١٥	تعاون البابا يوحنا العاشر مع بيزنطه – القسطنطينية – لتكوين تحالف من الأمراء المسيحيين بهدف طرد المسلمين من قلعتهم الواقعة على جبل جاريجليانو .
٤	٣٣١	٩٤٢	طلب ملك بروفانس الكونت هوغ من امبراطور القسطنطينية دعمه لطرد المسلمين من البروفانس ووجه امبراطور بيزنطه أسطولاً أحرق سفن المسلمين ودمرها في مياه البروفانس .
٥	٣٣٤	٩٤٥	انتزع يوحنا كركواس أعالي الجزيرة الشامية من الحمدانيين أيام سيف الدولة .
٦	٣٥٠	٩٦١	انتزع نقفور فوقاس جزيرة كريت وطرد المسلمين منها .
٧	٣٥٠	٩٦١	احتل نقفور فوقاس عين زربه ومرعش وعزل قيليقية الاسلامية .
٨	٣٥٠	٩٦١	وفاة عبد الرحمن الناصر ، واستيلاء العامريين على السلطة في الأندلس .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٩	٣٥٥	٩٦٥	استولى نقفور امبراطور بيزنطه على قيليقيا ، وانتزع قبرص من المسلمين .
١٠	٣٥٦	٩٦٦	قاد نقفور حملة الى حوض الفرات الأوسط . .
١١	٣٥٩	٩٦٩	استولى نقفور على حلب ، حماه ، حمص، شيزر ، ودمر مدن الساحل انطرسوس، جبيل، اللاذقية .
١٢	٣٦١	٩٧١	استولى الامبراطور يوحنا زمسكيس على نصيبين وأخضع حمص والشام .
١٣	٣٦٥	٩٧٥	قاد – غليوم – عملية اخراج المسلمين من البروفانس .
١٤	٣٧١	٩٨١	استولى المنصور على « سموره » جنوب ليون .
١٥	٣٨٥	٩٩٥	اعاد باسيل الثاني سيطرة بيزنطه على حلب .
١٦	٣٨٦	٩٩٦	قاد المنصور هجوماً حاسماً ضد ليون ، ووصل ليون فدمرها وأحرقها .
١٧	٣٨٧	٩٩٧	قاد المنصور جيشاً كبيراً ووصل «شانت ياقب» في كومبوستيللا ثالث الأماكن المقدسة عند المسيحيين بعد القدس وروما. وقد احتل المنصور شانت ياقب ودمرها ثم تركها طعمة للنيران . .
١٨	٣٩٢	١٠٠١	توقيع هدنة بين امبراطور بيزنطه والخليفة الفاطمي في مصر لمدة ١٠ سنوات .
١٩	٣٩٣	١٠٠٢	اغار البحارة المسلمون على «أنيتب – عين الطيب» في البروفانس .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
	٣٩٦ و ٣٩٧	١٠٠٥ و ١٠٠٦	أغار البحارة المسلمون على بيزا .
	٤١١	١٠٢٠	أغار البحارة المسلمون على ناربون – أربونه – .
٢٠	٤٣٢	١٠٤٠	نجح ستة اخوة ابناء فارس « نورماني » مغمور اسمه تانكرد – هوتفيل في الاستيلاء على مدينة « ميلفي » بتلال ابوليا ، وأقاموا بها إمارة بفضل مساعدة امبراطور الغرب هنري الثالث ، والبابا الجرماني الذي رشحه هنري للبابوية ، واستطاع النورمان توطيد سيطرتهم على امارات لومبارديا ، ورحبت الكنيسة بهذه الخطوة وذلك للاستعانة بالنورمان في الحروب ضد المسلمين .. ولاضعاف موقف بيزنطه من جهة اخرى واخضاعها لسلطة الكنيسة ..
	٤٤٥	١٠٥٣	مات هنري الثالث ..
٢١	٤٣٧	١٠٤٥	– سلم الملك آني اكبر ملوك ارمينيا ، بلاده للبيزنطيين ..
	٤٤٧	١٠٥٥	دخول طغرل بك الى بغداد ..
٢٢	٤٥٧	١٠٦٤	استولت بيزنطه على امارة قارس ، آخر امارة مستقلة في ارمينيا .
٢٣	٤٦٤	١٠٧١	استولى تسيز بن أبق – ينتمي الى البارسلان – على القدس وسيطر الترك على فلسطين .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٢٣	٤٦٤	١٠٧١	استولى النورمان على آخر قاعدة لبيزنطه في ايطاليا ..
٢٤	٤٦٤	١٠٧١	تقدم رومانوس ديوجين زوج امبراطورة بيزنطه – رايدوسيا – والوصية على ميخائيل السابع ، واقتحم منطقة الفرات الأعلى ، فجابهه الب ارسلان وهزمه في موقعة « مانزيكرت » .
	٤٦٨	١٠٧٥	استولى تسيز على دمشق .
	٤٧٢	١٠٧٩	اغتيل تسيز بيد تتش الذي اصبح يسيطر على الشام من حلب وحتى حدود مصر .
	٤٧٨	١٠٨٥	استولى السلطان سليمان السلجوقي على انطاكيه ومدن قيليقيه .
	٤٨٠	١٠٨٧	استولى بازان التركي على الرها ..
٢٤	٤٥٦	١٠٦٣	لقي راميرو الأول ملك أراغون مصرعه في « غرادوس »[١] على يد احد المسلمين عندما قام بهجومه ضدهم ، فأعلن البابا الاسكندر الثاني انه يبذل الغفران لكل مقاتل من أجل الصليب في اسبانيا ، وبدأ البابا بتنظيم جيش لمتابعة مشروع راميرو ، وأخذ المقاتل النورماني

(١) غرادوس : Grados .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
			« ويليم مونتراي »[1] في تطويع المقاتلين لخدمة البابا وجمعهم من شمال ايطاليا . كما عمل إبلس كونت روسي[2] شقيق فيليشيا[3] ملكـة أراغون على جمع المقاتلين النورمان من شمـال فرنسا ، لكن هذه الحملة لم تحقق النجاح المطلوب.
٢٥	٤٦٦	١٠٧٣	أعاد ابلس كونت روسي تنظيم حملة جديدة من الفرنسيين ، ودعا البابا جريجوري السابع أنصار المسيحية جميعهم لدعم هذه الحملة والانضمام اليها واعداً المسيحيين باعطائهم الغنائم التي سيستولون عليها من أيدي الكفار – المسلمين – .
٢٦	٤٧١	١٠٧٨	تولى هيو الأول – دوق برجنديا – قيادة جيش لدعم صهره الفونسو السادس ملك ليون – قشتاله.
٢٧	٤٧٣	١٠٨٠	– أعلن البابا جريجوري السابع تأييده الشخصي ومباركته للحملة التي قادها جاي جفري .
٢٨	٤٧٨	١٠٨٥	**استولى القشتاليون على طليطله .**
٢٩	٤٧٩	١٠٨٦	دخل المرابطون الأندلس وانتصروا في معركة الزلاقه على « الافرنج » .

....

(١) ويليام مونتراي : William of Montreuil .

(٢) ابلس - روسي Ebles of Rucy .

(٣) فيليشيا : Flicia .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٣٠	٤٨٠	١٠٨٧	اشتدت دعوة الفرسان المسيحيين للزحف على الأندلس ومواجهة المرابطين .
	٤٨٩	١٠٩٥	عقد مجمع كليرمونت ، واعلان البابا اوربان الثاني الحرب الصليبية على المسلمين .
٣١	٤٩٠	١٠٩٦	سقوط وشقه في يد الافرنج في الأندلس .
٣٢	٤٩٢	١٠٩٨	وصول الحملات الصليبية الى المشرق وسقوط انطاكية .
	٤٩٣	١٠٩٩	احتلال الصليبيين لبيت المقدس « القدس » واحتلال طرابلس وبيروت والرمله ومدن الساحل ..
٣٣	٥١٤	١١٢٠	ضياع كتنده وسرقسطه .
	٤٨٨ و ٥٢٢	١٠٩٥ و ١١٢٩	سقوط بلنسيه وبربشتر ثم ضياعهما .
٣٤	٥٤٢	١١٤٧	ضياع المريه .
٣٥	٥٨٦	١١٩٠	سقوط شلب ثم استرجاعها ثم ضياعها .
٣٦	٥٩١	١١٩٤	**موقعة الأرك بقيادة يوسف بن عبد المؤمن « الموحدين » .**
٣٧	٦٠٩	١٢١٢	**موقعة العقاب بقيادة محمد الناصر بن يوسف ، وهزيمة المسلمين بالاندلس ..**
٣٨	٦٢٢	١٢٢٥	ضياع لوشه .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
٣٩	٦٢٦	١٢٢٨	ضيـاع مارده .
٤٠	٦٣٦	١٢٣٨	ضياع قرطبة ومرسيه .
٤١	٦٤٥	١٢٤٧	ضياع اشبيليه وشرق الأندلس .
٤٢	٦٩٨	١٢٩٨	نهاية الحملات الصليبية في الشرق .
٤٣	٨٩٨	١٤٩٢	اخراج من بقي من المسلمـين في مالاقا ، وغرناطه والبيازين وبعض قلاع الجنوب .

* * *

قراءات

عبد الرحمن الداخل

١١٣ - ١٧٢ هـ : ٧٣١ - ٧٨٨ م

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان . وأمه بربرية من قبيلة نفزاوة اسمها « راح »[١] ولد بدير حنا من أرض دمشق وقيل بالعلياء من تدمر .

- توفي والده وهو صغير ، فضمه مسلمة بن عبد الملك اليه ، وتوسم فيه منذ طفولته الطموح والذكاء . وله حادثة مع جده يرويها عبد الرحمن فيقول :

(أتى جدي هشام يوماً فوجدني عند مسلمة وكنت صبياً ، فأمر جدي بتنحيتي عنه فقال له مسلمة : دعه يا أمير المؤمنين ، فانه صاحب بني أمية ومحيي دولتهم بعد زوالها ، فلم أزل أعرف لي مزية من جدي ...) .

سنة ١٣٢ هـ : وقع الاختلال في دولة بني أمية . وفر عبد الرحمن متنقلاً بأهله وولده إلى أن حل بقرية على الفرات ، ودخلت كتائب العباسيين القرية التي يقيم فيها عبد الرحمن فهرب إلى موضع ناء عن القرية ولحقه أخوه ، ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى لحقت به الخيل فقذف بنفسه في النهر وأخوه يتبعه . ثم عاد أخوه بعد أن بلغ منتصف النهر معتمداً على ما سمعه من وعودوتابع عبد الرحمن طريقه وهو يشهد ما حل بأخيه من نكبة وكيف ضرب الجند عنقه وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

- وصل عبد الرحمن افريقية ولحق به مولاه بدر بعد أن أوفدته اليه اخته

(١) في البيان المغرب ٢ - ٧١ ، اسم ام عبد الرحمن « راحا أو رداحا » .

« أم الأصبغ » ومعه دنانير للنفقة . وعلم أن عاملها (عبد الرحمن بن حبيب الفهري) يلاحق الأمويين وانه قتل ابني الوليد، فهرب عبد الرحمن إلى المغرب الاقصى والتجأ الى أخواله « قبيلة نفزاوة » في مغيلة وقيل بمكناسة .

سنة ١٣٦ هـ : اتصل عبد الرحمن بمن يعرفهم في الأندلس ، وطلب دعمه ومساعدته للاستيلاء على الأندلس . وأجمعت كلمة اليمنية على نصرته ، وأرسل اليهم بدراً مولاه للتأكد فعاد بدر ومعه مجموعة من وجوه الاندلس فرافقهم ونزل في المنكب [1] .

سنة ١٣٨ هـ : وفي ربيع الأول منها ، أخذ عبد الرحمن في التوجه الى واش من كورة البيرة ولم يكن أنصاره يزيدون على أربعمائة مقاتل . لكن جموعه أخذت تتزايد كلما تحرك من مدينة الى مدينة أخرى فتابع مسيرته إلى ريةومنها إلى شذونة ثم موررور وأشبيلية حيث أصبحت قوته تزيد على الفي مقاتل . وعندما غادرها أصبح جيشه يضم ثلاثة آلاف فارس .

كان والي الجزيرة عبد الرحمن بن يوسف الفهري ووزيره الصميل في جيليقية عندما دخل عبد الرحمن الاندلس ، فرجعا وقد أخذت القوات تنفض عنهما ، لكنهما صمما على الدخول معه في معركة حاسمة بعد أن حاولا خداعه ففشلا وحاولا استرضاءه ، دون الامارة فرفض أيضاً.

– في الطريق الى قرطبة وفي موضع يسمى « بطشانة » [2] عقدت الراية لعبد الرحمن الذي تابعتقدمه بينما كان يسير خصمه الصميل في الطرف الآخر من النهر وبعد ثلاثة أيام من المسير : وفي موضع « المصارة » [3] غربي قرطبة ، أنهى عبد الرحمن استعداده للمعركة ، وسهر الليل كله على نظام أمره ثم وقف أمام قادته وقال لهم :

....

(١) المنكب : Almuñecab .

(٢) بطشانة : Tocina :

(٣) ورد في أخبار مجموعة ١١٨ ، اسم هذه الوقعة « المسارة » .

(هذا اليوم هو أس ما يبنى عليه ، إما ذل الدهر ، واما عز الدهر ، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون ، تربحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون) .

ووقعت المعركة الفاصلة وانتصر عبد الرحمن ، ودخل قرطبة بعد ثلاثة أيام . وانصرف الى تنظيم أمور الدولة ، ووضع خاتماً له نقش عليه :

[عبد الرحمن بقضاء الله راض]

سنة ١٣٩ هـ : خرج ضده الفهري والصميل واستمرت ثورتها حتى عام ١٤٢ هـ حيث قتل يوسف الفهري ومات الصميل في سجنه .

سنة ١٤٦ هـ ثار العلاء بن مغيث اليحصبي بباجة من قبل المنصور ، ولقيه عبد الرحمن بجهة أشبيلية فهزمه وجيء به وباعلام أصحابه فقطع يديه ورجليه ثم ضرب عنقه وأعناقهم وأمر فقرطت الصكاك في آذانهم بأسمائهم وأودعت جوالقاً محصناً ومعها اللواء الأسود وانفذ بالجوالق تاجراً من ثقاته وأمره أن يضعه بمكة أيام الموسم ففعل ، ووافق أبا جعفر المنصور قد حج ، فوضعه على باب سرادقه ، فلما كشفه ونظر اليه سقط في يده وقال : [عرضنا هذا البائس، يعني العلاء للحتف ـ ما في هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه].

سنة ١٤٧ هـ : وجه الأمير عبد الرحمن جيشاً بقيادة مولاه بدر وتمام بن علقمة للقضاء على تمرد هشام بن عروة في طليطلة ، وأمكن لهما اعتقال هشام بن عروة وهشام بن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وحياة بن الوليد ، فاعدموا وأرسلت رؤوسهم إلى قرطبة .

سنة ١٤٩ هـ : ثار سعيد اليحصبي المعروف بالمطري بكورة لبلة .

سنة ١٥٠ هـ : هاجت فتنة البربر في سانتا ماريا ، شنت برية .

سنة ١٥٢ هـ : ثار رجل من البربر اسمه سفين بن عبد الواحد المكناسي وامه فاطمة وادعى أنه من أهل البيت وأنه ينتسب للحسن بن علي واستمرت فتنته حتى تم قتله سنة ١٦٠ هـ . واسمه في الكامل لابن الأثير شقنا ، ٥ ـ ٣٤ .

سنة ١٥٦ هـ : أعلن عبد الغافر اليحصبي ثورته في أشبيليا وخرج عبد الرحمن في السنة التالية فقضى على الثورة .

سنة ١٥٧ هـ : ثار بسرقسطة الحسين بن يحيى بن سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي [١] وشايعه سليمان بن يقظان الاعرابي الكلبي رأس الفتن وآل أمرهما الى فتك الحسين بسليمان وقتل الحسين على يد الأمير عبد الرحمن .

سنة ١٦٤ هـ : غزا الأمير عبد الرحمن الجزيرة ، وبها الرمامس بن عبد الرحمن [٢] فهرب الرمامس وأطلق الأمير عبد الرحمن اسرى الامويين .

سنة ١٦٨ هـ : ثار المغيرة بن الوليد بن معاوية على عبد الرحمن ، وقتل المغيرة وانصاره .

سنة ١٧٠ هـ : بدأ العمل ببناء جامع قرطبة .

سنة ١٧٢ هـ : توفي عبد الرحمن الداخل .

صقر قريش

قال أبو جعفر المنصور يوماً لأصحابه: **من صقر قريش؟** قالوا: أمير المؤمنين الذي راض الملك وسكن الزلازل وحسم الأدواء ، قال ما صنعتم شيئاً ، قالوا فمعاوية ، قال ولا هذا . قالوا فعبد الملك بن مروان ، قال : لا . قالوا فمن يا أمير المؤمنين ، قال : [عبد الرحمن بن معاوية . الذي تخلص بكيده عن سنن الاسنه وظباة السيوف ، يعبر القفر ويركب البحر حتى دخل بلداً أعجمياًفمصر الأمصار وجند الأجناد وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة عزمه ، ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان . وذللا له صعبه ، وعبد الملك

....

(١) في البيان المغرب يذكر ابن عبادة الانصاري ويجعلها من أحداث سنة ١٦٥ هـ ، البيان المغرب ٢ - ٧١ ، نفح الطيب ١ - ٤٨ .

(٢) في البيان المغرب ٢ - ٧١ ويذكر في نفح الطيب ١ - ٤٨ ان اسمه الرمامس بن عبد العزيز الكناني .

ببيعة تقدمت له ، وامير المؤمنين بطلب عترته واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفرداً بنفسه مؤيداً برأيه مستصحباً لعزمه ...] [1] .

تنظيم الدولة

ـ بدأ الأمير عبد الرحمن عهده بتدوين الدواوين ، وفرض الاعطية ، وعقد الألوية وجند الأجناد ، وكان متصل الحركة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ثم لا ينفرد في ابرامها برأيه، شجاعاً ، مقداماً ، بعيد الغور ، شديد الحدة ، قليل الطمأنينة بليغاً ، مفوهاً .

وكان الى ذلك ، يميل الى المركزية في السلطة ، فقتل كل من حاول الوقوف في وجه سلطته ، ومنهم أقرب الناس اليه مثل ابي الصباح يحيى زعيم اليمنية ، وعبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي وعبيد الله بن ابان بن معاوية ابن هشام وابن أخيه المغيرة بن الوليد بن معاوية وشرد مولاه بدر فمات شر ميتة .

الحنين الى الوطن :

ـ وكان الامير عبد الرحمن شديد الحنين لوطنه ، شاهد يوماً نخلة فريدة في الرصافة فأطلق خياله :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى ... وطول اكتئابي عن بني وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة ... فمثلك في الامضاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي ... يسح ويستمري السماكين بالوبل

....

(1) مجموعة ١١٨ ـ ١١٩ ، الكامل لابن الأثير ٥ ـ ١٨٢ و ٦ ـ ٣٧ نفح [illegible] ٣٣٠ و ٣ ـ٢٧ والاستقصا ١ ـ ٣ ـ ٥٤ ، أخبار مجموعة ١٠٤ ، ابن [illegible] ـ ١٢٠ ، الاعلام ٤ ـ ١١٣ تاريخ غزوات العرب ١١٢ ، البيان المغرب ٢ ـ ٧٧ .

. - وقد حمله هذا الحنين على التفكير في معاودة غزو الشـــام وانتزاعها من قبضة العباسيين، وأشاع ذلك سنة ١٦٣ هـ . وكاتب جماعة من أهل بيته ومواليه وشيعته وعمل على ان يستخلف ابنه سليمان بالأندلس ويذهب بعامة من أطاعه، ثم أعرض عن ذلك بسبب أمر الحسين الأنصاري الذي أعلن الثورة في سرقسطة . ومن شعره الذي يستشهد بـــه على تفكيره في الرجوع الى الشام وحنينه اليها الأبيات التالية :

أيها الراكب الميمم أرضي   اقر مني بعض السلام لبعض
ان جسمي كمـا تراه بأرض   وفؤادي ومالكيـــه بأرض
قدر البـــين بيننا فافترقنا   وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا   فعسى باجتماعنا سوف يقضي[1]

***

هشام بن عبد الرحمن « الداخل »

١٣٩ - ١٨٠ هـ = ٧٥٦ - ٧٩٦ م

هشام بن عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان - الأموي - .

- أمه تسمى جمال[2] ولقبه أبو الوليد ونقش خاتمه [**بالله يثق عبده هشام وبه يعتصم ..**]

- ولد بقرطبة ، وعينه أبوه عندما أصبح شاباً لحكم « مارده » .. وصله خبر موت أبيـه وهو بمارده ، فأسرع إلى قرطبة ووصلها بعد ستة أيام وبايعـه

(١) نفح الطيب ١ - ٥٤ .

(٢) البيان المغرب ، ابن عذارى ٢/٩١ ، اسم امه جمال ، وفي نفح الطيب للمقري ١/٣٣٤ اسمها حلال وفي الحميدي حوراء .

ابن خلدون ٤/١٢٤ . ابن الاثير ٥/٨٥ - ١٠١ . الاعلام ٩/٨٤ . اخبار مجموعة ٩٥ البيان المغرب لابن عذارى ٢/٩١ وما بعده . جذوة المقتبس ١١ . الحلة السيراء ٣٧ .

الخاصة والعامة . ثم أراد أخوه سليمان منازعته في الحكم فغـادر طليطلة بجيشه وعندما وصل كورة « جيان » توجه اليه أخوه هشام ووقعت بجهة بلج معركة طاحنة هزم فيها سليمان .

– قال الأمير عبد الرحمن الداخل يوماً لابنه هشام : لمن هذا الشعر :

وتعرف فيـــه من أبيـــه شمائلا ومن خاله أو من يزيد ومن حجر
سماحة ذا ، وبرّ ذا ، ووفاء ذا ونائل ذا ، إذا صحا وإذا سكر

فقال له : يا سيدي لامرىء القيس ملك كنده وكأنه قاله في الأمير أعزه الله ، فضمه اليه استحساناً بما سمع منه وأمر له بإحسان كثير وزاد في عينـه ، ثم قال الأمير عبد الرحمن لابنه الثاني سليمان على انفراد : لمن هـــذا الشعر ؟ وأنشده البيتين ، فقال : لعلهما لأحد أجلاف العرب ، أما لي شغلٌ غـير حفظ أقوال بعض الأعراب . فأطرق عبد الرحمن وعلم قدر ما بين الاثنين من المزية..

سنة ١٧٢ هـ : تولى هشام امارة الاندلس ، فانصرف لتنظيم امور دولته ، وأحسن معاملة الرعية حتى شبهه الناس بعمر بن عبد العزيز ..

كان هشام يبعث بثقاته الى الكور يسأل الناس عن سيرة عمـاله فاذا انتهى اليه ان أحدهم ظلم أحداً عزله عن عمله وأنصف المظلوم . كما عين في المدن عسساً لمنع ارتكاب الجرائم .

من أعماله العمرانية : اكمال جامع قرطبة وبناء القنطرة التي أقامها السمح ابن مالك . وشيد المساجد في أنحاء البلاد ، وعني بنشر اللغة العربية . قرب اليه الفقهاء واعتمدهم في مشورته . وأحبه الناس لعدله .

توفي بقرطبة ١٨٠ هـ ، وبها دفن ..

***

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل

١٥٤ - ٢٠٦ هـ = ٧٧١ - ٨٢٢ م

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، أبو العاص ، ولقبه الربضي نسبة لمعركة الربض التي قمع فيها حركة التمرد ضده . أمه ، أم ولد اسمها زخرف ، ونقش خاتمه : [بالله يثق الحكم وبه يعتصم ..]

١٨٠ هـ - ٧٩٦ م تولى الحكم امارة الاندلس بعد وفاة ابيه .

[.. كان افحل بني اميه بالاندلس واشدهم اقداماً وصرامة وأنفة وأبهة وعزة ، الى ماجمع لذلك من جودة الضبط وحسن السياسة وايثار النصفه وكان يشبه بالمنصور العباسي في شدة الملك وقهرة الأعداء وتوطيد الدوله ..][1]

١٨١ هـ - ٧٩٧م : اعلن بهلول بن ابي الحجاج بجهة الثغر الأعلى وملك سرقسطه [2] وانضم اليه عبد الله ابن الامير عبد الرحمن بن معاويه .. واستمر تمرده حتى عام ١٨٤ هـ حيث اتصل باخيه وطلب الصلح فوافقه عليه .

وفي هذه السنه ايضاً اعلن عبيده بن حميد الثورة بطليطله فوجه الحكم عمروس بن يوسف لحربه من طلبيره ، واستخدم عمروس الدهاء ، واستطاع التأثير على بعض الانصار فقتلوا عبيده وحملوا رأسه الى عمروس فأرسله الى الحكم ثم تابع عمروس خطته لتصفيه المقاومه فدخل طليطله مستكيناً لأهلها وبنى قصراً عند مدخل المدينه ، ثم تظاهر بالاحتفال ودعى وجوه طليطله ونظم الحفل على ان يكون الدخول افرادياً فكان الحجاب يقتلون كل داخل واستطاع بذلك

---

(١) المغرب في حلى المغرب ٣٩/١ ونفح الطيب ٣٤٠/١ .

(٢) المغرب في حلى المغرب ٤٠/١ وفي تاريخ ابن خلدون ١٢٦/٤ بهلول بن مرزوق ، وفي البيان المغرب ١٠٢/٢ بهلول بن مروان المعروف بأبي الحجاج ، وفي الكامل لابن الأثير حوادث سنة ١٨١ هـ ، بهلول بن مرزوق المعروف بأبي الحجاج .

ان يقتل سبعمائه رجل من كبار قادة التمرد وبذلك أخضع طليطله [1] .

١٨٢ هـ – ٧٩٨ م : دخل سليمان بن عبد الرحمن عم الأمير هشام الى الأندلس وأعلن تمرده « ببلنسيه » فسمي « البالنسي » واستمرت ثورته ثلاثة أعوام حتى تمكن الحكم من قتله عام ١٨٤ هـ .

١٩٨ هـ – ٨١٣ م : ثورة الربض ، بقرطبة [2] وسببها تحريض أهـــل العلم والورع بقرطبة وفي مقدمتهم القاضي يحيى بن يحيى الليثي – المصمودي – بسبب ما أشيع عن الحكم من انصرافه الى الملذات حتى كانوا ينادونه ليــلاً من أعلى صوامعهم عند الأذان لصلاة الفجر [.. الصلاة ، الصلاة ، يا مخمور ..]

وعندما زادت استثارة أهل قرطبة لحرس الحكم عمل على تحصـين قرطبة وعمارة أسوارها وحفر خنادقها وارتبط الخيل على بابه واستكثر المماليك ورتب جمعاً لا يفارقون باب قصره بالسلاح ، ثم عمــد الى عشرة من رؤساء سفهائهم فقتلهم وصلبهم ،فهاج لذلك أهل الربض،ووقعت معركة طاحنة انتهت باحراق الربض وتدميره طوال ثلاثة أيام ، وقتل الحكم من أسراهم ثلاثمائة وصلبهم ، ثم اصدر عفوه بعد ذلك .. كما أصدر عفوه بعد ذلك عن قائدي الثورة وهما يحيى ابن يحيى وطالوت بن عبد الجبار المعافري .

سنة ١٩٠ هـ – ٨٠٥ م : قاد الحكم جيشاً للقضاء على ثورة اصبغ بن عبدالله ابن واسنرس في « مارده » ، لكنه اضطر الى العودة ورفع الحصار عن مارده للقضاء على الثورة التي هددت قرطبة ،وقد استمرت الثورة في مارده سبعة أعوام قبل أن يتمكن الحكم من القضاء عليها ..

---

(١) البيان المغرب ١٠٨/٢ وفي المغرب في حلى المغرب ٤٠/١ ، عبيد بن خمير وفي ابن خلدون عبيدة بن عمير وفي الكامل لابن الاثير ، حوادث هذه السنه ، عبيد بن حميد .

(٢) في المغرب من حلى المغرب ٤٢/١ جعلها من أحداث سنة ٢٠٢ هـ . وفي الكامل لابن الاثير سنة ١٩٨ هـ . والبيان المغرب في أحداث ٢٠٢ وهو الاكثر صحة .

- كانت فترة امارة الحكم ثورات متصلة في الداخل وحروب مع الأعداء الخارجيين وتنظيم لأمور الدولة الادارية والمالية والعسكرية .

- وكان الحكم في بداية عهده ، قد انهمك في لذاته من غير افحاش وكانت له عيون يطالعونة بأحوال الناس وكان يباشر الأمور بنفسه ويقرب الفقهـــاء والعلماء الصالحين .. وكان الى ذلك شاعراً ، ومن أقواله يوم وقعة الربض[1] :

رأيت صدوع الأرض بالسيف راقعاً وقدماً لأمت الشعب مذ كنت يافعا
فسائل ثغوري هل بهـا اليوم ثغرة أبادرهـا مستنضي السيف دارعا
تنبيـك أني لم أكن في قراعهم بوانٍ وقدماً كنت بالسيف قارعا
وهل زدت أن وفيتهم صاع قرضهم فوافوا منايا قـــدرت ومصارعا
فهذي بلادي انني قـــد تركتها مهـــاداً ولم اترك عليها منازعا

توفي الحكم عام ٢٠٦هـ – ٨٢٢م بعد أن أمضى حياة حافلة بجلائل الأعمال .

***

عبد الرحمن بن الحكم

١٧٦ – ٢٣٨ هـ = ٧٩٢ – ٨٥٢ م

عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، لقبه ابو المطرف ، ويسمى عبد الرحمن الاوسط ، امه تسمى حلاوه ، ونقش خاتمة ، عبد الرحمن بقضاء الله راض (وهو توقيع جده) ومن توقيعاته البليغة : (من لم يعرف وجه مطلبه فالحرمان اولى به) وهو من مواليد طليطله .

بويع بالخلافة في اليوم التالي لوفاة ابيه الحكم وله من العمر ٢٣ سنة و ٩ اشهر.

(١) نفح الطيب ١/٣٣٨ – ٣٤٤ . المغرب من حلى المغرب ١-٣٨-٤٥ ، الكامل ، لابن الاثير ، أحداث السنوات ، البيـــان المغرب ٢/١٠٢ – ١١٨ ابن خلدون ٤/١٢٥ ، غزوات العرب ١٢٩ – ١٣٠ ، الوفيات ١/١٤٦ الاعلام ٢ – ٢٩٧ .

استفتح عهده باحداث دار السكة « في قرطبه » وضرب الدراهم باسمه ولم يكن فيها ذلك منذ فتحها العرب ، واتخذ للوزراء في قصره بيت الوزارة ورتب اختلافهم اليه في كل يوم يستدعيهم معه او من يختص منهم او يخاطبهم برقاع فيما يراه من امور الدولة ، وبدأ حكمه بهدم فندق الخمر واظهار البر وهو اول من جرى على سنن الخلفاء في الآنية والشكل وترتيب الخلافة و كسا الخلافة ابهة الجلالة فشيد القصور وجلب الماء العذب الى قرطبه وبنى له مصيفاً كبيراً يرتاده الناس وبنى الرصيف وعمل عليها السقائف وبنى المساجد في الاندلس ومنها جامع اشبيليا وسورها وعمل السقاية على الرصيف، ونظم الجيش واستكثر من الأسلحة والعدد .

– وفي ايامه انتهى مال الجباية الى الف الف دينار في السنة وكان قبل لا يزيد على ستمائة الف، يصرف ثلثها لتسليح الجيش واعداده وصرف مرتباته.

–وكان الأمير عبد الرحمن شديد الاهتمام بالكتب حتى انه وجه الشاعر عباس بن ناصح الى العراق في التماس الكتب القديمة فأتاه « بالسندهند » (١) وغيره من الكتب ، كما كان يقرب اليه العلمـــاء والفقهاء وينظم الشعر ، وله اشعار رقيقة في الغزل والفخر – .

تميز عهده بالرخاء والهدوء النسبي حتى قيل لايامه « ايام العروس» واستطاع القضاء على جميع حركات التمرد والثورات المضادة ، وتوطدت في عهده سيطرة الدولة فسعى اليه امبرطور بيزنطه «توفليس»(٢) وارسل وفداً للصداقة وكذلك فعل عدد من الامراء – .

– توفي في قرطبه وله من العمر ٦٢ عاماً وكانت مدة خلافته ٣٢ سنة تقريباً . (٣)

---

(١) السند هند ، من أقدم الكتب التي ترجمها العرب عن الهندية وتعلموا منها الحساب والاعداد الهندية . (٢) تيوفليس : Theophilus .

(٣) المغرب في حلى المغرب ١-٤٥ – ٥١ . نفح الطيب ١ - ٣٣٤ - ٣٥٠ الكامل في التاريخ احداث سنة ٢٣٨ هـ ، البيـــان المغرب ٢ - ١٢١ - ١٣٢ ابن خلدون ٤ - ١٢٧ اخبار مجموعة ١٣٩ ، الحلة السيراء ٦١ جذوة المقتبس ١١ ، الاعلام ، ٤ - ٧٦ .

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام [1]

٢٠٧ – ٢٧٣ هـ = ٨٢٢ – ٨٨٦ م

مدة ولايته ٢٣٨ – ٢٧٣ هـ = ٨٥٢ – ٨٨٦ م « ٣٤ » عاماً

محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ، ابو عبد الله ، امه بهير . نقش خاتمة « بالله يثق محمد وبه يعتصم » مولده ووفاته في قرطبه – .

تولى امارة الاندلس وله ثلاثين سنة ونيف ، وكان ابوه قد رشح اخوه عبد الله بن طروب لولاية العهد ، كما كان نصر الخصي يعضد عبد الله ويخدم امه طروب الحظية عند عبد الرحمن الاوسط لكن عبد الله كان مستهتراً ، منهمكاً في اللذات فكان أولو العقل يميلون الى اخيه محمد فلما مات ابوهما وكان ذلك بالليل ، اتفق رؤساء الخدم ان يعدلوا بالولاية عن عبد الله الى محمد فمر أحدهم الى منزله وجاء به ، فلما مر على دار أخيه عبد الله وسمع ضجة المنادمين وليس عنده خبر من موت أبيه أنشد :

فهنيئاً له الذي هو فيه والذي نحن فيه أيضاً هنانا

ولما دخل القصر وتم له الأمر ، تلقاه بحزم ولم يختلف عليه أحد من أقاربه.

– أعاد الأمير تنظيم شؤون دولته ، وبذل جهده لقمع حركات التمرد ، ورد غزوات الطامعين ومجابهة الاضطرابات الى جانب الاهتمام بالنهضة العمرانية وفي طليعتها اكمال ما بدأه أبوه وجده ، وهو توسيع جامع قرطبة ، وزيادة بنيان القصر الكبير والمنائر الخارجة عنه ..

– عرف عن الأمير محمد قوة الارادة ، وسداد الرأي ، فكان ، بنو مدرار

---

(١) البيان المغرب ٢ –١٤١ – ١٧٠ ، نفح الطيب١ - ٣٥٠ - ٣٥٢ . الكامل ، ابن الاثير ، احداث السنوات . المغرب في حلى المغرب ١ – ٥١ – ٥٣ ابن خلدون ٤-. ١٣ ، أخبار مجموعة ١٤١ ، جذوة المقتبس – ١١ – الاعلام ٧ – ٦١ ، الحلة السيراء ٦٤ .

في سجلماسة ، ومحمد بن افلح حاكم تاهرت وغيرهم من رجال « عدوة المغرب » يستشيرونه في كل أمر من أمورهم ويرجعون اليه في كل عقبة تجابههم أو صعوبة يستعصي حلها عليهم ..

– وكان الأمير محمد غزاء لأهل الشرك وربما أوغل في بلاد العدو الستة الأشهر والأكثر وله فيهم وقائع مشهورة ..

– وكان الى ذلك محباً للعلم والعلماء ، كريماً ، دقيقاً في عمله فضبط أمور الدولة وأحسن ادارتها .

– توفي عن عمر يناهز الثالثة والستين عاماً ، ويشير بعض المؤرخين الى ان وزيراً له اسمه هاشم بن عبد العزيز أساء السيرة ، فضاعت هيبة الدولة في أواخر أيامه ..

***

المنذر بن محمد بن عبد الرحمن (١)

حياته : ٢٢٩هـ – ٢٧٥ : ٨٤٣ – ٨٨٨ م

امارته : ٢٧٣هـ – ٢٧٥ : ٨٨٦ – ٨٨٨ م

المنذر بن محمد بن عبد الرحمن ، وأمه تسمى أيل .

نقش خاتمه « المنذر بقضاء الله راض » .

كان والده الأمير محمد يعتمده كثيراً في حروبه ، وكان على أبواب بربشتر في أقصى الشمال عندما بلغه وفاة أبيه فعاد الى قرطبة حيث أخذت له البيعة . ففرق العطاء في الجند ، وأسقط عن الرعية عشر ذلك العام، وأخذ في الاستعداد

---

(١) البيان المغرب ، ٢ – ١٧٠ – ١٧٦ ، الكامل ابن الاثير ٧ – ١٤١ – ١٤٥ اخبار مجموعة ١٤٩ ، نفح الطيب ١ – ٣٥٢ ، المغرب في حلى المغرب ١ – ٥٣ ابن خلدون ٤ – ١٣٢ جذوة المقتبس ١٢ ، الاعلام .

لاخضاع حركات التمرد وفي طليعتها ثورة عمر بن حفصون . فسير إلى طيطلة جيشاً وقد بلغه تمردها . فأخضعها وقضى على حركة التمرد ، وفي الوقت ذاته غـزا محمد بن لب زعيم الثغر الأعلى البة والقلاع وقاتل « النصارى » وهزمهم .

في السنة التالية ، قاد المنذر جيشاً كبيراً لتصفية ثورة ابن حفصون ، ووصل بربشتر وحاصرها . وشعر خلالها بالمرض فكتب إلى أخيه عبد الله يطلب اليه الحضور لتولي القيادة ومتابعة الحصار حتى النهاية . وهناك بعض المصادر التي تذكر ان الامير المنذر مات مقتولاً بتأثير أخيه عبد الله الذي أشار إلى الطبيب الذي يعالجه أن يستخدم مبضعاً مسموماً لفصده ، ومات المنذر وهو على أبواب بربشتر فحمله أخوه عبد الله وعاد به الى قرطبة .

ـ كان المنذر كريماً محباً للأدب والأدباء مكرماً للشعراء ولكنه كان أيضاً مر العقاب ، شكس الأخلاق . وان قتله لوزير أبيه ووزيره هاشم بن عبد العزيز نموذج لشدة بطشه. وان اصراره على تصفية ثورة ابن حفصون برهان على تصميمه وقوة ارادته ، وفيه قيل :

صلحت بلاد الأندلس   بالمنذر بن محمد

***

عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (١)

حياته : ٢٢٩ — ٣٠٠ هـ : ٨٤٣ — ٩١٢ م

امارته : ٢٧٥ — ٣٠٠ هـ : ٨٨٨ — ٩١٢ م

عبد الله بن محمد وكنيته « أبو محمد » وامه تسمى بهار ، وقيل عشار .

بويع في اليوم الذي مات فيه أخوه المنذر في المحلة « على بربشتر » فقفل إلى

(١) ابن عذارى ، البيان ٢ — ١٧٥ — ١٨٢ وما بعده ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق مكي وتاريخ اسبانيا الاسلامية ، تحقيق بروفنسال — ٢٧ — ابن خلدون ٤ — ١٣٢ ابن الاثير ٦ — ٦٥ ، الحلة السيراء ٦٥ ، تذكرة الحفاظ ٢ — ٢٣٩ الاعلام ٤ — ٢٦٢ .

قرطبة باخيه . حيث استتم البيعة فيها . وكانت الأندلس في بداية عهده تضطرم ناراً بعد ان اقتسم الثوار أقاليمها فكان منهم :

	اسم الثائر	مكان الثورة [1]
١	عمر بن حفصون	بربشتر
٢	ابن حجاج	اشبيليه وقرمونه
٣	عبد الرحمن بن مروان الجليقي	بطليوس
٤	عبد الملك بن ابي الجواد	باجة الغرب
٥	ابن السليم	شذونه
٦	ابن الياس	القلعة المنسوبة اليه
٧	خير بن شاكر	شونتر
٨	عمربن فصم الهزولي وسعيدبن هذيل	حصن المنتلون
٩	سعيد بن مستنه	باغو
١٠	بني هابيل	حصون جيان
١١	اسحاق بن عطاف	حصن منتاشه
١٢	سعيد بن سليمان بن جودي	غرناطه
١٣	محمد بن أضحى «كبير العرب»	البيره
١٤	أبي بكر بن يحيى	شنت ماريه
١٥	سليمان بن محمد الشذوني	شريش
١٦	عبد الوهاب	مورين
١٧	يحيى التجيبي الأنقر	سرقسطه

— وأمام هذا التمزق. تفرقت عن الأمير عبد الله أجناده ، وعجز عن نصرة

قواده . وتضاءلت موارد الجباية ، فالتزم سياسة « التقشف » ، وأنفق الوفر الموجود في خزانة الدولة .

– قضى الامير عبد الله فترة امارته في نضال مستمر ، وصراع متصل ضد الخارجين على الدولة ، وقد استنزفت هذه الأعمال جهد الدولة وامكاناتها .

***

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله « الثالث »

حياته : ٢٧٨ – ٣٥٠ هـ : ٨٩١ – ٩٦١ م

خلافته : ٣٠٠ – ٣٥٠ هـ : ٩١٢ – ٩٦١ م

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحاكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل . وأمه ام ولد تسمى ماريا « مرتة أو مزنة » . ولقبه : الناصر لدين الله « أبو المطرف » وكان والده قد قتله أخوه المطرف بن عبد الله في صدر دولة أبيهما وترك ابنه عبد الرحمن ابن عشرين يوماً ، وعندما توفي جده عبد الله تصدى للامارة بحضور أعمامه وأعمام أبيه واجتازها دونهم . واضطلع باعباء الحكم فأظهر مقدرة فائقة في القيادة حتى أصبحت الأندلس أقوى دول عصرها . وأسرع ملوك وحكام الدول شرقيها وغربيها لاكتساب صداقته .

. تسمّى عبد الرحمن بلقب امرة المؤمنين واستمر على ذلك حتى السنة السابعة عشرة من ولايته ،وعندما بلغه ما صارت اليه الخلافة العباسية بالمشرق ، واستبداد موالي الترك بأمورها ومقتل الخليفة المقتدر بيد مولاه « مؤنس » ، مع ظهور الشيعة بالقيروان ، تسمى بالخلافة فكان أول أمير في الأندلس يدعى «بالخليفة» .

– استقبل الناس ولاية عبد الرحمن بن محمد بالتفاؤل لا سيما بعد أن قاد بنفسه أول عمليات القتال لاخضاع حركة عمر بن حفصون فقال ابن عبد ربه صاحب العقد :

بدا الهلال جديداً والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدي إن كان فيك مزيد

– كان عبد الرحمن الناصر ، يعرف الرجال ويقدر المواقف بدقة ولعل في جوابه لابن عمه سعيد بن المنذر الذي كان يحاصر ابن حفصون مـا يوضح ذلك حيث كتب له يحذره من غدر ابن حفصون :

[... مهما تحققت من غدر بني حفصون ومكرهم ، فزد فيه بصيره واثبـت على تحقيقك، ومهما ظننت فصير ظنك تحقيقاً ، فانهم شجرة نفاق أصلهاوفروعها تسقى بماء واحد ، فاهجر فيهم المنام والدعة فالعيون اليهم تنظر والآذان نحوهم تسمع فمتى استنزلتهم من معقلهـم أغناك ذلك عن مكابدة غيرهم ...] فلم يزل سعيد بن المنذر على حصارهم حتى أخضعهم .

– وعرف الخليفة عبد الرحمن الناصر بالبلاغة وقوة الحجة والبيان ، كتب اليه محمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ . يطلب الصفح عن عصيانه وتمردهفى حصن « لقنت » فأجابه الناصر : [.. ولما رأيناك قد تذرعت باظهار اتقاء الله رأينا أن نعرض عليك أولاً ما لا بد لك منه آخراً وليس من أطاع بالمقال كمـا أطاع بعد الفعال ...] فأسرع محمد المعروف بالشيخ الى قرطبة ، وغادرحصن « لقنت » واستسلم لارادة الخليفة .

وكان عبد الرحمن الناصر قوي الشخصية ، شديد البأس، كانت عندهجارية بمنزلة حبابة من يزيد بن عبد الملك، سكر ليلة فأكثر من تقبيلها ، فأكثرت الضجر والتبرم وقبضت وجهها ، فأمر ألا يزال وجهها بلثم بألسنة الشمع وهي تستغيث فلا يرحمها حتى هلكت .

– وحاول ابنه عبد الله تنظيم مؤامرة لقتله وأخذ الخلافة ، فأمـر باحضار ابنه عبد الله وقتله ذبحاً بيده .

–تولى الوزارة في عهد الخليفة عبد الرحمن شخصـان تميزا بالكفاءة والقدرة

وهما عبد الملك بن جهور ، وأحمد بن عبد الملك بن شهيد ، وكان لهما دور كبير في ادارة شؤون الخلافة وتعزيز قدرتها .

– استقبل عبد الرحمن الثالث امور ولايته بعزيمة لا تلين ، فعمل على اخماد الفتن الداخلية والقضاء على حركات التمرد واستنزل العصاة من معاقلهم وحصونهم، وعمل على نشر الأمن والاستقرار في ربوع الأندلس ، فأخذت مدن الاندلس تدين له بالطاعة واحدة بعد أخرى بداية من اشبيلية والجرف ونهاية بعمر بن حفصون في بربشتر وطليطلة التي اسلمت له القياد عام ٣٢٠هـ . وكان الخليفة عبد الرحمن الناصر يعامل الناس حسب درجة عدائهم لخلافته. فكان يغدق على العصاة الذين يستسلمون له ويكرمهم ، ويوسع عليهم ، وكان مقابل ذلك شديد الوطأة على من يستمرون في مناوءته ، وكان للنصارى وضع خاص عنده بسبب ما أظهروه من العداء المستمر والتحريض الدائم على السلطة . أما بالنسبة لدول الشمال فكان له أسلوبه أيضاً والذي يتلخص في « تدمير هذه الدول دون هواده وعدم اعطاءها الفرصة للقيام بهجوم ضده» مع تركيز الجهد على تمزيق كل تحالف ضده واحباطه في مهده .

– نتيجة لهذه السياسة الحكيمة، ازدهرت دولة الاندلس ، وبلغ فيها الرفاه مبلغاً لم يتحقق من قبل حتى بلغت [الجباية في عهده خمسة آلاف الف وأربعمائة الف وثمانين الف دينار، ومن السوق والمستخلص سبعمائة الف وخمسة وستين الف دينار ، وأما أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان ..] وهذا يعني أن موازنة الدولة بلغت في عهد عبد الرحمن الثالث مقدار ستة ملايين ومائتين وخمسة وأربعين الف دينار (٦٫٢٤٥٫٠٠٠) دينار بالاضافة الى أخماس الغنائم ، واستمر الخليفة عبد الرحمن في تقسيم الموازنة على نحو ما كانت عليه في السابق (ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر ..) . وقد ساعد هذا الرفاه الاقتصادي على دعم الدولة بجيش قوي وصل عدده في بعض غزواته حتى (١٠٠٫٠٠٠) مائة الف مقاتل، كما ساعد على اظهار قوة الدولة فأسرع خصومها إلى تقديم الطاعة ، واسرع

الآخرون الى اكتساب صداقتها ، وقد زاد في قوة الاسطول حتى بلغ عدد القطع البحرية مائتي سفينة (٢٠٠) .

أظهر عبد الرحمن الناصر اهتماماً كبيراً بإظهار دولته بمظهر القوة والتنظيم ، وساعد الدخل المرتفع على الاضطلاع بالمشاريع العمرانية الضخمة ، ومن أبرز اعماله في هذا المجال ، توسيع جامع قرطبة وبناء مدينة الزهراء . وان الآثار الخالدة التي تركها في الاندلس لا زالت تشهد بعظمة ما وصلت اليه الدولة في عهده من القوة المقترنة بالترف ، وهي برهان على ما وصل اليه الفن المعماري من تطور في عهد المسلمين مما يعتبر مفخرة لا زالت تزدهي بها الاندلس. ويذكر المؤرخون الاندلسيون عن عمارة الزهراء فيقولون :

[... كان يتصرف في عمارة الزهراء كل يوم من الخدام والفعلة عشرة آلاف رجل ومن الدواب الف وخمسمائة دابة ..] وقال ابن حيان :[كان ـ الناصر ـ يثيب على كل رخامة كبيرة أو صغيرة عشرة دنانير سوى ما كان يلزمه من النفقة على قطعها ونقلها ومؤونة حملها وجلب اليها الرخام الأبيض من المَرية . والمجزع من رية والوردي والاخضر من افريقية ، اسفاقس ، وقرطاجنة والحوض المنقوش المذهب من الشام ، وقيل من القسطنطينية ... وكانت قرامد هذا القصر من الذهب والفضة . وهذا المجلس في وسطه صهريج عظيم مملوء بالزئبق ... وكان هذا المجلس يدور ويستقبل الشمس ... وقد تهيأ له لكثرة الزئبق عندهم ..]

ـ وقد أخذت وفود الدول وسفراؤها في الوصول الى قرطبة حيث حل بها عام ٣٣٦ هـ وفد بيزنطه يحمل رسالة قسطنطين بن ليون ومعه هدية فاخرة ، ثم رجع الى بلاده ومعه وفد عربي برئاسة هشام بن هذيل ..

ـ وأرسل ملك الصقالبة « اوتون »[١] وفداً أقام سنتين ثم عاد الى بلاده ومعه وفد من قرطبة برئاسة الاسقف « ربيع » .

---

(١) اوتون : Otton .

- وأرسلت المانيا وفداً مماثلاً .

- كما أرسل مركيز البروفانس[1] وفداً الى الناصر .

- وأرسل غيدو[2] بن البرت مركيز تسكانيا وفداً، وعندما وصل برشلونه انضم اليه وفد باسم ملك برشلونه وطركونه ..

- وفي عام ٣٤٧ هـ : وكان غرسيه بن شانجه قد تولى حكم جيليقية بعد وفاة أبيه شانجه بن فرويله[3] فطمع فرديناند حاكم قشتاله في ضم جيليقية الى مملكته، ونجح في ذلك، فغضبت « طوطه » ملكة البشكنس[4] وتوجهت مع ابنها شانجه فاستقبلهم الناصر استقبالاً رائعاً وعقد لطوطه وابنها شانجه على البشكنس، كما أرسل جيشاً لدعم غرسيه بن شانجه ومساعدته على استرجاع مملكته جيليقيه وانتزاعها من سيطرة ملك قشتاله ..

- اخذت مراسم استقبال الوفود في عهد الناصر طابعاً خاصاً تميز بالبذخ والعظمة، فكانت الزهراء وقرطبة تزدحم بالسكان وتغص بآلاف النظارة، وكانت ظواهر العظمة تتزايد كلما اقترب الزائر من القصر، حتى كانت الوفود تصاب بالذهول وهي تترجل امام ابواب القصر وكثيراً ما كان افراد الوفود يقومون بتصرفات تشير الى فقد سيطرتهم على انفسهم وتدل على قدر الذهول الذي هيمن عليهم ..

- قضى الناصر فترة حكمه الطويل وهي نصف قرن في نضال مستمر وعمل دائم حتى استطاع رفع الدولة الأموية من هاوية التمزق الى قمة الرفعة والقوة . وقد وجد عند وفاة الناصر ورقة بخط يده كتب فيها الساعات والأيام التي قضاها الناصر في صفاء بعيداً عن مشاغل الدولة ومتاعبها فكانت بمجموعها **[أربعة عشر يوماً]** فقط ..

---

(١) مركيز البروفانس : Hugues d'arles .

(٢) غيدو ، دوق تسكانيا : guido

(٣) فرويلة Fruela .

(٤) المقصود بها هنا مملكة « نافار » .

- كان الناصر يحترم العلم والعلماء ويبذل الكثير لتشجيع الكتابة والتأليف وجمع الكتب فأصبحت قرطبة حاضرة الدنيا في العلم والثقافة ..

- توفي الناصر بعد حياة حافلة بجلائل الأعمال ، وكان مأتم القصر يوم وفاته يتناسب مع عظمة الراحل ، وسع ما وصلته الدولة الاسلامية في الأندلس خلال فترة حكمه(1) .

***

الحكم بن عبد الرحمن « المستنصر »

حياتـه : ٣٠٢ - ٣٦٦ هـ = ٩١٤ - ٩٧٦ م

خلافته : ٣٥٠ - ٣٦٦ هـ = ٩٦١ - ٩٧٦ م

الحكم بن عبد الرحمن . لقبه : « المستنصر بالله » . أمه : أم ولد ، اسمها مرجانه أو مهرجان عند ابن عذارى .

ولد بقرطبة ، وولي الخلافة بعـد أبيه . ويذكر المؤرخون الصورة التي تمت فيها البيعة والتي تدل على ما وصلت اليه الدولة الاسلامية في الأندلس من التنظيم والعظمة فنطالع :

[... اعتلى الحكم المستنصر سرير الملك ثاني يوم وفاة أبيه ، وقام بأعباء الملك أتم قيام ، وأنفذ الكتب الى الآفاق بتمام الأمر له ، ودعا الناس الى بيعته، واستقبل من يومه النظر في تمهيد سلطانه وتثقيف مملكته وضبط قصوره وترتيب أجناده وأول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر، كجعفر صاحب الخيل والطراز وغيره من عظمائهم وتكفلوا بأخذهـــا على مَنْ

---

(1) نفح الطيب ١ - ٣٥٣ - ٣٨٢ و ٤٩٠ - ٥٢٠ ، الكامل في التاريخ ، أحداث السنوات ، المغرب في حلى المغرب ١ - ١٨٠ - ١٨٢ تاريـخ ابن خلدون ٤ - ١٣٧ ، البيان المغرب ٢ - ٢٣١ - ٢٥٢ . الحلة : ١ - ١٣٢ . جذوة المقتبس ١٢٣ . أزهـار الرياض ٢ - ٢٧٠ - ٢٨٥ .

وراءهم وتحت أيديهم من طبقتهم وغيرهم وأوصل الى نفسه في الليل دون هؤلاء الأكابر من الكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء فبايعوه فلما كملت بيعة أهل القصر تقدم الى عظيم دولتـه جعفر بن عثمان بالنهوض إلى أخيه شقيقه أبي مروان عبيد الله المتخلف بأن يلزمه الحضور للبيعة دون معذرة وتقدم إلى موسى بن أحمد بن حدير بالنهوض أيضاً الى أبي الأصبغ عبد العزيز شقيقه الثاني ، فمضى اليهما كل واحد منهما في قطيع من الجند وأتيا بهما الى قصر مدينة الزهراء ونفذ غيرهما من وجوه الرجال في الخيل لإتيان غيرهما من الأخوة وكانوا يومئذ ثمانيـة فوافى جميعهم الزهراء في الليل فنزلوا في مراتبهم بفصلان دار الملك ، وقعدوا في المجلسين الشرقي والغربي وقعد المستنصر بالله على سرير الملك في البهو الأوسط من الأبهاء المذهبة القبلية التي في السطح الممرد فأول من وصل اليه الإخوة فبايعوه وأنصتوا لصحيفة البيعة والتزموا الأيمان المنصوصة بكل ما انعقد فيهـا ، ثم بايع بعدهم الوزراء وأولادهم وإخوتهم ثم أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة وقعـد الإخوة والوزراء والوجوه عن يمينه وشماله ، إلا عيسى بن فطيس فانه كان قائماً يأخـذ البيعة على الناس وقام الترتيب على الرسم في مجالس الاحتفال المعروفة فاصطف في المجلس الذي قعد فيه أكابر الفتيان يمينـاً وشمالاً الى آخر البهو كل منهم على قدره في المنزلة عليهـم الظهائر البيض شعار الحزن قـد تقلدوا فوقها السيف ثم تلاهم الفتيان الوصفاء عليهم الدروع السابغة والسيوف الحالية صفين منتظمين في السطح وفي الفصلان المتصلة به ذوو الأسنان من الفتيان الصقالبة الخصيان لابسين البياض ، بأيديهـم السيوف يتصل بهم من دونهم من طبقـات الخصيان الصقالبة ، ثم تلاهم الرماة متنكبين قسيهم وجعابهم ثم وصلت صفوف هؤلاء الخصيان الصقالبة صفوف العبيد الفحول شاكين في الأسلحة الرائقة والعـدة الكاملة ، وقامت التعبية في دار الجند والترتيب من رجاله العبيد عليهم الجواشن والأقبية البيض ، وعلى رؤوسهم البيضات الصقلية وبأيديهم التراس الملونـة

والأسلحة المزينة انتظموا صفين الى آخر الفصل وعلى باب السدة الأعظم البوابون وأعوانهم ومن خارج باب السدة فرسان العبيد الى باب الأقباء واتصل بهم فرسان الحشم وطبقات الجند والعبيد والرماة موكباً إثر موكب الى باب المدينة الشارع الى الصحراء ...]

– اتبع الحكم المستنصر خطوات أبيه في القيادة والادارة ، فحقق الأمن والاستقرار في الداخل ، وردع أعداء البلاد في الخارج وحطم بقوة كل مقاومة جابهته ، فضمن بذلك استمرار الازدهار واستطاع متابعة النهضة العمرانية التي كان قد بدأها والده ..

– ركز الحكم جهده على اخضاع افريقية ووجه القوات اليها فخضعت له ، وتلقى دعوته ملوك زناته من مغراوه ومكناسه فبثوها في أعمالهم وخطبوا بها على منابرهم وزاحموا بها دعوة الشيعة فيما بينهم ، كما استنزل بني ادريس من ملكهم بالعدوه في ناحية الريف ونقلهم الى قرطبة ثم جلاهم الى الاسكندرية في مصر ..

– وكان الحكم محباً للعلم والعلماء ، مشجعاً للكتابة والتأليف ، عاملاً على ضم الكتب الى مكتبته حتى أصبح لديه خزائن من الكتب لم تكن لأحد قبله ولا من بعده .. وقيل انها كانت أربعمائة ألف مجلد ، وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر في نقلها .

– حافظ الخليفة الحكم المستنصر على ظواهر الأبهة التي ورثها عن أبيه وزاد عليها وفي قصة استقباله لاردون سنة ٣٥١ هـ – ٩٧٢ م ما يوضح قدر ما وصلت اليه دولة الاسلام في الاندلس من العظمة في البذخ والترف :

[... أخرج الخليفة الحكم المستنصر بالله موليه محمداً وزياداً ابني افلح الناصري بكتيبة من الحشم لتلقي غالب الناصري صاحب مدينة سالم المورد للطاغية ليون بن الفونس – أردون بن أذفونش – وتلقاهم ابنا أفلح بالجيش المذكور فأنزلاهم ، ثم تحركا بهم ثاني يوم نزولهم الى قرطبة فأخرج المستنصر

بالله اليهم هشاماً المصحفي في جيش عظيم كامل التعبية وتقدموا الى باب قرطبة فمروا بباب قصرها ، فلما انتهى ليون الى ما بين السدة وباب الجنـان سأل عن مكان رمس الناصر لدين الله فأشير الى ما يوازي موضعه من داخـــل القصر في الروضة ، فخلع قلنسوته وخضع نحو مكان القبر ودعا، ثم رد قلنسوته الى رأسه، وأمر المستنصر بانزال – ليون – في دار الناعورة ، فأقام بها الخميس والجمعة فلما كان يوم السبت تقدم المستنصر بالله باستدعاء ليون ومن معه بعد اقامة الترتيب وتعبية الجيوش والاحتفال في ذلك من العدد والأسلحة والزينة ، وقعد المستنصر بالله على سرير الملـك في المجلس الشرقي من مجالس السطح وقعـد الاخوة وبنوهم والوزراء ونظراؤهم صفاً في المجلس ... فأتى محمـد بن القاسم بن طملس بالملك – ليون – وأصحابه وقد حفته جماعة من نصارى وجوه الذمة بالأندلس يؤنسونه ويبصرونه، فيهم وليد بن خيزران – حيزون – قاضي النصارى بقرطبة وعبيد الله بن قاسم – مطران طليطله – وغيرهما فدخل بين صفي الترتيب يقلب الطرف في نظم الصفوف ويحيل الفكر في كثرتها وتظاهر أسلحتها ورائق حليتها فراعهم ما أبصروه وصلبوا على وجوههم ، وتأملوا ناكسي رؤوسهم غاضين من أجفانهم قد سكرت أبصارهم حتى وصلوا الى باب الأقبـــاء أول باب قصر الزهراء ، فترجـل جميـع من كان خرج الى لقائه ، وتقدم الملك ليون وخاصـة القوامس – الكونت – على دوابهم حتى انتهوا الى باب السدة فأمر القوامس بالترجـل هناك والمشي على الأقدام فترجلوا ودخل الملك ليون وحده راكباً مـع محمد بن طملس ، فأنزل في باب البهو الأوسط من الأبهاء القبلية التي بدار الجند على كرسي مرتفع مكسو الأوصال بالفضة ، ... فقعد ليون على الكرسي وقعد أصحابه بين يديه ، وخرج الإذن من المستنصر بالله بدخول ليون عليـــه فتقدم يمشي وأصحابه يتبعونه الى ان وصل الى السطح ، فلما قابل المجلس الشرقي الذي فيـه المستنصر بالله وقف وكشف رأسه وخلع برنسه وبقي حاسراً اعظاماً لما ظهر له

من الاقتراب الى السرير . واستنهض فمضى بين الصفين المرتبين في ساحة السطح الى أن قطع السطح وانتهى الى باب البهو ، فلما قابل السرير خر ساجداً سويعة ثم استوى قائماً ثم نهض خطوات وعاد الى السجود ووالى ذلك مراراً الى ان قدم بين يدي الخليفة وأهوى الى يده فناوله إياها و كر راكعاً مقهقراً على عقبه الى وساد ديباج مثقل بالذهب ... فجلس عليه والذهول قد هيمن عليه ... ووصل بوصولهم وليد بن خيزران قاضي النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن الملك ليون ذلك اليوم،فأطرق الحكم عن تكليم ليون وقتاً كما يفرج روعه...]

- توفي الحكم المستنصر بعد أن ترك دولة قوية البنيان ، عزيزة المكانة ودفن بقرطبة (١) ..

***

المنصور أبو عامر « العامريين »

حياته : ٣٢٦ - ٣٩٢ هـ = ٩٣٨ - ١٠٠٢ م

حكمه : ٣٦٦ - ٣٩٢ هـ = ٩٧٦ - ١٠٠٢ م

محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن سويد بن عبد الملك ، وعبد الملك جده هو الداخل للأندلس مع طارق في أول الداخلين من العرب وهو وسيط قومه ..

- خلف الحكم المستنصر ابنه هشاماً ، وهو غلام لا يزيد عمره عن تسع سنين وقامت على الوصاية أمه صبح فوثقت بابن عامر لما عرفته فيه من القدرة على

---

(١) نفح الطيب ٣٨٢/١ - ٣٩٦ . المغرب في حلى المغرب ١٨١/١ - ١٨٢ ، الكامل ابن الأثير ٣٦٠/٦ واحداث السنين ، ابن خلدون ١٤٤/٤ ، جمهرة انساب العرب ٩٢ ، جذوة المقتبس ١٣ ، البيان المغرب احداث السنين ، غزوات العرب ١٩ ، ١٨٢ - ١٩٢ ، ازهار الرياض ٢٨٦/٢ - ٢٩٤ ، الاعلام ٢٩٥/٢ .

الاضطلاع بأعباء الدولة ولما لمسته فيه من الرجولة ، فأخذ في التمهيد لسلطانه والقضاء على خصومه ومنافسيه حتى استتب له الأمر ، واستأثر بالحكم وحجب هشام المؤيد الخليفة الشرعي فلم يبق له من الخلافة إلا اسمها وكانت أول خطواته القضاء على الصقالبة الموالين للخليفة الشرعي ، ومصادرة أموالهم . وتبع ذلك القضاء على الحاجب المصحفي ، منافسه في الحكم والوزارة .

– كان المنصور ابو عامر كثير الغزاة للعدو حتى بلغت غزاته نيف وخمسون غزوة وله فتوح كثيرة وكان في اكثر زمانه لا يخل بغزوتين في السنة ، وكانت غزوة « شنت ياقب » اكثر غزواته شهرة ، وقد ضم جيشه من المرتزقة فقط عشرين الف مرتزق . .

– عندما استتب الأمر للمنصور أبو عامر ، قام ببناء الزاهرة ، لمنافسة الزهراء وأمر بالانتقال اليها وجعلها « عاصمة له » .

– كان المنصور يعرف الرجال ويقدرهم حق قدرهم ، ويقرب اليه العلماء والأدباء والشعراء ، عادلاً .. وكان الى ذلك صلباً ، يطالب جنده بالانضباط الشديد .

[... وقف المنصور ابو عامر يستعرض جنده ... وكانت مواقفهم في الميدان على احتفاله مثلاً في الاطراق ، حتى إن الخيل لتتمثل إطراق فرسانها فلا تكثر الصهيل والحمحمة ، ولقد وقعت عينه على بارقة سيف قد سله بعض الجند بأقصى الميدان لهزل أو جد بحيث ظن ان لحظ المنصور لا يناله فقال : علي بشاهر السيف ، فمثل بين يديه لوقته فقال : ما حملك على أن شهرت سيفك في مكان لا يشهر فيه الا عن اذن ؟ فقال إني أشرت به الى صاحبي مغمداً فزلق من غمده . فقال ان مثل هذا لا يسوغ بالدعوى وأمر به فضربت عنقه بسيفه وطيف برأسه ونودي عليه بذنبه ...] ..

– كان المنصور قائداً فذاً ، قاد غزواته كلها ، فلم تنتكس له راية ولا فل له جيش وما أصيب له بعث وما هلكت له سرية وأجاز عساكره الى

العدوه – المغرب – وضرب بين ملوك البرابرة وضرب بعضهم ببعض فاستوثق له ملك المغرب وأخبتت له ملوك زناته وانقادوا لحكمه وأطاعوا سلطانه .

– اعتنى المنصور أبو عامر بجمع ما علق بوجهه من الغبار في غزواته ومواطن جهاده فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل في كل منزل من منزله حتى اجتمع له صرة ضخمة ، عهد بتصييره في حنوطه وكان يحملها حيث سار، معه اكفانه توقعاً لحلول منيته ، وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب مكسبه من الضيعة الموروثة عن أبيه وغزل نباته، وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد، فكان كذلك حيث توفي ودفن بمدينة « سالم » وكتب على قبره :

آثاره تنبيك عن أوصافه حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ولا يحمي الثغور سواه

—*—

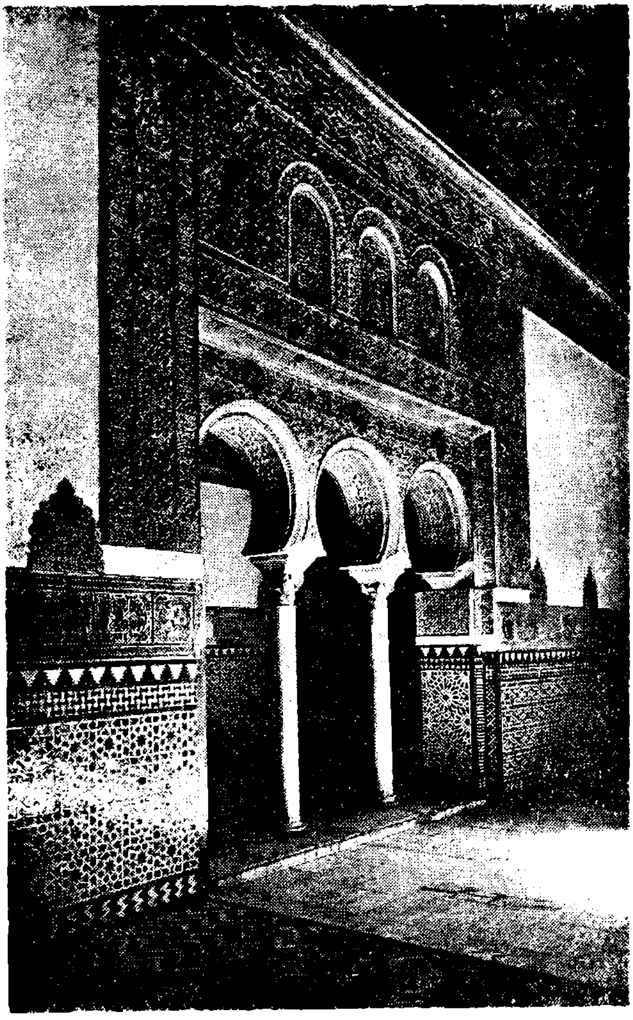
(١) المغرب في حلى المغرب ١/١٩٤ – ١٩٨ . نفح الطيب ١/٣٩٦ – ٤١٦ . غزوات العرب ١٩٢ – ١٩٧ . تاريخ قضاة الاندلس ٨٠ . ابن خلدون ٤/١٤٧ . الحلة السيراء ١٤٨ ابن الأثير ٧/٢١٧ – ٢١٨ . الوافي بالوفيات ٣/٣١٢ . الذخيرة ابن بسام المجلد الاول من القسم الرابع ٣٩ – ٥٨ . البيان المغرب ٢/٣٠١ . بغية الملتمس ١٠٥ . الاعلام ٧/٩٩ .

من ذكريات الماضي

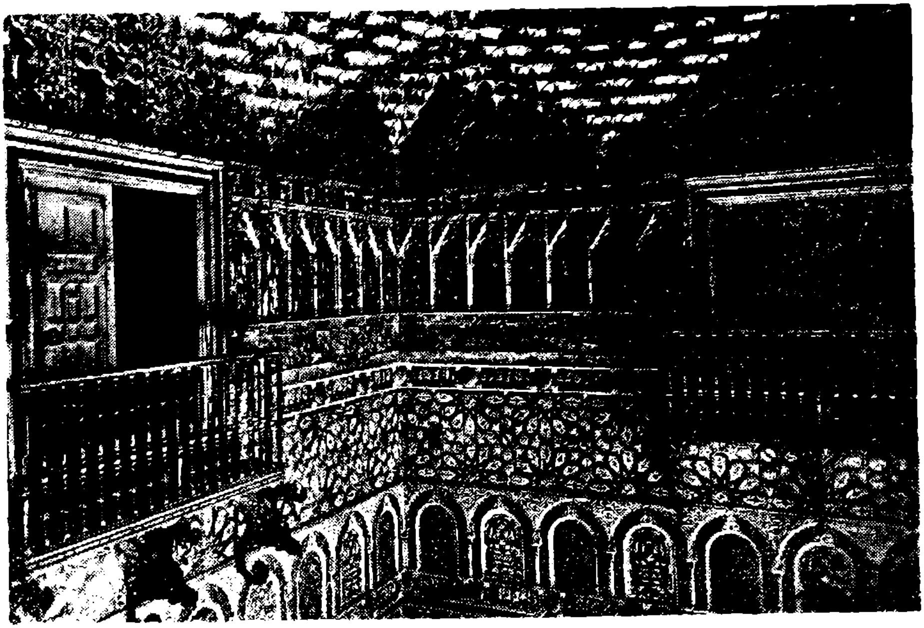
آثار العرب في الاندلس



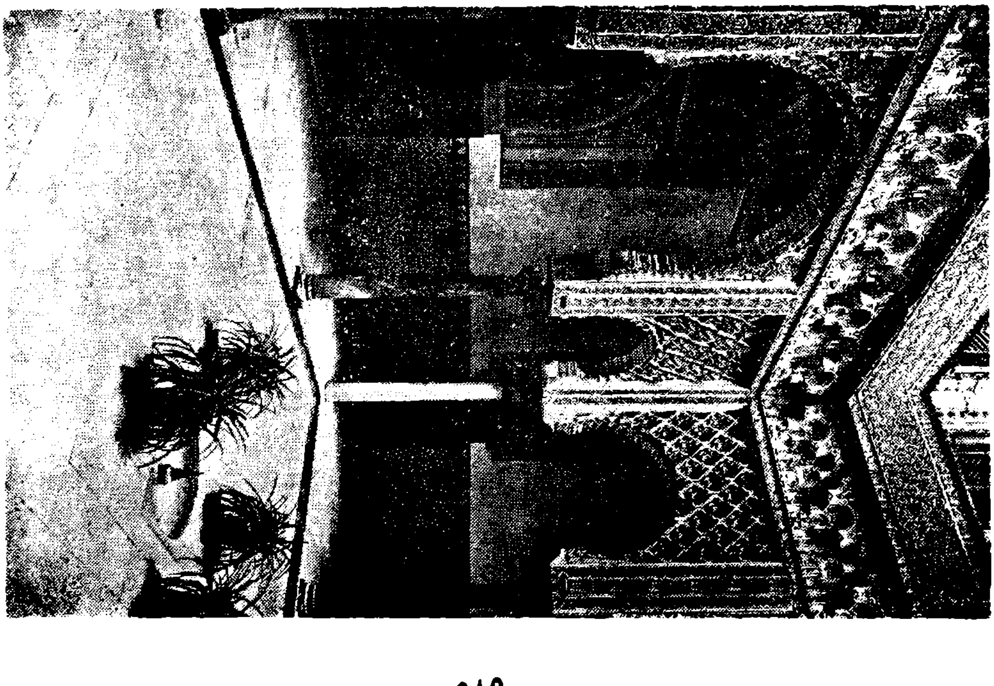
اشبيليا – مئذنة الجامع « الجيرالدا »



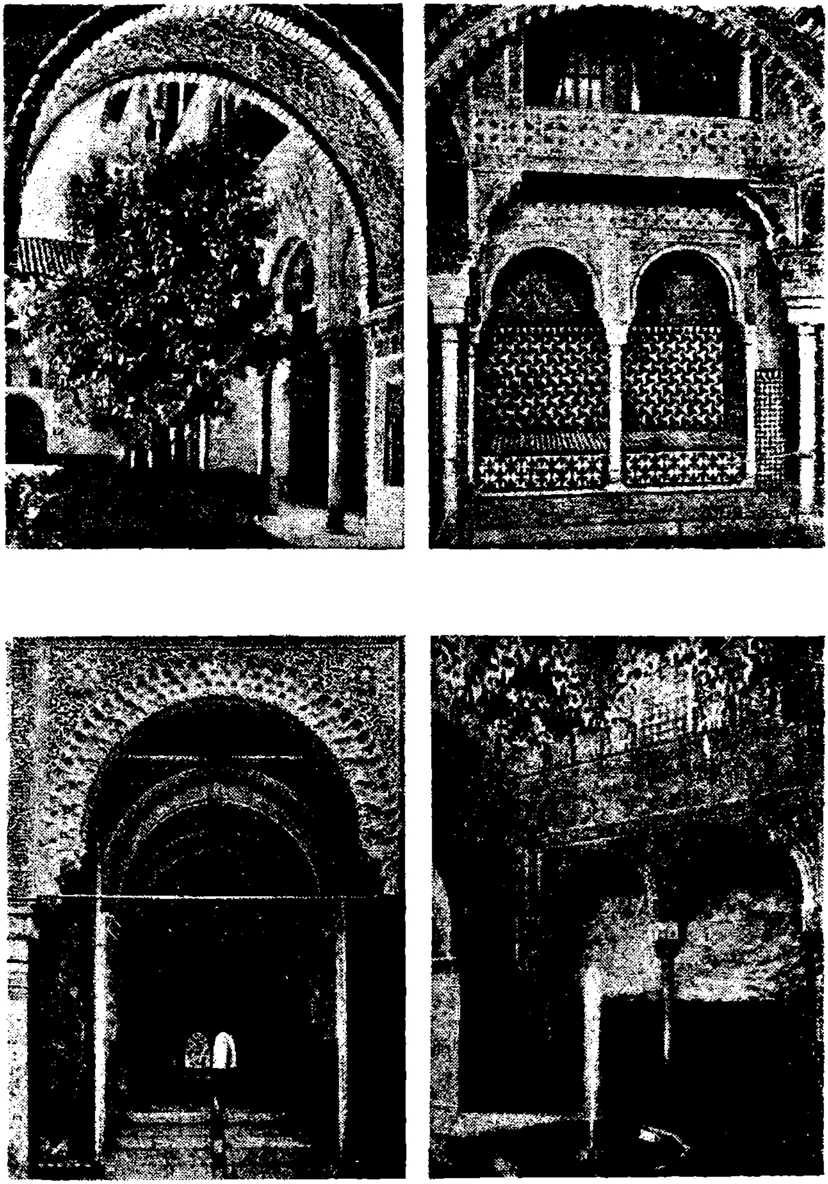
اشبيليا – غرفة النوم



اشبيليا – قاعة السفراء في القصر



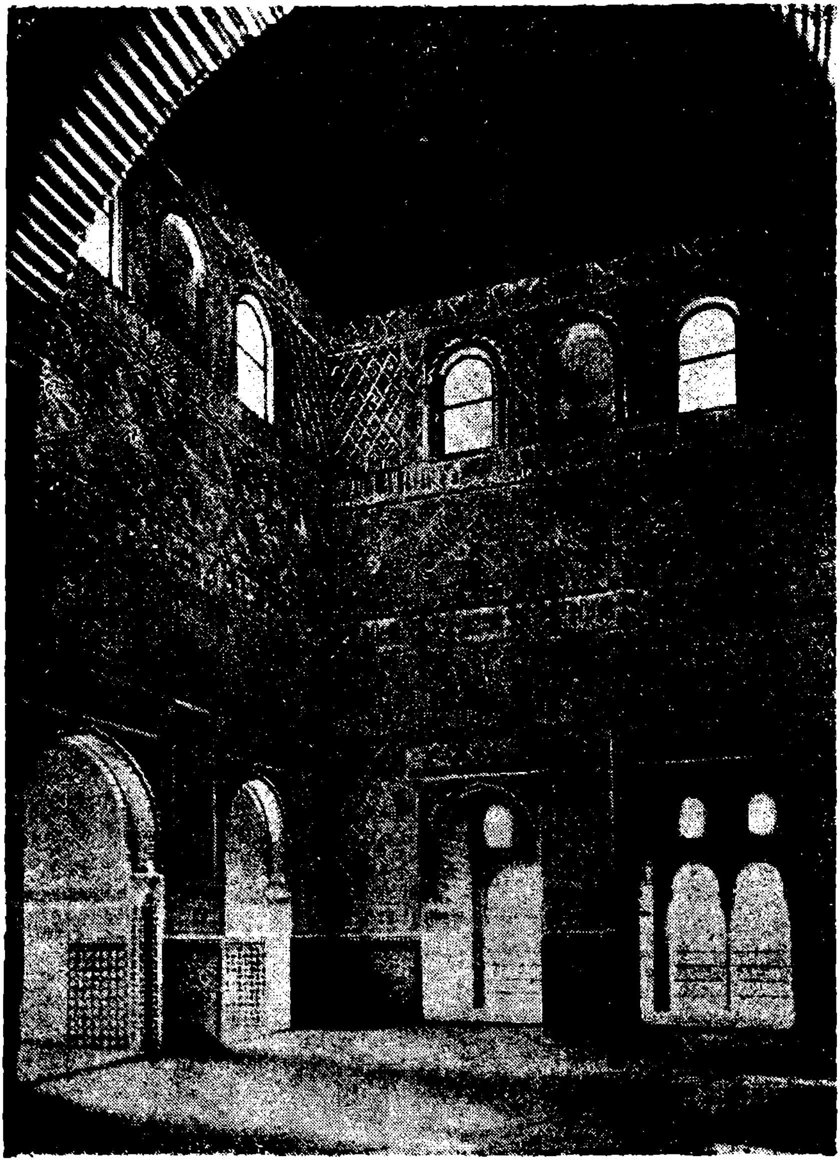
اشبيليا -- غرفة الدمى « اللعب »



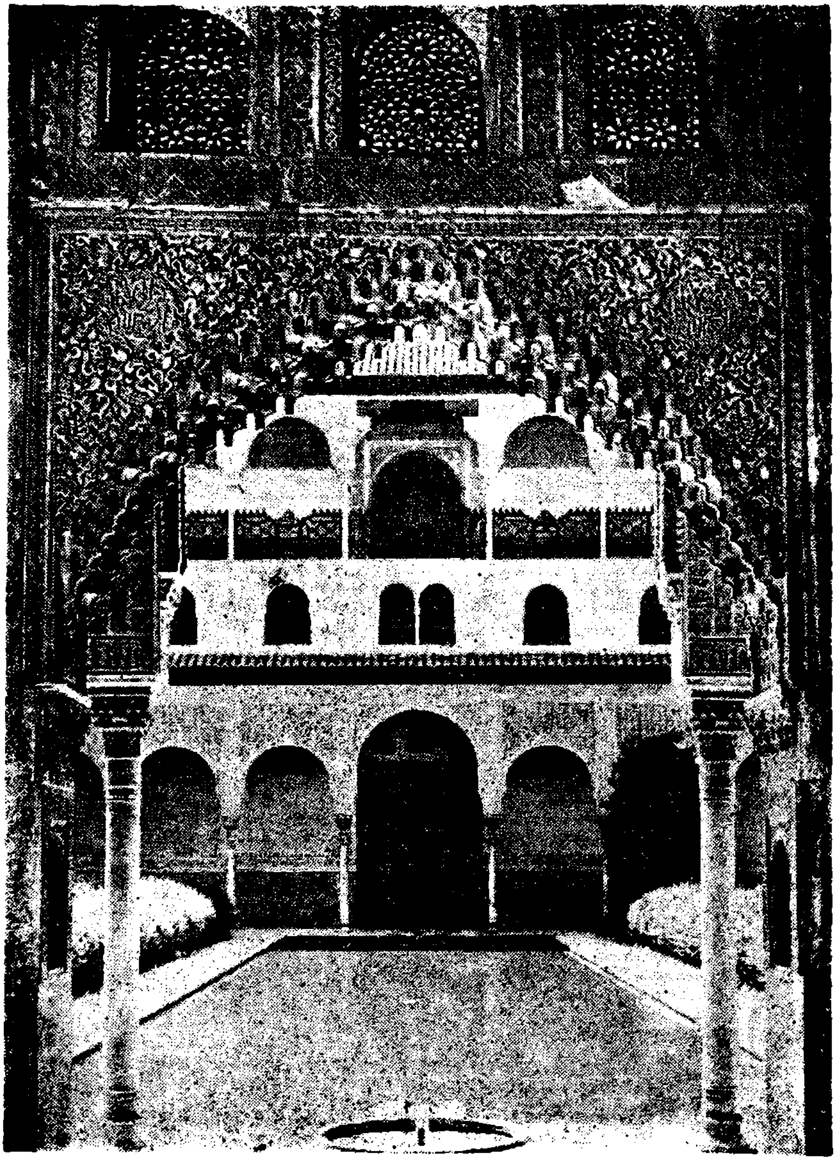
غرناطـــة – قصر الحمراء

١ – المدخـــل ٢ – صالة الاستراحة

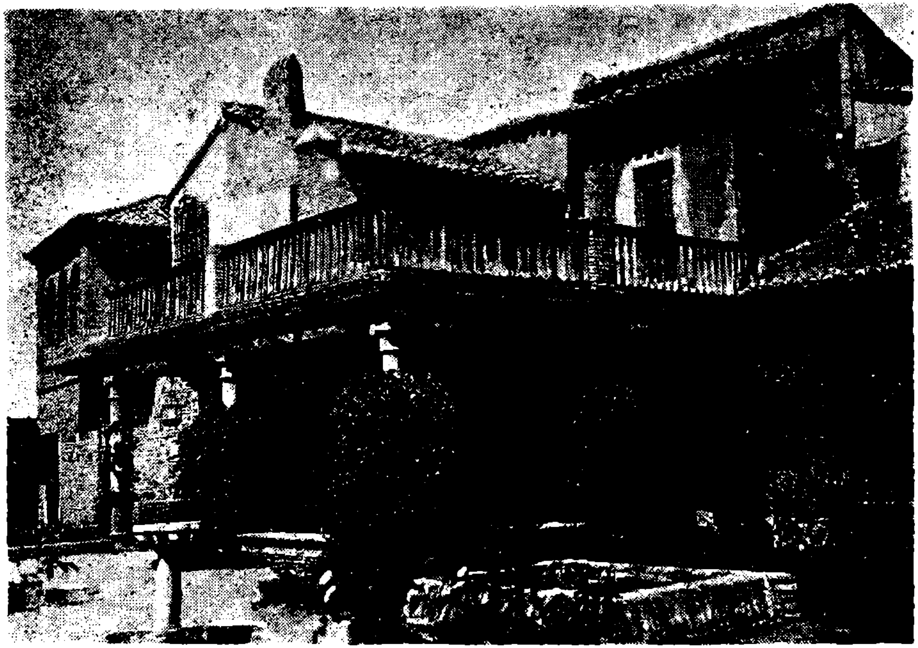
٣ – الممر الى القصر الداخلي ٤ – قاعة ابن سراج



غرناطة - قصر الحمراء - قاعة السفراء



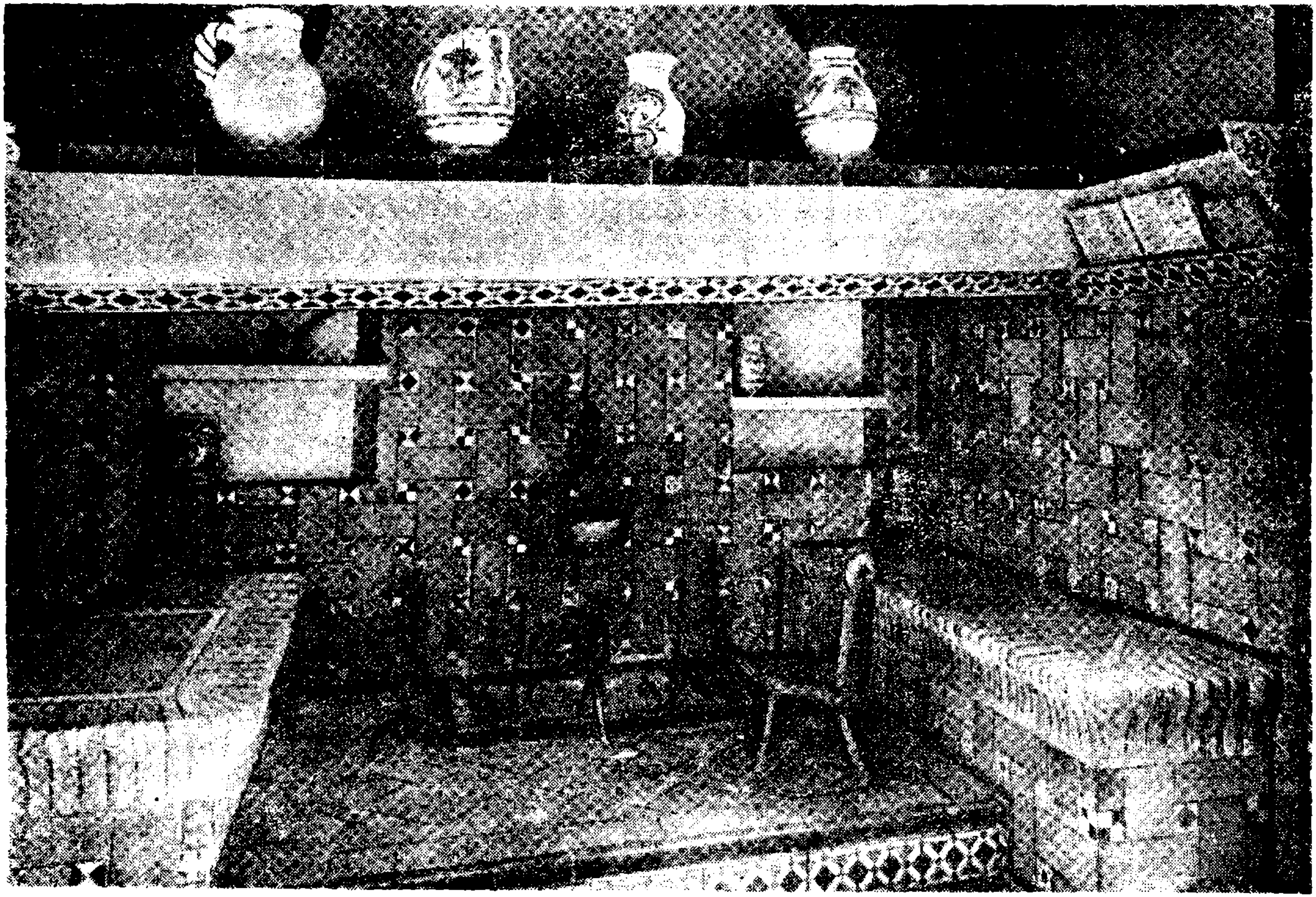
غرناطـــة ـ قصر الحمراء من الداخل



طليطلة - منزل الفنان الغريكو . لا زال الفن العربي في العماره يحتل مكانته في الأندلس



منزل الفنان الغريكو (مشهد آخر)



غرفة من منزل الفنان الاسباني « الغريكو » بمساطبها ، وزخرفتها ، ونموذج عمارتها تعيش ذكرى أيام العرب المسلمين .

ملحق الكتــاب

١ – الحكم في مصر منذ ظهور الاسلام .
٢ – حكم المسلمين في الأندلس .
٣ – قادة العرب المسلمين وولاتهم في الأندلس .
٤ – الدولة الأموية في الأندلس .
٥ – الامارات المستقلة في الأندلس .
٦ – الحرب الصليبية ضد المسلمين في الأندلس .

الملحق رقم ١

الحكم في مصر منذ ظهور الاسلام

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١	قبل٣- قبل الهجرة	قبل ٦٣٩	**النيـــل والدلتـا تحت حكم الروم والصحراء في حكم القبائل الوثنية .**
٢	٢ قبل الهجرة حتى ٧ بعدها	٦١٩ – ٦٢٨	**فارس « الساسانيون » يحتلون مصر .**
٣	٧ – ١٨	٦٢٨ – ٦٣٩	**بيزنطه تعيد سيطرتها على مصر .**
٤	١٨ – ٢٢	٦٣٩ – ٦٤٢	عمرو بن العاص يفتح مصر .
٥	٢٢ – ٤١	٦٤٢ – ٦٦١	حكم الخلفاء الراشدين .
٦	٣٥ – ٣٦	٦٥٥ – ٦٥٦	**الفتنة تسيطر على مصر .**
٧	٣٩ – ٤١	٦٥٩ – ٦٦١	
٨	٤١ – ١٣٣	٦٦١ – ٧٥٠	مصر قاعدة للفتح في عهد الأمويين .
٩	٦١ – ٦٥	٦٨٠ – ٦٨٤	**عبد الله بن الزبير ينافس الأمويين في حكم مصر .**
١٠	١٣٣ – ٢٥٤	٧٥٠ – ٨٦٨	العباسيون .
١١	٢٥٤ – ٢٩٣	٨٦٨ – ٩٠٥	الطولونيون في القطائع وهم يخضعون اسمياً للخليفة العباسي في بغداد.. وقد

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
			شمل حكمهم مصر وبرقـه « ليبيا » وأولهم أحمد بن طولون .
١٢	٢٩٣ – ٣٢٤	٩٠٥ – ٩٣٥	العباسيون يستعيدون السيطرة والحكم في مصر .
١٣	٣٢٤ – ٣٥٨	٩٣٥ – ٩٦٨	الاخشيديون في الفسطاط ، وأولهم محمد ابن طغج ثم اونوجور بن محمد، واستولى كافور بعد ذلك على الحكم في مصر .
١٤	٣٥٩ – ٣٦٢	٩٦٩ – ٩٧٢	العبيديون «أو الفاطميون» وهم يدعون أنهم من آل البيت . ومنهم :[١]
	٢٩٧ – ٣٢٣	٩٠٩ – ٩٣٤	سعيد بن عبيد الله المهدي بن حسين في القيروان .
	٣٢٣ – ٣٣٥	٩٣٤ – ٩٤٦	محمد القائم بأمر الله بن سعيد عبيد الله في القيروان .
	٣٣٥ – ٣٤١	٩٤٦ – ٩٥٢	اسماعيل المنصور بالله بن محمد القائم في القيروان .
	٣٤١ – ٣٦٥	٩٥٢ – ٩٧٥	محمد المعز لدين الله بن اسماعيل المنصور في القاهرة .
	٣٦٥ – ٣٨٦	٩٧٥ – ٩٩٦	نزار المعز لدين الله بن محمد في القاهرة .

(١) بـدأ الفاطميون حكمهم في القيروان « تونس » من ٩٠٩ – ٩٧٢ م ، ثم وجهوا قائدهم جوهر الصقلي ففرض سيطرته على مصر وفتحها عام ٩٧٢ م .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
	٣٨٦ – ٤١٢	٩٩٦ – ١٠٢١	**المنصور الحاكم بأمر الله بن نزار « الحاكم المجنون » في القاهرة .**
	٤١٢ – ٤٢٧	١٠٢١ – ١٠٣٥	**الظاهر بن المنصور .**
	٤٢٧ – ٤٨٧	١٠٣٥ – ١٠٩٤	**المستنصر بالله بن الظاهر .**
			وقد تعاقب بعد ذلك عدد من الحكام لم يكن الحكم في يدهم ..
١٥	٣٦٢ – ٥٦٧	٩٧٢ – ١١٧١	الفاطميون في القاهرة .
١٦	٥٦٧ – ٦٤٨	١١٧١ – ١٢٥٠	الأيوبيون يحكمون مصر .
	٥٦٧ – ٩٠	١١٧١ – ١١٩٣	**صلاح الدين الايوبي الذي تولى السلطة فعلا منذ عام ٥٦٥ هـ - ١١٦٩ م .**
١٧	٦٤٨ – ٧٨٤	١٢٥٠ – ١٣٨٢	المماليك البحرية « أتراك » .
١٨	٧٩٢ – ٧٩٣	١٣٨٩ – ١٣٩٠	
	٦١٥ – ٦١٨	١٢١٨ – ١٢٢١	الحملة الصليبية بقيادة جان دوبريين تستولي على دمياط والدلتا .
	٦٤٦ – ٦٤٨	١٢٤٨ – ١٢٥٠	الحملة الصليبية التاسعة بقيادة لويس التاسع .
١٩	٧٨٤ – ٧٩٢	١٣٨٢ – ١٣٨٩	المماليك البرجيه « شراكس » .
	٧٩٣ – ٩٢٢	١٣٩٠ – ١٥١٦	

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
	٧٦٧	١٣٦٥	نهب الصليبيون الاسكندرية بقيادة بيير ده لوزينيان .
٢٠	٩٢٢ – ١٢٢٠	١٥١٦ – ١٨٠٥	المماليك يخضعون للدولة العثمانية .
	١١٨٠ – ١١٨٧	١٧٦٦ – ١٧٧٣	**التمرد على الدولة العثمانية .**
	١٢١٣	١٧٩٨	**نابليون الأول يقود حملة الغزو ويفتح مصر .**
	١٢١٤	١٧٩٩	**نلسون قائد الاسطول البريطاني يدمر الاسطول الفرنسي في « أبي قير » .**
	١٢١٦	١٨٠١	**الانكليز يطردون الفرنسيين من مصر .**
٢١	١٢٢٠ – ١٢٤٨	١٨٠٥ – ١٨٣٢	محمد علي باشا ـ مؤسس الدولة العلوية ـ والياً للعثمانيين على مصر .
	١٢٢٢	١٨٠٧	**احتل الانكليز الاسكندرية لفترة قصيرة ثم قاموا بالجلاء عنها .**
٢٢	١٢٤٨ – ١٣٠٠	١٨٣٢ – ١٨٨٢	مصر شبه مستقلة عن الدولة العثمانية في حكم الأسرة العلوية ـ محمد علي وسلالته ـ وقد حل النفوذ الفرنسي محل النفوذ العثماني ثم انتهى الأمر بفرض الانكليز نفوذهم على مصر منذ عام ١٨٧٥ م .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١٢٧٦ – ١٢٨٦	١٨٥٩ – ١٨٦٩	**شق قناة السويس .**
١٣٠٠ – ١٣٥٥	١٨٨٢ – ١٩٣٦	**مصر تحت الحكم البريطاني .**
١٣٣٣ – ١٣٤١	١٩١٤ – ١٩٢٢	**اعتبار مصر محمية تابعة لبريطانيا ، ومستقلة اسمياً بعد عام ١٩٢٢ .**
١٣٥٥	١٩٣٦	**اعلان استقلال مصر .**
١٣٥٩	١٩٤٠	ايطاليا تهاجم حدود مصر الغربية .
١٣٦١	١٩٤٢	القوات الالمانية تصل حدود مصر الغربية .
١٣٧٢	٢٣ تموز ـ يوليو ١٩٥٢	ثورة الضباط الأحرار في مصر بقيادة اللواء محمد نجيب .
١٣٧٣	١٩٥٣	اعلان الجمهورية في مصر وتسلم جمال عبد الناصر الحكم .
١٣٧٦	٢٦ تموز ـ يوليو ١٩٥٦	تأميم قناة السويس . « العدوان الثلاثي : البريطاني ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي على مصر » .
١٣٧٨	٢٢ شباط ١٩٥٨	اعلان وحدة مصر وسوريا باسم الجمهورية العربية المتحدة .
١٣٨١	٢٨ ايلول ١٩٦١	الانفصال بين مصر وسوريا .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
١٣٨٧	٥ حزيران ١٩٦٧	العدوان الاسرائيلي واحتلال القوات الاسرائيلية الضفة الشرقية للقناة .
١٣٩١	٢٨ ايلول ١٩٧١	وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وتولي الرئيس أنور السادات رئاسة الجمهورية .
١٠ رمضان ١٣٩٣	٦ تشرين الأول اكتوبر ١٩٧٣	الحرب مع اسرائيل واستيلاء القوات العربية في مصر على الضفة الشرقية للقنـــاة .

—★—

ملحق رقم ٢

حكم المسلمين في الاندلس

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٩٢ — ٩٦	٧١١ — ٧١٤	فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد وموسى ابن نصير .
٩٧ — ١٣٨	٧١٥ — ٧٥٦	حكم الولاة .
١٣٩ — ٤٢٢	٧٥٧ — ١٠٣١	حكم الأمويين وعاصمتهم قرطبة .
٤٠٣ — ٥٦٧	١٠١٣ — ١١٧١	ملوك الطوائف .
٤٧٨ — ٥٤٢	١٠٨٦ — ١١٥٧	المرابطون .
٥٤٠ — ٦٣٣	١١٤٥ — ١٢٣٥	الموحدون .
٦٣٤	١٢٣٦	سقطت قرطبة بيد الافرنج .
٨٩٨	١٤٩٢	سقطت اسبانيا بيد الافرنج ، وغادر بنو نصر « غرناطه » .
١٠١٨	١٦٠٩	اخرج الاسبان بقية المسلمين الذين عرفوا بالموريسكو .

ملحق رقم ٣

قادة العرب المسلمين وولاتهم في الاندلس[١]

بداية من الفتح وحتى قيام الدولة الأموية « حكم الولاة »

٩٢ – ١٣٨ هـ = ٧١١ – ٧٥٦ م

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	القائد أو الوالي	مدة قيادته
١	رجب ٩٢	نيسان – ابريل ٧١١	طارق بن زياد	سنة
٢	رمضان ٩٣	٧١٢	موسى بن نصير	سنتين
٣	٩٦	٧١٤	عبد العزيز بن موسى	سنة
٤	٩٧	٧١٥	ايوب بن حبيب اللخمي	ستة أشهر
٥	٩٧	٧١٦	الحر بن عبد الرحمن الثقفي	ثلاثة أعوام تقريباً
٦	١٠٠	٧١٩	السمح بن مالك الخولاني **« ابن اخت موسى بن نصير »**	سنتين وثلاثة أشهر
٧	١٠٢	٧٢١	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي **« للمرة الأولى »**	شهرين
٨	١٠٣	٧٢١	عنبسة بن سحيم الكلبي .	أربع سنين وثمانية أشهر
٩	١٠٧	٧٢٦	عذرة بن عبد الله الفهري .	شهرين

---

(١) نفح الطيب ١/٢٩٩ : فترة الولاة ٤٦ عاماً تعاقب فيها عشرون والياً .

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	القائـــد أو الوالي	مـدة قيادته
١٠	١٠٧	٧٢٦	يحيى بن سلمة الكلبي .	سنتين وثلاثة أشهر
١١	١١٠	٧٢٨	حذيفة بن الأحوص القيسي .	ستة أشهر
١٢	١١٠	٧٢٨	عثمان بن أبي نسعة الخثعمي .	ستة أشهر
١٣	١١١	٧٢٩	الهيثم بن عدي الكلابي .	أربعة أشهر
١٤	١١١	٧٣٠	محمد بن عبد الله الأشجعي .	ثلاثة أشهر
١٥	١١٢	٧٣٠	عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي «للمرة الثانية»	سنتين وسبعة أشهر
١٦	١١٤	٧٣٢	عبد الملك بن قطن الفهري .	سنتين وشهر
١٧	١١٦	٧٣٤	عقبة بن الحجاج السلولي .	سبع سنين وشهر
١٨	١٢٣	٧٤١	عبدالملك بن قطن الفهري «للمرة الثانية»	شهـرين
١٩	١٢٣	٧٤١	بلج بن بشر القشيري .	سنــة تقريباً
٢٠	١٢٤	٧٤٢	ثعلبة بن سلامة العاملي أو الجذامي .	تسعة أشهر
٢١	١٢٥	٧٤٣	أبو خطار ، حسام بن ضرار الكلبي .	سنتين
٢٢	١٢٧	٧٤٥	ثعلبة بن سلامه الجذامي «للمرة الثانية»	بضعة أشهر
٢٣	١٢٩	٧٤٦	يوسف بن عبد الرحمن الفهري[١] .	عشرة أعوام

(١) اعقبت وفاة ثعلبة بن سلامة الجذامي فترة من الاضطراب لمدة أربعة أشهر تولى بعدها الحكم يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالاشتراك مع الصميل بن حاتم ، ثم قتل الصميل .

ملحق رقم ٤

الدولة الأموية في الاندلس

بداية من عهد عبد الرحمن الاول وحتى قيام الدول المستقلة

١٣٨ – ٤٢٢ = ٧٥٦ – ١٠٣١ م

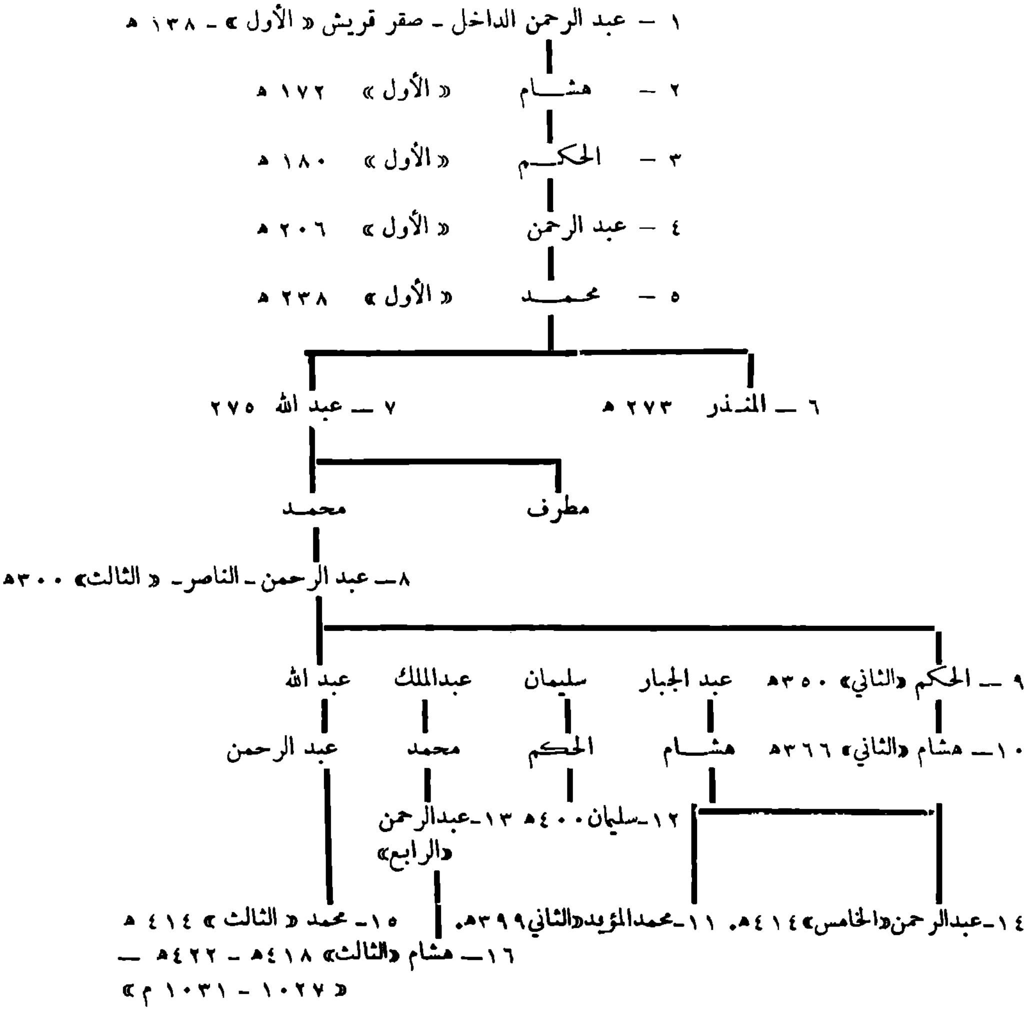
	السنة الهجرية	السنة الميلادية	أمراء الأمويين	مدة الحكم
١	١٣٨	٧٥٦	عبد الرحمن الداخل «صقر قريش»	٣٣ عاماً
٢	١٧٢	٧٨٨	هشام بن عبد الرحمن « الأول »	٨ أعوام
٣	١٨٠	٧٩٦	الحكم بن هشام « الأول »	٢٦ عاماً
٤	٢٠٦	٨٢٢	عبد الرحمن بن الحكم « الثاني »	٣٠ عاماً
٥	٢٣٨	٨٥٢	محمد بن عبد الرحمن « الأول »	٣٤ عاماً
٦	٢٧٣	٨٨٦	المنذر بن محمد	سنتين
٧	٢٧٥	٨٨٨	عبد الله بن محمد	٢٤ عاماً
٨	٣٠٠	٩١٢	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الأول«الثالث» الملقب بالناصر	٥٠ عاماً
٩	٣٥٠	٩٦١	الحكم بن عبد الرحمن الناصر « المستنصر » « الثاني »	١٦ عاماً
١٠	٣٦٦	٩٧٦	هشام بن الحكم المستنصر «المؤيد» « الثاني »	٣٣ عاماً

	السنة الهجرية	السنة الميلادية	أمراء الأمويين	مدة الحكم
١١	٣٩٩	١٠٠٩	محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن ـ المؤيد ـ «الثاني»	بضعة شهور
١٢	٤٠٠	١٠٠٩	سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن « المستعين بالله »	بضعة شهور
١٣	٤٠٠	١٠١٠	محمد المؤيد الثاني « **للمرة الثانية** »	ثلاثة أعوام
١٤	٤٠٣	١٠١٣	سليمان المستعين بالله « **للمرة الثانية**»	ثلاثة أعوام
١٥	٤٠٧	١٠١٦	**علي بن حمود من اسرة الحموديين في سبته .**	سنتين
١٦	٤٠٨	١٠١٨	عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك ابن عبد الرحمن الناصر «المرتضى»	بضعة شهور
١٧	٤٠٨	١٠١٨	القاسم بن حمود «من أسرة الحموديين»	ثلاثة أعوام
١٨	٤١٢	١٠٢١	يحيى بن علي «من أسرة الحموديين»	سنة
١٩	٤١٣	١٠٢٢	القاسم بن حمود «من أسرة الحموديين» « **للمرة الثانية** »	سنة
٢٠	٤١٤	١٠٢٣	عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار المستظهر « الخامس »	شهر وسبعة عشر يوماً
٢١	٤١٤	١٠٢٤	محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الرحمن المستكفي «الثالث»	سنة وأربعة أشهر
٢٢	٤١٦	١٠٢٥	يحيى بن علي «من أسرة الحموديين» « **للمرة الثانية** »	سنتين
٢٣	٤١٨ ـ ٤٢٢	١٠٢٧ ـ ١٠٣١	هشام المعتمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك « الثالث »	أربعة أعوام

الدولة الأموية في الأندلس

جدول يبين نسب امراء الامويين في دولة قرطبة

١٣٨ – ٤٢٢ هـ = ٧٥٦ – ١٠٣١ م



ملحق رقم ٥

الامارات المستقلة في الاندلس

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
		١ – دولة بنو حمود في ملقا	٤٠_ أربعون عاماً	
٤٠٧	١٠١٦	علي بن حمود « الناصر »	حكم في قرطبة سنة	
٤٠٨	١٠١٨	القاسم بن حمود « المأمون »	حكم في قرطبة ثلاث سنين	
٤١٢	١٠٢١	يحيى بن علي بن حمود « المعتلي »	حكم في قرطبة	
٤١٣	١٠٢٢	القاسم بن حمود « **للمرة الثانية** »	» » »	
٤١٦	١٠٢٥	يحيى بن علي بن حمود « **للمرة الثانية** »	» » »	
٤٢٧	١٠٣٥	ادريس بن علي بن حمود « المتأيد »		
٤٣١	١٠٣٩	حسن بن يحيى بن علي « المستنصر »		
٤٣٤	١٠٤٠	ادريس بن يحيى بن علي « الثاني _ العالي »		
٤٣٨	١٠٤٦	محمد بن ادريس بن علي « الأول _ المهدي »		
٤٤٤	١٠٥٢	ادريس بن يحيى بن علي « الثالث _ الموفق »		
٤٤٥	١٠٥٣	ادريس بن يحيى بن علي « العالي » « **للمرة الثانية** »		
٤٤٦-٤٤٩	١٠٥٤ – ١٠٥٧	محمد بن حسن بن يحيى بن علي « المستعلي »		

استيلاء المرابطون على « ملقا »

الامارات المستقلة في الاندلس[1]

مـــلوك الطوائف

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
		١ – دولة بني جهور في قرطبة	٤٠ أربعون عاماً	
٤٢٢	١٠٣١	أبو الحزم بن جهور .		
٤٣٥	١٠٤٤	أبو الوليد محمد بن جهور .		
٤٥٧ – ٤٦٣	١٠٦٤ – ١٠٧٠	عبد الملك بن محمد بن جهور .		
		المعتمد بن عباد يستولي على قرطبة		
		٢ – دولة بني عباد في اشبيلية	سبعون عاماً	
٤١٤	١٠٢٣	القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد .		
٤٣٣	١٠٤٢	عباد بن محمد المعتضد .		
٤٦١ – ٤٨٤	١٠٦٩ – ١٠٩١	محمد بن عباد المعتمد .		
		اشبيليه تسقط في أيدي المرابطين		
		٣ – دولة بني الأفطس في بطليوس	٧٢ – اثني وسبعون عاماً	
٤١٣	١٠٢٢	عبد الله بن محمد بن مسلمة المنصور.		
٤٣٧	١٠٤٥	محمد بن عبد الله المظفر .		
٤٦١	١٠٦٨	يحيى بن محمد المنصور .		
٤٦٤ – ٤٨٨	١٠٧٢ – ١٠٩٤	عمر بن محمد المتوكل .		

(١) دولة الاسلام في الاندلس ـ محمد عبد الله عنان ١ / ٤٣٣ .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
		٤ – دولة بني يحيى في « لبلة »	ثلاثون عاماً	
٤١٤	١٠٢٣	أبو العباس أحمد بن يحيى .		
٤٣٤	١٠٤٢	محمد بن يحيى عز الدولة .		
٤٤٣ – ٤٤٥	١٠٥١ – ١٠٥٣	فتح بن خلف ناصر الدولة .		
		المعتضد بن عباد يستولي على لبه		
		٥ – دولةبني مزين في باجه وشلب	خمس وعشرون عامـــاً	
؟	؟	الحاجب عيسى بن محمد .		
٤٣٢	١٠٤١	محمد بن عيسى عميد الدولة .		
٤٤٠	١٠٤٨	عيسى بن مزين المظفر .		
٤٤٥	١٠٥٣	محمد بن عيسى الناصر .		
٤٥٠ – ٤٥٥	١٠٥٨ – ١٠٦٣	عيسى بن محمد المظفر .		
		المعتضد بن عباد يستولي على شلب		
		٦ – دولة بني البكري في ولبه وجزيرة شلطيش	أربعون عاماً	
٤٠٣ – ٤٤٣	١٠١٢ – ١٠٥١	عبد العزيز البكري « عز الدولة »		
		المعتضد بن عباد يستولي على ولبه وشلطيش		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
		٧ – دولة بني هارون في شنتمرية الغرب	خمس وعشرون عاماً	
٤١٧	١٠٢٦	سعيد بن هارون .		
٤٣٢ – ٤٤٣	١٠٤١ – ١٠٥١	محمد بن سعيد « المعتصم » .		
		المعتضد بن عباد يستولي على شنتمرية الغرب		
		٨ – دولة بني ذي النون في طليطلة	خمسون عاماً	
٤٢٧	١٠٣٦	اسماعيل بن ذي النون « الظافر »		
٤٣٥	١٠٤٣	يحيى بن اسماعيل « المأمون »		ابو الحسن
٤٦٧ – ٤٧٨	١٠٧٥ – ١٠٨٥	يحيى بن اسماعيل بن يحيى «القادر»		حفيد المأمون
		الفونسو السادس يستولي على طليطلة		
		٩ – دولة بني مناد في غرناطه	سبع وسبعون عاماً	
٤٠٣	١٠١٣	زاوي بن زيري .		
٤١١	١٠٢٠	حيوس بن ماكسن .		
٤٢٨	١٠٣٧	باديس بن حيوس « المظفر » .		
٤٦٥ – ٤٨٣	١٠٧٣ – ١٠٩٠	عبد الله بن يلقين .		
		استيلاء المرابطين على غرناطه		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
		١٠ ـ دولة بني برزال في قرمونه	خمس وخمسون عاماً	
٤٠٤	١٠١٣	محمد بن عبد الله بن برزال .		
٤٣٤ ـ ٤٥٩	١٠٤٢ ـ ١٠٦٧	عزيز بن محمد « المستظهر » .		
		ابن عباد يستولي على قرمونه		
		١١ ـ دولة بني دمر في مورور	ثلاث وخمسون عاماً	
٤٠٣	١٠١٣	نوح بن أبي تزيري الدمري .		
٤٣٣	١٠٤١	محمد بن نوح « عز الدولة » .		
٤٤٥ ـ ٤٥٨	١٠٥٣ ـ ١٠٦٦	مناد بن محمد « عماد الدولة » .		
		ابن عباد يستولي على مورور		
		١٢ ـ دولة بني خزرون في أركش	سبع وخمسون عاماً	
٤٠٢	١٠١١	محمد بن خزرون « عماد الدولة » .		
٤٢٠	١٠٢٩	عبدون بن محمد بن خزرون .		
٤٤٥ ـ ٤٦١	١٠٥٣ ـ ١٠٦٨	محمد بن محمد بن خزرون «القائم».		
		ابن عباد يستولي على اركش		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
		١٣ – دولة بني يفرن في رنده	خمسون عاماً	
٤٠٦	١٠١٥	هلال بن أبي قره اليفرني .		
٤٤٥	١٠٥٣	باديس بن هلال .		
٤٤٩–٤٥٧	١٠٥٧ – ١٠٦٥	أبو نصر فتوح بن هلال .		
		ابن عباد يستولي على رنده		
		١٤ – الدولة العامرية في « المريه »	سبع وسبعون عاماً	
١ – ٤٠٥	١٠١٤	خيران العامري .		
٤١٩	١٠٢٨	زهير العامري .		
٤٢٩	١٠٣٨	عبد العزيز « المنصور » .		
٢ – ٤٣٣	١٠٤١	معن بن صمادح .		
٤٤٣	١٠٥١	محمد بن معن « المعتصم » .		
٤٨٤	١٠٩١	أحمد بن محمد « عز الدولة » .	شهور قليلة	
		استيلاء المرابطون على المرية		
		١٥ – الدولة العامرية في مملكة مرسيه	تسع وسبعون عاماً	
١ – ٤٠٣	١٠١٢	خيران العامري .		
٤١٩	١٠٢٨	زهير العامري .		
٢ – ٤٢٩	١٠٣٨	أبو بكر بن طاهر [1].		

(١) حكم بنو طاهر باسم عبد العزيز المنصور صاحب بلنسيه وولده عبد العزيز .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
٤٥٥	١٠٦٣	أبو عبد الرحمن بن طاهر .		المعتمد بن عباد يستولي على مرسيه ٤٧١ هـ - ١٠٧٨ م
٣- ٤٧١	١٠٧٨	ابن عمار .		
٤٧٣ - ٤٨٤	١٠٨١ - ١٠٩١	ابن رشيق .		
		استيلاء المرابطون على مرسيه		
		١٦ - مملكة دانيه والجزائر	اثنين وثمانون عاماً	
١- ٤٠٠	١٠٠٩	مجاهد العامري « الموفق » .		
٤٣٦	١٠٤٤	علي بن مجاهد « اقبال الدولة » .		
٢- ٤٦٨	١٠٧٦	المقتدر بن هود «صاحب سرقسطه»		
٤٧٤ - ٤٨٤	١٠٨١ - ١٠٩١	المنذر بن هود .		
		استيلاء المرابطون على دانيه		
		١٧ - مملكة بلنسيه	ثلاث وتسعون عاماً	
١- ٤٠٠	١٠٠٩	الفتيان « مظفر ومبارك » .		
٤٠٨	١٠١٧	لبيب العامري .		
٤١١	١٠٢١	عبد العزيز المنصور .		
٤٥٢ - ٤٥٧	١٠٦١ - ١٠٦٥	عبد الملك بن عبد العزيز .		
		المأمون بن ذي النون يستولي على بلنسيه		
٢- ٤٥٧	١٠٦٥	أبو بكر بن عبد العزيز «نائباً عن المأمون»		
٤٧٨	١٠٨٥	عثمان بن أبي بكر .	فترة قصيرة	

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
٤٧٨	١٠٨٥	القادر بن ذي النون .		
٤٨٥	١٠٩٢	القاضي ابن جحاف .		
٤٨٧ – ٤٩٥	١٠٩٤ – ١١٠٢	السيد الكمبيادور والقشتاليون .		
		استيلاء المرابطون على « بلنسيه »		
		١٨ – امارة شنتمريه الشرق	اثنين وتسعون عاماً	
٤٠٣	١٠١٢	هذيل بن عبد الملك بن رزين .		
٤٣٦	١٠٤٥	عبد الملك بن هذيل .		
٤٩٦ – ٤٩٧	١١٠٣ – ١١٠٤	يحيى حسام الدولة .		
		استيلاء المرابطون على شنتمرية الشرق		
		١٩ – امارة ألبونت	ثلاث وتسعون عاماً	
٤٠٠	١٠٠٩	عبد الله بن قاسم .		
٤٣١	١٠٣٩	محمد بن عبد الله « يمن الدولة »		
٤٣٤	١٠٤٢	أحمد بن محمد « عز الدولة » .		
٤٤٠ – ٤٩٥	١٠٤٨ – ١١٠٢	عبد الله بن محمد « جناح الدولة ».		
		استيلاء المرابطون على ألبونت		
		٢٠ – مملكة سرقسطه	ثلاث وتسعون عاماً	
١ – ٤٠٨	١٠١٧	المنذر بن يحيى التجيبي .		

السنة الهجرية	السنة الميلادية	اسم الدولة والأمراء	مدة الامارة	ملاحظات
٤١٤	١٠٢٣	يحيى بن المنذر « المظفر » .		
٤٢٠	١٠٢٩	المنذر بن يحيى « معز الدولة » .		
٤٣١	١٠٣٩	سليمان بن هود « المستعين » .		
٤٣٨	١٠٤٦	أحمد بن سليمان « المقتدر » .		
٤٧٤	١٠٨١	يوسف بن أحمد « المؤتمن » .		
٤٧٨	١٠٨٥	أحمد بن يوسف « المستعين » .		
٥٠٣	١١١٠	عبد الملك بن أحمد «عماد الدولة».	فترة قصيرة	
		استيلاء المرابطون على سرقسطه		

الملحق رقم ٦

الحرب الصليبية ضد المسلمين في الأندلس

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الأحداث
١٥٩	٧٧٦	قاد شارلمان هجوماً ، إلا أنه أحبط في مهده في سرقسطه .
١٠٠ – ٢٩٨	٧١٨ – ٩١٠	انتزع الفونسو الأول والفونسو الثالث جيليقيه وليون من يد المسلمين ودفعهم حتى وراء نهر دويره بعد معركة « كوفادونكا » .
١١٤ – ١٤٢	٧٣٢ – ٧٥٩	قاد شارل مارتل الفرنجة ضد المسلمين وانتزع منهم تور عام ٧٣٢ م ، واربونه « ناربون » عام ٧٥٩ م .
١٦١ – ١٨٥	٧٧٧ – ٨٠١	قاد شارلمان الفرنجة ضد المسلمين وانتزع منهم سرقسطه ٧٧٨ ، دونشه ٧٧٨ ، برشلونه ٨٠١ . وأصبح ٢٥ ٪ من الأندلس خارج قبضة حكم العرب المسلمين .
٢٧٧ – ٣٦٥	٨٩٠ – ٩٧٥	انتزع الفرنجة منطقة البروفانس من العرب المسلمين ودفعوهم إلى ما وراء جبل البرانس « البيرونه » . وأصبح ٣٠ ٪ من الأندلس خارج قبضة حكم العرب المسلمين .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٤٢٩ – ٤٨٨	١٠٣٧ – ١٠٩٥	قاد الفونسو السادس القشتاليون وأقام قشتاله الجديدة «نيوكاستل» وانتزع من المسلمين مدريد ١٠٨٥ م ، طليطلة ١٠٨٥ م .
٤٧٩	١٠٨٦	قاد يوسف بن تاشفين المسلمين في معركة الزلاقه ، وانتصر على الفرنجة ، لكنه لم يستثمر النصر لاسترجاع طليطلة .
٤٤٧ – ٤٥٧	١٠٥٥ – ١٠٦٤	قاد فرديناند الأول القشتاليون في البرتغال الوسطى وانتزع من المسلمين – قويمره – ١٠٦٤م .
٤٩٠ – ٥٩١	١٠٩٦ – ١١٩٤	قاد الفونسو السادس الارغونيون في ارغون الشمالية وانتزع من المسلمين « وشقه » ١٠٩٦ م وسرقسطه ١١١٨ م ، وطرطوشه ١١٤٨ م .
٥٠٧ – ٥٠٩	١١١٣ – ١١١٥	انتزع البيزيون من المسلمين جزر الباليار ثم استردها منهم الموحدون ١١١٥ م ، ثم عاد الارغونيون بقيادة جيمس الأول فانتزعوا ميورقه عام ١٢٣٠ م ، ومنورقه عام ١٢٣٢ م .
٥٣٤ – ٦٥٥	١١٣٩ – ١٢٥٧	تعاون البرتغاليون والانكليز لدعم البرتغال الجنوبية وقاد الفونسو هنريك عمليات القتال فانتزع من المسلمين لشبونه عام ١١٤٧ م وشلب عام ١١٩٧ م ومارتيله عام ١٢٣٩ م .
٥٣٩ – ٥٤٢	١١٤٤ – ١١٤٧	قاد الفونسو السابع الحرب ضد المسلمين وانتزع منهم قشتالة الجنوبية .

السنة الهجرية	السنة الميلادية	موجز الاحداث
٦٠٩ – ٦٦٥	١٢١٢ – ١٢٦٦	تعاون القشتاليون والارغونيون بقيادة الفونسو الثامن وجيمس الأول لتنظيم الحرب ضد المسلمين وأمكنهم انتزاع قرطبة عام ١٢٣٦م ، واشبيليا عام ١٢٤٨ م ، ومرسيه عام ١٢٦٦ م .
٦٣١ – ٦٤٣	١٢٣٣ – ١٢٤٥	قاد جيمس الأول الارغونيون وانتزع من المسلمين فالانسيا عام ١٢٣٨ م ، وشاطبه عام ١٢٤٤ م .
٨٦٧ – ٨٩٨	١٤٦٢ – ١٤٩٢	تعاون القشتاليون والارغونيون بقيادة فرديناند الثاني وانتزعوا من المسلمين جبل طارق عام ١٤٦٢ م ، ومالاقال عام ١٤٨٧ م ، وغرناطة عام ١٤٩٢ م (١) .

---

(١) المرجع في تعديل التواريخ الهجرية والميلادية ـ اطلس التاريخ الاسلامي ، تصنيف هاري و ـ هازارد ـ رسم سميلي و ـ كوك ـ اصدار مكتبة النهضة المصرية ـ الطبعة الثالثة عام ١٩٥٥ .

المصادر

١ - القرآن الكريم .

٢ - في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ الطبعة الخامسة ١٩٦٧ .

٣ - البيان المغرب في أخبار المغرب .
(ابن عذارى) المراكشي ، مكتبة صادر ، بيروت .

٤ - التاريخ الكبير ـ « التهذيب »
(ابن عساكر) ، مطبعة روضة الشام ١٣٢٩ هـ .

٥ - آثار البلاد وأخبار العباد .
زكريا بن محمد (القزويني) ، دار صادر ودار بيروت ١٣٨٠ هـ .

٦ - أخبار مجموعة ، لمؤلف مجهول .
طبع في مدينة مجريط « مدريد » ١٨٦٧ .

٧ - العبر وديوان المبتدا والخبر .
عبد الرحمن (ابن خلدون) المغربي ، المطبعة البولاقية ،مصر ١٩٦٠ .

٨ - الكامل في التاريخ .
(ابن الأثير) ٦٣٠هـ ، دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٩٦٧م .

٩ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة .
أبي الحسن علي (بن بسام) الشنتريني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر
القاهرة ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .

١٠ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى .
(أحمد بن خالد) الناصري السلاوي ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٥٤ .

١١ – الاستيعاب في معرفة الأصحاب .
يوسف بن عبد الله بن محمد (ابن عبد البر) تحقيق علي محمد البجاوي
مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ١٩٦٠ م .

١٢ – المقتبس من أنباء أهل الأندلس .
أبي مروان (ابن حيان القرطبي) ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ،
١٣٩٠ هـ – ١٩٧١ م .

١٣ – المقتبس في أخبار بلد الأندلس .
أبي مروان (ابن حيان القرطبي) ، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي ،
المكتبة الأندلسية ـ دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٥ م .

١٤ – المقتبس في تاريخ رجال الأندلس .
أبو القاسم عبيد الله المعروف (بابن خرداذبه) ، باريس ١٩٣٧ م .

١٥ – المسالك والممالك .
(ابن خرداذبه) ، نشر ليدن ، مطبعة بريل ١٣٠٦ هـ .

١٦ – المغرب في حلى المغرب .
(ابن سعيد) تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ،
مجموعة ذخائر العرب (١٠) .

١٧ – الامامة والسياسة .
أبي محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبه) ،مطبعة الأمه،مصر ١٣٢٨هـ .

١٨ – العقـــد الفريد .
(ابن عبد ربه) ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ – ١٩٢٨ م .

١٩ – الخراج .
(أبي يوسف) يعقوب بن إبراهيم ، المطبعة السلفية،مصر ١٣٤٦هـ .

٢٠ – بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس .
أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (الضبي)،دار الكتاب العربي ١٩٦٧م.

٢١ – تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام .
شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (الذهبي) ، مكتبة المقدسي ١٣٦٨هـ .

٢٢ – تاريخ افتتاح الأندلس .
(ابن القوطية) ، تحقيق عبد الله أنيس الطباع ، اصدار دار النشر للجامعيين .

٢٣ – تاريخ اسبانيا الاسلامية .
ذي الوزارتين (لسان الدين الخطيب) السلماني ، تحقيق ، بروفنسال دار المكشوف ١٩٥٦ .

٢٤ – تاريخ الخميس .
حسين بن محمد بن الحسن (الديار بكري) ، مطبعة عثمان عبد الرزاق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٠٢ هـ .

٢٥ – تاريخ العلماء والرواة بالأندلس .
ابن الفرضي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٧٤ هـ .

٢٦ – تاريخ الطبري « تاريخ الرسل والملوك » .
أبي جعفر محمد بن جرير (الطبري) ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٠ ، ذخائر العرب (٣٠) .

٢٧ – تاريخ اليعقوبي .
(أحمد بن أبي يعقوب) بن جعفر بن وهب بن واضح .
مطبعة الغزي ، النجف ١٣٥٨ هـ .

٢٨ – جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس .
أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبيد الله (الحميدي) ، مطبعة الخانجي ، ١٣٧٢ هـ .

٢٩ – الحلة السيراء .
أبو عبد الله محمد (ابن الأبار) ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٣٠ – حلية الفرسان وشعار الشجعان .
علي بن عبد الرحمن (ابن هذيل الأندلسي) ، تحقيق محمد عبدالغني حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

٣١ – فتوح مصر والمغرب .
أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ابن عبد الحكم) القرشي .
مطابع لجنة البيان العربي ، القاهرة .

٣٢ – فتوح البلدان .
أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٩ م .

٣٣ – مقدمة ابن خلدون .
تصحيح « نصر الهوريني » ، عام ١٢٧٤ هـ .

٣٤ – معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع .
عبد الله بن عبد العزيز (البكري – الأندلسي) ، تحقيق مصطفى السقا ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ – ١٩٤٧ م .

٣٥ – مسالك الممالك .
أبي إسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (الاصطخري) ، ليون ، مطبعة بريل ١٩٣٧ م .

٣٦ – نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب .
أحمد بن محمد (المقري) التلمساني .

٣٧ – نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .
(الشريف الادريسي) ، دوزي ، ليون ، ١٨٦٦ م .

٣٨ – وفيات الأعيان .
أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ابن خلكان) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٦٧هـ .

المراجـع

١ ـ الرسول العربي وفن الحرب .
اللواء الركن مصطفى طلاس .
مطابع الادارة السياسية للجيش والقوات المسلحة .
دمشق ٤ / ١٣٩٢ هـ ـ ٥ / ١٩٧٢ م .

٢ ـ الاعـــلام .
خير الدين الزركلي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٣٧٣ ـ ١٣٧٨هـ .

٣ ـ تاريخ الحروب الصليبية .
ستيفن رُونسيمان ، ثلاثة أجزاء ، ترجمة الدكتور السيد الباز العريني
اصدار : دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان .

٤ ـ تاريخ العرب والشعوب الاسلامية .
كلود كاهن ، ترجمة الدكتور بدرالدين القاسم ، الطبعة الاولى ١٩٧٢م
اصدار دار الحقيقة ، بيروت ـ لبنان .

٥ ـ تاريخ فن الحرب .
الجنرال ستروكوف ، ترجمة العميد الركن صباح الدين الاتاسي .
اصـــدار وزارة الدفاع في الجمهورية العربيـــة السورية ،
الطبعة الاولى ١٩٦٨ م .

٦ ـ تاريخ الاســـلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ثلاثة أجزاء .
الدكتور حسن ابراهيم حسن ، اصـدار مكتبة النهضـة المصرية ،
الطبعة السابعة ١٩٦٤ م .

٧ ـ تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر .
الامير شكيب ارسلان .
اصدار مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر .

٨ ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ـ بروكلمان .
نقله إلى العربية الدكتور نبيه أمين فارس ـ منير البعلبكي .
اصدار دار العلم للملايين ، بيروت .

٩ ـ دولة الاسلام في الاندلس .
محمد عبد الله عنان ، مطبعة الخانجي ، القاهرة ١٩٦٠ م .

١٠ ـ فتح العرب للمغرب .
الدكتور حسين مؤنس ، مطبعة مصر ، القاهرة .

١١ ـ الفتوحات العربية الكبرى ، جون باجوت غلوب .
تعريب وتعليق خيري حماد .
مكتبة المثنى ، بغداد ١٩٦٤ م .

١٢ ـ فتوح مصر والمغرب والاندلس .
شارل توري ، ايدن ١٩٢٠ م .

١٣ ـ قادة الفتح الاسلامي .
المغرب العربي ١ ـ ٢ ، قادة فتح الشام ومصر
اللواء الركن محمود شيت خطاب .
ـ دار الفكر ـ

المراجع الاجنبية

١ ـ أطلس التاريخ الاسلامي ، هاري ـ و ـ هازارد .
ترجمة ابراهيم زكي خورشيد، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

2 — Atlas Classirue — Hachette - 1950 .

3 — Atlas Du X X e Siecle .
Fernand - Nathan

4 — Nouveau Petit - Larousse Illustré .
Dictionnaire - Encyclopédique 1953 .

5 — Encyclopedia - Britannica .

6 — Revue Militaire Generale - Paris .

7 — Strategie . Paris .

8 — Histoire Des Musulmans D' Espagne - Dozy.
Leyden - 1861 .

المخططات والخرائط

الصفحة

جدول الصور

الصفحة

الفهارس العامة للجزء الثاني من فن الحرب

المحتوى :

1 – فهرس الاعلام .

2 – فهرس المواقع والأماكن الجغرافية .

3 – فهرس الشعوب والقبائل والأديان والمذاهب والفرق والجماعات .

4 – فهرس المخططات والخرائط .

5 – فهرس الصور والمصورات .

6 – فهرس الموضوعات .

١ - فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٢ – فهرس المواقع والأماكن الجغرافية

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٣ - فهرس الشعوب والقبائل والفرق والجماعات و الاديان والمذاهب

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الفهرس

القسم الاول

الفصل الثالث (٧٥ - ١٠٨)

الدروس المستقاة من عمليات فتح مصر

القسم الثاني

الفصل الاول (١٠٩ - ١٣٤)

افريقية الشمالية عبر التاريخ

القسم الثاني

الفصل الثاني (١٣٥ - ١٩٨)

فتح افريقيـــة

القسم الثاني

الفصل الثالث (١٩٩ ـ ٢٣٦)

فن الحرب وفتح افريقية والمغرب

القسم الثالث

الفصل الاول (٢٣٧ - ٢٥٢)

فتح الأندلس

القسم الثالث

الفصل الثاني (٢٥٣ - ٣١٤)

المرحلة الاولى من فتـــح الاندلس

المرحلة الثانية من فتح الاندلس

القسم الثالث

الفصل الثالث (٣١٥ – ٣٥٠)

الفتوح في عهـــد الولاة

القسم الرابع

الفصل الاول (٣٥١ – ٣٩٥)

الدولة الأموية في الأندلس

ج – مسيرة الأعمال القتالية : ١ً – الهجوم الوقائي الأول. ٢ً – سقوط برشلونه. ٣ً – استعادة تطيله . ٤ً – هجوم وقائي جديد . ٥ً – استراتيجية الردع – معركة وادي الحجارة . ٦ً – اخضاع التمرد في طليطلة . ٧ً – تطوير عمليات الردع .

القسم الرابع

الفصل الثاني (٣٩٧ – ٤٦٥)

عهود الفتنة والاضطراب

٣٩٩ – عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ، والهجمات الوقائية واستراتيجية الردع . ٣٩٩ – عملية الردع الأولى . ٤٠١ – استعادة السيطرة على اراغون . ٤٠١ – عمليات الردع لحماية الثغور . ٤٠٣ – العمليات في جيليقية . ٤٠٥ – انزال النورمان في الأندلس . ٤٠٨ – عمليات الردع ضد جزر مينورقه ، ميورقه ، يابسه « جزر الباليبار » . ٤١٣ – ثورة ماردة . ٤١٥ – الفتنة الطائفية . ٤١٨ – محمد بن عبد الرحمن وحروب الاستنزاف . ٤٢١ – احباط عملية السبر. ٤٢٢ – عمليات الردع الخارجية : (آ – معركة وادي سليط . ب – مجابهة غزو النورمان . ج – عمليات الردع في الشمال . د – الثورات المضادة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن . هـ – ثورة عمر بن حفصون . ٤٤٧ – حروب الاستنزاف واستمرار الثورات المضادة : (آ – عناصر الثورات المضادة . ب – نشوء مملكة نافار ، أو البشكنس . ج – نشوء مملكة جيليقيه – اشتوريش ، ثم ليون) .

القسم الرابع

الفصل الثالث (٤٦٧ – ٥٨٠)

عصر القوة في الأندلس

٤٧١ – الردع في عهد عبد الرحمن الثالث. ٤٧١ – غزاة موبش : (الوضع العام : آ – الموقف في الشمال. ب – الموقف في الدولة العباسية. ج – الموقف في بيزنطة. د – الموقف على الحدود الجنوبية للأندلس) . ٤٧٥ – الوضع الخاص.

—★—

هذا الكتاب

موسوعة تاريخية عسكرية تقدم لك المعرفة بتاريخ الأمة العربية وأعمال الفتوحات العظمى التي عاشتها على امتداد أربعة عشر قرناً من عمر الزمن هو تاريخ الأمة العربية الإسلامية منذ أن أضاءت الدنيا وأشرقت برسالة الإسلام وحتى اليوم.

• تبرز الحنكة العسكرية والإدارية التي تميز بها القائد المسلم بحسه العربي الذي فطر عليه في تطبيق مبادىء الحرب في الاستراتيجية والتنفيذ في ميدان المعركة، وفي فن القيادة وكفاءتها والروح المعنوية العالية للمقاتلين سواء بسواء في الحروب النظامية أو الحروب الثورية الداخلية وقمع الفتن بإيمان راسخ بنصر من الله وتأييده.

• **تشمل :**

□ عهود الخلفاء الراشدين والامويين للأعمال القتالية في الشمال والشرق والغرب والأندلس وجنوب أوروبة والغزوات البحرية.

□ الجهاد على جهة الروم في العهد العباسي وعلى ثغور الهند والحروب البحرية وغزو التتار لبلاد الإسلام وتمزيق قواتهم في معركة عين جالوت

□ الغزو الصيبي لبلاد الإسلام في الحملات الصليبية المتتالية ومعركة حطين وتحرير القدس وطرد الصليبيين الفرنج وتصفية وجودهم في الشرق.

□ ظهور العثمانيين وحملهم راية الجهاد وفتح القسطنطينية والتوغل في اوروبا شمالاً وغرباً والتوسع في آسيا والحروب مع الروسيا

• مرجع هام يحتاج إليه:

□ تلميذ التاريخ وأستاذه

□ العسكري في ممارسته لفنه وعلمه

□ المؤرخ في تقصيه للحقائق التاريخية

□ كل مواطن عربي توّاق للاستزاده بمعرفة تاريخ امته